

سل

الاعاني

892
A21

pl
v.

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



تجلید صالح الدقر

تلفون ۴۲۹۷۷

تجريد الاخاني

892.7809
A2195anA

تأليف pt. 1
v. 1 ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

الفِئْمُ الأوَّل - الجزء الأوَّل

محقق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

الطبعة الأولى

مطبعة مصر للكتاب
٤٠ شارع نوازشكا (ساحة شارع الذواون)

١٣٧٤ - ١٩٥٥

كتاب في التاريخ

1233

كتاب في التاريخ

كتاب في التاريخ

كتاب في التاريخ

تقديم

بقلم

الدكتور طه حسين

هذا كتاب من كتب القرن السابع للهجرة ، نشره للناس لأنه بعض تراثنا القديم ؛ الذي يجب إحيائه وتمكين الأجيال المعاصرة من الانتفاع به ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

ونشره كذلك ؛ لأن أوساط المثقفين في هذا العصر أشد ما يكونون حاجة إليه ، فهو يقرب إليهم من الأدب العربي القديم بعيداً ، ويسر لهم منه عسيراً ، ويتيح لأكثر عدد ممكن منهم أن يقرأوا أشياء ما كان لهم أن يقرأوها أو يذوقوها لو لم يدع فيهم مثل هذا الكتاب .

وعنوانه ينبئ عن موضوعه وعن قيمته وعن شدة الحاجة إليه في هذه الأيام . فالمثقفون جميعاً يسمعون عن كتاب أبي الفرج الأصبهاني ، وهم يعرفون هذا الكتاب أكثر مما يعرفون اسم صاحبه ، على شهرته و بعد صوته في الشرق والغرب منذ قرون طوال . وأى مثقف لم يسمع بكتاب الأغاني ، ولكن معرفة اسم الكتاب شيء وقراءته شيء آخر . والذين يقرأون كتاب الأغاني ويستقصون ما فيه أفراد قليلون يمكن إحصاؤهم ، وهم الذين يفرغون للأدب القديم ويقفون جهودهم ووقتهم على درسه واستقصاء حقائقه .

والذين يقرأون كتاب الأغاني ملين به غير معنيين فيه قليلون أيضاً ، وهم لا يكادون يلمون به حتى ينصرفوا عنه ضائقين بخصال فيه لا تلائم العصر الحديث وما يحتاج إليه أهله من التيسير والتقريب ، لأنهم محتاجون إلى السرعة ، ولأن وقت

كثير منهم محسوب عليهم ، ولأن جهد كثير منهم لا يثبت لما تحتاج إليه القراءة في هذا الكتاب من الأناة والصبر وفراغ البال .

وقد ألف كتاب الأغاني في القرن الرابع لقوم لم يكن مقتراً عليهم في الوقت ولا في الجهد ولا في الفراغ ، لم تكثر حاجاتهم ، ولم يشتد اضطرابهم فيها ، ولم تعجلهم المنافع والضرورات عن الفراغ للعلم والجد في سبيل المعرفة .

وأين تكون حياة الذين كانوا يعيشون في العالم العربي منذ ألف سنة من حياتنا في هذه الأيام ! وأين يكون استقرارهم من اضطرابنا ! وهدوؤهم من قلقنا ! وفراغهم من امتلاء أوقاتنا ! وقد ألف الكتاب كذلك لقوم لم يكن طول الكتب يزعجهم ، ولم يكن ترديد الأخبار والأنباء يملهم ، ولم يكونوا يكرهون الاستقصاء كما يكرهه المعاصرون ، ولم يكونوا يطمثون إلى الأحاديث التي تساق إليهم غير مسندة إلى أصحابها ، ولا مردودة إلى أصولها ومصادرها ، ولم يكونوا يحبون شيئاً كما كانوا يحبون أخذ العلم بالسمع عن رواته والمتخصصين فيه . فكانت تسمية الرواة على كثرتهم تغريهم وتحبب إليهم ما يقرءون ، وكانوا يعرفون الغناء العربي القديم والموسيقى العربية القديمة ويحققون معانيها وأسماءها في نفوسهم . فلم يكونوا يستوحشون إذا ذكرت لهم أسماء الألحان وعرضت عليهم وقائعها .

ومن أجل ذلك كله آثروا كتاب الأغاني وكلفوا به وتنافسوا فيه ورأوه صرحاً منيفاً من صروح الأدب العربي قد جمع لهم جمعاً متقناً ، فوفر عليهم كثيراً من الجهد في طلب العلم ، ويسر لهم تحصيله وهم قارون وادعون . ثم لم تلبث ظروف الحياة أن تغيرت ، وإذا ملك من ملوك الأيوبيين يذكر هذا الكتاب فيشكو من طوله وكثرة أسانيده وكثرة أسماء الأصوات والألحان فيه ، وكثرة ما فيه من التكرار

والاستطراد ، ويتقدم إلى عالم جليل من أصحابه ، هو محمد بن سالم الواصل ، في حذف ما كان يرى فيه من الفضول . ويتم له الشيخ ماتقدم إليه فيه دون أن يعرف أو يقدر أن عصرًا من العصور سيُظَلِّم العالم العربي ، وإذا أهله جميعًا يشبهون أشد الشبه وأقواه ذلك الملك من ملوك الأيوبيين في بُغْض الإطالة والضيق بالأسانيد والنفور مما لا يفهمون من أسماء الأصوات والألحان . فهو إذن قد ألف كتابه لذلك الملك ومعاصريه ، فلم يرض أولئك وحدهم وإنما أرضى أجيالًا لا تحصى بعد ذلك العصر الذي عاش فيه بقرون .

ستجد فيه أدبًا كثيرًا قيمًا ، وقصصًا كثيرًا رائعًا ، وتاريخًا كثيرًا نافعًا ، وستجد هذا كله في غير جهد ولا إضاعة للوقت ولا تكلف لما لا تحب .

ولست أخفي على القراء أني أضيق باختصار الكتب ولا أطمئن إليه ، وأرى فيه ازورارًا عما أراد المؤلفون ، وانحرافًا عما رسموا لأنفسهم من طريق ، وجحودًا لما احتملوا من سلوك هذه الطريق من ألوان المشقة والعناء .

ولست أخفي على القراء أيضًا أني أقرأ كتاب الأغاني فأستمع بأسانيده كما أستمع بما يروى فيه من الشعر والأحاديث . ولكن لا بد مما ليس منه بد ، فليس كل الناس قادرًا على أن يفرغ للأغاني وأمثاله من كتب القدماء . ونحن بين اثنتين : إما أن ننشر مثل هذا الكتاب ليقراه وينتفع به من لا يملك من الوقت والجهد لقراءة كتاب الأغاني ، وإما أن نخلى بين الأدب العربي القديم وبين النسيان يلقي عليه أستاره الكثاف ، ويقصر العلم به على الذين يفرغون له ويتخصصون فيه .

وواضح أني أؤثر الأولى ، فقراءة مختصرة لكتاب الأغاني خير من أن يُجهل الكتاب ويُجهل مختصره ويُجهل الأدب العربي كله .

ومن أجل هذا أقبلنا على نشر هذا الكتاب ليقراه أوساط المثقفين للعلم من جهة ، و يقرأه خاصتهم للموازنة بينه وبين الأصل الذى اختصر منه . وهو بعد ذلك تراث قديم لا ينبغي أن يضاع .

وقد اكتفينأ بأن نحقق نصه ونخرجه صحيحاً مستقيماً وأرجأنا ما يحتاج إليه من درس وبحث واستقصاء حتى نفرغ من إخراج النص للناس .

وأكثر ما فى هذا الجهد من فضل يرجع إلى الأستاذ الصديق ابراهيم الأييارى ، فهو الذى نهض بالعبء المادى كله . ولم أشرك أنا إلا فى القراءة والمراجعة وإسداء النصيح ، فعسى أن يلحق هذا الجهد من إقبال المثقفين على مصاحبة الأدب العربى القديم ساعات من النهار أو ساعات من الليل . فهذا خير ما ننتظر من مكافأة على ما أنفقنا من وقت وما تكلفنا من عناء ؟

طه حسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِزِّ بِفَضْلِكَ

[مقدمة الكتاب]

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل العلامة مجموع الفضائل ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحموي . أدام الله أيامه :
أحمد الله على آلائه المتواترة ، وأشكره على نعمه المتضافرة ، وأصلي على رسوله محمد ذي المعجزات الباهرة والآيات القاهرة ، وعلى آله وأصحابه الأنجم الزاهرة ، وعلى التابعين لهم بإحسان أولى الرتب الفاخرة ، صلاةً يُبلغهم بها أعلى مراتب الآخرة . وبعد :

فإني لما أُوتيت من الإحسان السلطاني الملكي المنصوري^(١) — خلد الله سلطانته ، وأذلّ شأنه وأعلى شأنه — إلى ظلّه الظليل ، وفاض على صيب إنعامه الوافر الجزيل ؛ فزّدت بخدمة ملكٍ كَمَل الله خلقه كما كَمَل أخلاقه ، وزكّيت ذاته الشريفة كما زكّيت أصوله وأعراقه ؛ فهو — أعز الله أنصاره — مُغرّى باكتساب الفضائل ، مُغرم

(١) يريد الملك المنصور محمد بن عمر المظفر الأيوبي ، صاحب حماه . وكان عالماً بالتاريخ والأدب . توفي بقلعة حماه سنة ٦١٧ هـ . (انظر تاريخ حماه ص ٨٤ — وفوات الوفيات ٢ : ٢٥٢) .

بأهلها ، لهج باقتناء المحامد مؤثرٌ نظمَ شملها . وأتفق أنه ذُكر بمقرّه العالی — الذى هو محطُّ الفضل والإفضال ، وإليه يشدُّ الرّحال ذوو الآمال — كتابُ أبي الفرج الأصفهانيّ المعروف بالأغاني الكبير^(١) ، وما أحتوى عليه من الفضل الغزير والعلم الكثير ؛ غير أنه قد شانه بذكر الأصوات ، وما احتوت عليه من أنواع النغم والإيقاعات ، ممّا لا فائدة في ذكره ؛ إذ كان المباشرّون لهذه الصناعة في زمننا هذا إنما يعرفونها عملاً لاعلماً ، وغيرهم فلا ينتفعون بشيء ممّا ذكر ولا يحيطون به فهماً . فخرج أمره المطاع — أعلاه الله — بأن يُجرّد من ذلك كلّ ومن الأسانيد والتكرارات ، وممّا لا فائدة في ذكره من الأخبار والأشعار المشتركة ؛ ويقتصر على غرر فوائده ، ودُرر فرائده . فبادر المملوك إلى امتثال مرسومه العالی ، وأضاف إليه فوائد آخر تتعلّق به ، وشرح بعض المستغلق من ألفاظه ، والله المستعان .

ونقدّم على ذلك بعض ما قيل في هذا الكتاب وفضل مُصنّفه :

مصنف الكتاب

أبو الفرج الأصفهاني

وهو عليّ بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن^(٢) بن عبد الله ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي . وكان مع أمويّته متشيّعاً^(٣) .

(١) وكذا في ياقوت . وذكر ابن النديم أن كتاب الأغاني الكبير لإسحاق الموصلي .

(٢) رواية ابن خلكان وياقوت وابن شاكر وابن الأثير وابن الجوزي والثعالبي : «... بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان» .

(٣) قال التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة : «ومن المتشيّعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصفهاني» . وقال ابن شاكر في عيون التواريخ عنه : «إنه كان ظاهر التشيع» . وقال ابن الأثير في الكامل : «وكان أبو الفرج شيعياً . وهذا من العجب» .

وُلد سنة أربع وثمانين ومائتين . وتوفي في ذى الحجة سنة ست وخمسين وثلثمائة . فكان عمره نحو اثنتين وسبعين سنة . وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير ، شاعراً مُحسناً . والغالب عليه رواية الأخبار والآداب . وله مصنّفات كثيرة ، منها : كتاب الأغاني ، هذا الذي لم يُصنّف مثله . ومقاتل الطالبين . وأخبار الإماء^(١) الشّواعر . والحانات . والديارات . وآداب الغرباء . ونسب بني عبد شمس . والتعديل والانتصاف ، في ماثر العرب . وجمهرة النّسب . ونسب بني شيبان . وأيام العرب . ونسب بني تغلب . ونسب المهالبة . ونسب بني كلاب . وكتاب القيان^(٢) . وكتاب الغلمان المُغنين . ومُجرّد الأغاني^(٣) . وغير ذلك من المصنّفات البديعة .

وذُكر أنه جمع كتاب الأغاني الكبير في خمسين سنة ، وكتب به نسخة واحدة وأهداها إلى سيف الدولة بن حمدان^(٤) فأجاره بألف دينار . ولما بلغ ذلك الصاحب أبا القاسم بن عبّاد^(٥) ، قال : لقد قصر سيف الدولة وإنه ليستأهل أضعافها ، إذ كان كتابه موشحاً^(٦) بالحاسن المنتخبة والفقر الغريبة ، فهو الزاهد فكاهة وعبرة ، وللعالم مادة وزيادة ، وللكاتب والمتأدّب بضاعة وتجارة ، وللبطل رُجْلة^(٧) وشجاعة ، وللمتطرّف رياضة وصناعة ، وللملِك طيبة ولذاذة . ولقد اشتملت

(١) في الأصل : «الإماء والشواعر» . وما أثبتنا عن ابن خلكان وياقوت .

(٢) ذكره ياقوت باسم «كتاب أخبار القيان» .

(٣) خصه بكل ما غنى فيه دون الأخبار .

(٤) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ممدوح المتنبي . ويقال : لم يجتمع بباب أحد من الملوك ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر . ولد في ميافارقين سنة ٣٠٣ هـ . ملك واسط ودمشق وحلب . وتوفي سنة ٣٥٦ هـ . . (انظر وفيات الأعيان ، يتيمة الدهر) .

(٥) هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس . وزير غلب عليه الأدب . استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمي ، ثم أخوه فخر الدولة . ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه . ولد سنة ٣٢٦ هـ . وكانت وفاته سنة ٣٨٥ هـ . (انظر إرشاد الأريب ، وفيات الأعيان) .

(٦) في تصدير الأغاني طبعة دار الكتب : «مشحونا»

(٧) الرجلّة ، بالضم : القوة على المشي .

خِزَانَتِي عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ وَسَبْعَةِ عَشَرَ أَلْفَ مَجْلَدٍ^(١) ، مَا مِنْهَا مَا هُوَ سَمِيرِي غَيْرُهُ .
 وَلَقَدْ عَرَّفَنِي أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يُوسُفَ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَمْ يَكُنْ يَفَارِقُ الْمَلِكَ
 عَضُدَ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ^(٢) فِي سَفَرِهِ وَلَا حَضَرَهُ ، وَأَنَّهُ كَانَ جَلِيسَهُ الَّذِي يَأْنَسُ بِهِ ،
 وَخِذَنَّهُ الَّذِي يَرْتَاحُ إِلَيْهِ ، فَزَادَهُ ذَلِكَ فِي نَفْسِي شَرَفًا إِلَى شَرَفِهِ ، وَنُبْلًا إِلَى نُبْلِهِ .
 وَلَمَّا وَلِيَ ابْنُ الْمَغْرَبِيِّ^(٣) الْوِزَارَةَ اخْتَصَرَهُ وَأَحَبَّهُ ، وَصَارَ لَهُ بِهِ غَرَامٌ عَظِيمٌ ،
 وَأَفْرَطُ فِي تَقْرِيطِهِ وَمَدَحِهِ فِي خُطْبَةٍ اخْتَصَرَهُ وَقَالَ : « إِنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى مُصَنَّفٍ لِأَحَدٍ
 أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ اخْتَصَرَهُ لِأَجْلِ سَفَرِهِ لِيَصْغُرَ حَجْمُهُ » .

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ التَّنَوُخِيُّ^(٤) : « مِنَ الرِّوَاةِ الْمُتَشَبِّهِةِ الَّذِينَ شَاهَدْنَاهُمْ أَبُو الْفَرَجِ
 الْأَصْفَهَانِي . كَانَ يَحْفَظُ مِنَ الشَّعْرِ وَالْأَغَانِي وَالْأَخْبَارِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُسْنَدَةِ وَالنَّسَبِ
 وَالْآثَارِ ، مَا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْفَظُ مِنْهُ ، وَكَانَ يَحْفَظُ دُونَ ذَلِكَ مِنَ الطَّبِّ وَالنُّجُومِ
 وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْخُرَافَاتِ وَآلَةِ الْمُنَادِمَةِ ، مِثْلَ عِلْمِ الْجَوَارِحِ وَالْبَيْطَرَةِ وَالْأَشْرِبَةِ^(٥) » .
 وَاخْتَلَفُوا فِي جَرِّحِهِ وَتَعْدِيلِهِ ، فَهَمَّنَ قَدَحَ فِيهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٦) ،

(١) الَّذِي فِي يَاقُوتَ : « مَائَتَيْنِ وَسِتَّةَ أَلْفِ مَجْلَدٍ » .

(٢) هُوَ أَبُو شَجَاعٍ فَنَاحِصُ ، الْمُلَقَّبُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ بُوَيْهِ
 الدَّيْلَمِيُّ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خُوطِبَ بِالْمَلِكِ فِي الْإِسْلَامِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٣٧٢ هـ بِبَغْدَادَ .

(٣) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَغْرَبِيِّ . مَوْلَاهُ بِمِصْرَ
 سَنَةَ ٣٧٠ هـ . قَتَلَ الْحَاكِمَ أَبَاهُ فَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ . ثُمَّ تَنَقَّلَ فِي بَغْدَادَ وَالْمَوْصِلَ . وَاسْتَوْرَزَهُ مُشْرِفُ
 الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِي أَشْهَرَاهُ ثُمَّ عَزَلَهُ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٤١٨ هـ . (انظر ابن خلكان) .

(٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ . كَانَ عَالِمًا بِأَصُولِ الْمُعْتَزَلَةِ ، وَمِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ .
 وَلَدَ سَنَةَ ٢٧٨ هـ . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٤٢ هـ . وَأَمَّا ابْنُهُ أَبُو عَلِيٍّ صَاحِبُ نَشْوَارِ الْمُحَاضَرَةِ ، وَالْفَرَجُ بَعْدَ
 الشَّدَةِ ، وَغَيْرُهُمَا ، فَقَدْ وَلَدَ سَنَةَ ٣٢٧ هـ . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٨٤ هـ . (انظر ابن خلكان) .

(٥) رَوَى الْعِبْرَةُ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي الْفَرَجِ بِاخْتِلَافٍ يَسِيرٍ .

(٦) هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ رَامِينَ الْقَاضِي ، لَقِيَ
 الشَّيْخَ الصَّوْفِيَّةَ . وَمَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٤١٢ هـ .

فقال : « كان أبو الفرج أ كذب الناس . كان يدخل سُوق الوراقين فيشتري شيئاً كثيراً من الصُّحف فيروى منها » .

وممن عدّله أبو الحسن ^(١) ، قال : « لم يكن أحداً أوثق من أبي الفرج الأصفهاني . وقد روى له شعر حسن » .

قال أبو الفرج الأصفهاني : « بلغ جَحْظَةُ البرمكي أن مُدرك بن شيبان ذكره بسوء وأنا حاضر ، فكتب إليّ :

أَبَا فَرَجٍ أَهْجَى لَدَيْكَ وَيُعْتَدِي عَلَيَّ فَلَا تَحْمَى لَذَاكَ وَتَغْضَبُ
لَعَمْرُكَ مَا أَنْصَفْتَنِي فِي مَوَدَّتِي فَكُنْ مُعْتَبِأً إِنَّ الْأَكَارِمَ ^(٣) تُعْتَبُ
فَكُتِبْتُ إِلَيْهِ :

عَجِبْتُ لِمَا بُلِّغْتَ عَنِّي بَاطِلًا وَظَنُّكَ بِي فِيهِ لَعَمْرُكَ أَعْجَبُ
تَكَلَّمْتُ إِذْنِ نَفْسِي وَأَهْلِي ^(٤) وَأَسْرَتِي وَعِزِّي ^(٥) وَلَا أَدْرَكْتُ مَا كُنْتُ أَطْلُبُ
فَكَيْفَ بَمَنْ لَا حَظَّ لِي فِي لِقَائِهِ وَسَيَّانٍ عِنْدِي وَصْلُهُ وَالتَّجَنُّبُ
فَتِيقُ بِأَخٍ أَصْفَاكَ مُحَضَّ مَوَدَّةٍ تَشَاكُلُ مِنْهَا مَا بَدَأَ ^(٦) وَالْمُغَيَّبُ

وهذا حين الشروع فيما قصدنا له ، وبالله التوفيق .

(١) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر جحظة البرمكي أديب راوية . توفي سنة ٣٢٦ هـ .

(انظر إرشاد الأريب . وابن خلكان) .

(٢) هو أبو القاسم الشيباني مدرك بن محمد . ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ولم يذكر

سنة وفاته .

(٣) في الأصل : « المكارم » . وما أثبتنا عن ياقوت .

(٤) في ياقوت : « وعزى » .

(٥) في ياقوت : « بفقدى » .

(٦) في ياقوت : « والتغيب » .

أخبار أبي قتيبة

نسبه

هو عمرو بن الوليد بن عُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْط . وأسم أبي مُعَيْط أَبَانُ بن أبي عمرو ابن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب ابن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر — وإليه تعود قبائل قريش ^(١) — بن مالك بن النضر ابن كِنانة بن خزيمة بن مُدْرِكَة بن اليأس ^(٢) بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان .

قلتُ : إلى هنا أُنْتَهَى المعلوم من عمود النَّسَب ، وما بعد ذلك إلى إسماعيل ابن إبراهيم فغير معلوم . وقد اختلف النَّسابون فيه اختلافاً كثيراً . وقد ذكر أبو الفرج بعض ما قيل ، فلا حاجة إلى ذكره ، إذ كان غير موثوق به .

شيء عن أبي عمرو ابن أُمَيَّة

قال أبو الفرج : ذكر الهيثم بن عدي ^(٣) في كتاب المثلث ^(٤) أن أبا عمرو بن أُمَيَّة كان عبداً لأُمَيَّة ، وأسمه ذَكْوَان ، فاستلحقه .

وذكر أن دَغَفَلًا ^(٥) النَّسابة دَخَلَ على مُعَاوية فقال : مَنْ رَأَيْتَ من عِلِيَّةٍ

(١) هذا رأى القلة من النسابين . أما كثرتهم فعلى أن النضر هو أصل قريش .

(٢) قال الزبيدي : «يحمل بعضهم» «اليأس بن مضر» على «إلياس» النبی في همز أوله . والصواب في «اليأس بن مضر» أن تعتبر فيه الألف واللام زائدتين ، كزيادتهما في الفضل والعباس ، وأنها داخلتان على المصدر الذي هو اليأس ، وقد تسهل همزته الثانية ، فيقال فيه : الياس . أما «إلياس» النبی ، فهو بقطع الهمزة الأولى مفتوحة أو مكسورة . وعبارة ابن منظور : «وإلياس اسم أعجمي ، وقد سمت به العرب» .

(٣) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن . إخباري راوية . ولد بالكوفة قبل سنة ثلاثين ومائة . ومات سنة تسع ومائتين . وقيل : سيع . (انظر إرشاد الأريب) .

(٤) هو كتاب المثلث الكبير . ذكره ياقوت كما ذكره ابن النديم بين مصنفات كثيرة للهيثم .

(٥) هو دغفل بن حنظلة — وقيل حجر — بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شيبان . اختلفوا في صحبته . مات غريقاً في يوم دولاب . (انظر الاستيعاب ، والإصابة والطبقات لابن سعد ، والفهرست لابن النديم) .

قُرَيْش؟ قال: رأيتُ عبدَ المطلب بن هاشم، وأُمَيَّةَ بن عبد شمس. قال: صِفْهُمَا لِي. قال: كان عبدُ المطلب أبيضَ مديدَ القامة حسنَ الوجه، في وجهه ^(١) نور النبوة وعزُّ الملك، يُطِيفُ به عَشْرَةٌ من بَنِيهِ كأنهم أُسْدٌ غَاب. قال: فَصِفْ أُمَيَّةَ. قال: رأيتُهُ شيخاً قصيراً نحيفَ الجسم ضَريراً يَقُودُهُ عَبْدُهُ ذَكْوَان. فقال: مَهْ! ذلك ابنُهُ أبو عمرو. قال: هذا شيء قُلْتُمُوهُ بعدُ وأُحْدِثْتُمُوهُ، فَأَمَّا ^(٢) الذي عرفتُ فهو الذي أَخْبَرْتُكَ بِهِ.

خندف وولدُ ألياس بن مُضَر يُقَالُ لَهُمْ: خِنْدِف، وَسُمُّوا بِأُمَهُم خِنْدِفَ، وهو لَقَبُهَا. واسمُهَا كَيْلَى بنتُ حُلْوَان ^(٣) بنِ عِمْرَانَ بنِ الحُخَفِ بنِ قُضَاعَةَ. وهى أُمُ مُدْرِكَةَ، وطابِخَةَ، وقَمْعَةَ ^(٤)، بَنَى ألياس.

الأعياص
والعنابس

وَكَانَ لِأُمَيَّةَ بنِ عبد شمس أَحَدَ عَشَرَ وَلِداً، وَهُمْ: العاص، وأبو العاص، والعِيص، وأبو العِيص، والعُويص — وَيُقَالُ لَهُؤُلَاءِ: الأعياص — وَحَرْبٌ، وَأَبُو حَرْبٍ، وَسُفْيَانٌ، وَأَبُو سَفْيَانَ، وَعَمْرُو، وَأَبُو عمرو. وَيُقَالُ لَهُمُ العَنَابِسُ؛ لِأَنَّهُمْ ثَبَتُوا مَعَ أَخِيهِمْ حَرْبٌ بنِ أُمَيَّةَ بَعْكَازَ وَعَقَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَقَاتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً، فَشَبَّهُوا بِالْأُسْدِ. وَالْأُسْدُ يُقَالُ لَهَا: العَنَابِسُ، وَاحِدُهَا عَنَابَسَةٌ. وَفِي الأعياص يَقُولُ عبد الله بن فَضَالَةَ:

وفود ابن فضالة
على ابن الزبير

مِنَ الأعياصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَرَ كَغُرَّةِ الفَرَسِ الْجَوَادِ
قِيلَ: أَتَى عبدُ اللَّهِ بنَ فَضَالَةَ الوَالِيَّ ثَمَّ الْأَسَدِيَّ، مِنْ أَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ، عبدُ اللَّهِ
ابنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: نَفِدَتْ نَفَقَتِي، وَنَقَبْتُ رَاحِلَتِي ^(٥). فَقَالَ: أَحْضِرْهَا. فَأَحْضَرَهَا.

(١) رواية بعض أصول الأغاني: «في جبينه».

(٢) رواية بعض أصول الأغاني: «ولما».

(٣) في السيرة لابن هشام: «وخندف بنت عمران».

(٤) اسم مدركة: عامر. واسم: طابخة: عمرو. واسم قمعة: عمير. وقد ذكر ابن هشام العلة في تلقيبهم بهذه الألقاب.

(٥) نقبت الراحلة: رقت أخفافها وحفيت، حتى يتمزق فرسها. وفي حديث أبي موسى: «فنقبت أقدامنا» أي رقت جلودها وتنقطت من المشي.

فقال : أَقْبِلْ بِهَا ، أَدْبِرْ بِهَا . ففعل . فقال : أَرْقَعَهَا بِسَبْتٍ ^(١) ، وَاخْصِفْهَا بِهَلْبٍ ^(٢) ،
وَأَنْجِدْ ^(٣) بِهَا يَبْرُذُ خُفُّهَا ، وَسِرْ بِهَا الْبَرْدَيْنِ ^(٤) تَصِحَّ . فقال : إِنْ أَيْتُكَ مُسْتَحِمًّا
وَلَمْ آتِكَ مُسْتَوْصَفًا ، فَلَعَنَ اللَّهُ نَاقَةً حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ . فقال : إِنَّ وَرَاكِبَهَا . فأنصرف
عنه ابْنُ فَضَالَةَ ، وقال :

أَقُولُ لِغِلْمَتِي شُدُّوا رِكَابِي أَجَاوِزُ بَطْنَ مَكَّةَ فِي سَوَادٍ ^(٥)
فَمَالِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادٍ ^(٦)
سَيُبْعَدُ بَيْنَنَا نَصُّ الْمَطَايَا وَتَعْلِقُ الْأَدَاوَى وَالْمَزَادَ ^(٧)

(١) السبت ، بالكسر : كل جلد مدبوغ ، وخص بعضهم به جلود البقر ، مدبوغة كانت أم غير مدبوغة . قال الأزهري : كأنها سميت سبتية ، لأن شعرها قد سبت عنها ، أي حلق وأزيل .

(٢) الهلب ، بالضم : الشعر كله ، وقيل : هو في الذنب وحده ، وقيل : هو ما غلظ من الشعر . وزاد الأزهري : كشعر ذنب الناقة . وقال الجوهري : هو شعر الخنزير الذي يخرز به . وخصفها ، أي ضمها واخلزها .

(٣) أنجد الرجل : ارتفع وأتى النجد من الأرض ، وهو المرتفع ، وهو أبرد من الغور .

(٤) البردان : الغداة والعشي ، كالأبردان . والرواية في الأغاني : « وسر البردين » .

(٥) نسب البغدادى في الخزائن (٢ : ١٠٠ - ١٠٣) هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي . وذكره أبو الفرج في الأغاني (١٠ : ١٧٣ طبعة بلاق) منسوباً لفضالة ابن شريك .

(٦) ذات عرق : مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة . وقيل : عرق : جبل بطريق مكة ، ومنه : ذات عرق . وقال الأصمعي : ما ارتفع من بطن الرمة ، فهو نجد إلى ثنانيا ذات عرق . وعرق : هو الجبل المشرف على ذات عرق . والكاهلية : زهراء بنت خثراء ، امرأة من بني كاهل بن أسد ، وهى أم خويلد بن أسد بن عبد العزى . (انظر معجم البلدان ، والأغاني ١٠ : ١٧٣ طبعة بلاق) .

(٧) النص : ضرب من السير سريع . وهو في الأصل : منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها . والأداوى : جمع إداوة ، وهى إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، وقيل : إنما تكون إداوة ، إذا كانت من جلدتين قوبل أحدهما بالآخر . وكان قياس الجمع : أدائى ، مثل رسالة ورسائل ، فتجنّبوه وفعلوا به ما فعلوا بالمطايا والخطايا ، فجعلوا فعائل فعلى وأبدلوا هنا الواو ليبدل على أنه قد كانت في الواحد واوا ظاهرة ، فقالوا : أداوى . فهذه الواو بدل من الألف الزائدة في إداوة ، والألف التى في آخر الأداوى بدل من الواو التى في إداوة ، وألزموا الواو هاهنا كما ألزموا الياء في مطايا .

أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ نُكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ في البلادِ
مِنَ الأَغْيَاصِ أو من آلِ حَرْبٍ أَغْرَ كُغْرَةَ الفَرَسِ الجَوَادِ

كان عبد الله بن الزبير يُكْنَى أبا خُبَيْبٍ ، وأبا بكر ، وأبو بكر هو المعروف .
ولم يكن يَكْنِيهِ أبَاخُبَيْبٍ إِلَّا من أراد ذَمَّهُ ، فيجعلُه كاللَّقَبِ له ^(١) . فقال ابن الزبير ،
لَمَّا بلغه الشعرُ : عِلِمَ أنها شرُّ أمهاتِي فعَيَّرَنِي بها ، وهى خيرُ عَمَّاتِهِ ^(٢) .

ولفظه « إن » هاهنا بمعنى نعم .

مقتل ابن أبي
معيط والنضر

وكان عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ أحدَ الأَسْرَاءِ يوم بدر ، فأمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بقتله . فَقُتِلَ بين يديه صَبْرًا ^(٣) . وكان الذى تَوَلَّى قتله علىُّ بن أبي طالب
رضى الله عنه ؛ وقيل : بل قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَحِ الأنصارى . ثم أقبل
رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالصَّفْرَاءِ ^(٤) أمر علىَّ بن أبي طالب ،
فَضْرَبَ عُنُقَ النَّضْرِ بن الحارث بن كَلْدَةَ ، أحدَ بني عَبْدِ الدَّارِ ، فَقُتِلَ
بين يديه صَبْرًا .

قلتُ : لم يقتل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم من الأسرى غير هذين ، وكانَا
شديدى العداوة لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم . فَأَمَّا عُقْبَةُ فإنه أتى النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلم
عليه وسلم ، وهو يصلى فى الحِجْرِ ، فوضع ثوبه فى عُنُقِهِ وَخَنَقَهُ به خَنَقًا شديدًا .

(١) قال الشعابى فى لطائف المعارف : « كان لابن الزبير ثلاث كنى : أبو خبيب ،
وأبو بكر ، وأبو عبد الرحمن . وكان إذا هجى كنى بلأبى خبيب » .

(٢) فى الخزانة (٢ : ١٠٠) : « لو علم أن لى أما أحسن من عمته الكاهلية لنسبني إليها » .

(٣) الصبر : نصب الإنسان للقتل . يقال : قتله صبرا ، وقد صبره عليه . وقيل

للرجل يقدم فيضرب عنقه : قتل صبرا ، يعنى أمسك على الموت . قال أبو عبيد : وكل
من قتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ ، فإنه مقتول صبرا . وأصل الصبر الحبس . وفى
الحديث : إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل شئ من الدواب صبرا . قيل : هو أن يمسك الطائر
أو غيره من ذوات الروح يصبر حيًّا ، ثم يرمى بشئ حتى يقتل .

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ : أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ !
وَأَمَّا النَّضْرُ فَكَانَ إِذَا تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قُرَيْشِ الْقُرْآنِ
قَالَ : إِنَّ مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، وَيَقُومُ فَيُحَدِّثُهُمْ بِأَخْبَارِ مَلُوكِ
الْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ .

ولما قُدِّمَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لِلْقَتْلِ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنَا خَاصَّةٌ مِنْ قُرَيْشٍ ؟ قَالَ :
نَعَمْ . قَالَ : فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ بَعْدِي ؟ قَالَ : النَّارُ . فَلِذَلِكَ سُمِّيَ بَنُو أَبِي مُعَيْطٍ : صَبِيَّةَ النَّارِ .
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ : قُتِلَ النَّضْرُ بِالْأَثِيلِ ^(١) .

ولما قُتِلَ النَّضْرُ قَالَتْ أُخْتُهُ ^(٢) قُتَيْلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ تَرَثِيهِ :

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظْنَةٌ	مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ
بَلَّغْ ^(٣) بِهِ مَيْتًا فَإِنَّ ^(٤) تَحِيَّةً	مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا الرَّكَائِبُ تَخْفِقُ
مَنْ إِلَى عِبْرَةٍ مَسْفُوحَةٍ	جَادَتْ بِوَادِرِهَا ^(٥) وَأُخْرَى تَخْنُقُ
هَلْ يَسْمَعَنَّ ^(٦) النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ	إِنْ كَانَ يَسْمَعُ هَالِكٌ أَوْ يَنْطِقُ
ظَلَّتْ سَيْوْفُ بْنُ أَبِيهِ تَنْوُشُهُ	لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقِّقُ
صَبْرًا ^(٧) يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا	رَسَفَ ^(٨) الْمُقَيَّدُ وَهُوَ عَانٍ مُوثَقٌ

(١) الأثيل : موضع قرب المدينة ، بين بدر و وادي الصفراء . (انظر ياقوت) .

(٢) قال ياقوت : هي ابنته . وكذا في حماسة أبي تمام والبحري .

(٣) في حماسة البحري : : « أبلغ » .

(٤) في حماسة البحري : « بأن » .

(٥) في حماسة أبي تمام : « جادت لمأحجها » . وفي حماسة البحري : « جادت بوابلها » .

(٦) في حماسة أبي تمام : « فليسمع » .

(٧) في حماسة البحري : « قسرا » . والبيت ساقط من حماسة أبي تمام .

(٨) في حماسة البحري : « رتك » . والرتك : مشية فيها اهتزاز ، يستعمل في الإبل

وفي غيرها ، إلا أنه في الإبل أكثر .

أحمدٌ ولأنتَ نسلٌ^(١) نجيةٌ في قومها والفحلُ فحلٌ مُعَرِّقٌ
 ما كان ضرركَ لو مننتَ وربما من الفتي وهو المغيظُ المحنقُ
 لو كنتَ قابلَ فديةٍ فلنأتين^(٢) بأعزَّ ما يغلو لديك وينفقُ
 فالنضرُ أقربُ من أخذتَ بزلةٍ^(٣) وأحقُّهم إن كان عتيقٌ يعتقُ
 قال : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو سمعتُ هذا قبل
 أن أقتله ما قتلته . فيقال : إن شعرها أكرمُ شعرِ مَوْتُورَةٍ^(٤) وأعفهُ .
 وقال ابنُ إسحاق : إن قتل عُقبة كان بعرقِ الطَّيِّبَةِ^(٥) .

من خبر الوليد
ابن عقبة

وكان الوليدُ بن عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ ، أخا عُثْمَانَ بن عفان رضى الله عنه لأمه ،
 أمهما أروى بنتُ عامر بن كُريز ، وأمها أم حَكِيم ، البيضاء بنتُ عبد المطلب
 ابن هاشم بن عبد مناف . والبيضاء وعبدُ الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تَوَّأمان . وكان عُقبة تزوج أروى بعد وفاة عفان ، فولدت له الوليدَ ، وخالدًا ،
 وعُمارة ، وأمَّ كلثوم ، كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه .

وولَّى عثمان رضى الله عنه الوليدَ بن عُقبة في خلافته الكوفة ، فشرب الخمرَ
 وصلى بالناس وهو سَكْران فزاد في الصلاة . فشهد عليه بذلك عند عثمان ، فجلده
 الحدَّ . وسيأتى خبرُ ذلك في موضعه .

اسم أبي قطيفة
وكنيته ولقبه

وأبو قطيفة بن الوليد بن عُقبة أُمُّه عمرو ، ويكنى أبا الوليد . وأبو قطيفة
 لقبٌ له . والشعر الذى لأبي قطيفة المصدَّر به ذِكْرُه ، هو :

(١) في حماسة أبي تمام : «ضنء» . والضنء : الولد . وفي حماسة البحتري : «صنو» .

(٢) في حماسة البحتري : «لفديته» . والبيت ساقط من حماسة أبي تمام .

(٣) في حماسة البحتري : «أخذت وسيلة» . وفي حماسة أبي تمام : «أصبحت وسيلة» .

(٤) الموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .

(٥) الطيبة ، بضم الظاء وسكون الباء : موضع على ثلاثة أيام مما يلي المدينة .

(انظر ياقوت) .

الْقَصْرُ فَالنَّخْلُ فَالْجَمَاءُ بَيْنَهُمَا أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَكْنَافِ جَيْرُونِ
إِلَى الْبَلَاطِ فَمَا حَازَتْ قَرَائِنُهُ دُورٌ نَزَحْنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْهُونِ
قَدْ يَكْتُمُ النَّاسُ أَسْرَاراً فَأَعْلَمُهَا وَلَا يَنَالُونَ حَتَّى الْمَوْتِ مَكْنُونِي

خبر قصر سعيد
ابن العاص

القصر، الذي عناه: قصر سعيد بن العاص بالعروسة. والنخل: نخل كان
لسعيد هناك بين قصره وبين الجماء. والجماء: هي أرض كانت له، فصار جميع ذلك
لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد.

ذُكِرَ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ هَذَا قَالَ لَهُ ابْنُهُ
عَمْرُو: لَوْ نَزَلْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ! فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنْ قَوْمِي لَنْ يَضْنُوْا عَلَيَّ بِأَنْ يَحْمِلُونِي
عَلَى رِقَابِهِمْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَأَذِنَهُمْ، وَإِذَا وَارَيْتَنِي فَاَنْطَلِقْ إِلَى
مَعَاوِيَةَ فَأَنْعَنِي لَهُ وَانْظُرْ فِي دَيْنِي، وَأَعْلَمْ أَنَّهُ سَيَعْرِضُ عَلَيْكَ قَضَاءَهُ فَلَا تَفْعَلْ،
وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ قَصْرِي هَذَا فَإِنِّي إِنَّمَا أَتَّخَذْتُهُ نَزْهَةً وَلَيْسَ بِمَالٍ. فَلَمَّا مَاتَ آذَنَ بِهِ
النَّاسَ، فَحَمَلُوهُ مِنْ قَصْرِهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْبَقِيعِ. وَرَوَاهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ مُنَاحَةً، فَعَزَّاهُ
النَّاسُ عَلَى قَبْرِهِ وَوَدَّعَوْهُ. وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ نَعَاهُ لِمَعَاوِيَةَ، فَتَوَجَّعَ لَهُ وَتَرَحَّمَّ عَلَيْهِ،
وَقَالَ: هَلْ تَرَكَ دَيْنًا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: كَمْ هُوَ؟ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَلْفٍ [دِرْهَمٍ] ^(١).
قَالَ: هِيَ عَلَىَّ. قَالَ: قَدْ ظَنَنْتُ ذَلِكَ وَأَمَرْنِي إِلَّا أَقْبَلَهُ مِنْكَ، وَأَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ
بَعْضَ مَالِهِ فَتَبْتَاعَهُ فَيَكُونَ قَضَاءَ دَيْنِهِ مِنْهُ. قَالَ: فَأَعْرِضْ. قَالَ: قَصْرُهُ بِالْعَرُوصَةِ.
قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِدَيْنِهِ. قَالَ: هُوَ لَكَ عَلَى أَنْ تَحْمِلَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَجْعَلَهَا بِالْوَافِيَةِ ^(٢).
قَالَ: نَعَمْ. فَحَمَلَهَا لَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَفَرَّقَهَا فِي غُرْمَائِهِ. وَكَانَ أَكْثَرُهَا عِدَاتٍ.

فَاتَّاهُ شَابٌّ مِنْ قُرَيْشٍ بِصَكِّ فِيهِ عَشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ بِشَهَادَةِ سَعِيدٍ عَلَى نَفْسِهِ

عمر بن سعيد
وقرشي كان
يدين أباه

(١) زيادة من الأغاني عن نسخة.

(٢) الوافي: درهم وأربعة دوانق. والدانق: سدس الدرهم.

وشهادة مولى له عليه . فأرسل إلى مولاه فأقرأه الصك . فلما قرأه بكى وقال : نعم ، هذا خطه وهذه شهادتي عليه . فقال له عمرو : ومن أين يكون لهذا الفتى عشرون ألف درهم ، وإنما هو صعلوك من صعاليك قريش ! قال : أخبرك عنه : مرَّ سعيدٌ بعدَ عزله فاعترض له هذا الفتى يمشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلا أنى رأيتك تمشى وحدك فأحببت أن أمشى معك لأصل جناحك . فقال لى : أنتنى بصحيفة . فأتيته بهذه ، فكتب له على نفسه هذا الدين وقال : إنك لم تصادف عندنا شيئاً فخذ هذه ، فإذا جاءنا شيء فأتنا . فقال عمرو : لا جرم والله ، لا تأخذها إلا بالوافية ، أعطه إياها . فدفع إليه عشرين ألف درهم وافية .

وقيل : كان الرجلُ يأتي سعيداً يسأله ولا يكون عنده ، فيقول : ما عندى ، ولكن اكتب علىَّ به . فيكتب عليه كتاباً ، فيقول : تُروني أخذتُ منه ثمنَ هذا ؟ لا ، ولكنه يحىء فيسألنى ، فينزو دُم وجهه فى وجهى فأكره رده . فأتاه مولى لقريش بابن مولاة ، وهو غلام ، فقال : إنَّ أبا هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه . فقال : ما عندى ، ولكن خذ ما شئت فى أمانتى . فلما مات سعيدُ ابن العاص جاء الرجل إلى عمرو ، فقال : إني قد أتيتُ أباك بابن فلان ، وأخبره القصة . فقال له عمرو : فكم أخذت ؟ قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : من رأى أعجز من هذا ؟ يقول له سعيد : خذ ما شئت فى أمانتى ، فيأخذ عشرة آلاف . والله لو أخذت مائة ألف لأديتها عنك .

و« القرائن » المذكورة فى شعر أبى قطيفة حيث يقول :

* إلى البلاط فما حازت قرائنه *

هى دُور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة ، سُميت بذلك لاقتربانها .

ذكر نفي بني أمية عن المدينة

قيل: لما سار الحسين بن عليّ عليهما السلام إلى العراق شَمَّر ابن الزُّبَيْر للأمر الذي أَراده ، وَلَبَسَ الْمَعَاْفِرِيَّ^(١) وشَبَرَ بَطْنَهُ وقال : إِنَّمَا بَطْنِي شَبْرٌ ، وما عسى أن يَسَعَ الشَّبْرُ^(٢) . وجعل يُظْهِرُ عَيْبَ بَنِي أُمِيَّةٍ وَيَدْعُو إلى خِلَافِهِمْ . فَأَمَّهُلَهُ يَزِيدُ ابن معاوية سنةً ، ثم بعث إليه عشرةً من أهل الشام ، عليهم النُّعْمَانُ بن بَشِيرِ الْأَنْصَارِيِّ^(٣) . وكان أهل الشام يُسَمُّونَ أولئك النَّفَرِ الْعَشْرَةَ الرُّكْبَ ، وهم : عبد الله ابن عِصَاهُ الْأَشْعَرِيُّ^(٤) ، وَرَوْحُ بن زَيْنَبِاعِ الْجُدَامِيِّ^(٥) ، وَسَعْدُ بن حَمْرَةَ الْهَمْدَانِي ، ومالك بن هُبَيْرَةَ السَّكُونِي^(٦) ، وأبو كَبْشَةَ السَّكْسَكِي^(٧) ،

(١) المعافري : نوع من الثياب ينسب إلى معافر ، قبيلة من اليمن عرفت به .

(٢) يشير إلى زهده واجتزائه بالقليل .

(٣) هو أبو عبد الله النُّعْمَانُ بن بَشِيرِ بن سعد بن ثعلبة . له ولأبويه صحبة . وأمه عمرة بنت رواحة . ولد على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة . وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم . وكان من أخطب الناس . أمره معاوية على الكوفة ثم عزله وولاه حمص . بايع لابن الزبير بعد موت يزيد ، فلما تمرّد أهل حمص خرج هاربا ، فأتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله . وكان ذلك سنة ست وستين . (انظر تهذيب التهذيب) .

(٤) هذه رواية ابن عساكر . وأما ابن حجر في كتابه «الإصابة» فقد ذكر أنه عبد الله ابن عصام . ثم قال : شامى . وعرض لرواية ابن عساكر ونقل عنه أنه شهد صفين مع معاوية . وكان رسول يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن الزبير في طلب البيعة ، فإنه كان ممن استخلفه مسلم بن عقبة لما فرغ من وقعة الحرة . وقصد مكة فأدركنه الوفاة .

(٥) هو أبو زرعة روح بن زنباع بن روح بن سلامي الجُدَامِي . قال ابن حجر : ذكره بعضهم في الصحابة ، ولا تصح له صحبة ، بل يجوز أن يكون ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن لأبيه صحبة ورواية . وكان أميرا على فلسطين . ومات سنة أربع وثمانين .

(٦) هو أبو سعيد مالك بن هُبَيْرَةَ بن خالد بن مسلم بن الحارث السَّكُونِي . قال البخاري : له صحبة . وقال البغوي : سكن مصر وكان فيمن شهد فتحها . وذكر ابن حجر له صحبة . مات في زمن مروان بن الحكم . والسَّكُونِي ، نسبة إلى سكون ، بفتح السين وضم الكاف : بطن من كندة .

(٧) قال السمعاني : هو عريف السكاسك ، بطن من الأزد . روى عن أبي الدرداء .

وذكر ابن حجر في التهذيب نقلا عن الحاكم في المدخل أن اسمه : البراء بن قيس . وقيل : إن البراء بن قيس كنيته أبو كيسة ، بياء مشتاة من تحتها وسين مهملة .

وزمّل^(١) بن عمرو العذري^(٢)، وعبد الله بن مسعود، وقيل: ابن مسعدة الفزاري^(٣)، وأخوه عبد الرحمن، وشريك بن عبد الله الكناني^(٤)، وعبد الله بن عامر الهمداني^(٥). فأقبلوا حتى قدّموا مكة على ابن الزبير. فكان النعمان يخلو به في الحجر كثيراً، فقال له عبد الله بن عِصاه يوماً: يا ابن الزبير، إن هذا الأنصاري والله ما أمر بشيء إلا وقد أمرنا بمثله، إلا أنه قد أمر علينا، وإني لأدري والله ما بين المهاجرين والأنصار. فقال ابن الزبير: ما لي ولك! إنما أنا بمنزلة حمامة من حمام مكة، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة؟ قال: نعم، وما حرمة حمام مكة! يا غلام، انتهي بقوسي وأسهمي. فأتاه بقوسه وأسهمه. فأخذ سهماً فوضعه في كبد القوس ثم سدّده نحو حمامة من حمام المسجد، ثم قال: يا حمامة، أيشرب يزيد بن معاوية الخمر؟ قولي: نعم، والله لئن فعلت لأرمينك. يا حمامة، أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمّة محمد وتقيمين في الحرم حتى يُستحلّ بك؟ والله لئن فعلت لأرمينك. فقال ابن الزبير: ويحك! أويتكلم الطائر؟ قال: لا، ولكنك يا ابن الزبير تتكلم، وأقسم بالله لتبايعن طائعاً أو مكرهاً، أو لتعرفن راية الأشعريين في هذه البطحاء، ثم لا أعظم من حقها ما يُعظم. فقال ابن الزبير:

(١) هو زمّل، وقيل زميل، بن عمرو بن عذر العذري. وفد على النبي صلى الله عليه وسلم. وشهد صفين مع معاوية، وكان أحد شهود التحكيم بها. واستعمله يزيد بن معاوية على خاتمه، وشهد بيعة مروان بالجابية. وقتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين.

(٢) ذكر ابن حجر في الإصابة أنه عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك. والذي ذكره ابن عبد البر: عبد الله بن مسعدة بن مسعود بن قيس. ونقل ابن حجر عن ابن حبان: عبد الله بن مسعدة بن مسعود. وكان عبد الله في سبي بني فزارة. فوهبه النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة فاعتقته. وكان صغيراً فتربى عندها. ثم كان عند علي، ثم كان بعد ذلك عند معاوية، وصار أشد الناس على علي. ثم كان على جند دمشق بعد الحرة، وبقى إلى خلافة مروان.

أَوْ تَسْتَحِلَّ الْحَرَمَ ؟ قَالَ : إِنَّمَا يَسْتَحِلُّهُ مَنْ أَخَذَ فِيهِ . فَجَبَسَهُمْ شَهْرًا ثُمَّ رَدَّهُمْ إِلَى
يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى شَيْءٍ .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى ^(١) فِي شَبْرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ بَطْنَهُ :

مَا زَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ ^(٢) يَدْرُسُهَا

حَتَّى بَدَأَ إِلَى ^(٣) مِثْلِ الْخَزِّ فِي اللَّيْنِ

لَوْ كَانَ بَطْنُكَ شِبْرًا قَدْ شَبِعَتْ وَقَدْ

أَفْضَلْتَ فَضْلًا كَثِيرًا لِلْمَسَاكِينِ

وَمَضَى ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ ، زَوْجَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا ، فَذَكَرَ لَهَا أَنَّ خُرُوجَهُ كَانَ غَضَبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ ، مِنْ أَثَرَةِ مُعَاوِيَةَ وَابْنِهِ يَزِيدَ بِالْفَيْءِ ، وَسَأَلَهَا مَسْأَلَتَهُ أَنْ
يُبَايِعَهُ . فَلَمَّا قَدِّمَتْ لَهُ عِشَاءَهُ ذَكَرَتْ لَهُ أَمْرَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَجْتِهَادَهُ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ ،
وَقَالَتْ : مَا يَدْعُو إِلَّا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَكْثَرَتِ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ
لَهَا : أَمَا رَأَيْتِ بَغْلَاتِ مُعَاوِيَةَ الَّتِي كَانَ يُحْجِّجُ عَلَيْهِنَّ الشُّهْبَ ؟ فَإِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ
مَا يَرِيدُ غَيْرَهُنَّ .

وَأَقَامَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى خَلْعِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَمَالَاهُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ ، فَدَخَلَ

(١) هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّائِبُ بْنُ فُرُوحٍ الْمَكِّي . شَاعِرٌ هَجَاءٌ مِنْ أَنْصَارِ بَنِي أُمَيَّةٍ .
أَكْثَرَ شَعْرَهُ فِي هَجَاءِ آلِ الزُّبَيْرِ ، غَيْرَ مُصْعَبٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِ . (انْظُرْ نَكْتِ الْهَمِيانِ ، وَمَعْجَمَ
الشُّعْرَاءِ لِلْمُرْزُبَانِيِّ) .

(٢) لَعَلَّهُ أَرَادَ الْإِشَارَةَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ
عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «فَوَادِي» مَكَانٌ «بَدَالِي» . وَهِيَ رَوَايَةٌ أَكْثَرُ أَصُولِ الْأَغَانِي .

عليه عبدُ الله بن مُطِيع^(١)، وعبد الله بن حَنْظَلَة^(٢)، وأهلُ المدينة، المسجدَ وأتوا المِنْبَر وخلعوا يزيدَ . فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة الخزومي: خلعتُ يزيدَ كما خلعتُ عمّامتي، ونزعها عن رأسه، وقال: إني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي، ولكنّ عدوّ الله سكير . وقال آخر: خلعتُهُ كما خلعتُ نعلي . وقال آخر: خلعتُهُ كما خلعتُ ثوبي . وقال آخر: خلعتُهُ كما خلعتُ خفي . حتى كثرت العائِم والنعال والخفاف، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك . وأمتنع منه عبدُ الله بن عمر، ومحمد بن عليّ بن أبي طالب . وجرى بين محمدٍ خاصةً وبين أصحاب ابن الزبير فيه قولٌ كثير، حتى أرادوا إكراهه على ذلك . فخرج إلى مكة . وكان هذا أولَ ما هاج الشرُّ بينه وبين ابن الزبير .

وأجتمع أهلُ المدينة لإخراج بني أمية عنها، وأخذوا عليهم العهود ألا يُعينوا عليهم الجيش وأن يردّوهم عنهم، فإن لم يقدرُوا على ردّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم . فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان: أنشدكم الله في دماءكم وطاعتكم، فإنّ الجنود تأتِيكم وتطوؤكم، وأعذر لكم ألا تُخرجوا أميركم، إنكم إن ظفرتُم وأنا مُقيم بين أظهركم فما أيسر شأني وأقدركم على إخراجي، وما أقول هذا إلاّ نظراً لكم،

(١) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشي العدوي، من رجال قريش جلدًا وشجاعة . ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . وكان على قريش يوم الحرة، فلما انهزم أصحابه توارى في المدينة . ثم سكن مكة . واستعمله ابن الزبير على الكوفة، فأخرجه المختار ابن أبي عبيد منها . فعاد إلى مكة، فلم يزل بها إلى أن قتل مع ابن الزبير في حصار الحجاج له، وأرسل رأسه إلى الشام مع رأس ابن الزبير وصفوان . (انظر الإصابة، وتهذيب التهذيب).

(٢) هو أبو عبد الرحمن — وقيل أبو بكر — عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري . وأبوه حنظلة المعروف بغسيل الملائكة . ولد عبد الله سنة أربع . وقتل يوم الحرة . وكان أمير الأنصار يومئذ، وذلك سنة ثلاث وستين . حكى ابن حجر أن من وفد إلى يزيد بن معاوية: عبد الله بن حنظلة معه ثمانية بنين له، فأعطاه مائة ألف وأعطى بنيه كل واحد عشرة آلاف . فلما قدم المدينة أتاه الناس فقالوا: ما وراءك؟ قال: آتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم .

أريد به حقن دمائكم . فشتموه وشتموا يزيد ، وقالوا : لا نبداً إلا بك ، ثم
نخرجهم بعدك . فأتى مروان بن الحكم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، فقال :
يا أبا عبد الرحمن ، إن هؤلاء القوم قد ركبونا كما ^(١) ترى ، فما ترى فى ضم عيالنا ؟
فقال : لست من أمركم وأمر هؤلاء فى شيء . فقام مروان وهو يقول : قَبِّحَ اللهُ
هذا أمراً وهذا ديناً ! ثم أتى على بن الحسين عليهما السلام ، فسأله أن يضم أهله
وثقله ، ^(٢) ففعل ، ووجههم وأمراته أمَّ أبان بنت عثمان إلى الطائف ، ومعها أبناء
عبد الله ، ومحمد . فعرض حرِيث رَقَاصَة ، وهو مولى لبنى بهز من سليم - كان
بعض عمال المدينة قطع رجله ، فكان إذا مشى كأنه يرقص ، فسمي رَقَاصَة -
لثقل مروان ، وفيهم أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فضرته بعصاً
فكادت تدق عنقه ، فولى . ومضوا إلى الطائف .

قلت : أم عاصم هذه ، أم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

قال : وأخرجوا بنى أمية ، فمضوا إلى ذى خُشب ^(٣) ، وفيهم عثمان بن محمد بن
أبى سفيان ، والوليد بن عتبة بن أبى سفيان . وأتبعهم العبيد والصبيان والسفلة
يرمونهم . وأقامت بنو أمية بذى خُشب عشرة أيام ، وسيروا حبيب بن كَرَّة إلى
يزيد بن معاوية يعلمونه ، وكتبوا إليه : الغوث ! الغوث ! وبلغ أهل المدينة أنهم
وجهوا رجلاً إلى يزيد . فخرج محمد بن عمرو بن حزم ، ورجل من بنى سليم ، من بهز ،
وحرِيث رَقَاصَة ، وخمسون راكباً ، فأزعجوا بنى أمية منها ؛ فنحس حرِيث بمروان
فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخر عنها وزجرها وقال : اُعْلَى وأسلمي . فلما كانوا

(١) فى بعض أصول الأغاني : « بما » .

(٢) الثقل : المتاع والحشم .

(٣) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

بالسويداء ^(١) عَرَضَ لَهُمُ مَوْلىَ لِمُرْوَانَ ، فَقَالَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! لَوْ نَزَلْتَ فَأَرْحَتَ
وَتَغْدَيْتَ ، فَالْغَدَاءُ حَاضِرٌ . فَقَالَ : لَا يَدْعُنِي رِقَاصَةٌ وَأَشْبَاهُهُ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ
يَمَكِّنَ مِنْهُ فَتُقَطَعَ يَدُهُ . وَنَظَرَ مُرْوَانُ إِلَى مَا لَهُ بَدَى خُشْبٌ ، فَقَالَ : لَا مَالَ إِلَّا
مَا أَحْرَزْتَهُ الْعِيَابُ . فَمَضَوْا فَنَزَلُوا حَقِيلًا ^(٢) ، أَوْ وَادَى الْقُرَى . ^(٣) وَفِي ذَلِكَ مِنْ
فَعْلِهِمْ يَقُولُ الْأَحْوَصُ :

لَا تَرْتَيْنَ لِحَزْمِي رَأَيْتَ بِهِ ضُرًّا وَلَوْ أُلْقِيَ الْحَزْمِي فِي النَّارِ
الْناخِسِينَ بِمُرْوَانَ بَدَى خُشْبٍ وَالْمُقَحَّمِينَ عَلَى عُثْمَانَ فِي الدَّارِ

فَدَخَلَ حَبِيبُ بْنُ كِرَّةَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَهُوَ وَاضِعُ رِجْلِهِ فِي طَسْتٍ
لَوْجَعٍ كَانَ يَجِدُهُ ، بَكْتَابَ بَنِي أُمِيَّةَ ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ . فَقَالَ : أَمَا كَانَ بَنُو أُمِيَّةَ
وَمَوَالِيَهُمْ أَلْفَ رَجُلٍ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَثَلَاثَةَ آلَافٍ . قَالَ : أَفَعَجَزُوا أَنْ يُقَاتِلُوا
سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ؟ قَالَ : كَثَرَهُمُ النَّاسُ وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ بِهِمْ طَاقَةٌ .

فَنَدَبَ النَّاسَ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ صَخْرَ بْنَ أَبِي الْجَهْمِ . فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ الْجَيْشُ .
فَأَمَرَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الَّذِي يُدْعَى مُسْرِفًا . فَقَالَ لِيَزِيدَ : مَا كُنْتَ مُرْسِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ
أَحَدًا إِلَّا قَصَّرَ ، وَمَا صَاحِبُهُمْ غَيْرِي ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَاخِي شَجَرَةَ غَرْقَدٍ تَصِيحُ :
عَلَى يَدِي مُسْلِمٌ . فَأَقْبَلْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : أَدْرَكَ ثَأْرَكَ أَهْلَ
الْمَدِينَةِ قَتْلَةَ عُثْمَانَ . فَخَرَجَ مُسْلِمٌ ، وَكَانَ مِنْ قِصَّةِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ عَلَى يَدِهِ ، وَلَيْسَ
هَذَا مَوْضِعُهُ .

قُلْتُ : إِنَّ مُسْلِمًا أَتَى الْمَدِينَةَ فَقَاتَلَ أَهْلَهَا فَهَزَمَهُمْ وَدَخَلَهَا ، وَقَتَلَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارَ ، وَأَبَاحَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ أَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَى مَنْ بَقِيَ ، أَنَّهُمْ خَوْلُ لِيَزِيدَ

(١) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام . (عن ياقوت) .

(٢) حقيل : موضع .

(٣) وادى القرى : واد بين المدينة والشام ، كثير القرى . (عن ياقوت) .

ابن معاوية ، وكل من امتنع من أن يبايع كذلك ضرب عنقه . ثم توجه إلى مكة لمحاربة ابن الزبير ، فمات في الطريق ، فقام بأمر الجيش الحصين بن نمير السكوني (١) . فتقدم بالجيش إلى مكة وحاصرها ورمى الكعبة ، شرفها الله ، بالمنجنيق والنار حتى تهدمت الكعبة . ولم يزل محاصراً مكة حتى وصل إليه نعي يزيد بن معاوية ، فرجع بالجيش إلى الشام ، وبايع ابن الزبير لنفسه بالخلافة .

شعر أبي قطفة
في حنينه إلى
المدينة

قال أبو الفرج : فقال أبو قطفة في ذلك :

بَكَى أَحَدٌ لَمَّا تَحْمَلْ أَهْلُهُ فَكَيْفَ بَذَى وَجَدَ مِنَ الْقَوْمِ آفِ
مَنْ أَجَلَ أَبِي بَكْرٍ جَلَّتْ عَنْ بِلَادِهَا أُمِيَّةٌ وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَصَارِفِ
وَقَالَ أَيْضًا :

بَكَى أَحَدٌ لَمَّا تَحْمَلْ أَهْلُهُ فَسَلَعَ (٢) فِدَارُ الْمَالِ أَمْسَتْ تَصَدَّعُ
وَبِالشَّامِ إِخْوَانِي وَجُلَّ عَشِيرَتِي فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي إِلَيْهِمْ تَطَلَّعُ
وَلَمَّا طَالَ مَقَامُهُ بِالشَّامِ (٣) قَالَ :

لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مَنَى لَيْتُ أَعْلَى الْعَهْدِ يَلْبَنُ (٤)
أَمْ كَعَهْدِي الْعَقِيقُ أَمْ غَيْرَتُهُ بَعْدَى الْحَادِثَاتُ وَالْأَيَّامُ
وَبَأَهْلِي بَدَّلْتُ عَكًّا وَخَمًّا وَجُدَامًا وَأَيْنَ مَنَى جُدَامُ
وَتَبَدَّلْتُ مِنْ مَسَاكِنِ قَوْمِي وَالْقُصُورِ الَّتِي بِهَا الْآطَامُ
كُلَّ قَصْرٍ مُشِيدٍ ذِي أَوَاسٍ (٥) يَتَغَنَّى عَلَى ذُرَاهِ الْحَمَامُ

(١) هو الحصين بن نمير الكندي ، ثم السكوني الحمصي . ترجم له صاحب : تهذيب التهذيب .

(٢) سلع : موضع بقرب المدينة (عن ياقوت) .

(٣) كان ابن الزبير قد نفاه مع من نفي من بني أمية عن المدينة إلى الشام .

(٤) يلبن : جبل قرب المدينة . ويرام ، بفتح أوله وكسره : جبل في بلاد بني سليم عند الحرة من ناحية البقيع (عن ياقوت) .

(٥) الأواسي : جمع آس ، وهو الأصل . ويروى : «ذى أواش» بشين معجمة ، كأنه أراد أن هذه القصور موشية ، أى مثقوشة .

قَرَّ مَنِّي السَّلامَ إِنْ جِئْتَ قَوْمِي وَقَلِيلٌ لَّهُمْ لَدَى السَّلامِ
أَقْطَعَ اللَّيْلَ كُلَّهُ بَزْفِيرٍ وَاكْتَتَابَ فَمَا أَكَادُ أَنْامِ
نَحْوَ قَوْمِي إِذْ فَرَّقْتَ بَيْنَنَا الدَّاءَ رُوجَارَتْ عَنْ قَصْدِهَا الْأَحْلَامِ
خَشْيَةً أَنْ يُصِيبَهُمْ عَنَتُ الدَّهْرِ رُوحَرَبٌ يَشِيبُ مِنْهَا الْغُلَامِ
فَلَقَدْ حَانَ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا الدَّهْرِ عَنَّا تَبَاعُدٌ وَأَنْصِرَامُ

عفو ابن الزبير
عن أبي قطيفة

قيل: إنَّ عبد الله بن الزبير لما بلغه شعرُ أبي قطيفة قال: حَنَّ والله أبوقطيفة،
وعليه السَّلامُ ورحمة الله، من أتاه فليخبره أنه آمن فليرجع. فأخبر بذلك،
فأنكفأ راجعاً إلى المدينة، فلم يصل إليها حتى مات.

خير زهرية
سمعت من شعره

وَذُكِرَ أَنَّ أُمْرَأَةً مِنْ بَنِي زُهْرَةَ خَرَجَتْ فِي خِفٍّ، ^(١) فَرَأَاهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي
عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَأَعْجَبَتْهُ، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَنُسِبَتْ لَهُ. فَخَظَبَهَا إِلَى أَهْلِهَا،
فَزَوَّجُوهُ إِيَّاهَا بِكَرِّهِ مِنْهَا. فَخَرَجَ بِهَا إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجَتْ مَخْرَجًا، فَسَمِعَتْ مَتَمَثِّلًا
يَقُولُ: وَالْأَيَّاتُ لِأَبِي قُطَيْفَةَ:

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَغْيِرُ بَعْدَنَا جَبُوبُ الْمُصَلَّى أَمْ كَعْهَدِي ^(٢) الْقُرَائِنُ
وَهَلْ أَدْوَرُّ حَوْلَ الْبَلَاطِ عَوَامِرُ مِنْ الْحَيِّ أَمْ هَلْ بِالْمَدِينَةِ سَاكِنِ
إِذَا بَرَقَتْ نَحْوَ الْحِجَازِ سَحَابَةٌ دَعَا الشُّوقَ مَنِّي بَرَقُهَا الْمُتِيَامِنِ
فَلَمْ أَتَرُ كُنْهَ رَغْبَةٍ عَنْ ^(٣) بِلَادِهَا وَلَكِنَّهُ مَا قَدَّرَ اللَّهُ كَائِنِ
أَحْنُ إِلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ صَبَابَةٌ كَأَنِّي أَسِيرٌ فِي السَّلَاسِلِ رَاهِنِ
فَتَنَفَسَتْ بَيْنَ النِّسَاءِ فَوَقَعَتْ مَيْتَةً.

قيل: إن هذه المرأة هي حميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف، رضى الله عنه.

(١) يقال: خرج فلان في خف من أصحابه، أى في جماعة قليلة. والذي في الأصل
« في حق » تحريف.

(٢) الجبوب: الحجارة والأرض الصلبة. والذي في الأصل: « جنوب ». وما أثبتنا
عن ياقوت.

(٣) وفي رواية: « وما أخرجتنا رغبة عن بلادنا ».

شعره في طلاق
امراته

وذكر أن أبا قطيفة طلق امرأته ، فقال :

فيا أسفاً لفارقة أم عمرو ورحلة أهلها نحو العراقِ
فليس إلى زيارتها سبيلٌ ولا حتى القيامة من تلاقٍ
وعلى الله يرّجعها إلينا بموتٍ من حليل أو طلاقٍ
فأرجع شامتاً وتقرّ عيني ويجمع شملنا بعد افتراقٍ

مقتل سعيد
ابن عثمان

وذكر أن معاوية بن أبي سفيان استعمل سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان ، فلما عزله ، قدم المدينة بجال وسلاح وثلاثين عبداً من السغد^(١) ، فأمرهم أن يبنوا له داراً . فبينما هو جالس فيها ومعه ابن سيحان ، وابن زينة ، وخالد ابن عقبة ، وأبو قطيفة ، إذ تأمر العبيد بينهم فقتلوه . فقال أبو قطيفة يرثيه ، وقيل إنها لأخيه خالد بن عقبة^(٢) :

يا عين جودي بدمع منك تهتاناً وأبكي سعيد بن عثمان بن عفاناً
إن ابن زينة لم تصدق مودته وفر عنه ابن أرطاة بن سيحانا

(١) السغد بالسين ، ويقال بالصاد : ناحية ، من قراها بخارى ، وسمرقند قصبها .
(عن ياقوت) .

(٢) هو أخو عثمان لأمه ، أمها أروى بنت عامر بن كريز . وكان عقبة بن أبي معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان ، فولدت له الوليد ، وخالداً ، وعماراً ، وأم كلثوم . كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه .

بعض أخبار معبد

هو معبد بن وهب . وقيل : ابن قطني . وقيل : ابن قطن ، مولى العاص
ابن وابصة الخزومي . وقيل : بل مولى معاوية بن أبي سفيان .
كان أبوه أسود ، وكان هو خلاسيًا ^(١) مديد القامة أحول .
ذكر ابن خردادزبه أنه غني أول أيام بني أمية ، وأدرك دولة بني العباس . نشأته ووفاته
وقد أصابه الفالج وأرتعش ، فكان إذا غني يضحك منه ويهزأ به .
قال أبو الفرج : وابن خردادزبه قليل التحصيل لما يرويه ويضمنه
كتبه . والصحيح أن معبدًا مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده .
وقد قيل إنه كان أصابه الفالج ، وأرتعش وبطل صوته . فأما إدراكه دولة بني
العباس فلم يروه أحد سوى ابن خردادزبه ، ولا رواه هو عن أحد ، وإنما جاء
به مجازفة .

قال كَرْدَم بن معبد : مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه ، فنظرتُ
حين أُخرج نعشه إلى سَلَامَةِ الْقَسِّ ، جارية يزيد بن عبد الملك ، وقد أضرب
الناسُ عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير وهي تندب ^(٢) أبي وتقول :

قد لَعَمْرِي بَتٌ لَيْلِي كأخي الداءَ الوَجِيعِ
وَنَجِيٌّ الهَمُّ مِنِّي بات أدنَى من ضَجِيعِي

(١) الخلاسي : الولد بين أبوين : أبيض وأسود .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « تبكي » .

كلما أبصرتُ رَبْعاً خالياً فاضتْ دموعي
قد خلا من سيّدٍ كما ن لنا غَيْرُ مُضِيع
لا تَلْمُنَا إِن خَشَعْنَا أو هَمَمْنَا بِخُشُوع

قال كردم : وكان يزيدُ أمر أبي أن يُعلِّمها هذا الصوت ، فعلمها إياه فندبتَه

به يومئذ .

قال :

فلقد رأيتُ الوليدَ بنَ يزيدَ وأخاه الغمرَ متجرّدين في قميصين ورداءين
يمشيان بين يدي سريره حتى أُخرج من دار الوليد ؛ لأنه تولّى إخراجَه من داره
إلى موضع قبره .

وكان معبدُ أحسنَ الناسِ غناءً ، وأجودهم صنعةً ، وأحسنهم حلقاً . وهو فحل
المُغَنِّين ، وإمام أهل المدينة في الغناء .

منزلته في الغناء

قال معبدُ : قدِمْتُ مكةَ فقيل لي : إن ابنَ صفوان قد سبق بين المغنّين
جائزةً . فأتيتُ بابَه وطلبتُ الدُّخُولَ . فقال لي آذِنُه : قد تقدّم إلىَّ ألا آذَنَ
لأحد عليه ولا أُوذِنه به . قال : فقلت : دَعْنِي أَدُنُ من الباب فأغنيَّ صوتاً .
فقال : أمّا هذا فنعم . فدنوتُ من الباب فغنيتُ صوتاً . فقالوا : معبد ! وفتحوا لي ،
فأخذتُ الجائزةَ يومئذ .

أخذه جائزة
لابن صفوان

وقال معبد : كنتُ غلاماً مملوكاً لآل قطنَ مولى بني مخزوم ، وكنتُ أتلقّى
الغنمَ بظَهَرِ الحَرّةِ ، وكانوا تجاراً أعالج لهم التّجارة في ذلك ، فأتيَ صخرةً مُلقاةً
بالحرّة بالليل فاستند بها^(١) ، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجري في مَسامعي . فأقومُ من النوم
فأحكيه . فهذا كان مبدأ غنائي .

مبدأ غنائه

(١) في بعض أصول الأغاني : «إليها» .

حديث رجوع
ابن سريج
والغريض عن
المدينة

وذكر أن ابن سريج والغريض قدما المدينة يتعرّضان لمعروف أهلها ويזורان صديقيهما من قریش وغيرهم . فلما شارفاها تقدما ثقلهما ليرتادا منزلا ، حتى إذا كانا بالمغسلة ، وهى الجبانة على طرف المدينة تغسل فيها الثياب ، وإذا هما بغلام ملتحف بإزار وطرفه على رأسه ، ويده حباله يتصيد بها الطير وهو يتغنى :

القصرُ فالنخلُ فالجماء بينهما أشهى إلى القلب ^(١) من أبواب جيرون وإذا الغلام معبد . فلما سمع ابن سريج والغريض معبدا ما لا إليه وأستعاداه الصوت ، فأعاده ، فسمعا شيئا لم يسمعا مثله قط . فأقبل أحدهما على صاحبه فقال : هل سمعت كالיום قط ؟ قال : لا والله ، فما رأيك ؟ قال ابن سريج : هذا غناء غلام يتصيد الطير ، فكيف بمن فى الجوبة ! ^(٢) — يعنى المدينة — فأما أنا فثكلته والدته إن لم أرجع . فكرا راجعين .

نادرة له فى طريقه
إلى الحجاز

وقال معبد : بعث إلى بعض أمراء الحجاز — وقد كان جمع له الحرمان — أن أشخص إلى مكة . فشخصت . قال : فتقدمت غلامى ، فاشتد على الحر فى ذلك اليوم والعطش ، فانهيت إلى خباء فيه أسود ، وإذا حباب ^(٣) ماء قد بردت ، فملت إليه فقلت : يا هذا ، اسقني من هذا . فقال : لا . فقلت : فأذن لى فى الكن ساعة . قال : لا . فأنخت ناقتى ولجأت إلى ظلها فاستترت به ، وقلت : لو أحدثت لهذا الأمير شيئا من الغناء أقدم به عليه ، ولعل أيضا إن حرّكت لسانى أن يبّل حلقى فيخفف عني بعض ما أجد من العطش . فترنمت بصوتى :

القصرُ فالنخلُ فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

(١) فى بعض الأصول الأغاني : « النفس » .

(٢) يريد المدينة ، لأن الجوبة الموضع ينبجى فى الحرة ، والمدينة بين حرتين تكتنفانها .

(٣) حباب : جمع حب ، بالضم ، وهى الجرة ، صغيرة كانت أم كبيرة .

فلما سمعه الأسود، ما شعرتُ به إلا وقد احتملني فأدخلني خبأه، ثم قال: بأبي أنت وأُمي! هل لك في سويق السُّلت^(١) بهذا الماء البارد؟ فقلت: قد منعتني أقل من ذلك، وشربة من ماء تُجْزئني. قال: فسقاني حتى رويت، وجاء الغلام، فأقمتُ عنده إلى وقت الرواح. فلما أردتُ الرحلة قال: بأبي أنت وأُمي! الحرُّ شديد، ولا آمن عليك مثل الذي أصابك، فأذن لي أحمل معك قربة على عنقي وأسعى بها معك، فكلما عطشت سقيتك صحنًا وغنيتني صوتًا. فقلت: ذلك لك. قال: فوالله ما فارقني يسقيني وأغنيه حتى بلغت المنزل.

وقيل: كان معبد خارجاً إلى مكة في بعض أسفاره، فسمع في طريقه غناءً في بطن مر^(٢)، فقصد الموضع، فإذا رجلٌ جالسٌ على حَرَفِ بركة فارق شعره، حسن الوجه، عليه درّاعة^(٣) قد صبغها بزعفران، وإذا هو يتغنى:

هو وابن سريج
في بطن مر

حنّ قلبي من بعد ما قد أنابا ودعا الهمّ شَجْوَهُ فَأَجَابَا
ذاك من منزلٍ لَسَامَى خَلَاءٍ لَابِسٍ مِنْ خَلَائِهِ جِلْبَابَا
مُجِتٌ فِيهِ وَقَلْتُ لِلرَّكْبِ عُوجُوا طَمَعًا أَنْ يَرُدَّ رُبْعٌ جَوَابَا
فاستثار المنسى من لوعة الحبِّ وأبدى الهموم والأوصابَا

فقال له ابن سريج: أنت معبد والله؟ قال: نعم. وأنت ابن سريج؟ قال: نعم، والله لو عرفتُك ما غنيتُ بين يديك.

وذكر أن معبدًا كان قد علمَ جاريةً من جَوَارِي الحِجَازِ الغِنَاءِ. تُدْعَى ظَبْيِيَّةَ، وعُني بتخريجها. فاشتراها رجلٌ من العراق وأخرجها إلى البصرة وباعها هناك. فاشتراها رجلٌ من أهل الأهواز وأعجب بها. وذهبت كل مذهب وغلبت عليه.

هو والجواري
المغنيات في طريقه
إلى الأهواز

(١) السلت: شعير لا قشر له، أجرد.

(٢) بطن مر: من نواحي مكة. عنده يجتمع وادي النخلتين فيصيران واديًا واحدًا.

وقيل: أنه موضع على مرحلة من مكة، يقال له مر الظهران. (انظر معجم البلدان، والقاموس)

(٣) الدراعة: جبة مشقوقة المقدم.

ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرْهةً من الزمان ، وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحَبَّتِه إياها وأسفه عليها لا يزالُ يسألُ عن أخبار مَعْبِد وأين مُسْتَقَرُّه ، ويُظْهِرُ التعصُّبَ له والميلَ إليه والتقديمَ لغنائهُ على سائر أغاني عصره ، إلى أن عُرف ذلك منه . وبلغ مَعْبِداً خبرُهُ . فخرج من مكة حتى أتى البصرة . فلما وردها صادف الرجلَ وقد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز ، فلم يجد غيرَ سفينة الرجل ، وليس يعرف أحدهما صاحبه . فأمر الرجلُ الملاحَ أن يجلسه معه في مؤخر السفينة ، ففعل ، وانحدروا . فلما صاروا إلى فَمِ نَهر الأَبْلَةِ ^(١) تغدَّوا وشربوا ، وأمر جواريه فَعَنَيْنَ ، ومَعْبِدٌ ساكت وهو في ثياب السفر ، وعليه فَرَوْوٌ وخفان غليظان وزِيٌّ جافٍ من زِيٍّ أهل الحجاز ، إلى أن غَنَّت إحدى الجوارى بصوت غِنائِه وشعر النابغة ، وهو :

بانتُ سَعَادُ وأَمْسَى حبلُها أنصرما واحتلَّتِ الغُورَ والأَجْرَاعَ من إِضْمًا ^(٢)
إِحدَى بَلَى وما هَامَ الفُؤَادُ بها إلا السَّفَاهَ وإِلَّا ذِكْرَةً حُلْمًا ^(٣)

فلم تُجِدْ ، فصاح بها مَعْبِد : إِنَّ غِنَاءَكَ هذا ليس بِمُسْتَقِيم . فقال له مولاهما ، وقد غَضِبَ : وأنت ما يدُريك الغناء ما هو ؟ ألا تُمَسِّك وتَلْزِم شَأْنَكَ ! فأمسك . ثم غَنَّت أصواتاً من غناء غيره ، وهو ساكت لا يتكلم . ثم غَنَّت بصوت من غِنائِه وشعر عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو :

يَابَنَةُ الأَزْدِيِّ قَلْبِي كَغَيْبٍ مُسْتَهَامٌ عِنْدَهَا ما يُنْثِبُ
ولقد لأموا فقلتُ دَعُونِي إِنَّ من تَهْنُونَ عنه حَبِيبُ

(١) الأبلّة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخله إلى مدينة البصرة . ويقال فيها : الأبلّة ، بفتح الهمزة والباء .

(٢) الأجرع : جمع جرع ، وهو مفرد ، أو جمع جرعة ، وهي الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها . وإضم ، بكسر ففتح : واد بجبل تهامة ، أو هو الوادي الذي فيه المدينة .

(٣) بلى ، كفى : اسم قبيلة . والسفاه : الطيش وخفة الحلم . والذكرة ، بالكسر والضم : نقيض النسيان .

إِنَّمَا أَبْلَى عِظَامِي وَجِسْمِي حُبُّهَا وَالْحُبُّ شَيْءٌ عَجِيبُ
أَيُّهَا الْعَائِبُ عِنْدِي هَوَاهَا أَنْتَ تَقْدِي مَنْ أَرَاكَ تَعِيبُ

فقال لها معبد : يا جارية ، قد أَخَلَّتْ بهذا الصوت إخلالاً شديداً . فغضب الرجل وقال : ويلك ! ما أنت والغناء ! ألا تكفُّ عن هذا الفضول ! فأمسك ، وغنت الجوارى مَلِيًّا ، حتى غنت إحداهن بصوت من غنائه وشعر كثير ، وهو :

خَلِيلِي عُوْجَا سَاعَةً مِنْكُمْ مَعِي عَلَى الرَّبْعِ نَقْضِي حَاجَةً وَنُودَعِ
وَلَا تُعْجِلَانِي أَنْ أَلُمَّ بِدِمْنَةٍ لِعِزَّةٍ لَاحَتْ لِي بِبَيْدَاءٍ بَلَقَعِ
وَقُولَا لِقَلْبٍ قَدْ سَلَا رَاجِعَ الْهَوَى وَلِلْعَيْنِ أَذْرَى مِنْ دُمُوعِكَ أَوْدَعِي
وَلَا عِيشَ إِلَّا مِثْلُ عِيشٍ مَضَى لَنَا مَصِيفًا أَقْمَنَّا فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبَعِ

فلم تصنع شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه ، أما تقومين على أداء صوت واحد ! فغضب الرجل ، وقال : ما أراك تدع الفضول بوجه ولا حيلة ! وأقسم بالله لئن عاودتَ لا أخرجَنَّكَ من السفينة . فأمسك معبد ، حتى إذا سكت الجوارى سكته ، اندفع فغنى بالصوت الأول ، حتى إذا فرغ صاح الجوارى : أحسنت والله يا رجل ! فأعده . فقال : لا والله ولا كرامة . ثم أندفع يغني الثاني . فقلن لسيدتهن : هذا والله أحسنُ الناسُ غناءً ، فسأله أن يعيده علينا ولو مرة واحدة ، فإنه إن فات لم نجد مثله أبداً . قال : قد سمعتنَّ سوء ردّه عليكن وأنا خائف مثله منه ، وقد أسلفناه الإساءة ، فاصبرن حتى نُدَارِيه . ثم غنى الثالث ، فزَلَزَل عليهن الأرض . فوثب الرجل فخرج إليه . وقال : يا سيدي ، أخطأنا عليك ولم نعرف قدرك . قال : فهبْ أنكَ لم تعرف قدرى ، قد كان ينبغي لك أن تثبّت ولا تُسرِع إلى سوء العشرة وجفاء القول . فقال له : قد أخطأتُ ، وأنا أعتذر إليك . فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه . فقال له الرجل : ممّن أخذتَ الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز . فمن أين أخذه جواريك ؟ قال : أخذته من جارية كانت لي أبتاعها رجلٌ من

أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أخذت من أبي عباد معبد ، وعنى بتخريجها ، وكانت تحل منى محل الروح من الجسد ، ثم أستاذ الله بها ، وبقى هؤلاء الجوارى وهن من تعليمها . فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً ، وأفضل صنعته على كل صنعة . فقال له معبد : وإنك لانت هو ! أفتعرفنى ؟ قال : لا . فصك معبد يديه صكته ، ثم قال : فأنا والله معبد ، وإليك قدمت من الحجاز ، ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز . والله لا قصرت فى جواريك ، ولأجعلن لك كل واحدة منهن خلفاً من الماضية . فأكب الرجل والجوارى على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمتنا نفسك طول هذا اليوم حتى حقرناك ^(١) فى المخاطبة وأسأنا عشتك ، وأنت سيدنا ومن نتمنى على الله أن نلقاه . ثم غير الرجل زيّه وحاله ، وخلع عليه عدة خلع ، وأعطاه فى وقته ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا مثلها ، وأحضر معه إلى الأهواز . وأقام عنده حتى رضى حذق جواريه ، وأنصرف إلى الحجاز .

هو فى حضرة
الوليد بن يزيد

وذُكر أن الوليد بن يزيد اشتاق إلى معبد فوجه إليه إلى المدينة ، فأحضر . وبلغ الوليد قدمه ، فأمر ببركة بين يديه فملئت بماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ، ثم فرش للوليد فى داخل البيت على حافة البركة ، وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ، ليس معهما ثالث . وجىء بمعبد . فرأى ستراً مرخى ومجلس رجل واحد ، فقال له الحجاب : يا معبد ، سلم على أمير المؤمنين فى هذا الموضع . فسلم ، فرد عليه الوليد السلام من خلف السجف ^(٢) . ثم قال له : حياك الله يا معبد ، أتدرى لم وجهت إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرك فأحببت أن أسمع منك . فقال له معبد : أغنى ما حضر أو ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال غنى :

(١) فى بعض أصول الأغاني : « جفوناك » .

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « الستر » .

لَهْفَى عَلَى فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا
 مَا زَالَ يَعْدُو عَلَيْهِمْ رَيْبُ دَهْرِهِمْ حَتَّى تَفَانُوا وَرَيْبُ الدَّهْرِ عَدَاءُ
 أَبْكَى فِرَاقَهُمْ عَيْنِي فَأَرْقَهَا إِنَّ التَّفَرُّقَ لِلْأَحْبَابِ بَكَاءُ
 فغَنَاه . فَمَا فَرَّغَ حَتَّى رَفَعَ الْجَوَارَى السَّجْفَ ، ثُمَّ خَرَجَ الْوَلِيدُ فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي
 الْبَرَكَةِ فغَاصَ فِيهَا ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْجَوَارَى بِثِيَابٍ غَيْرِ الثِّيَابِ الْأُولَى .
 ثُمَّ شَرَبَ وَسَقَى مَعْبَدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : غَنِّ يَا مَعْبَدُ :

يَا رُبَّعُ مَالِكُ لَا تُجِيبُ مُتِمًّا قَدْ عَاجَ نَحْوُكَ زَائِرًا وَمُسَامًّا
 جَادَتْكَ كُلُّ سَحَابَةٍ هَطَّالَةً حَتَّى تَرَى عَنْ زَهْرَةٍ ^(١) مُتَبَسِّمًا
 لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ دَعَاكَ أَجَبْتَهُ وَبَكَيْتَ مِنْ حُرْقٍ عَلَيْهِ إِذَا دَمَا
 قَالَ : فغَنَاه . وَأَقْبَلَ الْجَوَارَى فَرَفَعْنَ السُّتْرَ ، وَخَرَجَ الْوَلِيدُ فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَرَكَةِ
 فغَاصَ فِيهَا ، ثُمَّ خَرَجَ فَلَبَسَ ثِيَابًا غَيْرَ تِلْكَ . وَشَرَبَ وَسَقَى مَعْبَدًا ، ثُمَّ قَالَ : غَنِّ .
 قَالَ : بِمَاذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ :

عَجِبْتُ لَمَّا رَأَيْتُنِي أَنْدُبَ الرَّبِّعِ الْمُحِيلَا ^(٢)
 وَاقِفًا فِي الدَّارِ أَبْكَى لَا أَرَى إِلَّا الطُّلُولَا
 كَيْفَ تَبْكِي لِأَنَاسٍ لَا يَمْلُونِ الذَّمِيلَا ^(٣)
 كَلَّمَا قُلْتُ اطْمَأْنَنْتُ دَارُهُمْ قَالُوا الرَّحِيلَا

قَالَ : فَلَمَّا غَنَاهُ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَرَكَةِ ثُمَّ خَرَجَ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ ثِيَابَهُ . ثُمَّ شَرَبَ
 وَسَقَى مَعْبَدًا . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ فَقَالَ لَهُ : يَا مَعْبَدُ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزِدَادَ حُظْوَةً عِنْدَ

(١) الزهرة : البهجة والنضرة .

(٢) المحيل : الذي أتت عليه أحوال وغيّرت .

(٣) الذميل : ضرب من سير الابل لين . وقال أبو عبيد : إِذَا ارْتَفَعَ السَّيْرُ عَنِ الْعُنُقِ

قَلِيلًا فَهُوَ التَّزِيدُ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ الذَّمِيلُ ثُمَّ الرَّسِيمُ . وَفِي حَدِيثٍ قَس : يَسِيرُ
 ذَمِيلًا . أَيْ سِيرًا سَرِيعًا لِينًا .

الملوك فليكنتم أسرارهم . فقلت : ذلك مما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائي به . فقال : يا غلام ، أحمل إلى معبد عشرة آلاف دينار تحصيل له في بلده ، وألفى دينار لنفقة طريقه . فحملت إليه كلها ، وحمل على البريد من وقته إلى المدينة .

وفي رواية أخرى : إن البركة كانت مملوءة خمرًا ، وإن الوليد قذف نفسه فيها ونهل منها نَهْلَةً وخرج .

قلت : ووجدت في بعض التواريخ : أنه نهل منها حتى تبين نقصانها .

وقال معبد : أرسل إلى الوليد بن يزيد ، فأشخصت إليه . فبينما أنا يومًا في بعض حمامات الشام إذ دخل علي رجل له هبة ومعه غلمان ، فاطلى ، واشتغل به صاحب الحمام عن سائر الناس . فقلت : والله لئن لم أطلععه على بعض ما عندي لأكونن بمزجر الكلب . فاستدبرته حيث يراني ويسمع مني ، ثم ترممت . فالتفت إلى وقال للغلمان : قدّموا إليه جميع ما هاهنا . فصار جميع ما كان بين يديه عندي . ثم سألتني أن أسير معه إلى منزله ، فلم يدع من البر والإكرام شيئًا إلا فعله ؛ ثم وضع النبذ ، فجعلت لا آتي بحسن إلا خرجت إلى أحسن منه ، وهو لا يرتاح ولا يحفل لما يرى . فلما طال عليه أمرى قال : يا غلام ، شيخنا ، شيخنا . فأتي بشيخ ، فلما رآه هَشَّ إليه . فأخذ الشيخ العود ثم اندفع يغني :

سَلَوْرٌ^(١) فِي الْقَدْرِ وَيَلِي عُلُوهُ^(٢) جَاءَ الْقِطُّ أَكْلَهُ وَيَلِي عُلُوهُ

فجعل صاحب الدار يصفق ويضرب برجله طربًا وسُرورًا . ثم غنّاه :

(١) السلور : نوع من السمك يكون بنيل مصر ، طويل أملس ليس له فصوص . وله رأس إلى الطول وفم مستطيل كأن خرطوم . (عن ابن البيطار) .

(٢) ظاهر أنه يريد « عليه » .

وتَضْرِبُنِي ^(١) حَيِيَّةٌ بِالْدَّرَاقِنِ ^(٢) وَتَحْسِنِي حَيِيَّةٌ لَا أَرَاهَا
 قَالَ : فَكَادَ يَخْرُجُ مِنْ جُلْدِهِ طَرَبًا . قَالَ : فَانْسَلَتْ مِنْهُمْ وَانْصَرَفْتُ وَلَمْ يُعْلَمْ بِي .
 فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطُّ غِنَاءً أَضِيعَ وَلَا شَيْخًا أَجْهَلَ .

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « تَرْمِينِي » .

(٢) الدَّرَاقِنُ ، كَعَلَابِطٍ ، وَقَدْ تَشَدَّدَ الرَّاءُ : الْمَشْمَشُ . وَذَكَرَ الزَّيْبَرِيُّ أَنَّ عَرَبَ الشَّامِ
 يَسْمُونَ الْخَوْخَ الدَّرَاقِنَ ، وَقَالَ : إِنَّ تَفْسِيرَهُ بِالْمَشْمَشِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ .

اخبار عمر بن أبي ربيعة

نسب عمر بن
عبد الله بن
أبي ربيعة

واسم أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن
مرّة بن لوئ بن غالب . ويكنى عمر : أبا الخطاب . وكان أبو ربيعة جدّه يُسمى
ذا الرّحمين ، سُمّي بذلك لطوله . كان يقال : كأنه يمشى على رُحمين ^(١) . وفيه
يقول عبدُ الله بن الزّبعرى :

لَدَتْ أَخْتُ بَنِي سَهْمٍ	أَلَا لِلَّهِ قَوْمٌ ^(٢) وَ
مَنَافٍ مَدْرَهُ ^(٣) الْخَصْمِ	هَشَامٌ وَأَبُو عَبِيدٍ
مِنَ الْقُوَّةِ ^(٤) وَالْحَزْمِ	وَذُو الرُّحْمَيْنِ أَشْبَاكَ
وَذَا عَنِ ^(٥) كَشَبٍ يَرْمِي	فَهْـذَانِ يَذُودَانِ
نَ مَنَاعُونَ لِلْهَضْمِ	أَسُودٌ تَزْدَهِي ^(٦) الْأَقْرَا

(١) وقال ابن منظور : سمي بذلك لأنه قاتل برحمين . وقيل : لطول رحمه . وقال ابن حبيب
في المحبر عند ذكر من ولدت ربيعة بنت سعيد بن سهم : « وأبا ربيعة ، وهو ذو الرحمين ، قاتل
يوم الفجار برحمين » .

(٢) في المحبر : « ألا لله ماذا » .

(٣) المدرة : المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال .

(٤) كذا أورد القالي البيت في النوادر (ص ٢٠٨) . وقال قبله : « ويقال : أشباك بفلان ،

كما يقال : حسبك بفلان » . ثم أنشد البيت . وروايته في المحبر :

وَذُو الرُّحْمَيْنِ أَشْبَالُ مِنْ الْأَقْوَامِ ذُو الْحَزْمِ

وروايته في الأصل والأغاني :

وَذُو الرُّحْمَيْنِ أَشْبَالُ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْحَزْمِ

(٥) في بعض أصول الأغاني والمحبر : « من » .

(٦) ازدهاه : استخف به وتهاون .

وهم يومَ عكاظٍ مَ نعوا النَّاسَ من الهَزَمِ
 وهم من ولدوا أشبوا بسرَّ الحَسَبِ ^(١) الضَّخَمِ
 فإنَّ أحلفَ وبيتِ الله لا أحلفُ على إثمِ
 لما من إخوةٍ بين قصورِ الشامِ ^(٢) والردمِ
 بأزكى من بنى ريط ة أو أوزن في ^(٣) الحلمِ

أبو عبد مناف : الفاكه بن المغيرة . ورِيطة ، هى أم بنى المغيرة ، وهى بنت
 سَعِيد ^(٤) بن سَهْم . ولدت من المغيرة : هِشامًا ، وهاشمًا ، وأبا ربيعة ، والفاكه .
 وقد قيل : إنَّ هذه الأبيات ليست لأبن الزُّبَيْرِ ، فإنَّ أبا بكر بن عبد الرحمن
 ابن الحارث بن هشام بن المغيرة أمر من وضعها ، ونُسبت إلى ابن الزُّبَيْرِ .
 وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة فى الجاهلية بِحَيْرًا ^(٥) ، فسماه رسولُ الله
 صلى الله عليه وسلم عبد الله . وكانت تلقبه قُرَيْشُ العِدْلِ ؛ لأنَّ قُرَيْشًا كانت تَكْسُو
 الكعبة فى الجاهلية سنةً ، ويكسوها عبدُ الله من ماله سنة . فأرادوا بذلك أنه
 وحده عِدْلٌ لهم جميعاً فى ذلك .

شئ عن عبد الله
 ابن أبي ربيعة

(١) أنشد شمر بيت ذى الإصبع الهمدانى ، ويكاد يكون هو لولا رويه :

وهم إن ولدوا أشبوا بسر الحسب المحض

وقال : وأشبى : إذا جاء بولد مثل شبا الحديد ، وقال ابن الأعرابي : رجل مشب :
 ولد الكرام .

(٢) رواية البيت فى النوادر (١٩٦) والمخبر :

ما إن إخوة بين قصور الشام والردم

(٣) رواية البيت فى الأملى :

كأشمال بنى ريط ة من عرب ولا عجم

(٤) كذا فى نسب قريش للزبيرى : وفى الأصل : « سعد بن سهم » وفى الأغاني :

« سعيد بن سعد بن سهم » وكلاهما تحريف .

فقد ولد سهم بن عمرو بن هصيص : سعدا وسعيدا . ومن ولد سعيد رِيطة ، أم بنى المغيرة .
 وفى نسل سهم سعيد آخر هو ابن لسعد ، ولكنه ليس أبا رِيطة أم بنى المغيرة . (انظر نسب قريش

ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨)

(٥) فى الأصل : « بحيرا » بالجم ، تصحيف . (انظر تاج العروس : بحر) .

وقد قيل : إنَّ العِدْلَ : الوليدُ بن المغيرة .

وكان عبدُ الله بن أبي ربيعة تاجراً موسراً ، وكان مَتَجِّره إلى اليمن . وكان من أكثرهم مالاً . وأمه أسماء بنت مُخَرِّمة ^(١) ، وكانت عَطَّارة يأتيها العِطْرُ من اليمن ، وكان تزوجها هشامُ بن المغيرة أيضاً ، فولدت له : أبا جهْل ، والحارث ، أبنَى هشام . فهي أمهما ، وأم عبدِ الله ، وعيَّاش ، أبنَى أبي ربيعة .

وكان لعبدِ الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يتصرفون في جميع المِهَن ، وكان عددهم كثيراً . ف قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى حنين : هل لك في حبس بني المغيرة تستعين بهم ؟ فقال : لا خيرَ لي في الحبس ، إن جاعوا سرقوا ، وإن شبعوا زنوا ، وإن فيهم خلعتين حسنتين : إطعامَ الطعام ، والبأسَ يومَ البأس .

واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبي ربيعة على الجند ^(٢) ومخاليفها ^(٣) ، فلم يزل عاملاً عليها حتى قُتل عُمر رضى الله عنه .

وقيل : إنَّ عثمان رضى الله عنه استعمله أيضاً عليها .

وأم عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة أمٌ ولد ، يقال لها : سَديّة من حَصَرَموت .
وقيل : من حَمِير . ومن هناك أتاه الغزل . يقال : غَزَلَ يمانٍ ، ودَلَّ حِجَازِيَّ .
وقيل . أمه أمٌ ولد سَوْداء ، يقال لها : فرشان ^(٤) .

وقد ردَّ أبو الفرج هذا القولَ وقال : إنها أمٌ أخى « عمر » الحارث ، الذى

(١) ويقال : مخربة ، أيضاً .

(٢) الجند : من ولايات اليمن الثلاث ، وهى : الجند ، وصنعاء ، وحضرموت .

(٣) المخاليف : الأطراف والنواحي ؛ الواحد مخلاف ، وهو عند اليمن كالرستاق .

(٤) فى أكثر نسخ الأغاني : « فرسان » . وفى سائرهما : « مرسان » . والذى وجدناه

فقلا عن ياقوت : « وفرسان قبيلة من تغلب ، كانوا قديماً نصارى ، ولهم فى جزائر فرسان كنائس قد خربت . ويحملون التجارة إلى بلد الحبش » .

يقال له القُبَاع . وكان شريفاً كريماً ديناً ، وسيّداً من سادات قریش .
 وكانت أمّه هذه نصرانية . وذُكر أنها ماتت نصرانية ، وكانت تُسرّ ذلك
 منه ، فحضر الأشراف جنازتها ، وذلك في عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .
 فسمع الحارثُ من النساء لغطاً ، فسأل عن الخبر ، فعرف أنها ماتت نصرانية ،
 وأنه وجد الصليب في عنقها ، وكانت تكتُمه ذلك ، فخرج إلى الناس وقال :
 انصرفوا رحمكم الله ، فإنّ لها أهل دين ، هم أولى منا ومنكم . فاستحسن ذلك منه ،
 وعجّب الناسُ من فعله .

ابنه جوان

وكان لعمر بن أبي ربيعة ابنٌ يُقال له : جُوَان ، وفيه يقول العرجيُّ :
 شهيدى جُوَانٌ على حبّها أليس بعدلٍ عليها جُوَانُ
 فذكر أنّ جُوَان هذا جاء إلى العرجيِّ وقال : يا هذا ، مالى ولك تُشهّرني
 في شعرك ، حتى أشهدتني على صاحبك هذه ! متى كنتُ أشهد في مثل هذا !
 وكان أمراً صالحاً .

مولده

وذكر أنّ عمر بن أبي ربيعة وُلد في الليلة التي قُتل فيها عمر بن الخطّاب ،
 فقال في ذلك الحسن : أى حقّ رُفع ، وأى باطل وُضع !

قدومه على ابن
عباس المسجد

قيل : بينا ابنُ عباس في المسجد الحرام ، وعنده نافع بن الأزرق ، وناسٌ من
 الخوارج يسألونه ، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مَصْبُوغين مُحَصَّرين^(١) حتى
 دخل وجلس ، فأقبل عليه ابنُ عباس فقال : أنشدنا . فأنشده :

أَمِنْ آلٍ نَعْمَ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ غَدَاةَ غَدٍ أَوْ رَائِحٌ فَمُهْجَرُ

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع بن الأزرق وقال : الله يا ابن عباس !

(١) المحصر من الثياب : التي فيها شيء من صفرة ليست بالكثيرة .

إِنَّا نضرب إليك أ كبادَ المطىّ من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام ،
وتتناقل عنا ، ويأتيك مُتَرَفٌ من مُتَرَفَى قريش فينشدك :

رأت رجلاً أمّا إذا الشمس عارضت فيخزى وأمّا بالعشى فيخسرُ

فقال : ليس هكذا . قال : فكيف قال ؟ قال :

رأت رجلاً أمّا إذا الشمس عارضت فيضحى وأمّا بالعشى ^(١) فيخصرُ

فقال : ما أراك إلا قد حفظت . قال : أجل ، وإن شئت أن أنشدك

القصيدة أنشدتك إياها . قال : فإني أشاء . فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها .

وفي رواية : أن ابن عباس أنشدها من أولها إلى آخرها ، ومن آخرها إلى

أولها مقلوبةً ، وما سمعها قطُّ إلا تلك المرة صفحاً ^(٢) . وهذا غاية الذكاء .

فقال له بعضهم : ما رأيت أذكى منك ! قال : لكنى لم أر أذكى من أمير
المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه .

وكان ابنُ عباس يقول : ما سمعتُ شيئاً قطُّ إلا رويته ، وإني لأسمع صوتَ

النائحة فأسدُّ أذنى كراهية أن أحفظ ما تقول .

ولامه بعضهم في حفظه هذه القصيدة فقال : إنا نستجيدها . وكان بعد ذلك

كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا المغيرى شيئاً بعدنا ؟

وفي رواية : ثم أقبل ابنُ عباس على ابن أبي ربيعة فقال : أنشدنا . فأنشد :

* تشطُّ غداً دارُ جيراننا *

ثم سكت . فقال ابنُ عباس :

* وللدارُ بعد غدٍ أبعدُ *

(١) يضحى : يظهر للشمس . وعارضت ، أى قابلت . يريد : عارضته . ويخسر : يبرد .

(٢) صفحاً ، أى مرورا .

فقال له عمر : كذلك قلتُ ! — أصلحك الله — أسمعته ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي .

مكائنه في الشعر قيل : وكانت العرب تُقرُّ لقرُيش بالتقدم^(١) في كل شيء عليها إلا في الشعر ، فإنها كانت لا تُقرُّ لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ، ولم تنازعها شيئاً .

وقال نصيب : عمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربّات الحجال .

وقال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة : ما يمنعك من مدحنا ؟ قال إني لا أمدح الرجال ، إنما أمدح النساء .

وقال ابن جريج : ما دخل على العواتق^(٢) في حجابهن^(٣) شيءٌ أضرَّ عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة .

وسمع الفرزدق شيئاً من نسب عمر بن أبي ربيعة ، فقال : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته ، وبكت الديار ، ووقع هذا عليه .

وقال أبو المقوم الأنصاري : ما عصى الله بشيء كما عصى بشعر ابن أبي ربيعة .

وقال عمر بن أبي ربيعة : لقد كنتُ أعشق ولا أعشق ، فاليوم صرتُ إلى مُدارة الحسان حتى المات . ولقد لقيتني فتاتان مرة ، فقالت إحداهما : أدن مني يا ابن أبي ربيعة أسيراً إليك شيئاً . فدنوت منها ، ودنت الأخرى فجعلت تعضني ، فما شعرتُ بعضةً هذه من لذة سِرار هذه .

من خلقه

(١) في الأصل : « في التقدم » . وما أثبتنا من بعض أصول الأغاني .

(٢) العواتق : جمع عاتق ، وهي الشابة أول ماتدرك . وقيل : هي التي لم تبين من والديها ولم تتزوج وقد أدركت وشبت .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « حجاهن » .

ويقال : أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قُبَيْس^(١) ، وبنو أخيه معه وهم مُحَرِّمون ، فقال لبعضهم : خذْ يدي ، فأخذ بيده فقال : وربّ هذه الكعبة^(٢) ، ما قلت لامرأة قطّ شيئاً لم تقله لي ، وما كشفت ثوباً عن حرام قط .

ولما مَرَضَ عمرُ مرضه الذي مات فيه جَزِعَ أخوه الحارثُ جزعاً شديداً ، فقال له عمر : أَحْسَبُكَ إِنَّمَا تَجْزَعُ لما تَظُنُّهُ بي ! والله ما رَكِبْتُ فاحشةً قطّ . فقال : ما كنتُ أَشْفِقُ عليك إلا من ذلك ، وقد سَلَّيتَ عني .

وذُكِرَ أَنَّ عمر بن أبي ربيعة عاش ثمانين سنة ، فَتَكَ منها أربعين سنة ، ونَسِكَ أربعين .

هو وامرأة في الطواف

وقيل : قدمت امرأة مكة وكانت من أجمل النساء ، فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقع في قلبه ، فدنا منها فكلَّمها ، فلم تلتفت إليه . فلما كان في الليلة الثانية جعل يطأها حتى أصابها . فقالت : إليك عني فإنك في حَرَمِ الله وفي أيام عَظيمةِ الحُرمة . فألحَّ عليها فكلَّمها حتى خافت أن يُشهرَّ بها . فلما كان في الليلة الأخرى قالت لأخيها : أخرج معي يا أخي وأرني المَناسك ، فإني لستُ أعرفها . فأقبلت وهو معها . فلما رآها عمر أراد أن يَعْرِضَ لها ، فنظر إلى أخيها معها فعدَّلَ عنها ، فتمثَّلت المرأة بقول النابغة :

تَعْدُو الذَّئَبُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَمَقِّي صَوْلَةَ الْمُسْتَنْفِرِ^(٣) الْحَامِي
ولما حَدَّثَ الْمَنْصُورُ بهذا الحديث قال : وددتُ أَنَّهُ لم تَبَقْ فتاةٌ من قريش إلا سمعتُ بهذا الحديث .

وذُكِرَ أَنَّ عمر بن أبي ربيعة أتى عبدَ الله بن عباس رضى الله عنه ، وهو في

(١) أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « البنية » . وهما بمعنى .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « المستأسد » .

المسجد الحرام، فقال له : متّعني الله بك ، إن نفسي قد تآقت إلى قول الشعر
ونازعتني إليه ، وقد قلت منه شيئاً أحببت أن تسمعه وتستره عليّ . قال :
أنشدني . فأنشده :

أمن آل نعيمٍ أنتَ غادٍ فمُبَكِّرُ غداة غدي أو راحٍ فمُهَجِّرُ

فقال له : أنت شاعرٌ يا ابن أخي، فقل ما شئت . ومن هذه القصيدة :

أشارت بمدراها وقالت^(١) لتربها أهذا المغيري الذي كان يذكرُ
فقلت نعم لا شك غير لونه سرى الليل يطوى نصه والتهجرُ
رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشي فيخصرُ
أخاسفر جَوَّابَ أرضٍ تقاذفت به فلوات فهو أشعثُ أغبرُ
قليلاً على ظهر المطيَّة ظلُّه سوى ما نفى عنه الرداء المجرُ
وأعجبها من عيشها ظلُّ غُرْفَةٍ ورَيَّانٌ مُمْتَدُّ^(٢) الحدائق أخضرُ
ووال كفأها كلَّ شيءٍ يهْمُها فليست لهم^(٣) آخرَ الليل تمهرُ

ويقال : إنه لما عرض يزيد بن معاوية جيش أهل الحرّة ، مرّ به رجلٌ من
أهل الشام معه ترسٌ خلق سمجٌ ، فنظر إليه يزيد وضحك ، وقال له : ويحك !
ترسٌ عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترسك . يريد قوله من هذه القصيدة :

فكان مجنّي دون من كنت أتقى ثلاثُ شخوص كاعبان ومُعَصِرُ

وأنشد سعيد بن المسيّب قول عمر بن أبي ربيعة من هذه القصيدة :

وغاب قُمَيْرٌ كنت أرجو غيوبة وروح رُعَيَّانٌ ونومٌ مُسَمَّرُ

يزيد ورجل
من أهل الشام
معه ترس

لابن المسيب في
بيت له

(١) في بعض أصول الأغاني : « لأختها » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « ملتف » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « لشيء » .

فقال : ما له قاتله الله ! لقد صغر ما عظم الله ، يقول الله عز وجل : (والقمرَ
قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) .

هو وفاطمة
الكندية

وقيل : حَبَّتْ فاطمة بنت محمد بن الأشعث بن قيس الكندية ، فراسلها عمر بن
أبي ربيعة ، وواعدها أن يلقاها مساء الغد ، وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع
ناشداً ينشد ، إن لم يمكنه أن يرسل رسولا يعلمها بمصيره إلى المكان الذي
وعدها . قال بُدَيْحُ المغني : فلم أشعر به إلا مُتَلَثِّمًا ، فقال : يا بُدَيْحُ ، إيت بنت محمد
ابن الأشعث فأخبرها أنني قد جئت لموعدها . فأيت أن أذهب ، وقلت : مثلي لا يعين
على مثل هذا . فغيب عني بعلته ثم جاءني ، فقال لي : قد أضللت بعلتي فانشدها لي
في زقاق الحاج . فذهبت فنشدتها . فخرجت على بنت محمد بن الأشعث ، وقد
فهمت الآية ، فأنت لموعده ذلك .

قال بُدَيْحُ : فلما رأيتهما مقبلةً عرفت أنه قد خدعني بنشدتي البغلة .
فقلت له : يا عمر ، لقد صدقت التي قالت لك :

فهذا سحرُك النسوا ن قد خبّرنتي خبرك

قد سخرت مني ^(١) وأنا رجل ، فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن !
وما آمنك بعدها ، ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبليّة .
وحدّثها حديثي ، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني .
وقيل : إنها لما حَبَّت راسلها ، فوعده أن تزوره . فأعطى الرسول الذي بشره
بزيارتها مائة دينار .

وقيل : إنها لما جاءت إليه أرسلت بينه وبينها سترًا رقيقًا تراه من ورائه ولا
يراه ، فجعل يحدّثها حتى استنشدته ، فأنشدها قصيدته التي منها :

تَشُطُّ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا وللدَّارُ بعد غدٍ أَبْعَدُ

(١) في بعض أصول الأغاني : « قد سحرنتي »

إذا سَلَكَتْ غَمْرَ ذِي^(١) كِنْدَةَ
عِرَاقِيَّةً ، وَتِهَامِي الهَوَى
وَحَثَّ الحُدَاةُ بِهَا عَيْرَهَا
هَنَالِكَ إِمَّا يُعْزَى الفُؤَادُ
وَلَيْسَتْ تَرْوَعُ^(٢) إِذَا دَارُهَا
وَجَرَّبَتْ مِنْ ذَاكَ حَتَّى عَرَفُ
فَلَمَّا دَنَوْنَا لِحَرْسِ النَّبَا
بَعَثْنَا لَهَا بَاعِثًا نَاشِدًا
أَتَتْنَا تَهَادَى عَلَى رِقْبَةٍ
تَقُولُ وَتُظْهِرُ وَجَدًا بِنَا
لِمَا شَقَانِي تَعَلَّقْتُكُمْ
وَكَفَّتْ سَوَابِقَ مِنْ عَابِرَةٍ
فَإِنْ التِّي شَيَّعَتْنَا الْفَدَاةَ

مَعَ الصُّبْحِ^(٣) قَصْدُهَا^(٤) الْفَرْقَدُ
يَغُورُ بِمَكَّةَ أَوْ^(٥) يُنْجِدُ
سِرَاعًا إِذَا مَا وَنَتْ تَطْرُدُ
وَإِمَّا عَلَى إِثْرِهِمْ^(٥) يَكْمَدُ
نَأَتْ وَالْعِزَاءُ إِذَا أَجْلَدُ
تُ مَا أَتَوَقَّى وَمَا أَتَحْمَدُ
ح وَالضُّوءُ ، وَالْحَى لَمْ^(٧) يَرْقُدُوا
وَفِي الْحَى بُغْيَةٌ مِنْ يَنْشُدُ
مِنْ الْخَوْفِ أَحْشَاؤُهَا تُرْعَدُ
وَوُجْدِي وَإِنْ أَظْهَرْتُ أَوْجَدُ
وَقَدْ كَانَ لِي عَنْكُمْ مَقْعَدُ
عَلَى الْخَدِّ يَجْرِي^(٨) بِهَا الْإِثْمَدُ
مَعَ الْفَجْرِ قَلْبِي بِهَا مُقْصَدُ

قال : فاستخفها الشعر ، فرفعت السَّجْفَ ، فرأى وجهًا حسنًا في جسم ناحل ،

- (١) غمر ذى كندة : موضع بينه وبين مكة مسيرة يومين .
(٢) في الديوان : « مع الركب » . وفي بعض الأصول الأغاني : « مع الشمس » .
(٣) كذا في الأصل والكثرة من نسخ الأغاني . والفرقد : أحد نجمين لا يغربان ، قريبين من القطب . وفي سائر أصول الأغاني : « والفرقد » بقافين : وقرقد : بالكسر : جبل قرب مكة .
(٤) يشير إلى أن موطنها العراق وهو في تهامة ، لا حيلة له إلا أن يهبط ويصعد بين أغوارها ونجادها .

(٥) رواية بعض أصول الأغاني : « تعزى . . . تكمد » .

(٦) في الكثرة من أصول الأغاني : « ببدع » .

(٧) رواية الديوان :

فلما دنونا لِحَرْسِ النَّبَا إذا الضوء والحى لم يرقدوا

(٨) في الديوان : « جال »

فخطبها وأرسل إلى أمها خمسمائة دينار ، فأبت وحجته وقالت للرسول : تعود^(١) إلينا . فكان الفتاة غمها ذلك . فقالت لها أمها : قتلک الوجدُ به فتزوجيه ! قالت : لا والله ، لا يتحدث أهل العراق عنّي أنّي جئت ابن أبي ربيعة أخطبه ، ولكن إن أتاني العراق تزوجته .

هو وزينب
بنت موسى

وشبب أيضاً عمر بن أبي ربيعة بزینب بنت موسى ، أخت قدامة بن موسى الجمحي . فمما قال فيها :

تصابي القلبُ وادّكراً	صباهُ ولم يكن ظهراً
لزينبَ إذ تُجدُّ لنا	صفاءً لم يكن كدراً
أليستُ بالتي قالت	لمولاةٍ لها ظهراً
أشيري بالسلام له	إذا ما نحونا ^(٢) نظراً
وقولي في ملاطفةٍ	لزينبَ نوّلي عمراً
فهزّت عطفها عجباً	وقالت منّ بداً أمراً
أهذا سحرُك النسوا	ن قد خبرتني الخبرا

ويُروى على غير هذا الروي ، هكذا :

لقد أرسلتُ جاريتي	وقلت لها خذي حذرَكَ
وقولي في ملاطفةٍ	لزينبَ : نوّلي عمَرَكَ
فهزّت رأسها عجباً	وقالت : منّ بداً أمَرَكَ
أهذا خدْعُك ^(٣) النسوا	ن قد خبرتني خبرَكَ

وقال فيها من قصيدة :

يا خَليليّ مِنْ مَلامٍ دَعاني وألماً الغداة بالأظعانِ

(١) في بعض أصول الأغاني : « لا تعود إلينا » .

(٢) الرواية في الأغاني : « إذا هو نحونا خطراً » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « سحرَكَ » .

لا تَلُومَا فِي آلِ زَيْنَبَ إِنَّا
مَا أَرَى مَا بَقِيَتْ أَنْ أَذْكَرَ الْمَوْتَ
لَمْ تَدْعِ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي حَظًّا
هِيَ أَصْلُ (٢) الصَّفَاءِ وَالْوَدِّ مِنِّي
حِينَ قَالَتْ لِتَرْبِهَا (٣) وَلِأُخْرَى
كَيْفَ لِي الْيَوْمَ أَنْ أَرَى عُمَرَ الْمُرَّ
قَالَتَا : تَبْعِي (٤) رَسُولًا إِلَيْهِ
إِنْ قَلْبِي بَعْدَ الَّذِي نِلْتُ مِنْهَا
قِيلَ : وَكَانَ سَبَبُ ذِكْرِهِ لَهَا أَنَّ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ ذَكَرَهَا عِنْدَهُ فَأَطْرَاهَا ،
وَوَصَفَ مِنْ عَقْلِهَا وَأَدَبِهَا وَجَمَالِهَا مَا شَغَلَ قَلْبَ عُمَرَ وَأَمَالَهَا إِلَيْهَا . فَقَالَ فِيهَا الشَّعْرُ
وَنَسَبَ بِهَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ ، فَلَامَهُ فِيهِ وَقَالَ لَهُ : أَتَنْطِقُ الشَّعْرَ فِي ابْنَةِ
عَمِّي ؟ فَقَالَ عُمَرُ :

لَا تَلْمُنِي عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي
لَا تَلْمُنِي وَأَنْتَ زَيْنَتُهَا لِي
إِنَّ بِي دَاخِلًا مِنَ الْحُبِّ قَدْ أَبَّ
لَوْ بَعِثْتَنِي يَا عَتِيقُ نَظَرْنَا
إِذَا بَدَا الْكَشْحُ وَالْوَشَاحُ مِنَ الدُّرِّ وَفُضِّلَ فِيهِ مِنَ الْمَرْجَانِ
وَأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

إِنِّي الْيَوْمَ عَادَ لِي أَحْزَانِي
وَتَذَكَّرْتُ ظِلْمَةَ أُمِّ رِئِمٍ
وَتَذَكَّرْتُ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِي
هَاجَ لِي الشَّوْقُ ذِكْرُهَا فَشَجَانِي

(١) الخيف : موضع بمكة . (٢) في بعض أصول الأغاني : « أهل » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « لأختها » . (٤) القطين : الخدم والحشم .

(٥) في بعض أصول الأغاني : « نبتغي » .

وحكى قدامة بن موسى قال: خرجتُ بأختي زينبَ إلى العُمرة ، فلمّا كانت بسرف^(١) لقيني عمرُ بن أبي ربيعة على فرسٍ فسلم عليّ . فقلت له : إلى أين أراك متوجّها يا أبا الخطاب ؟ فقال : ذُكرتُ لى امرأةٍ من قومي برزّة الجمال فأردتُ الحديثَ معها . فقلت : هل علمتَ أنها أختي ؟ فقال : لا ، وثنى عنان فرسه راجعاً إلى مكة .

وقيل : أنشد ابنُ أبي عتيق قولَ عمر بن أبي ربيعة:

مَنْ لَسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ	لَزَيْنَبَ نَجْوَى صَدْرِهِ وَالْوَسَاوِسُ
أَقُولُ لِمَنْ يَبْغِي الشِّفَاءَ مَتَى تَجِيءُ	بَزَيْنَبَ تُدْرِكُ بَعْضَ ^(٢) مَا أَنْتَ لَا مِسْ
فإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَشْفِ مِنْ سَقَمِي بِهَا	فإِنِّي مِنْ طِبِّ الْأَطْبَاءِ آيِسُ
وَلَسْتُ بِنَاسٍ لِيَلَةَ الدَّارِ مَجْلِسًا	لَزَيْنَبَ حَتَّى يَعْلُوَ الرَّأْسَ رَامِسُ
فَلَمَّا بَدَتْ قَمَرَاؤُهُ وَتَكَشَّفَتْ	دُجْنَتُهُ وَغَابَ مَنْ هُوَ حَارِسُ
وَمَا نِلْتُ مِنْهَا مَحْرَمًا غَيْرَ أَنَّنَا	كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمَطَارِفِ ^(٣) لَا بَسْ
نَجِيمَيْنِ تَقْضِي ^(٤) اللَّهُ فِي غَيْرِ مَا نَأْمُ	وَإِنْ رَغِمَتْ لِلكَاشِحِينَ الْمَعَاطِسُ

فقال ابنُ أبي عتيق : أَمِنَّا يَسْخَرُ ابْنُ أَبِي ربيعة ؟ فَأَيُّ مُحْرَمٍ بَقِيَ ! ثُمَّ أَتَى عَمْرَ ، فَقَالَ : يَا عَمْرُ ، أَلَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّكَ مَا أَتَيْتَ حَرَامًا قَطُّ ؟ فَأَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِكَ :

* كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمَطَارِفِ لَا بَسْ *

فَمَا مَعْنَاهُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَا خَبَرَ نَكَ ، خَرَجْتُ أُرِيدُ الْمَسْجِدَ وَخَرَجْتُ زَيْنَبُ

(١) سرف : موضع على عشرة أميال من مكة قرب التنعيم .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « نفس » .

(٣) المطارف : جمع مطرف ، بالضم والكسر ، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام . وأصله الضم ، إذ المعنى من أطرف ، إذا جعل في طرفيه العلمان ، ولكنهم استقللوا الضمة فكسروا . وفي بعض أصول الأغاني : « المورد » .

(٤) في الأصل : « فحين تقضى » . وما أثبتنا من بعض أصول الأغاني .

ثُرَيْدَهُ ، فَأَتَعَدْنَا لِبَعْضِ الشُّعَابِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطْنَا الشَّعْبَ أَخَذْتَنَا السَّمَاءُ ، فَكَرِهْتُ أَنْ يُرَى بَثْيَابُهَا بَلَلُ الْمَطَرِ ، فَيُقَالُ لَهَا : أَلَا اسْتَتَرْتَ بِسَقَائِفِ الْمَسْجِدِ أَنْ كُنْتَ فِيهِ ؟ فَأَمَرْتُ غِلْمَانِي فَمَسَتْهُنَّ بِكِسَاءٍ خَزٍّ كَانَ عَلَىَّ ، فَذَلِكَ حِينَ أَقُولُ :

* كَلَانَا مِنَ الثَّوْبِ ^(١) الْمَطَارِفِ لَا يَسُ *

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : يَا عَاهِرُ ، هَذَا الْبَيْتُ يَحْتَاجُ إِلَى حَاضِنَةٍ .

وَقَالَ أَيْضًا فِي زَيْنَبَ :

يَهْدِي بِخَوْدٍ مَلِيحَةٍ ^(٢) النَّظَرِ	يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَمِّمٍ كَلِيفٍ
فَهِيَ كَمِثْلِ الْعُسْلُوجِ ^(٤) فِي ^(٥) الشَّجَرِ	تَمْشِي الْهُوَيْنَى إِذَا مَشَتْ ^(٣) فَضْلًا
حَتَّى رَأَيْتِ النُّقْصَانَ فِي بَصَرِي	مَا زَالَ طَرْفِي يَحَارُ إِذْ ^(٦) بَرَزْتُ
يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ	أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنِسْوَتَهَا
يَمْشِينَ هَوْنًا كَشْيَةِ الْبَقَرِ	بَيْضًا حِسَانًا خَرَانِدًا ^(٧) قُطْفًا
وَفَزَنَ رِسَالًا ^(٨) بِالذَّلِّ وَالْخَفَرِ	قَدْ فُزْنَ بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ مَعًا
كَيْمَا يُشَرِّفْنَهَا عَلَى الْبَشَرِ	يُنْصِتْنَ يَوْمًا لَهَا إِذَا نَطَقَتْ
لِنَفْسِدَنَّ الطَّوْفَ فِي عُمَرِ	قَالَتْ لَتَرْبٍ لَهَا تُحَدِّثُهَا

(١) فِي بَعْضِ نَسَخِ الْأَغَانِي : « مِنْ أَثْوَابِ الْمَطَارِفِ » .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « مَرِيضَةٌ » .

(٣) كَذَا فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي . وَالْفَضْلُ ، بضمين ، التي قد تفضلت في ثوبها ، وذلك إِذَا تَوَشَّحَتْ بِهِ فَخَالَفَتْ بَيْنَ أَطْرَافِهِ عَلَى عَاتِقِهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « قُطْفًا » . « وَالْقُطْفُ » : الْمَشْيُ الْبَطِيءُ ، فَعَلَهُ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ وَنَصْرٍ وَكَرَمٍ .

(٤) الْعُسْلُوجُ : الْغَصْنُ لِسَنَّتِهِ ، وَقِيلَ : هُوَ كُلُّ قَضِيبٍ حَدِيثٍ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « مَلِيسَر » . وَمَا أَثْبَتْنَا مِنَ الْأَغَانِي .

(٦) فِي الْدِيْوَانِ : « إِذْ نَظَرْتُ » .

(٧) قُطْفٌ ، بضمين : جَمْعُ قُطُوفٍ ، وَهِيَ الْبَطِيئَةُ السَّيْرُ .

(٨) الرِّسْلُ : بِالْكَسْرِ : اللَّيْنُ وَالتَّوَدُّدُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِالْفَتْحِ ، أَيْ قُطْبِيًّا . وَهُوَ

بِالتَّحْرِيكِ ، وَسَكَنَ لِلشَّعْرِ .

قالت^(١) تصدّئْ له لِيَعْرِفَنَا
قالت لها قد غمزته فأبى
مَنْ يُسْقَ بعد الكرى ريقها
ثم اغْمِزْه يا أُخْتَ في خَفَرٍ
ثم اسْبَطَرْتُ^(٢) تَسْعَى على أَثَرِي
مَنْ يُسْقَ بكأس ذى لَذَةٍ^(٣) خَصِرٍ
وقال أيضاً فيها :

أيها الكاشحُ المَعِيرُ بالصَّرِّ
لا مُطَاعَ في آل زَيْنَبَ فارْجِعْ
نَجْعُلُ الليلَ موعداً حينَ^(٤) نَمْسَى
كَيْفَ صَبَرِي عن بعضِ نَفْسِي وهل يَصْ
ولقد أَشْهَدُ المُحَدِّثَ عندَ الـ
في زَمَانٍ مِنَ المَعِيشَةِ لَدُنِ
وقال أيضاً :

ألا يا بَكَرُ قد طَرَقَا
زَيْنَبَ^(٦) إِنْهَا هَمِّي
خَدَلَجَةً^(٧) إِذَا أَنْصَرَفْتُ
وَسَاقًا يَمْلَأُ الْخُلُخَا
خِيَالُ هَاجٍ لِي أَرْقَا
فَكَيْفَ بِحَبْلُهَا خَلَقَا
رَأَيْتَ وَشَاحَهَا قَلَقَا
لَ فِيهِ تَرَاهُ مُحْتَنَقَا

(١) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « قومي » .
(٢) اسبطرت : أسرعت .
(٣) رواية الديوان :

من يسق بعد المنام ريقها يسق بمسك وبارد خصر

والخصر : البارد

(٤) في الأصل : « ثم نمسى » . وما أثبتنا من الديوان وبعض أصول الأغاني .
(٥) لعله يريد بالحدث ، حيث وقفا يتحدثان عند القصر . يذكر أحاديث لها ، فيها العفة وفيها البيان .

(٦) في بعض أصول الأغاني : « لزَيْنَب » .

(٧) الخدلجة : الممتلئة الذراعين .

إذا ما زينبٌ ذكرتُ سكبتُ الدمعَ مُتَمِّقًا
كأنَّ سحابةً تهَمِّي بماءٍ حَمَلَتْ غَدَقًا

هو نسوة تشوقن
إليه

وقيل . أجمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه ، فتشوقن إليه وتمنيينه . فقالت سوكينة : أنا لکن به . فبعثت إليه رسولاً أن يوافي الصَّورين^(١) ليلةً سمَّتها . فوافاهن على رواحله ، فحدَّهن حتى طلع الفجر . وحن انصرافهن ، فقال لهن : والله إنى محتاجٌ إلى زيارة قَبرِ النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده ، ولكنى لا أخلط بزيارتكن غيرها ، ثم انصرف إلى مكة ، فقال في ذلك :

ألمِمْ بزَيْنَبَ إن الرَّكْبَ قد^(٢) أفِدا
قد حلفتُ ليلةَ الصَّورينَ جاهدةً
لأُخْتِهَا ولأُخْرَى مِنْ^(٤) مَنَاصِفِهَا
لو جُمِعَ النَّاسُ ثم أُخْتِيرَ صَفْوُهُمْ
قَلَّ الثَّوَاهُ لئن كان الرِّحْلُ غَدَا
وما على المرءِ إلا الحِلْفُ^(٣) مُجْتَهِدَا
لقد وجدتُ به فوقَ الذی وَجَدَا
شَخْصًا من النَّاسِ لم أَعْدِلْ به أَحَدَا

قيل : أنشد جريرٌ قولَ عمر بن أبي ربيعة :

رأى جرير في
شعره

سَائِلًا الرَّبْعَ بِالْبُلَى^(٥) وَقُولَا
أَيْنَ حَىَّ حَلُوكَ إِذْ أَنْتَ مَحْفُو
قَالَ : سَارُوا فَأَمْعَنُوا وَاسْتَقْلُوا
هَجَّتْ شَوْقًا لى^(٦) الغدَاةَ طَوِيلَا
فَبِهِمْ أَهْلٌ أَرَاكَ جَمِيلَا
وَبِرْغَمِي لَوْ أَسْتَطِيعُ^(٧) سَبِيلَا

(١) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « البين » مكان .. « الركب » . وأفد : عجل وأسرع .

(٣) في الديوان : « الصبر » . (٤) المناصف : الخدم .

(٥) البلى : تل قصير أسفل حاذة ، بينها وبين ذات عرق .

(٦) في الأصل : « إلى » . وما أثبتنا من بعض أصول الأغاني . ورواية الديوان : « لنا » .

(٧) في بعض أصول الأغاني : « لو استطعت » .

سَمِعُونَا وَمَا سَمِعْنَا مَقَامًا وَأَحْبَبُوا دَمَائَةً وَسُهُلًا
فَقَالَ جَرِيرٌ: هَذَا الَّذِي كُنَّا نَدُورُ عَلَيْهِ فَأَخْطَأْنَاهُ وَأَصَابَهُ الْقُرْشَى .

وَقَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عُمَرَ^(١) بَنُ مُصْعَبٍ: سَمِعْتُ خَالِي يَقُولُ ، وَقَدْ أَنْشَدَ رَأَى مُصْعَبٍ فِي
شَعْرِهِ
قَوْلَ عُمَرَ: ^(٢)

يَا لَيْتَنِي قَدْ أَجَزْتُ الْحَبْلَ نَحْوَكُمْ حَبْلَ الْمَعْرِفِ أَوْ جَاوَزْتُ ذَا^(٣) عُسْرِ
إِنَّ الثَّوَاءَ بِأَرْضٍ لَا أَرَاكَ بِهَا فَاسْتَيْقَنِيهِ ثَوَاءٌ حَقٌّ ذِي كَدَرٍ
وَمَا مَلَيْتُ وَلَكِنْ زَادَ حُبُّكُمْ وَلَاذَكَرْتُكَ إِلَّا ظَلَمْتُ^(٤) كَالسَّدْرِ
وَلَا جَدَلْتُ بِشَيْءٍ كَانَ بَعْدَكُمْ وَلَا مَنَحْتُ سِوَاكَ الْحُبِّ مِنْ بَشَرٍ
أَذْرَى الدُّمُوعَ كَذَى سُقْمٍ يُخَامِرُهُ وَمَا يُخَامِرُنِي سُقْمٌ سِوَى الذِّكْرِ
كَمْ قَدْ ذَكَرْتُكَ لَوْ أَجْدَى تَذَكُّرِكُمْ يَا أَشْبَهَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ بِالْقَمَرِ
قَالَ^(٥): فَقَالَ جَدُّكَ: إِنَّ لِشَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ مَوْقِعًا مِنَ الْقَلْبِ ، وَمُخَالَطَةً
فِي النَّفْسِ ، لَيْسَا لِغَيْرِهِ ، وَلَوْ كَانَ شَعْرُ يَسْحَرُكَانَ شَعْرُهُ سِحْرًا .

وَقِيلَ: ذَكَرَ شَعْرُ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ وَشَعْرُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي
رَأَى ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ
فِي شَعْرِهِ وَشَعْرُ
الْحَارِثِ
عَتِيقٍ فِي مَجْلِسِ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِي بْنِ هِشَامٍ ، فَقَالَ: صَاحِبُنَا — يَعْنِي
الْحَارِثَ — أَشْعَرُهُمَا . فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: بَعْضُ قَوْلِكَ يَا بَنَ أَخِي! لِشَعْرِ عُمَرَ
نَوَاطَةٌ^(٦) فِي الْقَلْبِ ، وَعُلُوقٌ بِالنَّفْسِ ، وَدَرَكٌ لِلْحَاجَةِ ، لَيْسَ^(٧) لَشَعْرِهِ . وَمَا
عَصَى اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ بِشَعْرٍ أَكْثَرَ مِمَّا عَصَى بِشَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ . فُخِذَ عَنِّي

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي: « عَمَّ مُصْعَبٌ » .

(٢) أَصْلُ الْخَبَرِ مُسْنَدًا فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي: « الزَّبِيرُ قَالَ حَدَّثَنِي ظَمِيَاءُ مَوْلَاةُ فَاطِمَةَ بِنْتُ
عُمَرَ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَتْ: سَمِعْتُ جَدَّكَ يَقُولُ ، وَقَدْ أَنْشَدَ قَوْلَ عُمَرَ » .

(٣) أَجَزْتُ: جَاوَزْتُ . وَالْحَبْلُ: مَوْضِعُ بَعْرَفَاتٍ . وَالْمَعْرِفُ: مَوْضِعُ الْوُقُوفِ بِهَا . وَذُو
عَشْرِ: وَادٍ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ . (٤) السَّدْرُ: الْمُتَحَبِّرُ .

(٥) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي: « قَالَتْ » عَلَى أَنَّ الْمَحْدَثَةَ ظَمِيَاءُ .

(٦) النَوَاطَةُ: التَّعْلُوقُ .

(٧) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي: « لَيْسَتْ » .

ما أصف لك : أشعر قُرَيْشٍ مَنْ دَقَّ معناه ، ولَطَفَ مَدَّخَلَهُ ، وسَهَّلَ مَخْرَجَهُ ،
ومَثَّنَ حَشَوَهُ ، وتَعَطَّطَ حَوَاشِيَهُ ، وَأَنارتَ مَعَانِيَهُ ، وأعربَ عن حاجتِهِ . فقال
المفضلُّ للحارث : أليس صاحبُنَا الذي يقول :

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عندَ الجَمَارِ يُؤَوِّدُهَا ^(١) الْعَقْلُ
لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِينِهَا سَفَلًا وَأَصْبَحَ سَفْلُهَا يَعْلُو
فِيكَادَ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا فَيُرَدُّهُ الْإِقْوَاءُ ^(٢) وَالْمَحِلُ
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِنَا ^(٣) ضَمِنْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فقال له ابنُ أبي عَتِيقٍ : يا ابنَ أَخِي ، اسْتَرْعَى نَفْسَكَ ، وَاكْتُمْ عَلَى صَاحِبِكَ ،
وَلَا تُشَاهِدِ الْحَافِلَ بِمَثَلِ هَذَا . أَمَّا تَطْيِيرُ الْحَارِثِ لَهَا ^(٤) حِينَ قَلَبَ رَبْعَهَا فَجَعَلَ
أَعَالِيَهُ حَجَارَةً مِنْ سَجَّيلٍ ! ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ كَانَ أَحْسَنَ صُحْبَةٍ لِلرَّبْعِ مِنْ صَاحِبِكَ ،
وَأَجْمَلَ مُخَاطَبَةٍ ، حَيْثُ يَقُولُ :

سَائِلًا الرَّبْعَ بِالْبُلْبُلِ وَقُولًا هِجَّتْ شَوْقًا إِلَى الْغَدَاةِ طَوِيلًا

وَذَكَرَ الْأَبْيَاتَ الْمَاضِيَةَ . قَالَ : فَانصَرَفَ الرَّجُلُ خَجَلًا مَذْنَعًا .

قِيلَ : وَإِنَّمَا لُقِّبَ الْحَارِثُ ، أَخُو عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، بِالْقُبَاعِ ، لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
الزُّبَيْرِ كَانَ وَلَّاهُ الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا ، فَرَأَى مَكِيلًا لَهُمْ ، فَقَالَ : إِنَّ مَكِيلًا لَكُمْ
هَذَا الْقُبَاعُ . وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي لَهُ قَعَرٌ . فَلُقِّبَ بِالْقُبَاعِ .

تلقب الحارث
بالقباع

وَذَكَرَ أَنَّ الْحَارِثَ هَذَا نَهَى أَخَاهُ عُمَرَ عَنْ قَوْلِ الشَّعْرِ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ
مِنْهُ ، فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى الْآلِ يَقُولَ شَيْئًا . فَأَخَذَ الْمَالَ وَخَرَجَ إِلَى أَخْوَالِهِ بِلَحْجٍ

عمر وقد نهاه
الحارث عن قول
الشعر

(١) يؤودها : يهبطها ويثقلها . والعقل : الحبس .

(٢) الإقواء : خلو الديار من أهلها . والمحِل : الجذب .

(٣) في بعض أصول الأغاني والديوان : « احتملت » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « عليها » .

وأبين، من اليمين، مخافة أن يهيجه مقامه بمكة على قول الشعر . فطرب يوماً، فقال :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا إذا حللنا بسيف البحر من عدن
وأحتل أهلك أجياداً فليس لنا إلا التذكر أو حظ من (١) الحزن
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته من أن يُغرّد قمرى على فنن
إذا رأت غير ما ظنت بصاحبها وأيقنت أن لحجاً ليس من وطنى
ما أنس لا أنس يوم الخيف (٢) وموقفى وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهى باكية والدمع منها على الخدين (٣) ذو سنن
تالله (٤) قولى له فى غير معتبة ماذا أردت بطول المكث فى اليمين
إن كنت صادفت (٥) دُنيا أوظفرت (٦) بها فهل أخذت بفوت (٧) الحج من ثمن

قال : فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث ، فقال : هذا شعر عمر !
وقد فتك وغدر !

الوليد بن يزيد
وأصحابه فى أغزل
بيت

وقيل : إن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة : أى بيت
قالته العرب أغزل ؟ فقال بعضهم : قول جميل :

يموت الهوى منى إذا مالقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعود
وقال آخر : قول عمر بن أبي ربيعة :
كأننى حين أمسى لا تكلمنى ذو بُغية يبتغى ما ليس موجوداً

(١) أجياد : موضعان بمكة ، الكبير والصغير .

(٢) الخيف : موضع بمنى . والرواية فى الديوان :

* بل ما نسيت ببطن الخيف موقفها *

وفى الأصل : « الحى » .

(٣) سنن : طرائق ؛ الواحدة : سنة .

(٤) فى الديوان وبعض أصول الأغاني : « بالله » .

(٥) فى الديوان وبعض أصول الأغاني : « حاولت » .

(٦) فى الديوان : « نعمت » . وفى بعض أصول الأغاني : « رضيت » .

(٧) فى الديوان : « بترك » .

فقال الوليد : حَسْبُكَ وَاللَّهِ بِهَذَا !

هو وجميل وقد
تعاشدا

وذكر أبو الحارث ، مولى هشام بن الوليد بن المغيرة ، قال :
شهدتُ عمرَ بنَ أبي ربيعة وجميلَ بن عبد الله بن مَعْمَرِ العُدْرِيَّ ، وقد اجتمعا
بالأبطح ، فأنشد جميلُ قصيدته التي يقول فيها :

لقد فرح الواشون أن صرمت حَبْلِي بُثَيْنَةٌ أَوَّأدتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
يقولون مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لَا أَقْسِمُ مَالِي عَنْ بُثَيْنَةٍ مِنْ مَهْلٍ

ومن هذه القصيدة :

خليليّ فيما عَشْتُمَا هل سَمِعْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
أَبَيْتُ مَعَ الْهَلَّاكِ^(١) ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ أُولُو فَضْلٍ
أَفِقْ أَيُّهَا الْقَلْبُ اللَّجُوجُ عَنِ الْجَهْلِ وَدَعْ عَنْكَ جُمْلًا لَا سَبِيلَ إِلَى جُمْلٍ
فلو تركتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَايِيهَا^(٢) لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي

حتى أتى على آخرها . ثم قال لعمر : يا أبا الخطاب ، هل قلتَ في هذا الروي
شيئًا ؟ قال : نعم . قال : فأنشدنيه . فأنشده قوله :

فلما تواقفنا عرفتُ الذي بها كمثل الذي بي حَدْوُكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
فَقُلْنَا لَهَا هَذَا عِشَاءً وَأَهْلُنَا قَرِيبٌ أَلَمَّا تَسْأَمِي مَرْكَبَ الْبَغْلِ
فَقَالَتْ فَمَا شَتْنُ قُلْنِ لَهَا أَنْزَلِي فَلِلْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ وَقُوفٍ عَلَى رَحْلِ
فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةَ أَنْ يَرَى عَدُوٌّ مُقَامِي أَوْ يَرَى كَاشِحٌ فِعْلِي
فَقَالَتْ وَأَرَزَخْتُ جَانِبَ السُّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهْمٍ مِنْ تَرْقُبٍ وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

(١) الهلاك : الصعاليك .

(٢) طلايها ، أي طلي إياها .

فلما اختصرنا^(١) دونهنَّ حديثنا
عرَفْن الذي تهوى فقلنَّ ائذني لنا
فقلتُ فلا تلبثنَّ قلنَّ تحدّثي
فقمْن وقد أفهمنَّ ذا اللبِّ أنما
وهنَّ طَبِيبَاتٌ بِحاجة ذى^(٢) الشَّكل
نطفُ ساعةٍ في برْدٍ ليلٍ وفي سهْل
أتيناكِ وأنسبنَّ أنسيابَ مهَا الرَّمْل
أتين الذي يأتين ذلك من^(٣) أجلى
فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب ! لا أقول مثل هذا سجّيسَ الليالي^(٤) !
والله ما خاطب النساءَ أحدٌ مخاطبتك . وقام مُشمرّاً .

هو وابن أبي عتيق
في شعره

وقال ابنُ أبي عتيق لعمر ، وقد أنشده قوله :
بينما ينعتنني أبصرنتي
دونَ قيدِ الميلِ^(٥) يعدّو بي الأغرَّ
قلت الكبري أتعرّفن الفتى
قلت الوسطى نعم هذا عمر
قلت الصغرى وقد تيمّمها
قد عرفناه وهل يخفى القمر
أنت لم تذبّس بها وإنما نسبتَ بنفسك ، وكان ينبغي أن تقول : قلت لها
فقلت لي ، فوضعتُ خدي فوطئت عليه .

من شعره

ومن شعر عمر السَّهْل قوله :
فلما تواقفنا وسلمتُ^(٦) أشرقَتْ
تبالهنَّ بالعرفان لما^(٧) عرفني
وقرّبن أسبابَ الهوى لمُتيم
وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنعا
وقلنَّ امرؤٌ باغٌ أكَلٌ^(٨) وأوضعا
يقيس ذراعاً كهلًا قسنَ إصبعا

(١) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « اقتصرنا » . (٢) الشكل : دل المرأة .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « من ذاك » . والرواية في الديوان :

﴿ فعلن الذي يفعلن في ذاك من أجلى ﴾

(٤) سجّيس الليالي ، من كلمات التأييد . تقول : لا أفعله سجّيس الليالي ، أى لا أفعله أبداً .

(٥) قيد الميل : قدره .

(٦) في بعض نسخ الأغاني : « وسلمت أقبلت » . وفي بعض آخر : « وسلمت أشرقت » .

(٧) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « لما رأيته » .

(٨) أكل بغيره وأوضعه : أى أعياه وحمله على الإسراع .

ومن حُسن وصفه قوله :

لها من الحِشْف^(١) عينا وسُنَّتَه^(٢) ونخوة السابق المختال إذ صَهَلَا

ومن حسن عزائه قوله :

أَلْحَقْ إِنْ دَارُ الرَّبَابِ تَبَاعَدَتْ أَفَقٌ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَفَارَقُوا أَلْزَعُ^(٤) النَّفْسِ وَأُسْتَبَقِ الْحَيَاءُ فَإِنَّمَا أُمْتُ حُبِّهَا وَاجْعَلْ قَدِيمَ وَصَالِهَا وَهَبَهَا كَشْيءٌ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِحٍ فَكَالنَّاسِ عُلِقَتْ الرَّبَابُ فَلَا تَكُنْ

أَوْ أُنَبْتُ حَبْلٌ أَنْ قَلْبُكَ طَائِرٌ هَوَى وَاسْتَمَرَّتْ بِالرَّجَالِ^(٣) الْمَرَائِرُ تُبَاعِدُ أَوْ تُدْنِي الرَّبَابَ الْمَقَادِرَ وَعِشْرَتِهَا أَمْثَالُ^(٥) مَنْ لَا تَعَاشِرُ بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنْ غَيْبَتْهُ الْمَقَابِرُ أَحَادِيثَ مَنْ يَبْدُو وَمَنْ هُوَ^(٦) حَاضِرٌ

ومن بديع إنطاقه للقلب قوله :

قَالَ لِي فِيهَا عَتِيقٌ مَقَالًا فَجَرْتُ مِمَّا يَقُولُ الدُّمُوعُ قَالَ لِي وَدَّعَ سُلَيْمَى وَدَعَهَا فَأَجَابَ الْقَلْبُ لَا أَسْتَطِيعُ

وَقَالَ مُصْعَبُ الزُّبَيْرِي : أَجْمَعُ أَهْلُ بِلَادِنَا، مِمَّنْ لَهُ عِلْمٌ بِالشَّعْرِ، أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ أَغْزَلُ مَا سَمِعُوا ، وَهِيَ قَوْلُهُ :

تَقُولُ غَدَاةَ التَّقِينَا الرَّبَابُ أَيَاذَا أَفَلْتَ أَفُولَ السَّمَاءِ

(١) الحشف : الظبي ، وقيل : هو أول مايولد . وقيل : أول مايولد الظبي فهو طلاء ، ثم خشف . والرواية في الديوان وبعض أصول الأغاني : « الرِّيم » .

(٢) السنة : الصورة . والرواية في بعض أصول الأغاني : « ولفنته » .

(٣) المرائر : الغزائم ، الواحدة : مريرة . واستمرت : قويت .

(٤) زع النفس : ازجرها وانهاها .

(٥) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « كمثل » .

(٦) يقال : بدا ، إذا خرج إلى البدو . وحضر ، إذا نزل الحضر .

وَفَضَّتْ^(١) سَوَاقٍ مِنْ عَبْرَةٍ
قُلْتُ لَهَا مَنْ يُطِيعُ فِي الصَّدِيدِ
أَغْرَكَ أَنِّي عَصَيْتُ الْمَلَا
وَأَلَّا أَرَى لَذَّةً فِي الْحَيَاةِ
فَكَانَ مِنَ الذَّنْبِ لِي عِنْدَكُمْ
فَلَيْتَ الَّذِي لَامَ فِي حُبِّكُمْ
هُمُومَ الْحَيَاةِ وَأَسْقَامَهَا
وَمِنْ عَفِيفٍ شَعْرُهُ قَوْلُهُ :

طَالَ لَيْلِي وَاعْتَادَنِي الْيَوْمَ سَقَمُ
حُرَّةُ الْوَجْهِ وَالشَّمَائِلُ وَالْجَوُ
وَحَدِيثُ بِمَثَلِهِ تَنْزَلُ الْعُصْدُ
هَكَذَا وَصَفُ مَا بَدَأَ لِي مِنْهَا
إِنْ تَجُودِي أَوْ تَبَخُلِي فَبِحَمْدِ
وَمِنْ بَدِيعِ شَعْرِهِ الَّذِي يُرَجِّحُ فِيهِ الشَّكَّ عَلَى الْيَقِينِ قَوْلُهُ :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْحَصْبِ مِنْ مَنَى
وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ^(١٠) عَارِمٌ

(١) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « وكفت » . (٢) رواية الديوان : « ارفض » .
(٣) السلاك ، بالكسر : جمع سلك ، بالكسر أيضاً . مقيس غير مسموع . كما تقول في الذئب : ذئاب .

(٤) في الديوان والكثرة من نسخ الأغاني : « يجتنبه »
(٥) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « مكارمتي » . (٦) في الأصل : « ولا أن » .
(٧) يريد بقرن : قرن المنازل ، وهو ميقات أهل نجد تلقاء مكة ، على يوم وليلة .
قال أبو الفرج : وكثيراً ما يذكره في شعره .

(٨) جهيز : سريع .

(٩) العصم من الطباء : ما في ذراعها بياض . (١٠) عارم : فيه شراسة وحدة .

فقلتُ أَشْمْسُ أُم مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ
 بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ
 وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا
 فَلَمْ أُسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا
 إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَكَتَنَفْنَاهَا
 طَلَبْنِ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَهُ
 وَمِنْ بَدِيعِ اعْتِذارِهِ قَوْلُهُ :

عَاوَدَ الْقَلْبَ بَعْضُ مَا قَدْ شَجَاهُ
 يَا لَقَوْمِي فَكَيْفَ أَضْبِرُ عَمَّنْ
 أَرْسَلْتُ إِذْ رَأَتْ بَعَادِي أَلَّا
 دُونََ أَنْ يَسْمَعَ الْقَالَةَ مَنَّا
 لَا تَطْعُ بِي فَدَتَكَ نَفْسِي عَدُوًّا
 مَا ضِرَارِي نَفْسِي بِهَجْرَةٍ مَن لِي
 وَأَجْتَنِبُنِي بَيْتَ الْحَبِيبِ وَمَا أَخْلَا
 وَمِنْ شِعْرِهِ فِي صِدْقِ الْمَوَدَّةِ قَوْلُهُ :

كُلُّ وَضَلٍ أَمْسَى لَدَيْكَ لَا تُنْثَى
 كُلُّ أَنْثَى وَإِنْ دَنْتَ لَوْصَالٍ
 وَقَوْلُهُ :

أَحِبُّ مُحِبِّكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ
 صَفِيًّا لِنَفْسِي وَلَا صَاحِبًا

(١) بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ : كُنَايَةٌ عَنْ طُولِ الْعُنُقِ فِي غَيْرِ قَبِيحٍ ، وَهُوَ مَا يَمْدَحُ .

(٢) الْمَأْكَمُ : جَمْعُ مَأْكَمَةٍ ، وَهِيَ الْعَجِيزَةُ . (٣) الْحَرَشُ : الْمَغْرَى .

(٤) نَوَاهُ : دَارُهُ .

وَأَبْذُلُ مَالِي لِمَرْضَاتِكُمْ وَأُعْتَبُ مَنْ جَاءَكُمْ عَاتِبًا
وَأَرْغَبُ فِي وَدِّ مَنْ لَمْ أَكُنْ إِلَى وَدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبًا
وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ مِنَ الْأَرْضِ وَأُعْتَزَلْتُ جَانِبًا
لَيَمَّمْتُ طَيْبَتَهَا ^(١) إِنِّي أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبًا

ومن شعره ، الذي قدّح فيه فأورى ، قوله :

طَالَ لَيْلِي وَتَعَنَّانِي ^(٢) الطَّرَبُ وَأُعْتَزَانِي طُولُ هَمٍّ وَنَصَبُ
أَرْسَلْتُ أَسْمَاءَ فِي مَعْتَبَةٍ عَتَبَتْهَا وَهِيَ أَحْلَى مَنْ عَتَبَ
أَنْ أَتَى مِنْهَا رَسُولٌ ^(٣) مَوْهِنًا وَجَدَ الْحَيَّ نِيَامًا فَانْقَلَبَ
ضَرَبَ الْبَابَ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ يَفْتَحُ عَنْهُ إِذَا ضَرَبَ
قَالَ أَيْقَظُ وَلَكِنْ حَاجَةٌ عَرَضَتْ تُكْتَمُ مِنَّا فَاحْتَجَبَ
وَلَعَمْرَدًا رَدَّنِي فَاجْتَهَدْتُ بِيَمِينِ حَلْفَةٍ عِنْدَ الْغَضَبِ
شَهِدَ الرَّحْمَنُ لَا يَجْمَعُنَا سَقْفُ بَيْتٍ رَجَبًا بَعْدَ رَجَبِ
قُلْتُ حِلًّا فَاقْبَلِي مَعْدِرَتِي مَا كَذَا يَجْزِي مُحِبٌّ مِنْ أَحَبِّ
إِنْ كَفَى لَكَ رَهْنٌ بِالرَّضَى فَاقْبَلِي يَا هِنْدُ قَالَتْ قَدْ وَجِبَ

ذُكِرَ أَنَّ سَبَبَ قَوْلِهِ هَذِهِ الْآيَاتُ أَنَّهُ كَانَ يَهْوَى أُمْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أَسْمَاءُ ،
وَكَانَ الرَّسُولُ يُخْتَلِفُ بَيْنَهُمَا زَمَانًا ، وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ وَعَدَتْهُ أَنْ تَزُورَهُ ،
فَتَأْهَبُ لَذَلِكَ وَتُنْتَظَرُهَا ، فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ حَتَّى غَلَبَتْهُ عَيْنُهُ فَنَامَ . وَكَانَتْ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ

(١) طيبتها : ناحيتها .

(٢) تعناني : أوقعتني في العناء والمشقة . والطرب : خفة تعترى الإنسان من شدة الفرح أو

الحزن أو الهم .

(٣) موهنًا : نحوًا من نصف الليل .

تَحْدُمُهُ . فلم تلبث أن جاءت ومعها جارية لها . فوقفت مُتَنَحِيَةً وأمرت الجارية أن تَضْرِبَ البابَ ، فضربتُه فلم يَسْتَيْقِظْ . فقالت : تَطْلَعِي فَاَنْظُرِي ما الخبر ؟ فقالت : هو مُضْطَجِعٌ وإلى جَنْبِهِ امرأةٌ . فحلفت ألا تزوره حَوْلًا . وبعث إليها امرأةً كانت تختلف بينه وبين معارفه ، وكانت جَزَلَةً ^(١) من النساء ، فصَدَقَتْها عن قِصَّتِهِ ، وحلفت لها إنه لم يكن عنده إلا جاريته ، فرضيت . وإياها عني عُمر بقوله :

فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ ^(٢) عَالِمَةٌ تَخْلِطُ الْجِدَّ مِرَارًا بِاللَّعِبِ
تُغْلِظُ الْقَوْلَ إِذَا لَانَتْ لَهَا وَتُرَاحِي عِنْدَ سَوَرَاتِ الْغَضَبِ
لَمْ تَزَلْ تَصْرِفُهَا عَنْ رَأْيِهَا وَتَأْنَأُهَا ^(٣) بَرْقٍ وَأَدَبِ

قال حماد الراوية : اسْتَشَدَّنِي الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَأَنشَدْتُهُ نَحْوًا مِنْ أَلْفِ قَصِيدَةٍ ، فَمَا اسْتَعَادَنِي إِلَّا قَصِيدَةً عُمر بن أبي ربيعة :

* طَالَ لَيْلِي وَتَعَنَّانِي الطَّرَبُ *
فلما أنشدته قوله :

فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلِطُ الْجِدَّ مِرَارًا بِاللَّعِبِ
إلى قوله :

إِنْ كَفَى لَكَ رَهْنٌ بِالرَّضَى فَاقْبَلِي يَا هِنْدُ قَالَتْ قَدْ وَجَبَ

فقال لي الوليد : ويحك يا حماد ! أطلب لي مثل هذه أرسلها إلى سلمى . يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان طلقها ليتزوج أختها ، ثم تتبعتها نفسه .

(١) جزلة : عاقلة أصيلة الرأي .

(٢) طبة : حاذقة رفيقة .

(٣) تأناها ، أي تتأناها ، بمعنى تتمهل عليها .

ومن شعره في تسهيل الأمر قوله :

قالت على رقية يوماً لجارتها
وهل لي اليوم من أختٍ مواخيةٍ
فراجعتها حصانٌ غيرُ فاحشةٍ
لا تدكرى حبه حتى أراجعه
فاقنى حياءك في سترٍ وفي كرمٍ
ما تأمرين فإن القلب قد (١) تبلا
منكن أشكو إليها بعض ما فعلا
برجع قولٍ ولُبِّ لم يكن (٢) خطلا
إني سأكفيكه إن لم أمت عجلا
فلست أول أنثى علقت (٣) رجلا

هو ورجل يكلم
امرأة في الطواف

وذكر أن عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلم امرأة في الطواف ، فعاب ذلك عليه وأنكره . فقال : إنها أبنه عمي . فقال : ذلك أشنع لأمرك ! فقال : إني خطبتها إلى عمي فأبى عليّ إلا بصدّق أربعائة دينار ، وأنا غير مطيق ذلك . وشكا إليه من حبّها وكلفه بها أمراً عظيماً ، وتحمل (٤) به على عمه . فصار معه إليه فكلمه . فقال : هو مُمْلِق ، وليس عندي ما أصلح به أمره . فقال له عمر : وم الذي تريد منه ؟ فقال : أربعائة دينار . فقال له : هي علىّ ، فزوجه . ففعل ذلك .

هو وجارية له
بعد ما أسن
وحلف لا يقول
شعرا

وكان عمر حين أسن حلف ألا يقول بيت شعرٍ إلا أعْتَقَ رقيةً . فأتصرف عمر إلى منزله يحدث نفسه . فجعلت جارية له تكلمه فلا يردّ عليها جواباً ، فقالت له : إن لك لامراً ، وأراك تريد أن تقول شعراً . فقال :

تقول وليدتي لما رأته
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً
طربتُ وكنت قد أقصرت حيناً
وهاج لك الهوى داء دفيناً

(١) تبلا : أسقمه الهوى وغلبه الحب .

(٢) حصان : عفيفة . وخطلا : فاسداً مضطرباً .

(٣) اقنى حياءك : الزميه .

(٤) تحمل به : استشفع به .

وكنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ ذُو عَزَاءٍ إِذَا مَا شِئْتَ فَارَقْتَ الْقَرِينَا
 بِرَبِّكَ هَلْ رَأَيْتَ لَهَا رَسُولًا فَشَاقَكَ أُمُّ لَقِيَتْ لَهَا ^(١) خَدِينَا
 فَقُلْتُ شَكَا إِلَى أَخٍ مُحِبٍّ كَبَعَضَ زَمَانِنَا إِذْ تَعَلَّمِينَا
 وَقَصَّ عَلَى مَا يَلْقَى بِهِنْدٍ فَذَكَرَ بَعْضَ مَا كُنَّا لَقِينَا
 وَذُو الشَّوْقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَعَزَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا
 وَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ ^(٢) أَعْرَضَتْ عَنْهَا لَغَيْرِ قَلِيٍّ وَكُنْتُ بِهَا ضَعِيفِنَا
 أَرَدْتُ بَعَادَهَا فَصَدَدْتُ عَنْهَا وَلَوْ جُنَّ الْفُؤَادُ بِهَا جُنُونَا

ثم دعا بتسعة من رقيقه فأعتقهم ، لكل بيت واحد .

وذُكِرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ كَانَ يُسَايِرُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَيُحَدِّثُهُ ، فَقَالَ لَهُ :
 وَأَيْنَ زَيْنُ الْمَوَاكِبِ ؟ يَعْنِي أَبْنَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ عُرْوَةَ ، وَكَانَ يُسَمَّى بِذَلِكَ لِحَمَالِهِ . فَقَالَ
 عُرْوَةُ : هُوَ أَمَامُكَ . فَرَكِضَ يَطْلُبُهُ . فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، أَوْلَسْنَا أَكْفَاءَ
 كِرَامًا مُحَادَثَتِكَ وَمُسَايِرَتِكَ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! وَلَكِنِّي مُغْرَى بِهَذَا
 الْجَمَالِ [أَتَبِعُهُ] حَيْثُ كَانَ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ :

إِنِّي أُمْرُؤٌ مُغْرَمٌ بِالْحُسْنِ أَتَبِعُهُ لَا حَظَّ لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ
 ثُمَّ مَضَى حَتَّى لَحِقَهُ ، وَجَعَلَ عُرْوَةُ يَضْحَكُ مِنْ كَلَامِهِ تَعَجُّبًا مِنْهُ .

وَقِيلَ : رَأَى عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ رَجُلًا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، قَدْ بَهَرَ النَّاسَ بِجَمَالِهِ
 وَتَمَامِهِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ . فَجَاءَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
 وَقَالَ لَهُ : يَا بَنَ أَخِي ، مَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُكَ مِنْذُ بَلَغْنِي قَوْلُكَ :

إِنَّ لِي عِنْدَ كُلِّ نَفْحَةٍ بُسْتَا نِ مِنَ الْوَرْدِ أَوْ مِنَ ^(٣) الْيَاسِمِينَا
 نَظْرَةً وَالتَفَاتَةً أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونِي حَلَلَتْ فِيمَا يَلِينَا

(١) الخدين : الصديق الذي يكون معك في كل ظاهر وباطن . وفي الأصل : « قرينا » .

(٢) الخلة : الخلية . (٣) الياسمين ، جعله جمع « ياسم » وهو قول فيه .

هو وعروة
في ابنه محمد

هو ومالك بن
أسماء في الحج

ويُروى : « أترجى * أن تكوني حَلَّت » .

هو وأبو الأسود
وقد عرض لامرأته
في الطواف

وذُكر أنه حجَّ أبو الأسود الديلي^(١) ومعه امرأته ، وكانت جميلةً . فبينما هي تطوفُ بالبیت ، إذ عَرَضَ لها عمرُ بن أبي ربيعة ، فأتت أبا الأسود فأخبرته . فأتاه أبو الأسود فعاتبه . فقال له عمر : ما فعلتُ . فلما عادتُ إلى المسجد عاد فكلمها . فأخبرت أبا الأسود . فأتاه في المسجد ، وهو مع قوم جالسٌ ، فقال :

وإني لثينيني عن الجهل والحنأ
وعن شتم أقوامٍ خلائقُ أربعُ
حياءٍ وإسلامٍ وبقيا^(٢) وأنتي
كريمٌ ومثلي قد يضرُّ وينفع
فشتان ما بيني وبينك إنني
على كل حالٍ أستقيم وتظاع
فقال له عمر : لستُ أعود يا عمُّ لكلامها بعد هذا اليوم . ثم عاودت ، فكلمها .
فأتت أبا الأسود فأخبرته . فجاء إليه فقال له :

أنت الفتى وابنُ الفتى وأخو الفتى
وسيدنا لولا خلائقُ أربعُ
نُكولٌ عن الجلي وقربٌ من الحنأ
وبُخلٌ عن الجدوى وأنتك^(٣) تبع
ثم خرجتُ وخرج معها أبو الأسود مُشتملاً على سيف . فلما رأها عمرُ أعرض
عنهما . فتمثل أبو الأسود :

تعدُّو الذئبُ على مَنْ لا كِلابَ له
وتتقى صولةَ المستأسدِ الحامي
وقيل : قدِمَ الفرزدقُ المدينة ، وبها رجلان ، يقال لأحدهما : صُرَيْمٌ ؛ والآخر :
ابنُ أسماء . ووصفا له ، فقصداهما . وكان عندهما قيانٌ . فسلم عليهما وقال : مَنْ أتما ؟
فقال أحدهما : أنا فرعون . وقال الآخر : أنا هامان . فقال : أين منزلكما في النار

(١) الديلي : نسبة إلى « دئل » بضم الدال وكسر الهمزة ، قبيلة من كنانة . وتقول في النسبة إليها أيضاً : دؤلى ، ودولى ، بالتسهيل ، وديلى . (انظر شرح القاموس) .

(٢) بقيا ، أى شفقة ورحمة .

(٣) تبع : يتبع النساء ويجد في طلبهن .

حتى أَقْصِدَ كما؟ فقالا: نحن جيران الفرزدق الشاعر. فضحك، ونزل فسلم عليهما
وسلما عليه، وتعاشروا مدة، ثم سألهما أن يجمعا بينه وبين عمر بن أبي ربيعة،
ففعلوا. وأجتمعا فتحدثا وتناشدا، إلى أن أنشده قصيدته التي يقول فيها:

فَلَمَّا التَقَيْنَا وَأُطْمَأْنِتْ بِنَا النَّوَى وَغَيْبَ عَنَّا مَنْ نَخَافُ وَنُشْفِقُ
حتى انتهى إلى قوله:

فَقُمْنِ لَكِي يُخْلِينَنَا^(١) فَتَرَقَرَقَتْ مَدَامْعُ عَيْنَيْهَا وَظَلَّتْ تَدَفَّقُ
وَقَالَتْ أَمَا تَرَحُّمَنِي لَا تَدَعْنِي لَدَى غَزَلِ جَمِّ الصَّبَابَةِ^(٢) يَخْرُقُ
فَقُلْنَ امْكُتِي عَنَّا فَلَسْتَ مُطَاعَةً وَخِلَاكُ مِنَّا فَاعْلَمِي بِكَ أَرْفَقُ

فصاح الفرزدق: أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس! لا يُحسن والله الشعراء
أن يقولوا مثل هذا التشبيب، ولا أن يرقوا مثل هذه الرقيقة! ثم ودَّعه
وأنصرف.

هو والحارث
ابن عبد الله

وذُكر أنه حجَّ عبدُ الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عِيَّاش بن أبي ربيعة،
مع أبيه الحارث، فأتى عمر بن أبي ربيعة، وقد أسنَّ وشاخ، فسلم عليه وسأله،
ثم قال له: أيَّ شيء أحدثت بعدى يا أبا الخطاب؟ فأنشده:

تَقُولِينَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ فِي الْهَوَى وَإِنِّي لَا أُرْعَاكَ حِينَ أُغِيبُ
فَمَا بَالُ طَرْفِي عَفَا عَمَّا تَسَاقَطَتْ لَهُ أَعْيُنٌ مِنْ مَعْشَرِ وَقُوبِ
عَشِيَّةَ لَا يَسْتَنَكِرُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا سَفَاهَ أُمْرِي مِمَّنْ يُقَالُ لَبِيبُ
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكٍ^(٣) أَوْ مَضَتْ لَهُ بَعِينَ الصَّبَا كَسَلَى الْقِيَامِ لَعُوبِ
تَرْوَحَ يَرْجُو أَنْ تُحِطَّ ذُنُوبُهُ فَأَبْ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
وَمَا النَّسِكُ أَسْلَانِي وَلَكِنَّا الْهَوَى عَلَى الْعَيْنِ مِنِّي وَالْفُؤَادِ رَقِيبُ

(١) يخلصنا: يجعلنا في خلوة منهن.

(٢) يخرق: يحمق. في الأصل: «أخرق». (٣) أو مضت له: وسارقتة النظر.

شعره في قينتي
ابن هلال

ويقال : إنَّ عمر بن أبي ربيعة قدِم الكوفة ، فنزل على عبد الله بن هلال ،
الذي كان يُقال له : صاحبُ إبليس ، وكانت له قينتان حاذقتان . فكان عمر
يأتيهما فيسمع منهما ، فقال في ذلك :

يَا أَهْلَ بَابِلَ مَا نَفِيسْتُ^(١) عَلَيْكُمْ مِنْ عَيْشِكُمْ إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالٍ
مَاءَ الْفُرَاتِ وَطِيبَ لَيْلٍ بَارِدٍ وَغِنَاءَ مُحْسِنِينَ لِأَبْنِ هِلَالٍ

هو وبعض
الشعراء في وصف
برق

وقيل : إنَّ عمر بن أبي ربيعة ، والحارث بن خالد ، وأباربيعة المصطلق ، ورجلاً
من بني مخزوم ، خرجوا يُشيِّعون بعضَ خلفاء بني أمية . فلما أنصرفوا نزلوا بسرف ،
فلاح لهم برق . فقال الحارث : كلُّنا شاعر ، فهلمُّوا نصِفِ البرق . فقال
أبوربيعة :

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ آخَرَ اللَّيْلِ لَامِعٍ جَرَى مِنْ سَنَاهِ ذُو الرُّبَى^(٢) فَيُنَابِعُ
فقال الحارث :

أَرِقْتُ لَهُ لَيْلَ التَّمَامِ وَدُونَهُ مَهَامُهُ مَوَآمٍ وَأَرْضُ^(٣) بَلَاقِعُ
فقال المخزومي :

يُضِيءُ عِضَاهُ^(٤) الشَّوْكَ حَتَّى كَأَنَّهُ مَصَابِيحُ أَوْ فَجْرٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ
فقال عمر :

أَيَا رَبِّ لَا آلُو المودَّةَ جَاهِدًا لِأَسْمَاءَ فَأُصْنَعُ بِالَّذِي أَنْتَ صَانِعُ
ثم قال : مالي وللبرق والشوك !

هو
وليل البكرية

وقيل : لقي عمر بن أبي ربيعة ليلي بنت الحارث بن عمرو البكرية ، وهي

(١) نفس عليه كذا : غبطه من أجنه . (٢) ينابيع : موضع في بلاد هذيل .

(٣) المهامه : المفاوز البعيدة ، الواحدة : مهمه . والموام : الواسعة من الفلوات . والبلاقع :

جمع بلقع ، وهي الأرض القفرة . (٤) العضاه : الشجر العظيم له شوك .

تَسِيرُ عَلَى بَغْلَةٍ لَهَا ، وَقَدْ كَانَ نَسَبُهَا ، فَقَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، عَرَّجِي هَاهُنَا
أَسْمَعُكَ بَعْضَ مَا قُلْتُهُ فَيْكِ . قَالَتْ : أَوْ قَدْ فَعَلْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَوَقَفْتُ ، وَقَالَتْ :
هَات . فَأَنشَدَهَا :

أَلَا يَا لَيْلُ إِنَّ شِفَاءَ قَلْبِي نَوَالِكِ إِنْ بَخِلْتَ فَنَوَّلِينَا
وَقَدْ حَضَرَ الرَّحِيلُ وَحَانَ مِنَّا فِرَاقُكَ فَانْظُرِي مَا تَأْمُرِينَا

فَقَالَتْ : أَمْرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ ، وَتَرْكِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ . ثُمَّ صَاحَتْ
بِغْلَتِهَا وَمَضَتْ .

وفيهما يقول :

إِنْ لَيْلِي وَقَدْ بَلَغْتُ الْمَشِيئَا لَمْ تَدَعْ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي نَصِيئَا
هَاجِرٌ بَيْتَهَا لَا نَفِيَّ عَنْهَا قَوْلَ ذِي الْعَيْبِ إِنْ أَرَادَ الْعِيُوبَا

وَذُكِرَ أَنَّهُ حَبَّتْ أُمُّ مُحَمَّدَ بِنْتِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَلَمَّا قَضَتْ نُسْكَهَا
أَتَتْ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَقَدْ أَخْفَتْ نَفْسَهَا فِي نِسْوَةٍ ، فَخَدَّشَهَا مَلِيًّا . ثُمَّ لَمَّا
أَنْصَرَفَتْ أَتَبَعَهَا رَسُولًا حَتَّى عَرَفَ مَوْضِعَهَا ، وَسَأَلَ عَنْهَا حَتَّى أَثْبَتَهَا ^(١) . فَعَادَتْ
إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَخْبَرَهَا بِمَعْرِفَتِهِ إِيَّاهَا . فَقَالَتْ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَنْ تُشَهِّرَنِي بِشَعْرِكَ ^(٢) !
وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ . فَقَبَّلَهَا وَأُتْبَاعُهَا حُلَلًا وَطِيئًا وَأَهْدَاءَ إِلَيْهَا . فَرَدَّتْهُ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَنْ لَمْ تَقْبَلِيهِ لَأُنْهَبِنَهُ ^(٣) . فَيَكُونُ مَشْهُورًا . فَقَبَّلَتْهُ وَرَحَلَتْ .
فَقَالَ فِيهَا :

أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمُجِدُّ أُبْتِكَارَا قَدْ قَضَى مِنْ تِهَامَةِ الْأَوْطَارَا
مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ سَلِيمًا صَحِيحًا فَقُوَادِي بِاخْيَافِ أَمْسَى مُعَارَا

(١) أَثْبَتَهَا : تَحَقَّقَهَا وَعَرَفَهَا . (٢) أَيْ سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَلَا تُشَهِّرَنِي فِي شَعْرِكَ . وَهُوَ
مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَنْقَاسُ فِيهَا حَذْفُ « لَا » النَّافِيَةِ . (٣) لِأَنَّهُ بَنِي : أَيْ لِأَيِّحُنْهُ لِمَنْ شَاءَ نَهَبًا .

لَيْتَ ذَا الدَّهْرَ كَانَ حَتَمًا عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمَيْنِ حِجَّةً وَأَعْتَارَا
وَأُنْشَدَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ قَوْلَ عُمَرَ هَذَا . فَقَالَ : اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ بِعِبَادِهِ مَنْ
أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْهِمْ مَا سَأَلْتَهُ لِيَتِمَّ لَكَ فِسْقُكَ .

وكان عمر يهوى حميدة جارية ابن تَفَّاحَةَ^(١) ، وفيها يقول :

حَمَلُ الْقَلْبِ مِنْ حُمَيْدَةَ ثِقَلًا إِنْ فِي ذَاكَ لِلْفُؤَادِ لَشُغْلًا
إِنْ فَعَلْتُ الَّذِي سَأَلْتَ فَقُولِي حَمْدُ خَيْرًا وَأَتَّبِعِي الْقَوْلَ فِعْلًا
وَصَلِّينِي وَأَشْهَدْ اللَّهُ أَنِّي لَسْتُ أَصْنِفُ سِوَاكَ مَاعِشْتُ وَصَلَا

وفيها يقول :

يَا قَلْبَ هَلْ لَكَ عَنْ حُمَيْدَةَ زَاجِرُ أَمْ أَنْتَ مُدَّكِرُ الْحَيَاءِ فَصَابِرُ
فَالْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِي حُمَيْدَةَ مُوجَع وَالِدَمْعُ مُنْحَدِرٌ وَعَظْمِي فَاتِرُ
حَتَّى بَدَا لِي مِنْ حُمَيْدَةَ خَلَّتِي بَيْنَ وَكُنْتُ مِنَ الْفِرَاقِ أَحَاذِرُ

وحكى [على بن] طَرِيفُ الْأَسَدِيِّ قَالَ . سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ :

بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبیت إذ رأى امرأة من أهل العراق ، فأعجبه
جمالها ، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وناشدها وأنشدته ،
وخطبها فقالت : إن هذا لا يصلح ها هنا ، ولكن إن جئتني إلى بلدي وخطبتني
إلى أهلي تزوجتك . فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سَهْمٍ وقال له : إن لي
حاجة أريد أن تساعدني عليها . فقال له : نعم ، وأخذ بيده . ولم يذكر له ما هي .
ثم أتى منزله فركب نجيباً له وأركبه نجيباً ، وأخذ معه ما يصلحه وساراً ، لا يشك
السهمي في أنه سفر يوم أو يومين . فما زال يحث حتى لحق بالرُفْقَةِ ، ثم سار
بسيرهم يحدث المرأة طول طريقه ، ويسايرها وينزل عندها إذا نزلت ، حتى ورد

هو وعراقية رآها
في الطواف

(١) في بعض أصول الأغاني : « ابن ماجة » .

العراق . فأقام أياماً ، ثم راسلها يَتَنَجِّزُها وعدَها . فأعلمته أنها كانت متزوجة
أبن عمِّ لها وولدت منه أولاداً ثم مات ، فأوصى بهم وبماله إليهما ما لم تتزوج ،
وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة ، وبعثت إليه بخمسة آلاف درهم
وأعتذرت . فردَّ عليها المالَ ورحل إلى مكة . وقال في ذلك قصيدته التي أولها :

نام صَحْبِي ولم أُنَمِّ	مِنْ خِيَالٍ بِنَا أَلَمِّ
طاف بالرَّكْبِ مَوْهِنًا	بَيْنَ خَاخٍ إِلَى (١) عُظْمٍ
ثُمَّ نَبَّهْتُ صَاحِبًا	طَيِّبَ الْخَلِيمِ (٢) وَالشِّمِّ
أُرِيحِيًّا مُسَاعِدًا	غَيْرَ نَكْسٍ (٣) وَلَا بَرَمٍ
قُلْتُ يَا عَمْرُو شَفِّنِي	لَا عَجُ الْحُبِّ وَالْأَلَمِ
إِيْتِ هِنْدًا فَقُلْ لَهَا	لَيْلَةَ الْخَلِيفِ ذِي السَّلَمِ

وذكر عثمان بن إبراهيم الخاطبي قال :

بينه وبين
الخطابي وصاحب
له وحديثه عن هند

أَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ بَعْدَ أَنْ نَسِكَ بَسْنِينَ ، وهو في مجلس قومه من
بنى مخزوم ، فانتظرتُ حتى تفرَّق الناسُ ، ثم دنوتُ منه ، ومعى صاحبٌ لي ظريف ،
وكان قد قال لي : تعالَ حتى نَهَيِّجَهِ عَلَى ذِكْرِ الْغَزَلِ ، فننظرُ هل بقي في نفسه
منه شيء . فقال له صاحبي : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، أَكْرَمَكَ اللَّهُ ؟ لَقَدْ أَحْسَنَ الْعُذْرِيَّ
وَأَجَادَ فِيمَا قَالَ . فنظرَ إليه عمرُ ثم قال : وما الذي قال ؟ قال : حيث قال :

لَوْ جُذَّ بِالسَّيْفِ رَأْسِي فِي مَوَدَّتِهَا لَمَرَّ يَهُوَى سَرِيعًا نَحْوَهَا رَأْسِي

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاهُ ! لقد أجاد وأحسن . فقلتُ : والله درُّ

(١) خاخ : موضع بين الحرمين . وعظم ، بضم تين ، وبفتحتين أيضا : عرض من أعراض خير .
وفي بعض أصول الأغاني : « إضم » . وهو واد بجبل تهامة .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) النكس : الضعيف . والبرم : الذي لا خير عنده .

جُنَادَةُ الْعُذْرِيَّ! فقال عمر: حيث يقول ماذا؟ ويحك! قلت: حيث يقول:

سَرَتْ لَعِينُكَ سَامِيَ بَعْدَ مَعْفَاهَا فَبِتُّ مُسْتَنْبِهَا مِنْ بَعْدِ مَسْرَاهَا
وَقُلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا مَنْ هَذَا لَنَا إِنْ كُنْتَ تَمَثَّلُهَا أَوْ كُنْتَ إِيَّاهَا
مِنْ حُبِّهَا أَتَمَنَّى أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بَلَدِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا
وَلَوْ تَمَوْتُ لَرَاعَتَنِي وَقُلْتُ أَلَا يَا بُؤْسَ لَمَوْتٍ لَيْتَ الدَّهْرَ أَبْقَاهَا

قال: فضحك عمر ثم قال: وأبيك، لقد أحسن وأجاد وما أساء! ولقد هيَّجتم على ساكننا، وذكركماني ما كان عني غائبًا، ولأحدثكما حديثًا حلواً:

بينما أنا منذ أعوام جالس إذ أتاني خالد الخريزيت فقال لي: يا أبا الخطاب، مرت بي أربع نسوة قبيل العشاء يرِدُن موضع كذا وكذا، لم أر مثلهن في بدو ولا حصر، فيهن هند بنت الحارث المريّة، فهل لك أن تأتيهن متنكرًا تسمع من حديثهن وتستمع بالنظر إليهن ولا يعلمن من أنت؟ فقلت له: ويحك! وكيف لي أن أخفي نفسي؟ قال: تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس على قعود، فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهن. ففعلت ما قال وجلست على قعود، ثم أتيتهن فسلمت عليهن، ثم وقفت بقربهن. فسألنني أن أنشدهن وأحدثهن. فأنشدتهن لكثير وجميل والأحوص ونصيب وغيرهم. فقلن لي: يا أعرابي! ما أملحك وأظرفك! لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا! فإذا أمسيت أنصرفت في حفظ الله. قال: فأنخْتُ بعيري وتحدثتُ معهن. ثم إنهن تفاخرن وجعل بعضهن يقول لبعض: كأننا نعرف هذا الأعرابي، ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة! فقالت إحداهن: هو والله عمر! فمدت يدها فانزعجت عمامتي فألقتهَا عن رأسي، ثم قالت: هيه يا عمر! أتراك خدعتنا منذ اليوم؟ بل نحن والله خدعناك وأحتلنا عليك بخالد لتأتيَنا في أسوأ هيئة، ونحن كما ترى. قال عمر: ثم أخذنا في الحديث، فقالت هند: ويحك يا عمر! اسمع مني، لو رأيته منذ أيام وأصبحتُ عند أهلي، وأدخلتُ

رَأْسِي فِي جَيْبِي، فَنَظَرْتُ إِلَى حَرِي فَإِذَا هُوَ مِلٌّ الْكَفِّ وَمُنِيَّةُ الْمُتَمَنِّي فَنَادَيْتُ :
يَا عُمَرَاهُ ! يَا عُمَرَاهُ ! قَالَ عُمَرُ : فَصَحْتُ : يَا لَبَيْكَاهُ ! يَا لَبَيْكَاهُ ! ثَلَاثًا ، وَمَدَدْتُ
فِي الثَّلَاثَةِ صَوْتِي . فَضَحَكَتْ . وَحَادَثْتُهُنَّ سَاعَةً ثُمَّ وَدَعْتُهُنَّ وَانصَرَفْتُ ، فَذَاكَ قَوْلِي :

عَرَفْتُ مَصِيفَ الْحَيِّ ^(١) وَالْمُتَرَبَّعَا بِيَطْنِ حُلَيَّاتِ دَوَارِسَ ^(٢) بَلَقَعَا
إِلَى السَّفْحِ مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بُدِّلَتْ مَعَالِمُهُ وَبِلَاءً وَنَكْبَاءَ ^(٣) زَعَزَعَا
لَهْنِدٍ وَأَتْرَابٍ لَهْنِدٍ إِذِ الْهَوَى جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانِ مِزَاجُهُ كَمَا صَفَقَ ^(٤) السَّاقِي الرَّحِيقَ الْمُشْعَشَعَا
وَإِذْ لَا نَطِيعَ الْكَاشِحِينَ وَلَا نَرَى لَوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرَمَ ^(٥) مَطْمَعَا
وَلَهُ فِيهَا قَصِيدَتُهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

يَا صَاحِبِي قِفَا نَسْتَخْبِرُ الدَّارَا أَقْوَتْ وَهَاجَتْ لَنَا بِالنَّعْفِ ^(٦) تَذْكَارَا
وَقَدْ أَرَى مَرَّةً سِرْبًا بِهَا حَسَنًا مِثْلَ الْجَاذِرِ لَمْ يُمَسِّنْ أَبْكَارَا
فِيهِنَّ هِنْدٌ وَهِنْدٌ لَا شَبِيهَ لَهَا فَيَمَنْ أَقَامَ مِنَ الْأَحْيَاءِ أَوْ سَارَا
تَقُولُ لَيْتَ أَبَا الْخَطَّابِ وَافَقْنَا كِي نَلْهُوَ الْيَوْمَ أَوْ نُنْشِدَ أَشْعَارَا

(١) المتربع : حيث ينزل القوم زمن الربيع . ورواية هذا الصدر في الديوان :

* أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبَّعَا *

وكذا رواه القالي في أماليه ثم قال : «وأملى علينا أبو عبد الله .» «عرفت مصيف الحى والمتربعا» :
وهو غلط ، لأن «عرفت مصيف الحى» أول قصيدة لجميل .

(٢) دوارس : عفت واحمت آثارها . وبلقع : خالية . يوصف به الذكر والأنثى . فإذا كان
اسماً قلت : بلقعة ملساء .

(٣) المغمس : موضع قرب مكة في طريق الطائف . والوبل : المطر الشديد الضخم القطر .
والنكباء : كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين . وهى تهلك المال وتحبس القطر .
وزعزع : شديدة .

(٤) صفق الشراب : مزجه . (٥) الكاشح : المضمهر للعداوة .

(٦) أقوت : خات . والنعف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل . وظاهر أنه
يريد موضعاً بعينه .

فلم يرُعنهنَّ إلَّا العيسُ طالعةً بالقومِ يحْمِلُنَ رُكْبَانًا^(١) وأَكْوَارًا
لَمَّا وَقَفْنَا وَعَيْنُنَا رُكَّابُنَا بُدِّلْنَ بِالْعُرْفِ بَعْدَ الرَّجْعِ إنْكَارًا
ومنها :

لَمَّا أَلَمْتُ بِأَصْحَابِي وَقَدْ هَجَعُوا حَسِبْتُ وَسَطَ رِجَالِ الْقَوْمِ^(٢) عَطَّارًا
فَقُلْتُ مَنْ ذَا الْمَحِيّ وَانْتَبَهْتُ لَهُ وَمَنْ مُحَدِّثُنَا هَذَا الَّذِي زَارَا
تَبَدَّلَ الرَّبْعُ مَنِ كَانَ يَسْكُنُهُ عُفْرَ الظُّبَاءِ بِهِ يَمْشِينَ أَسْطَارَا

وقال فيها — قلتُ : وهو من ظريف الشعر — :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتُنَا مَا تَعْدُ وَشَفَتِ أَنْفُسَنَا مِمَّا^(٣) تَجِدُ
وَأُسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِدُّ
وَلَقَدْ قَالَتْ لَجَارَاتٍ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَتَعَرَّتْ^(٤) تَبْتَرِدُ
أَكْمَا يَنْعُتْنِي تُبْصِرْتَنِي عَمْرُكُنَّ اللَّهُ أُمَّ لَا يَقْتَصِدُ
فَتَضَاحَكُنَّ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ
حَسَدًا حُمْلَنَهُ مِنْ أَجْلِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

وقال فيها :

يَا مَنْ لَقَلْبٍ دَنَفٍ مُغْرَمٍ هَامَ إِلَى هِنْدٍ وَلَمْ يَظْلِمِ
هَامَ إِلَى رِيحٍ هَضِيمِ الْحَشَى عَذَبِ الثَّنَايَا طَيِّبِ الْمُبَسِّمِ
لَمْ أَحْسَبِ الشَّمْسُ بَلِيلٍ بَدَتْ قَبْلِي لِذِي لَحْمٍ وَلَا ذِي دَمِ

(١) الأكوار : جمع كور ، وهو رحل الناقة بأدواته .

(٢) العطار : بائع العطر .

(٣) مما تجد ، أى مما قد توهت به من الحب الشديد .

(٤) تبترد : تغسل بالماء البارد .

هو وفاطمة بنت
عبد الله بن
مروان

قالت ألا إنك ذو ملة
يصرفك الأذن عن الأقدم
قلت لها بل أنت معتلة
في الوصل ياهند لكي تصرى

وذكر أن عمر بن أبي ربيعة كان جالساً بمنى في فناء مضر به ، وغلمانُه حوله ، إذ أقبلت امرأةٌ برزةٌ عليها أثر النعمة ، فسأمت . فردَّ عليها عمر . فقالت : أنت عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال : أنا هو ، فما حاجتك ؟ قالت : حيّاك الله وقرّ بك ! هل لك في مُحادثة أحسن الناس وجهاً ، وأتمهم خلقاً ، وأكملهم أدباً ، وأشرفهم حسباً ؟ قال : ما أحبّ ذلك إليّ . قالت : على شرط . قال : قولي . قالت : تمكّني من عينيكَ فأشدّها وأقودك ، حتى إذا توسّطت الموضع الذي أريده حلت الشّدّ ، ثم أفعَلُ بك ذلك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مضر بك . فقال : شأنك . ففعلت ذلك . قال عمر : فلما انتهت إلى المضرب الذي أرادت ، كشفت عن وجهي ، فإذا أنا بامرأة على كرسيّ ، لم أر مثلاً قطُّ جمالاً وكمالاً . فسأمت وجلست . فقالت : أنت عمر بن أبي ربيعة ؟ قلت : أنا عمر . قالت أنت الفاضح للحرائر ؟ قلت : وما ذاك ؟ جعلني الله فداك ! قالت : ألسن القائل :

قالت وعيش أخى ونعمة والدى
لأنهنّ الحى إن لم تخرج
فخرجت خوفَ يمينها فتبسّمت
فعلت أن يمينها لم (١) تلجج
فتناولت رأسي لتعرف مسّه
بمخضّب الأطراف غير (٢) مشنّج
فلتمت فاهاً أخذاً بقرونها
شرب النّزيف برّد ماء (٣) الحشرج

ثم قالت : قم فأخرج عنيّ ، وقامت من مجلسها . وجاءت المرأةُ فشددت عينيّ ، ثم أخرجتني حتى أنتهت بي إلى مضر بي ، وتركنتي وأنصرفت . فخلت

(١) لم تلجج : أى لم تعزّمها .

(٢) مشنّج : منقبض .

(٣) النّزيف : من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه . والحشرج : النقرة في الجبل

يجمع فيها الماء فيصفو .

عيني، وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله أعلم به، وبِتُّ ليلتي. فلما أصبحت إذا أنا بها. فقالت: هل لك في العود؟ قلت: شأنك. ففعلت بي مثلَ فعلها بالأمس، حتى انتهت بي إلى الموضع. فلما دخلتُ إذا الفتاة على كرسى. فقالت: إيه يا فضاح الحرائر! قلت: ماذا؟ جعلني الله فداك أيضاً! قالت: بقولك:

وناهدةِ التَّدَيْنِ قلتُ لها اتَّكِي على الرَّمْلِ في دَيْمُومَةٍ لم تُمَهِّدِ
فقلتُ على أَسْمِ الله أَمْرُكَ طَاعَةٌ وإن كنتُ قد كُفِّتُ مالمُ أَعُوذْ
فلما دنا الإصباح قالت فضحتني فقم غير مَظْرُودٍ وإن شئتُ فَارْزُدْ

ثم قالت: قم فأخرج عني. فخرجتُ. ثم رُدِدْتُ، فقالت: لولا وشك الرّحيل، وخوف الفوت، ومحبتى لمناجاتك والاستكثار من مُحادثتك لأقصيتُك. هات الآن، كلمني وحدتي وأنشدني. فكلّمتُ أدبَ الناس وأعلمهم بكل شيء. ثم نهضتُ. وأبطأتِ العجوزُ وخلا لي البيتُ، فأخذتُ أنظر، فإذا بتور^(١) فيه خلوق^(٢). فأدخلتُ يدي فيه، ثم خبأتُها في رُدْني^(٣). وجاءت تلك العجوزُ فشَدَّتْ عيني ونهضتُ بي تقودني، حتى إذا صرْتُ إلى بابِ المضربِ، أخرجتُ يدي فضربتُ بها على المضرب. ثم صرْتُ إلى مضربي، فدعوتُ غلمانِي، فقلتُ: أيكم يَقِفْنِي على بابِ مضربٍ عليه خلوق كأنه أثرُ كفٍّ فهو حرُّ وله خمسمائة درهم؟ فلم ألبث أن جاء بعضهم فقال: قم. فنهضتُ معه، فإذا [أنا] بالكفِّ طريةً، وإذا بالمضربِ مضربُ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان. فأخذتُ في أهبةِ الرّحيل. فلما نفرتُ نفرتُ. فبصُرْتُ في طريقها بقبابٍ ومضاربٍ وهيئة جميلة، فقليل لها: هذا عمر بن أبي ربيعة. فساءها أمرُه وقالت للعجوز التي كانت تُرسلها إليه:

(١) التور: إناء صغير.

(٢) الخلوق: نوع من الطيب.

(٣) الردن: الكم.

قولي : نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحْمَ أَنْ ^(١) تَصَحِّبَنِي ، وَيَحْكُ ! وما شأنُكَ ؟ وما الذي تُريدُ !
 أَنْصَرِفْ وَلَا تَفْضَحْنِي وَتُشِيطَ ^(٢) بِدَمِكَ . فصارت إليه العجوزُ فَأَدَّتْ إِلَيْهِ
 مَا قَالَتْ لَهَا فَاطِمَةُ . فقال : لستُ بِمُنْصَرَفٍ أَوْ تُوجِّهَ إِلَيَّ بِقَمِيصِهَا الَّذِي يَلِي
 جِلْدَهَا . فَأَخْبَرْتُهَا . ففعلتُ ، ووجهتُ إليه بِقَمِيصٍ مِنْ ثِيَابِهَا . فزاده ذلك شَغَفًا ،
 وَلَمْ يَزَلْ يَتَّبِعُهُمْ وَلَا يُخَالِطُهُمْ ، حَتَّى إِذَا صَارُوا عَلَى أُمِّيَالٍ مِنْ دِمَشْقٍ أَنْصَرَفَ .
 وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

ضَاقَ الْغَدَاةَ بِحَاجَتِي صَدْرِي وَيَسْتُ بَعْدَ تَقَارُبِ الْأَمْرِ
 وَذَكَرْتُ فَاطِمَةَ الَّتِي عُلَّقَتْهَا عَرَضًا فَيَا لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ
 يَقُولُ فِيهَا :

وَكَأَنَّ فَاهَا بَعْدَ مَا رَقَدَتْ تَجْرِي عَلَيْهِ سُلَافَةُ الْخَمْرِ
 وَمِنْهَا :

وَبِحَيْدِ آدَمَ شَادِنٍ خَرِقٍ يَرْغَى الرِّيَاضَ بِبِلَادَةٍ ^(٣) قَمَرٍ
 لَمَّا رَأَيْتُ مَطِيَّيَهُمْ ^(٤) حَزَقًا خَفَقَ الْفَوَادُ وَكُنْتُ ذَا صَبَرٍ
 وَتَبَادَرْتُ عَيْنَايَ بَعْدَهُمْ وَأَنْهَلْتُ مَدْمَعُهَا عَلَى الصَّدْرِ
 وَلَقَدْ عَصَيْتُ ذَوِي أَقَارِبِهَا طُرًّا وَأَهْلَ الْوُدِّ وَالصَّهْرِ
 حَتَّى لَقَدْ قَالُوا وَمَا كَذَبُوا أَجُنَذْتُ أُمِّ بَيْتٍ دَاخِلُ السَّحْرِ

وَذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ مَكَّةَ جَعَلَ عَمْرُ بْنُ
 أَبِي رَبِيعَةَ يَدُورُ حَوْلَهَا وَيَقُولُ فِيهَا الشَّعْرَ وَلَا يَذْكُرُهَا بِاسْمِهَا ، فَرَقًا مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ

(١) أَيْ ، أَلَا تَصَحِّبَنِي . (٢) أَشَاطَ دَمُهُ وَبَدَمَهُ : أَهْدَرَهُ وَعَرَضَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ .

(٣) الْأُدْمَةُ فِي الْإِنْسَانِ : السَّمَرَةُ . وَفِي الطَّبَاءِ : لَوْنٌ مُشْرَبٌ بِيَاضًا . وَالشَّادِنُ : الطَّبِيُّ شَبَّ

وَتَرَعَرَعَ . وَالْحَرَقُ : الْخَائِفُ الْمُتَحِيرُ . (٤) حَزَقًا : جَمَاعَاتُ .

ومن الحجاج ، لأنه كان كتب إليه يتوعده إن ذكرها أو عرض باسمها . فلمّا قضت حجّها وأرتحلت أنشأ يقول :

كِدْتُ يَوْمَ الرَّحِيلِ أَقْضِي حَيَاتِي لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ يَوْمِ الرَّحِيلِ
لَا أُطِيقُ الْكَلَامَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْ فِ وَدَمْعِي يَسِيلُ كُلَّ مَسِيلِ
ذَرَفْتُ عَنْهَا وَفَاضَتْ دُمُوعِي وَكَلَانًا يُلْفَى ^(١) بَلْبٍ أَصِيلِ
لَوْ خَلْتُ خُلَّتِي أَصَبْتُ نَوَالًا وَحَدِيثًا يَشْفِي مِنَ التَّنْوِيلِ
وَلَظَلَّ الْخَلْخَالُ فَوْقَ الْحَشَايَا مِثْلَ أَثْنَاءِ حَيَّةٍ ^(٢) مَقْتُولِ
وَلَقَدْ قَالَتْ الْحَبِيبَةُ لَوْلَا كَثْرَةُ النَّاسِ جُدْتُ بِالتَّقْيِيلِ

وله في فاطمة هذه :

يَا خَلِيلِي شَفَّنِي الذِّكْرُ وَحُمُولُ الْحَيِّ قَدْ صَدَرُوا
ضَرَبُوا مُحَرَّ التِّبَابِ لَهَا وَأَدِيرْتُ حَوْلَهَا الْحَجَرَ
سَلَكُوا شِعْبَ النَّقَابِ بِهَا زُمَرًا تَحْتَشُّهَا ^(٣) زُمَرُ
وَطَرَقْتُ الْحَيَّ مُكْتَمًا وَمَعِيَ عَضْبٌ بِهِ ^(٤) أَثَرُ
وَأَخٌ لَمْ أَخْشَ نَبَوْتَهُ بَنَوَاحِي أَمْرِهِمْ ^(٥) خَبِرُ
فَإِذَا رَيْمٌ عَلَى فُرُشٍ فِي حِجَالِ الْخَزْ ^(٦) مُخْتَدِرُ
حَوَّلَهُ الْأَحْرَاسُ تَرْقُبُهُ نَوْمٌ مِنْ طُولِ مَا سَهَرُوا
شَبَّهُ الْقَتْلَى وَمَا قُتِلُوا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُمْ سَمَرُوا

(١) في بعض أصول الأغاني . « يلقى » .

(٢) أثناء الحية : مطاويها وتضاعيفها إذا تثنت .

(٣) النقاب : موضع من أعمال المدينة . وتحتشها : تستعجلها .

(٤) العضب : السيف القاطع .

(٥) خبر : خبر .

(٦) الحجال : جمع حجلة ، وهي قبة تجمل بالستور .

فَدَعَتْ بِالْوَيْلِ ثُمَّ دَعَتْ حُرَّةً مِنْ شَأْنِهَا الْخَفَرِ
ثُمَّ قَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا وَيْحَ نَفْسِي قَدْ أَتَى عُمَرَ
مَالَهُ قَدْ جَاءَ يَطْرُقُنَا وَيَرَى الْأَعْدَاءَ قَدْ حَضَرُوا
لِشِقَائِي كَأَنِّ عُلِقْنَا وَلَحْنِي سَاقَهُ الْقَدَرُ
قُلْتُ عِرْضِي دُونَ عِرْضِكُمْ وَلَنْ نَوَاسِكُمْ الْحَجَرَ

وقيل : بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف البيت إذ رأى عائشة بنت طلحة
ابن عبيد الله ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهي تريد الركن تستلمه ، فبهت
لما رآها . وراثته وعلمت أنها وقعت في نفسه ، فبعثت إليه بجارية لها وقالت لها :
قولي له : أتق الله ولا تقل هجراً ، فإن هذا مقام لا بد فيه مما رأيت . فقال
للجارية : أقرئها السلام وقولي لها : ابن عمك لا يقول إلا خيراً ، وقال فيها :

هو وعائشة بنت
طلحة في الطواف

لِعَائِشَةَ ابْنَةَ التَّيْمِيِّ عِنْدِي
يُذَكِّرُنِي ابْنَةَ التَّيْمِيِّ ظَنِّي
فَقُلْتُ لَهُ وَكَادَ يُرَاعُ قَلْبِي
سِوَى حَمَشٍ بِسَاقِكَ مُسْتَبِينَ
وَأَنَّكَ عَاطِلٌ عَارٍ وَلَيْسَتْ
وَأَنَّكَ غَيْرُ أَسْحَمَ وَهِيَ تُدْنِي
وَلَوْ قَعَدْتُ وَلَمْ تَكْلِفْ بُوْدٍ
أَظَلُّ إِذَا أَكَلَّمُهَا كَأَنِّي
تَبَدَّيْتُ إِلَى بَعْدِ النَّوْمِ تَسْرِي
حَمَى فِي الْقَلْبِ مَا يُرْعَى حَمَاهَا
يَرُودُ بِرَوْضَةٍ سَهْلٍ رَبَّاهَا
فَلَمْ أَرَ قَطُّ كَالْيَوْمِ أَشْتَبَاهَا
وَأَنَّ شَوَاكَ لَمْ يُشَبَّهِ (١) شَوَاهَا
بِعَارِيَةٍ وَلَا عُطْلٍ يَدَاهَا
عَلَى الْمَتْنَيْنِ أَسْحَمَ قَدْ (٢) نَضَاهَا
سِوَى مَا قَدْ كَلِفْتُ بِهِ كَفَاهَا
أَكَلَّمَ حَيَّةً غَلَبَتْ رُقَاهَا
وَقَدْ أُمْسَيْتُ لَا أَخْشَى سُرَاهَا

(١) الحمش : دقة الساقين . والشوى : الأطراف .

(٢) الأسحم : الأسود ، يريد الشعر . ونضاهها ، أى كساها .

وقال فيها أشعاراً كثيرة ، فبلغ ذلك فتيانَ تيم ، أبلغهم إياه فتى منهم وقال لهم : يا بني تيم ، هالله ليَقْذِفَنَّ بنو مخزوم بناتنا بالعظام وتَغْفُلُونَ ! فَمَشَى ولدُ أبي بكر الصديق وولدُ طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم إلى عمر بن أبي ربيعة وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم : والله لا أذكرها في شعرٍ أبدا . ثم قال بعد ذلك فيها ، وكفى عن اسمها ، في قصيدته التي أولها :

يا أُمَّ طَلْحَةَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفِدا قَلَّ الثَّوَاءُ لئن كان الرَّحِيلُ غدا^(١)

وقيل : لم يزل عمر يُشَبِّبُ بعائشة هذه أيامَ الحج ، ويطوف حولها ويتعرض لها ، وهي تكره أن يرى وجهها ، حتى وافقها وهي ترمى الجمارَ سافرةً ، فنظر إليها . فقالت : أما والله لقد كنت لهذا منك كارهةً يا فاسق ! فقال :

إني وأوَّلَ ما كلفتُ بذكرها عَجِبْ وهل في الدَّهرِ من مُتَعَجِّبٍ
نَعَتَ النِّسَاءَ قُلْتُ لستُ بِمُبْصِرٍ شَبَّاهَا أبدأ ولا بِمُقَرَّبٍ
فمَكَّنْ حِينًا ثم قُلْنَ توجَّهتُ للحجِّ موعِدُها لِقَاءَ^(٢) الأخشبِ
أَقْبَلْتُ أَنْظُرُ ما زَعَمْنَ وقُلْنَ لى والقلبُ بين مُصَدِّقٍ ومُكَذِّبٍ
فلَقِيَتْها تَمْشَى تَهَادى مَوْهِنًا تَرْمِي الجِمارَ عَشِيَّةً في مَوْكَبٍ
غَرَاءَ يُعْشَى الناظرينَ بياضُها حَوَراءَ في غُلَواءِ عَيْشٍ^(٣) مُعْجَبٍ
إنَّ التي من أرضِها وسمائها جُلِبْتُ لِحَيْنِكَ ليتها لم تُجَلَبِ

وقيل : إنه لَقِيَهَا بمكة وهي تسير على بغلة لها ، فقال لها : قني حتى أسمعك ما قلتُ فيك . قالت : يا فاسق ! أو قد فعلت ؟ قال : نعم . فوقفت . فأنشدها :

(١) أفد : دنا وأسرع .

(٢) الأخشب : واحد الأخشيين ، وهما جبلان بمكة .

(٣) غلواء عيش : أنصره وأرغده .

يا رَبَّةَ الْبَغْلَةِ الشَّهْبَاءِ هَلْ لَكَ فِي
 قَالَتْ بِدَائِكَ مَتَّ أَوْ عِشْ تَعَالِجْهُ
 قَدْ كُنْتَ حَمَلْتَنَا غَيْظًا نَعَالِجْهُ
 حَتَّى لَوْ أَسْطِيعُ مِمَّا قَدْ فَعَلْتَ بِنَا
 أَنْ تُنْشِرِي مَيِّتًا لَا تُرْهِقِي ^(١) حَرْجًا
 فَمَا نَرَى لَكَ فِيمَا عِنْدَنَا فَرْجًا
 فَإِنْ تَقْدِنَا فَقَدْ عَنَيْتَنَا ^(٢) حَجَبًا
 أَكَلْتُ لِحْمَكَ مِنْ غَيْظٍ وَمَا نَضِجًا
 فَقَالَتْ: لَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ، هَذِهِ الْبَنِيَّةُ! إِمَّا عَنَيْتَنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ. ثُمَّ قَالَتْ
 لِبَغْلَتِهَا: عَدَسْ! ^(٣) وَسَارَتْ.

ثُمَّ لَمْ تَزَلْ عَائِشَةُ تُدَارِيهِ وَتَرْفُقُ بِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهَا، حَتَّى قَضَتْ
 حَجَّتَهَا وَانْصَرَفَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

إِنَّ مِنْ تَهْوَى مَعَ الْفَجْرِ ظَعَنَ
 بَانَتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ كَلَّمَا
 يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرُ
 نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْهَا نَظْرَةً
 لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتُهَا
 لِلْهَوَى وَالْقَلْبُ مِتْبَاعُ الْوَطَنِ
 ذُكِرْتُ لِلْقَلْبِ عَاوَدْتُ الْحَزْنَ
 فَأَتَمَّرَ أَمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمِنُ
 تَرَكْتُ قَلْبِي لَدَيْهَا مُرْتَهَنُ
 غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أُجَنَّ

وَقَالَ فِيهَا:

مَنْ لِقَلْبٍ أَمَسَى حَزِينًا مُعْنَى
 إِثْرَ شَخْصٍ نَفْسِي فَدَتِ ذَاكَ شَخْصًا
 لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا
 وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمَهْنَا
 وَذُكِرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ كَانَ يَهْوَى كَلْثَمَ بِنْتِ سَعْدِ الْخَزْزَمِيَّةِ،

هُوَ وَكَلْثَمُ
 الْخَزْزَمِيَّةُ

(١) لَا تَرْهِقِي حَرْجًا، أَي لَا تَحْمِلِيهِ حَرْجًا وَلَا تَكْلِفِيهِ أَكْثَرَ مِمَّا هُوَ بِهِ.

(٢) فَإِنْ تَقْدِنَا، أَي فَإِنْ تَرُدُّ الْقِصَاصَ مِنَّا عَلَى هَذَا الْهَجْرِ، فَقَدْ عَنَيْتَنَا وَجَشْمَتَنَا أَعْوَامًا طَوَالًا.

(٣) عَدَسْ: كَلِمَةٌ تَزْجُرُ بِهَا الْبَغَالُ.

فأرسل إليها رسولا. ^(١) فضربتها وحلقتها وأحلقتها ^(٢) ألا تَعَاوِد. ثم أعادها ثانية. ففعلتُ بها مثلَ ذلك. فتَحَامَاهَا رُسُلُهُ. فَأُتِيَ أُمَةً سَوْدَاءَ لَطِيفَةً رَقِيقَةً، فَأَتَى بِهَا مَنْزِلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا وَكَسَاهَا وَأَنَسَهَا وَعَرَفَهَا خَبْرَهُ، وَقَالَ لَهَا: إِنَّ أَوْصَلَ لِي رُقْعَةٌ إِلَى كَلِّمٍ فَقَرَأْتُهَا فَأَنْتَ حُرَّةٌ، وَلَكَ مَعِيشَتُكَ مَا بَقِيتُ. فَقَالَتْ: اكْتُبْ حَاجَتَكَ فِي آخِرِهَا. ففعل، وأخذتها ومَضَتْ بِهَا إِلَى بَابِ كَلِّمٍ، فَاسْتَأْذَنْتُ. فَخَرَجَتْ إِلَيْهَا أُمَةٌ لَهَا، فَسَأَلَتْهَا عَنْ أَمْرِهَا فَقَالَتْ: مَكَاتِبَةٌ ^(٣) لِبَعْضِ أَهْلِ مَوَلَاتِكَ، جِئْتُ أَسْتَعِينَهَا فِي مَكَاتِبَتِي. وَحَادِثَتْهَا وَنَاشَدَتْهَا حَتَّى مَلَأَتْ قَلْبَهَا. فَدَخَلَتْ إِلَى كَلِّمٍ وَقَالَتْ: بِالْبَابِ مَكَاتِبَةٌ لَمْ أَرِ قَطُّ أَجْمَلَ مِنْهَا وَلَا أَكْمَلَ وَلَا آدَبَ. فَقَالَتْ: أُنْذِنِي لَهَا. فَدَخَلَتْ، فَقَالَتْ: مَنْ كَاتِبُكَ؟ قَالَتْ: عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ الْفَاسِقُ! فَاقْرَأِي مَكَاتِبَتِي. فَهَدَّتْ يَدَهَا لَتَأْخُذَهَا. فَقَالَتْ: لِي عَلَيْكَ عَهْدٌ [اللَّهُ] أَنْ تَقْرَأِيهَا، فَإِنْ كَانَ مِنْكَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا أَحَبَّهُ، وَإِلَّا لَمْ يَلْحَقْنِي مِنْكَ مَكْرُوهٌ. فَقَالَتْ: هَاتِي، وَفَطِنْتُ. فَأَعْطَتْهَا الْكِتَابَ، وَإِذَا أَوَّلُهُ:

مِنْ عَاشِقٍ صَبٍّ يُسِرُّ الْهَوَى	قَدْ شَفَّهَ الْوَجْدُ إِلَى كَلِّمٍ
رَأَتْكَ عَيْنِي فِدَاعِي الْهَوَى	إِلَيْكَ لِلْحَيْنِ وَلَمْ أَعْلَمْ
قَتَلْتُنَا يَا حَبَّذَا أَنْتُمْ	فِي غَيْرِ مَا جُرْمٍ وَلَا مَأْثَمٍ
وَاللَّهُ قَدْ أَنْزَلَ فِي وَحْيِهِ	مُبَيِّنًا فِي آيَةِ الْحُكْمِ
مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كَذَا ظَالِمًا	وَلَمْ يَقْدِرْهَا نَفْسَهُ يَظْلُمُ
وَأَنْتِ تَأْرِي فَتَلَا فِي دَمِي	ثُمَّ أَجْعَلِيهِ نِعْمَةً تُنْعِمِي
وَحَكْمِي عَدْلًا يَكُنْ بَيْنَنَا	وَأَنْتِ فِيمَا بَيْنَنَا فَاحْكُمِي
وَجَالِسِيَنِي مَجْلِسًا وَاحِدًا	مِنْ غَيْرِ مَا عَارٍ وَلَا مَحْرَمٍ

(١) الرسول: يجوز استعماله للمذكر والمؤنث، والمثنى والجمع. (٢) حلقتها. أى أوجعت حاةها.

(٣) مكاتبة، أى قد كاتبها سيدها على مال تؤديه إليه منجماً، فإذا أدته صارت حرة.

وَحَبَّرَنِي مَا الَّذِي عِنْدَكُمْ بِاللَّهِ فِي قَتْلِ أُمْرِي مُسْلِمٌ
 قَالَ : فَلَمَّا قَرَأْتَ الشَّعْرَ قَالَتْ لَهَا : إِنَّهُ خَدَّاعٌ مَلِيقٌ ، وَلَيْسَ لِمَا شَكَاهُ أَصْلٌ .
 قَالَتْ : يَا مَوْلَاتِي ، مَا عَلَيْكَ مِنْ أَمْتَحَانِهِ ؟ قَالَتْ : قَدْ أَذْنْتُ لَهُ ، وَمَا زَالَ حَتَّى
 ظَفَرَ بِنُغَيْتِهِ ، فَقَوْلِي لَهُ : إِذَا كَانَ الْمَسَاءَ فَلْيَجْلِسْ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَأْتِيَ
 رَسُولِي . فَأَنْصَرَفَتْ الْجَارِيَةُ فَأَخْبَرَتْهُ . فَتَاهَبَ لَهَا . فَلَمَّا جَاءَهَا وَجَدَهَا قَدْ تَهَيَّيَاتْ
 أَجْمَلَ هَيْئَةً ، وَزَيَّنَتْ نَفْسَهَا وَمَجْلِسَهَا ، وَجَلَسَتْ لَهُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ . فَسَلَّمَ وَجَلَسَ .
 وَتَرَكْتَهُ حَتَّى سَكَنَ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْكَ يَا فَاسِقُ ! أَنْتَ الْقَائِلُ :

هَلَا ارْعَوَيْتِ ^(١) فَتَرَحَّمِي صَبًّا	صَدَيَانِ لَمْ تَدْعِي لَهُ قَلْبًا
جَشِمَ الزِّيَارَةَ فِي مَوَدَّتِكُمْ	وَأَرَادَ أَلَّا تُرْهِقِي ذَنْبًا
وَرَجَا مُصَالِحَةً فَكَانَ ^(٢) لَكُمْ	سَلَمًا وَكَنتِ تَرَيْنَهُ حَرْبًا
يَأْيِيهَا الْمُعْطَى مَوَدَّتِهِ	مَنْ لَا يَزَالُ مُسَامِيًا ^(٣) خِطْبًا
لَا تَجْعَلُنْ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا	أَحْبَبْتَهُ وَهُوَ يَتَهُ رَبًّا
وَصَلَ الْحَيِّبَ إِذَا شَغِفَتْ بِهِ	وَاطُوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِيًّا
فَلَذَاكَ أَحْسَنُ مِنْ مُوَاطَبَةٍ	لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
لَا بَلْ يَمْلِكُ ثُمَّ تَدْعُو بِأَسْمِهِ	فَيَقُولُ : هَاهُ وَطَالَمَا ^(٤) كَبِّي

فَقَالَ لَهَا : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! إِنَّ الْقَلْبَ إِذَا هَوِيَ نَطَقَ اللِّسَانُ بِمَا يَهْوَى .
 فَكَثَّ عِنْدَهَا شَهْرًا لَا يَدْرِي أَهْلُهُ أَيْنَ هُوَ ، ثُمَّ أَسْتَأْذَنَهَا فِي الْخُرُوجِ . فَقَالَتْ لَهُ :
 بَعْدَ أَنْ فَضَحْتَنِي ؛ لَا وَاللَّهِ لَا تَخْرُجْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَتَزَوَّجَنِي . ففَعَلَ وَتَزَوَّجَهَا . فَوَلَدَتْ
 مِنْهُ أَبْنَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : جُؤَانُ ، وَمَاتَتْ عِنْدَهُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « اسْتَحْيَيْتِ » . وَمَا أَثْبَتْنَا مِنَ الدِّيَوَانِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فَرَدَّكُمْ » . مَكَانَ « فَكَانَ لَكُمْ » . وَمَا أَثْبَتْنَا مِنَ الدِّيَوَانِ .

(٣) الْخُطْبُ : الْخَاطِبُ . (٤) هَاهُ : كَلِمَةٌ وَعِيدٌ ، حَرَكَةُ لُضْرُورَةِ الشَّعْرِ .

هو ولادة امرأة
الوليد بن عتبة
في الطواف

وذكر أن عمر بن أبي ربيعة رأى لبابة بنت عبد الله بن العباس ، زوجة
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، تطوف بالبيت ، فرأى أحسن خلق الله ، فكاد
عقله يذهب ، وسأل عنها فأخبر بنسبها ، فشبب بها وقال فيها :

ودّع لبابة قبل أن تترحّلا وأسأل فإن قلّله ^(١) أن تسألا
إلبث بعمرك ساعة وتأنّها فلعلّ ما بخلت به أن يبذلا
قال ائتمِرْ ما شئت غير مخالفٍ فيما هويت فإننا لن نعجلا
لسنا نبالي حين نقضى حاجةً ما بات أو ظلّ المطيّ مُعقلا
حتى إذا ما الليلُ جنّ ظلامه ونظرت غفلة حارسٍ أن يغفلا
خرجت تاطرُ في الثّياب كأنها أيّمّ يسيب على كثيب ^(٢) أهيلا
رحبت حين رأيتها فتبسّمت لتحيتي لما رأتنى مُقبلا
وجلا القناع سحابة مشهورة غراء تعشي الطرف أن يتأملا
فلبثت أرقبها بما لو عاقل ^(٣) يرقى به ما أسطاع ألا ينزلا

أبياته التي فيها
الغناء

وأبيات عمر بن أبي ربيعة التي فيها الغناء ، وذكر أبو الفرج بعدها
أخبار عمر ، هي :

تشكى الكُميتُ الجري لما جهده وبين لو يستطيع أن يتكلّمّا
لذلك أدنى دون خيلى مكانه وأوصى به ألا يهان ويكرما
فقلت له إن ألق للعين قرّة فهان على أن تكلّ وتسأما
عَدِمْتُ إذا وفري وفارقت مُهجتي لئن لم أقلّ قرنا ^(٤) إن الله سلما

(١) قلّله : قليله .

(٢) تاطر ، أى تتأطر ، بمعنى تتثنى . والأيم : الحية . ويسيب : يمضى فى خفة . والكثيب :

الرمل اجتمع واحدودب . (٣) العاقل : الممتنع فى الجبل .

(٤) الوفى : الكثير الواسع من المال والمتاع . ولم أقل : من القيلولة . وقرنا : يريد قرن

المنازل ، وهو مكان . أى : لئن لم أقل فيه .

شيء عن العبلات

وهذه الأبيات يقولها عمر في الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهم الذين يقال لهم العبلات ، سُموا بذلك لجدّة لهم يقال لها : عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل — وقيل خاذل ، بالذال — ابن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهي من بطن من تميم يقال لهم : البراجم .

قيل : كانت عبلة هذه عند رجل من بني جشم بن معاوية ، فبعثها بأثحاء^(١) سمن تبيعها له بعكاظ . فباعت السمن وراحتين كان عليهما . وشربت بثمرها الخمر . فلما نفدت ثمنها رهنّت ابن أخيه وهربت . فطلّقها زوجها . وقالت في شربها الخمر :

شربتُ براحتي محجنٍ فيا ويلتي محجنٍ قاتلي
وبابن أخيه على لذةٍ ولم أحتفلْ عدل العاذل

فتزوجها عبد شمس بن عبد مناف ، فولدت له أمية الأصغر ، وعبد أمية ، ونوفلاً ، وهم العبلات .

عمر والثريا

قيل : كان عمر بن أبي ربيعة مسهباً^(٢) بالثريا بنت علي الأموية هذه ، وكانت عرضة ذلك جمالاً وتامماً^(٣) ، وكانت تصيف بالطائف ، وكان عمر يغدو عليها كل غداة ، إذا كانت بالطائف ، على فرسه ، فيسائل الرُكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قبلهم . فلقى يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم . فقال : ما استطرّفنا خبراً^(٤) ، إلا أتى سمعتُ عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قریش ، اسمها اسم نجم في السماء ، وقد سقط عني اسمه . فقال عمر : الثريا ؟

(١) الانحاء : جمع نحى ، وهو الزق ، وما كان للسمن خاصة .

(٢) المسهب : من أسقمه الحب وأذهب عقله .

(٣) أى أهلاً لأن يشغف بها لجمالها وتاممها . (٤) أى لم نقع على طريف نحدثك به .

قال : نعم . وقد كان بلغ عمرَ قبل ذلك أنها عَليلة ، فوجَّه فرسَه على وجْهه إلى الطائف ، يركضُه مِلءَ فرُوجه ^(١) ، وسلَّك طريقَ كدَاء ^(٢) ، وهو أخشن الطُّرق وأقربُها ، حتى انتهى إلى الثُّريَّا ، وقد توقَّعتُه ، وهى تتشوّف له وتتشوّق . فوجدَها سليمةً ومعها أختاها : رُضيّا وأمُّ عُثمان ، فأخبرها الخبر . فضحكت وقالت : أنا والله أمرتهم لأختبر مالى فى نفسك . فقال عمر فى ذلك :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجُرَى لما جَهدُته وَبَيْنَ لو يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ
الآيات المذكورة .

وقال مَسْلَمَةُ بن إبراهيم : قلت لأَيُّوب بن مَسْلَمَةَ : أكانت الثُّريا كما يصف عمر بن أبى ربيعة ؟ فقال : وفوق الصُّمَّة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قَيْس :

حَبَّذا الحَجُّ والثُّريَّا وَمَنْ بَأْ خَيْفٌ مِنْ أَهْلِهَا وَمُلَقَى الرَّحَالِ
يَاسَلِيانُ إِنْ تُلَاقِ الثُّريَّا تَلَقَّ عَيْشَ الْخُلُودِ قَبْلَ ^(٣) الْهَلَالِ
دُرَّةً مِنْ عَقَائِلِ الْبَحْرِ بِكُرٍّ لَمْ تَشِنْهَا مَشَاقِبُ اللَّالِ
تَعْقِدُ الْمُنَزَرَ السُّخَامَ مِنَ الْخَمْرِ عَلَى حَقْوِ بَادِنٍ ^(٤) مِكْسَالِ

وذُكر أن رجلاً من بنى جُمَحٍ وُلدت له بِنْتُ ، فكانت جاريةً لم يولد مثلُها بالحجاز حُسناً . فقال أبوها : كَأَنِّى بها وقد كَبُرَتْ فَنَسَبَ بها عمرُ بن أبى ربيعة وفَضَحَها ونَوَّهَ بِاسْمِهَا ، كما فَعَلَ بِنِساءِ قُرَيْشٍ ، والله لا أَقْتُمُ بِمَكَّةَ . فباعَ ضَيْعَةً له بالطائف ومكة ورحل بابنته إلى البصرة وأقام بها ، وأبتاعَ هُنَاكَ ضَيْعَةً . ونشأت ابنتُه من أَجْمَلِ نِساءِ أَهْلِ زَمَانِهَا . ومات أبوها فلم تر أحداً من بنى جُمَحٍ حَضَرَ

(١) الفروج : ما بين قوائم الفرس . كناية عن شدة العدو .

(٢) كدَاء : جبل بأعلى مكة .

(٣) يريد بالهلال : الدفعة من المطر : أى إن تلقى الثريا يخضب عيشك قبل أوان الخصب .

(٤) السخام : اللين . والحقو : معقد الإزار .

هو وجارية من
بنى جُمَحٍ

جَنَازَتَهُ، وَلَا وَجَدْتُ لَهَا مُسْعِداً وَلَا عَلَيْهَا دَاحِلاً. فَقَالَتْ لِدَايَةَ^(١) لَهَا سُودَاءُ : مَنْ
 نَحْنُ ؟ وَمِنْ أَىِّ الْبِلَادِ نَحْنُ ؟ فَخَبَّرَتْهَا . فَقَالَتْ : لَا جَرَمَ ، وَاللَّهِ لَا أَقْمْتُ فِي هَذَا
 الْبَلَدِ الَّذِي أَنَا فِيهِ غَرِيبَةٌ . فَبَاعَتِ الضَّيْعَةَ وَالْدارَ وَخَرَجَتْ فِي أَيَّامِ الْحَجِّ . وَكَانَ
 عُمَرُ يَقْدَمُ فَيَعْتَمِرُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَيُحِلُّ، وَيَلْبَسُ الْحُلَّ وَالْوَشْيَ، وَيَرْكَبُ النَّجَائِبَ
 الْمَخْضُوبَةَ بِالْحِنَاءِ ، عَلَيْهَا الْقُطُوعُ^(٢) وَالْدِّيَابِجُ ، وَيُسَبِّلُ لِمَتِّهِ . وَيَتَلَقَّى الْعِرَاقِيَّاتِ
 فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَاتِ عِرْقٍ مُحَرِّمَاتٍ ، وَيَتَلَقَّى الْمَدَنِيَّاتِ [إِلَى مَرٍّ] ، وَيَتَلَقَّى الشَّامِيَّاتِ
 إِلَى الْكَدِيدِ . فَخَرَجَ يَوْمًا لِلْعِرَاقِيَّاتِ ، فَإِذَا قُبَّةٌ مَكْشُوفَةٌ فِيهَا جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا الْقَمَرُ ،
 تُعَادِلُهَا جَارِيَةٌ سُودَاءُ كَالسَّبَّجَةِ^(٣) . فَقَالَ لِلسُّودَاءِ : مَنْ أَيْنَ أَنْتِ يَا خَالَةٌ ؟ فَقَالَتْ :
 أَطَالَ اللَّهُ تَعَبَكَ ، إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ هَذَا الْعَالَمَ مِنْهُمْ وَمِنْ أَيْنَ هُمْ ! قَالَ : فَأَخْبِرِينِي
 عَسَى أَنْ يَكُونَ لَكَ شَأْنٌ . قَالَتْ : نَحْنُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَمَّا الْأَصْلُ وَالْمَنْشَأُ
 فَمَكَّةُ ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى الْأَصْلِ وَدَخَلْنَا إِلَى بَلَدِنَا . فَضَحِكَ . فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى سَوَادِ
 ثَنِيَّتَيْهِ قَالَتْ : قَدْ عَرَفْنَاكَ . قَالَ : وَمَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ : عُمَرُ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ . قَالَ :
 وَبِمَا عَرَفْتَنِي ؟ قَالَتْ : بِسَوَادِ ثَنِيَّتَيْكَ وَبِهَيْئَتِكَ الَّتِي لَيْسَتْ إِلَّا لِقْرِيشَ .
 فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحَبَالِ رَهِينًا	مُقْصِداً يَوْمَ فَارِقَ الظَّاعِنِينَ
قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ	أُمُبِدُّ سَوَّالِكُ ^(٤) الْعَالَمِينَ
نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا	قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَزْ	تَ عَسَى أَنْ يَجُرَّ شَأْنُ شُؤْنَا
وَنَرَى أَنَّنا عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْ	تَ بَظَنٍّ وَمَا قَتَلْنَا يَقِينَا

(١) الداية : الممرضع ، وقد تلازم الطفلة حتى تشب .

(٢) هي ما يجعلها الراكب تحته . (٣) السبجة : الخرزة السوداء .

(٤) أمبد : أى أمقسم سؤالك على الناس واحداً واحداً حتى تعمهم .

بَسَّوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ وَنَعَتٍ قَدْ نَرَاهُ لِنَظِيرِ مُسْتَبِينَا
فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ بِهَا حَتَّى تَزَوَّجَهَا . فَوَلَدَتْ لَهُ .

هو ورملة
الخرزاعية

وقد قيل : إنَّ عُمَرَ قال هذا الشعر في رَمْلَةٍ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخَزَاعِيَّةِ ،
أَخْتِ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ، لما حَجَّتْ إِلَى مَكَّةَ . وكانت رَمْلَةٌ هَذِهِ جَهْمَةُ الْوَجْهِ عَظِيمَةُ
الْأَنْفِ حَسَنَةُ الْجِسْمِ . فَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ ، وَتَزَوَّجَ
عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا . فَقَالَ يَوْمًا لِعَائِشَةَ : فَعَلْتُ فِي مُحَارَبَةِ
الْخَوَارِجِ مَعَ أَبِي فُذَيْكٍ كَذَا ، وَصَنَعْتُ كَذَا ، يَذْكُرُ لَهَا شَجَاعَتَهُ وَإِقْدَامَهُ . فَقَالَتْ
لَهُ عَائِشَةُ : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَشْجَعُ النَّاسِ ! وَأَعْرِفُ لَكَ يَوْمًا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي
ذَكَرْتَهُ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَتْ : يَوْمَ أَجْتَلَيْتَ رَمْلَةً وَأَقْدَمْتَ عَلَى وَجْهِهَا وَأَنْفِهَا .

وقال عمر بن أبي ربيعة في رَمْلَةٍ :

قُمْ تَأَمَّلْ وَأَنْتِ أَبْصُرُ مَنِّي هل تَرَى بِالْغَمِيمِ ^(١) مِنْ أَجْمَالِ
قَاضِيَاتِ لُبَانَةٍ مِنْ مُنَاخِ وَطَوَافٍ وَمَوْقِفٍ ^(٢) بِالْخِيَالِ
ومنها :

فَسَقَى اللَّهُ مُنْتَوَى أُمِّ عَمْرٍو حَيْثُ أَمَّتْ بِهَا صُدُورُ الرِّحَالِ
حَبْدًا هُنَّ مِنْ لُبَانَةٍ قَلْبِي وَجَدِيدُ الشَّبَابِ مِنْ سِرْبَالِي
رُبَّ يَوْمٍ أَتَيْتُهُنَّ جَمِيعًا عِنْدَ بَيْضَاءِ رَخْصَةٍ مِكَسَالِ
غَيْرَ أَنِّي أُمْرُؤُ تَعَمَّمْتُ حِلْمًا يَكْرَهُ الْجَهْلَ وَالصَّبَا أَمْثَالِي

وَذَكَرَ أَنَّ أُمَّ نُوْفَلَ ، وَهِيَ أُمُّ وَلَدِ [عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ] أَبِي الثَّرِيَّا ، أَنْشَدَتْ
الثَّرِيَّا قَوْلَ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِبَالِ رَهِينًا مُقْصَدًا يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ
فَقَالَتْ : إِنَّهُ لَوْ قَاحَ صَنَعٌ ^(٣) بِلِسَانِهِ ، وَلَوْ أَنَّ سَكِمْتُ لَهُ لِأَرْدَنٍّ مِنْ شَأْوِهِ ،
وَلَا ثَنِينَ مِنْ عِنَانِهِ ، وَلَا عَرَفَنَّهُ نَفْسَهُ . فَلَمَّا بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِهِ :

(١) الغميم : موضع قرب المدينة . (٢) الخيال : أرض لبني تغلب . (٣) الصنع : الخاذق .

أم نوفل والثريا
في شعره

نحن من ساكني العراق وكُنَّا قبله ساكنين مكة حيناً
قالت : غمرته الجَهْمَةُ . فلما بلغت إلى قوله :

قد صدَقْنَاكَ إذ سألت فمن أذن عسى أن يجرَّ شأنُ شؤُونَا
قالت : رَمَتْهُ الْوَرْهَاءُ ^(١) بآخر ما عندها في حال واحدة ، وهجرتُ عُمر .
وقيل : إنه لما بلغ الثريا قوله :

الثريا وقد بلغها
شعر له في رملة

وجَلَا بُرْدُهَا وقد حَسَرْتَهُ نُورَ بَدْرِ يُضِيءُ لِلنَّاظِرِينَ
قالت : أَفَّ لَهُ ! مَا أَكْذَبَهُ ! لن ترتفع حسناء بصفته لها بعد رَمَلَةٍ .
قيل : لما صرمتُ الثريا عمر بن أبي ربيعة ، قال فيها :

ابن أبي عتيق بين
الثريا وعمر

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا فَإِنِّي ضِيقْتُ ذَرْعًا بِهِ جَرَّهَا وَالْكِتَابِ
سَلَبْتَنِي مَجَاجَةً الْمِسْكَ ^(٢) عَقْلِي فَسَلُّوْهَا مَاذَا أَحَلَّ اغْتِصَابِي
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَّرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قَلْتُ ^(٣) بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ
ولما بلغ ابن أبي عتيق قوله :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا فَإِنِّي ضِيقْتُ ذَرْعًا بِهِ جَرَّهَا وَالْكِتَابِ

قال : إِيَّاي أَرَادَ ، وَبِي نَوَّهَ ، لَا جَرَمَ ، وَاللَّهِ لَا أَذُوقُ أَكْلًا ^(٤) حَتَّى أَشْخَصَ
فَأُصْلِحَ بَيْنَهُمَا . قَالَ بِلَالٌ ، مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ : فَتَهَضَّ وَتَهَضَّتْ مَعَهُ ، فَجَاءَ إِلَى
قَوْمٍ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرٍ ، لَمْ تَكُنْ تُفَارِقُهُمْ نَجَائِبَ لَهْمِ فُرَّةٍ ^(٥) يُكْرُؤْنَهَا ،

(١) الورهاء : الحمقاء . (٢) مجاجة : أى إن ريقها طيب كالْمِسْكِ .

(٣) بهراً : جمّاً . وقيل : عجباً .

(٤) الأكل : ما يؤكل .

(٥) فرة : من جموع فاره ، وهى الدابة النشيطة القوية .

فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم . فقلت له : أَسْتَوْضِعُهُمْ ، أَوْ دَعْنِي أَمَا كِسْهُمْ فَقَدْ
أَشْتَطُوا عَلَيْكَ . فقال : ويحك ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمِكَّاسَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ !
ثم ركب إحداها وركبت الأخرى ، فسار سيرا شديداً . فقلت : أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ ،
فَإِنَّ مَا تُرِيدُ لَا يَفُوتُكَ . فقال : ويحك !

* أَبَادِرُ حَبْلُ الْوُدِّ أَنْ يَتَقَضَّبَا *

وما حلاوة الدنيا إن تمَّ الصَّدْعُ بين عمر وبين الثريا .

فقد منامكة ليلاً غير مُحْرَمِينَ . فدقَّ على عُمرَ بابه . فخرج إليه وسلم عليه ، ولم ينزل
عن راحلته . فقال له : اركب أصلح بينك وبين الثريا ، فَإِنِّي رَسُولُكَ الَّذِي سَأَلْتَ
عنه . فركب معه ، وَقَدِمْنَا الطَّائِفَ . وقد كان عُمر رَاضِيَّ أُمِّ نَوْفَلٍ ، فكانت
تَطْلُبُ له الحيلة لإصلاحها ولا يُمكنها . فقال ابنُ أَبِي عَتِيقٍ للثريا : هذا عمر قد
جَشَمَنِي السَّفَرُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَيْكَ ، فَجِئْتُكَ بِهِ مُعْتَرِفاً لَكَ بِذَنْبٍ لَمْ يَجْنِهِ ، مُعْتَذِراً إِلَيْكَ
مِنْ إِسَاءَتِهِ إِلَيْكَ ، فَدَعِينِي مِنَ التَّعْدَادِ وَالتَّرْدَادِ ، فَإِنَّهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ . فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله . وكرَّرْنَا إِلَى مَكَّةَ ^(١) ، فلم
ينزلها ابنُ أَبِي عَتِيقٍ حَتَّى رَحَلَ . وزاد عُمر في أبياته :

أَزْهَقْتُ أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَّيْتُهَا مُهْجَتِي مَا لَقَاتَنِي مِنْ ^(٢) مَتَابِ
حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي فَقَالَتْ مَنْ دَعَانِي قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ
فَأَسْتَجَابْتُ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَبَّى رَجَالُ بَيْرُجُونٍ حُسْنَ الثَّوَابِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْمَدِينَةُ » .

(٢) أَزْهَقْتُ : أَبْطَلْتُ وَأَذْهَبْتُ . يُرِيدُ : أَذْهَبْتُ أُمَّ نَوْفَلٍ نَفْسِي إِذْ دَعَتِ الثَّرِيَا لَوْصَالِي

فَلَمْ تَجِبْهَا .

وسُئِلَ عُمَرُ عَنْ قَوْلِهِ :

« ... كَمَا لَبَّى رَجَالٌ يَرْجُونَ حَسَنَ الثَّوَابِ »

قال : كَرَّرْتُ فِي التَّلْبِيَةِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُحْرَمُ ، فَقَالَتْ : لَبَّيْكَ ! لَبَّيْكَ !
وقيل : كَانَتْ الثَّرِيَا تَصُبُّ عَلَيْهَا جَرَّةٌ مَاءٍ وَهِيَ قَائِمَةٌ ، وَلَا يُصِيبُ ظَاهِرَ أَخَذِهَا
منه شيء ، مِنْ عِظَمِ عَجِيزَتِهَا .

وَابْنُ أَبِي عَتِيقٍ ، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ [بَنِ مُحَمَّدٍ] بَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، فَلَمَّا
اسْتَلْقَى قَالَ : أَوْه ! وَأَنْشَدَ :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا فَإِنِّي ضَعْتُ ذَرْعًا بِهِ جَرَّهَا وَالْكِتَابِ

فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : كُلُّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ بَلَغَهَا ذَلِكَ غَيْرِي . فَخَرَجَ حَتَّى
إِذَا كَانَ بِالْمَصَلِيِّ مَرًّا بِنُصَيْبٍ وَهُوَ وَاقِفٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . قَالَ : لَبَّيْكَ !
قَالَ : أَتُودِعُ إِلَى سَلَمَى شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : تَقُولُ لَهَا
يَا بَنَ الصَّدِيقِ : إِنَّكَ مَرَرْتَ بِي فَقُلْتَ لِي : أَتُودِعُ إِلَيْهَا شَيْئًا ؟ فَقُلْتَ :

أَتَصْبِرُ عَنْ سَلَمَى وَأَنْتَ صَبُورٌ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الْعَزْمِ مِنْكَ جَدِيرٌ
وَكِدْتُ وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنَا بَارِقٍ نَحْوَ الْحِجَارِ أَطِيرُ

قال : فَمَرَّ بِسَلَمَى وَهِيَ بَقْرِيَّةٌ يُقَالُ لَهَا « الْقَسْرِيَّة » فَأَبْلَغَهَا الرِّسَالَةَ ، فَزَفَرَتْ
زَفَرَةً كَادَتْ تَفَرِّقُ بَيْنَ أَضْلَاعِهَا . فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : كُلُّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ لَمْ
يَكُنْ جَوَابُكَ أَحْسَنَ مِنْ رِسَالَتِهِ ، وَلَوْ سَمِعْتَكَ الْآنَ لَنَعَقَ وَصَارَ غُرَابًا . ثُمَّ صَارَ
إِلَى الثَّرِيَّا وَأَبْلَغَ الْكِتَابَ . فَقَالَتْ لَهُ : أَمَّا وَجَدَ رَسُولًا أَصْغَرَ مِنْكَ ! أَنْزَلَ فَأَرَحَ .
فَقَالَ : لَسْتُ إِذْنُ بِرَسُولٍ . وَسَأَلَهَا أَنْ تَرْضَى عَنْهُ . فَفَعَلَتْ .

غناء ابن عائشة
في مجلس الحسن
بشعر عمر

وقيل : أجمع ابن عائشة، ويونس، ومالك، عند الحسن بن الحسن بن عليّ ابن أبي طالب عليهم السلام . فقال الحسن لأبن عائشة : غنّني : « من رسولٍ إلى الثريا » . فسكت عنه فلم يُجبه . فقال له الحسن : مالك ! ويحك ! أباك خبال ؟ كان والله ابن أبي عتيق أجود منك بما عنده ، فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة : أنا رسولك إليها . فمضى نحو الثريا حتى أدّى رسالته ، وأنت معنا في المجلس تبخل أن تغنيّه لنا ! فقال له : لم أذهب حيث ظننت ، إنما كنت أتحير أيّ الصّوتين أغني ، أقوله :

من رسولٍ إلى الثريا فإني ضيقتُ ذرعاً بهجرها والكتاب
أم قوله :

من رسولٍ إلى الثريا فإني ضاقتُ بهمهم واعتزنتي الغموم
يعلم الله أنني مُستهامٌ بهواكم وأنني مرّحوم
فقال الحسن : أسأنا بك الظنّ أبا جعفر ، غنّ بهما جميعاً . فغنّاهما . فقال له الحسن : لولا أنك تغضب إذا قلنا : أحسنت ! لقلنا لك : أحسنت والله ! قال : فلم يزل يردّها بقيّة يومه .

زواج الثريا
وشعر عمر

قيل : وتزوَّج سُهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا . وقيل : بل تزوّجها سُهيل بن عبد الرحمن بن عوف . ورجح أبو الفرج الأول . وفي ذلك يقول مُعمر :

أيها المنكحُ الثريا سُهيلاً عَمَرَكَ اللهُ كيف يَلْتَقِيَانِ
هي شاميةٌ إذا ما أَسْتَقَلَّتْ (١) وسُهيلٌ إذا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

وأول هذه القصيدة :

أيها الطارقُ الذي قد عَنَانِي بعد ما نَامَ سامرُ الرُّكبانِ
زار من نازحٍ بغير دَلِيلٍ يَتَخَطَّى إِلَى حَتَّى أَتَانِي

(١) استقلت : ارتفعت .

وقيل : إنه كتب إليها بعد أن تزوجت :

كُتِبَتْ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدِي كِتَابَ مُوَلَّهِ كَمِدٍ
كُتِبَ وَاكْفِ الْعَيْنَيْنِ بِالْحَسَرَاتِ مُنْفَرِدٍ
يُورِّقُهُ لَهيبُ الشَّو قِ بَيْنَ السَّحَرِ وَالْكَبِدِ
فِيْمَسْكُ قَلْبِهِ يَدٍ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ يَدٍ
وكتبه في قُوْهِيَّة^(١) وشنْفَه^(٢) وبعث به إليها . فلمَّا قرأته بكت
بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ تَمَثَّلَتْ :

بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظْ اللَّهَ ضَاعُ
وكتبت إليه :

أَتَانِي كِتَابٌ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ أَمِدَّ بِكَافُورٍ وَمِسْكٍ وَعَنْهٍ
وَقَرِطَاسُهُ قُوْهِيَّةٌ وَرِبَاطُهُ بَعْدَ مِنَ الْيَاقُوتِ صَافٍ وَجَوْهَرٍ
وَفِي صَدْرِهِ مِنِّي إِلَيْكَ تَحِيَّةٌ لَقَدْ طَالَ تَهْنِئَتِي بِكُمْ وَتَذَكُّرِي
وَعُنْوَانُهُ مِنْ مُسْتَهَامٍ فَوَادُهُ إِلَى هَائِمٍ صَبٍّ مِنَ الْحُزْنِ مُسْعَرٍ
وقيل : ثم توفي عنها سُهَيْلٌ أَوْ طَلَّقَهَا : فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن
مروان ، وهو خليفة بدمشق ، في دَيْنٍ عَلَيْهَا . فبينما هي عند أُمِّ الْبَنَيْنِ بِنْتِ
عبد العزيز بن مروان ، إذ دخل عليها الوليدُ ، فقال : مَنْ هَذِهِ ؟ قالت : الثَّريَّا ،
جاءتني أطلب إليك قضاء دَيْنٍ عَلَيْهَا وَحَوَائِجَ لَهَا . فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا الْوَلِيدُ فَقَالَ : أَتَرْوِينَ
مِنْ شَعْرِ عُمَرَ شَيْئًا ؟ فقالت : نعم ، أَمَا إِنَّهُ يَرْحِمُهُ اللَّهُ كَانَ عَفِيفًا ، عَفِيفَ الشَّعْرِ ،
أَرَوِي قَوْلَهُ :

عبد الملك والثريا
بعد موت سهيل

مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبُلَيْنِ لَوْ بَيَّـنَ رَجَعَ السَّلَامُ أَوْ لَوْ أَجَابَا
فَإِلَى قَصْرِ ذِي الْعُشَيْرَةِ فَالْصَا ثِفَ أَمْسَى مِنَ الْأَنْسِ يَبَابَا

(١) قوهية . نسبة إلى قوهستان . (٢) شنفه : جعل له رباطاً .

وبما قد أرى به حَيَّ صِدْقٍ ظَاهِرِي العِشْرِ نِعْمَةً وَشَبَاباً
إِذْ فُؤَادِي يَهْوِي الرَّبَابَ وَأَتِي الدَّهْرَ حَتَّى الْمَمَاتِ أَنْسَى الرَّبَابَا
وَحِسَانًا جَوَارِيًا خَفِرَاتٍ حَافِظَاتٍ عِنْدَ الْهَوَى الْأَحْسَابَا
لَا يُكْتَرَنُ فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَتَّبَعْنَ يَنْعَقِنُ بِالْبِهَامِ ^(١) الظَّرَابَا
فَقَضَى حَوَائِجَهَا ، وَأُنْصَرَفَتْ بِمَا أَرَادَتْ مِنْهُ .

فلما خلا الوليدُ بأم البنين قال : لله دَرُّ الثَّريَّا ! هل تَدْرِينَ ماذا أَرَادَتْ
بِإِنْشَادِهَا مَا أَنْشَدْتَنِي مِنْ شِعْرِ عُمَرَ ؟ قَالَتْ : لَا . قَالَ : إِنِّي لَمَّا عَرَّضْتُ لَهَا بِهِ
عَرَّضْتُ لِي بَأَنَّ أُعْجِي أَعْرَابِيَّةً .

وَأُمُّ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانُ : وَلَادَةُ بِنْتُ الْعَبَّاسِ بْنِ جُزَى بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرِ
ابْنِ جَذِيمةِ الْعَبْسِيِّ .

هو والثريا بعد
زواجها

وقيل : لما تزوج سُهَيْلُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالثَّريَّا وَنَقَلَهَا إِلَى الشَّامِ ، بَلَغَ عُمَرَ
ابْنُ أَبِي رِبْعَةَ الْخَبْرُ ، فَوَجَدَهَا قَدْ رَحَلَتْ يَوْمئِذٍ ، فَخَرَجَ فِي إِثْرِهَا فَلَحِقَهَا عَلَى
مَرَّحَلَتَيْنِ . وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ مُهَاجِرَتَهُ لِأَمْرِ أَنْكَرْتَهُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَدْرَكَهُمْ نَزَلَ عَنْ
فَرَسِهِ وَدَفَعَهُ إِلَى غُلَامِهِ ، وَمَشَى مُتَتَكِّراً حَتَّى مَرَّ بِالْخِيْمَةِ الَّتِي فِيهَا الثَّريَّا ، فَعَرَفْتَهُ
وَأَثْبَتَتْ حَرَكَتَهُ وَمِشْيَتَهُ ، فَقَالَتْ لِحَاضَتِهَا : كَلِّمِيهِ . فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَسَلَّمَتْهُ عَنْ حَالِهِ ،
وَعَاتَبَتْهُ عَلَى مَا بَلَغَ الثَّريَّا عَنْهُ . فَاعْتَذَرَ وَبَكَى . فَبَكَتِ الثَّريَّا وَقَالَتْ : لَيْسَ هَذَا وَقْتُ
الْعِتَابِ مَعَ وَشَكِّ الرَّحِيلِ . فحَادِثَهَا إِلَى وَقْتِ طُلُوعِ الْفَجْرِ . ثُمَّ ودَّعَهَا ، وَبَكَيَا
طَوِيلًا . وَقَامَ فَرَكَبَ فَرَسَهُ ، وَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَرْحَلُونَ ، وَأَتْبَعَهُمْ بَصَرَهُ حَتَّى
غَابُوا . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

(١) النعيق : دعاء الراعي للشاء . والبهائم : الصغار من أولاد الضأن والمعز والبقر والوحش

وغيرها . والظراب : الروابي الصغار .

يا صاحبي قِفَا نَسْتَخْبِرِ الطَّلَلَا
 فقال لي الرَّبْعُ لِمَا أَن وَقَفْتُ بِهِ
 لما وَقَفْنَا نُحْيِيهِمْ وَقَدْ صَرَحْتُ
 صَدَّتْ بَعَاداً وَقَالَتْ لَلَّتِي مَعَهَا
 وَحَدَّثِيهِ بِمَا حَدَّثْتُ وَاسْتَمَعِي
 وَإِنَّ عَهْدِي بِهِ وَاللَّهُ يَحْفَظُهُ
 قُلْتُ اسْمَعِي فَلَقَدْ أَبْلَغْتُ فِي لَطْفِ
 هَذَا أَرَادَتْ بِهِ بُخْلًا لِأَعْذِرَهَا
 مَا سُمِّي الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ
 مَا إِنْ أَطَعْتُ بِهَا بِالْغَيْبِ قَدْ عَلِمْتُ
 إِنِّي لِأَرْجِعُهُ فِيهَا بِسَخَطَتِهِ
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

وقيل إنَّ عمر بن أبي ربيعةَ نظر في الطَّوَّافِ إلى أُمْرَأَةٍ شَرِيفَةٍ . فرأى أحسنَ
 النَّاسِ صُورَةً ، فذهب عقله عليها ، وكلَّها فلم تُجِبْهُ . فقال فيها :

هو وامرأة شريفة
 رآها في الطواف

الرَّيْحُ تَسْحَبُ أَذْيَالًا وَتَنْشُرُهَا
 كَيْمَا تَجْرُ بِنَا ذِيلاً فَتَطْرَحُنَا
 أَنَّى يَقْرُبُكُمْ أَمْ كَيْفَ لِي بِكُمْ
 فَلَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى يَكُونُ بِهَا
 إِحْدَى بُنَيَّاتِ عَمِّي دُونَ مَنْزِلِهَا
 يَالَيْتَنِي كُنْتُ مِمَّنْ تَسْحَبُ الرِّيحُ
 عَلَى الَّتِي دُونَهَا مُغْبِرَةٌ^(١) سُوح
 هِيَّاتِ ذَلِكَ مَا أُمْسَتْ لَنَا رُوحُ
 بَلْ لَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى تَبَارِيحُ
 أَرْضُ بَقِيعَانِهَا الْقَيْصُومُ^(٢) وَالشَّيْحُ

(١) المغبرة ، الفلاة . والسوح : الساحات ، جمع ساحة .

(٢) القيصوم : نبت طيب الريح ، وكذلك الشَّيْحُ .

فبلغها شعره فجزعت منه . فقيل لها : اذكريه لزوجك ، فإنه سينكر عليه قوله . فقالت : كلا والله ، لا أشكوه إلا لله . ثم قالت : اللهم إن كان نوه بأسمى ظالماً ، فاجعله طعاماً للريح .

فضرب الدهر من ضربه ^(١) . ثم إنه غدا يوماً على فرس ، فهبت ريح فنزل فاستتر بقفلة ^(٢) ، فعصفت الريح ، فخدشه غصن منها ، فدمى وورم به . فمات من ذلك .

(١) أى مرت مدة من الدهر وقع فيها بعض حوادثه .

(٢) القفلة : واحدة القفل . وهو شجر يابس لا ينبت إلا بمنجاة من السيل .

أخبار ابن سريج

نسبه

هو عبِيد بن سُرَيْج . وَيُكْنَى أبا يحيى ، مَوْلى بنى نَوْفَل بن عبد مناف .
وقيل : مولى بنى الحارث بن عبد المطلب . وقيل : مولى بنى لَيْث . وقيل : مولى
بنى عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

شئ من وصفه

مسكنه مكة . وكان آدم أحمرَ ظاهرَ الدَّم سُنْطاً^(١) ، فى عَيْنَيْهِ قَبْلُ^(٢) .
وبلغ خَمْساً وثمانين سنة . وكان أ كثر ما يُرَى مُقَنَّعاً . وكان مُنْقَطِعاً إلى عبد الله
ابن جَعْفَر .

وقيل : كان مَخْنَثاً أَحولَ أَعْمَشَ ، يلقَّبُ : « وجه الباب » . وكان لا يُغْنَى
إِلَّا مُقَنَّعاً ، يُسَبِّلُ القِنَاعَ على وجهه . وكان أحسنَ النَّاسِ غِنَاءً . يُغْنَى مُرْتَجِلاً
ويوقعُ بقَضِيْبٍ . وَغَنَى فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه .

موته

ومات فى خلافة هشام بن عبد الملك .
وقيل : بل مات بعد قتل الوليد بن يزيد .
وقد قيل : إنَّ أباه كان تُرْكِيًّا .

وقيل : إنه كان يضرب بالعود . ومات بالجذام .

أول من ضرب
بالعود

وقيل : إنه أوَّل مَنْ ضرب بالعود على الغناء العربىِّ بمكة ، وذلك أنه رآه
مع العجم الذين أقدمهم أبْنُ الزُّبَيْرِ لبغاء الكعبة .
وأُمُّه مولاة لآل المطلب ، يقال لها : رائقة .

أمه

(١) السنط : الذى لا حية له ، أو هو الخفيف العارضين .

(٢) القبل فى العينين : إقبال إحدى الحلقتين على الأخرى .

وقيل : بل هي هند أخت رائقة ، فمن ثم قيل : إنه مولى بنى المطلب ابن حنطب .

وكان ابن سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع إلى الحكم بن المطلب ابن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، أحد بنى مخزوم . وكان من سادة قريش ووجوهها .

وقيل : أصل الغناء أربعة نفر : مكيان ومدنيان . والمكيان : ابن سريج وأبن محرز . والمدنيان : معبد ومالك .

وقال الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك : سألت إبراهيم الموصلي ليلة ، وقد أخذ منه النبيذ : من أحسن الناس غناء ؟ فقال لي : أمن الرجال أم من النساء ؟ قلت : من الرجال . قال : ابن محرز . قلت : فمن النساء ؟ قال : ابن سريج . ثم قال : ابن سريج كان كأنه خلق من كل قلب ، فهو يغنى له ما يشتهي .

وذكر أن سكينة بنت الحسين بن علي ، عليهما السلام ، بعثت إلى ابن سريج بمملوك لها يقال له : عبد الملك ، وأمرته أن يعلمه النياحة . فلم يزل يعلمه مدة طويلة . ثم توفي عمها أبو القاسم محمد بن الحنفية ، عليه السلام - وكان ابن سريج عليلًا علة صعبة ، فلم يقدر على النياحة - فقال لها عبد الملك : أنا أنوح لك نوحًا أنسيك به نوح ابن سريج . قالت : أو تحسن ذاك ؟ قال : نعم . فأمرته ، ففاح . فكان نوحه في الغاية من الجودة . وقال النساء : هذا نوح غريض . فلقب عبد الملك : الغريض . وأفاق ابن سريج من علته بعد أيام . وعرف خبر وفاة محمد ابن الحنفية ، فقال لهم : فمن ناح عليه ؟ قالوا : عبد الملك ، غلام سكينة . قال : فهل جاوز الناس نوحه ؟ قالوا : نعم ، وقدمه بعضهم عليك . فخلف ابن سريج ألا ينوح بعد ذلك اليوم ، وترك النوح ، وعدل إلى الغناء . فلم ينح حتى ماتت

من
النفر الذين هم
أصل الغناء

شهادة إبراهيم
الموصلي له

اشتغاله بالنياحة
ثم عدوله عنها

حَبَابَةٌ ، وكانت قد أخذت الغناء عنه وأحسنَت إليه ، فَنَاحَ عليها . ثم نَاحَ بعدها على يزيدَ بن عبد الملك ، ثم لم يَنُحْ بعده حتى هَلَكَ .

ولما عدَلَ ابنُ سُريج عن النَّوْحِ إلى الغناء ، عدَلَ معه الغريضُ إليه ، فكان لا يُغْنِي صَوْتًا إِلَّا عارضه فيه .

هو وعطاء بن
أبي رباح

وَذُكِرَ أَنَّ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رِبَاحٍ لَقِيَ ابْنَ سُريج ، بذى طُوًى ^(١) ، وعليه ثياب مُصَبَّغَةٌ ، وفي يده جَرَادَةٌ مَشْدُودَةٌ الرَّجْلُ بِخَيْطٍ ، يُطِيرُهَا وَيَجْذِبُهَا كَمَا تَخَلَّفَتْ . فقال له عطاء : يافَتَانِ ، أَلَا تَكْفَى عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ ! كَفَى اللَّهُ النَّاسَ مَمُونَتَكَ . فقال ابنُ سُريج : وما على الناس من أن تكون ثيابي مُلَوَّنَةً وَلَعِبِي بِجَرَادَتِي ؟ قال له : تَفْتَنُهُمْ أَغَانِيكَ الْخَبِيثَةُ . فقال له ابنُ سُريج : سَأَلْتُكَ بِحَقِّ مَنْ تَبَعْتَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكَ ، أَلَا سَمِعْتَ مِنِّي بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ ، فَإِنْ سَمِعْتَ مُنْكَرًا أَمَرْتَنِي بِالْإِمْسَاكِ عَمَّا أَنَا عَلَيْهِ . وَأَنَا أَقْسَمُ بِاللَّهِ وَبِحَقِّ هَذِهِ الْبَدِيعَةِ لَنْ أَمُرْتَنِي بَعْدَ اسْتِمَاعِكَ مِنِّي بِالْإِمْسَاكِ عَمَّا أَنَا عَلَيْهِ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ . فَأَطْمَعَ ذَلِكَ عَطَاءٌ فِي ابْنِ سُريج ، وقال : قُلْ . فاندفع يُغْنِي من شعر جرير :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غَادَرُوا وَشَلًّا بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا ^(٢)

غِيضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا ^(٣)

فلما سمعه اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أَرْيَحِيَّةٌ ، فَحَلَفَ أَلَّا يُكَلِّمَ أَحَدًا بَقِيَّةَ يَوْمِهِ إِلَّا بِهَذَا الشَّعْرِ ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام . فكان كلُّ مَنْ يَأْتِيهِ سَائِلًا عَنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ أَوْ خَبَرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ ، لَا يَجِيبُهُ إِلَّا بِأَنْ يَضْرِبَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَيُنْشِدهُ هَذَا الشَّعْرَ . ولم يُعَاوِذْ ابْنَ سُريج بعدها ولا تَعَرَّضَ لَهُ .

(١) ذُو طُوًى : موضع عند مكة .

(٢) الْوَشَلُ : الماء القليل والكثير ، وكذلك الدمع . والمراد هنا : الدمع الكثير . والمعين :

الجارى السائل على وجه الأرض . (٣) غِيضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ : أُرْسِلْنَ دُمُوعُهُنَّ حَتَّى نَزَفْنَهَا .

وذكر أنه لما قال عمر بن أبي ربيعة :

نظرتُ إليها بالمُحَصَّب من مِنى ولى نظراً لولا التَّحَرُّجُ عارِماً^(١)

هو وابن أبي ربيعة
ويزيد بن عبد الملك
في الحج

غنى فيه ابنُ سُرَيْج . وَحَجَّ يَزِيدُ بن عبد الملك في تلك السَّنة بالناس . وَخَرَجَ
عُمَرُ بن أبي ربيعةَ ومعه ابنُ سُرَيْجَ على نَجِيبَيْن ، رِحَالَتَاهُمَا^(٢) مُلْتَبَسَتَانِ بالدِّيَابِجِ ،
وَقَدْ خَضِبَا النَّجِيبَيْنِ وَلَبِيسَا حُلَّتَيْنِ . فَجَعَلَا يَتَلَقَّيَانِ الْحَاجَّ وَيَتَعَرَّضَانِ لِلنِّسَاءِ ، إِلَى
أَنْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ ، فَعَدَلَا إِلَى كَثِيبٍ مُشْرِفٍ وَالْقَمَرُ طَالَعٌ يُضِيءُ ، فَجَلَسَا عَلَى السَّكَنِيبِ .
وَقَالَ عُمَرُ بن أبي ربيعة لابن سُرَيْجَ : غَنَى صَوْتُكَ الْجَدِيدَ . فَاذْفَعْ يُغْنِيهِ ، فَلَمْ يَسْتَنْتَمِهِ
إِلَّا وَقَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى فَرَسٍ عَتِيقٍ . فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : أَيْمُكُنْكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ
أَنْ تَرُدَّ هَذَا الصَّوْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَنَعْمَةٌ^(٣) عَيْنٌ ، عَلَى أَنْ تَنْزِلَ وَتَجْلِسَ مَعَنَا . قَالَ :
أَنَا أَتَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَجَلَّتْ وَأَنْعَمْتَ أَعَدَّتْهُ ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ وَقُوفِي شَيْءٌ
وَلَا مَوُونَةٌ . فَأَعَادَهُ . فَقَالَ لَهُ : بِاللَّهِ أَنْتَ ابْنُ سُرَيْجٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : حَيَّاكَ اللَّهُ .
وَهَذَا عُمَرُ بن أبي ربيعة ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْخَطَّابِ . فَقَالَ لَهُ :
وَأَنْتَ حَيَّاكَ اللَّهُ ، قَدْ عَرَفْتَنَا فَعَرَّفْنَا نَفْسَكَ . قَالَ : لَا يُمَكِّنُنِي ذَلِكَ . فَغَضِبَ ابْنُ سُرَيْجَ
وَقَالَ : وَاللَّهِ ، لَوْ كُنْتُ يَزِيدُ بن عبد الملك لما زَادَ ! فَقَالَ لَهُ : أَنَا يَزِيدُ بن عبد الملك .
فَوَثَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بن أبي ربيعةَ فَأَعْظَمَهُ . وَنَزَلَ ابْنُ سُرَيْجَ إِلَيْهِ فَقَبَّلَ رِكَابَهُ . فَتَزَعَّ
حُلَّتَهُ وَخَاتَمَهُ ، فَدَفَعَهُمَا إِلَيْهِ . وَمَضَى يَرْكُضُ حَتَّى لَحِقَ ثَقَلَهُ . فَجَاءَ بِهِمَا ابْنُ سُرَيْجَ
إِلَى عُمَرَ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُمَا وَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَيْنِ بَكَ أَشْبَهَ مِنْهُمَا بِي . فَأَعْطَاهُ عُمَرُ ثَلَاثَةَ

(١) عارم ، أى خبيث شرير ، ينظر إلى غير حل .

(٢) الرحالة : سرج من جلود لاختب فيه ، يتخذ للركض الشديد ، يكون للخيل والنجايب

من الإبل .

(٣) نعمة عين ، مثلثة النون ، أى أفعل ذلك كرامة لك وإنعاماً لعينك .

دينار وغدا فيهما إلى المسجد . فعرفهما الناس ، وجعلوا يتعجبون ويقولون : كأنهما والله حلة يزيد بن عبد الملك وخاتمه ! ثم يسألون عمرَ عنهما ، فيخبرهم أن يزيد ابن عبد الملك كساه ذلك .

وذَكَرَ عبدُ الرحمن بن إبراهيم الحزومي قال :

غناؤه والغريض
عند ابن أبي رباح

أرسلتني أُمِّي ، وأنا غلام ، أسأل عطاء بن أبي رباح عن مسألة ، فوجدته في دار يُقال لها دار المُعلَى ، وعليه ملحفة مُعَصْفَرَةٌ ، وهو جالس على منبر ، وقد خُتِنَ ابنُه والطَّعامُ يوضع بين يديه ، وهو يأمر به أن يفرَّق في الخلق . فلهوتُ مع الصَّبَّيانِ ألعب بالجوز ، حتى أكل القومُ وتفرَّقوا . وبقي مع عطاء خاصَّته ، فقالوا : يا أبا محمد ، لو أذِنْتَ لنا فأرسلنا إلى الغريض وأبن سُريج ؟ قال : ما شِئْتُم . فأرسلوا إليهما . فلما أتيا قاموا معهما ، وثبت عطاء في مجلسه فلم يدخل ، فدخلوا بهما بيتاً في الدار ، فتغنيا وأنا أسمع . فبدأ ابنُ سُريج فنقر بالدَّفِّ وتغنَّى بشعر كثير :

لَلْيَلَى وَجَارَاتٍ لَلْيَلَى كَأَنَّهَا نِعَاجُ الْمَلَا تُحْدِي بِهِنَّ الْأَبَاعِرُ
أُمْنَقَطِعْ يَا عَزَّ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَشَاجِرُنِي يَا عَزُّ فَيْكِ (١) الشَّوَاغِرُ
إِذَا قِيلَ هَذَا بَيْتُ عَزَّةَ قَادَنِي إِلَيْهِ الْهَوَى وَاسْتَعْجَلْتَنِي الْبَوَادِرُ
أُصَدِّ وَبِي مِثْلُ الْجُنُونِ لَكِي يَرَى رُؤَاةَ الْخَلَا أَنِّي لَبَيْتُكَ هَاجِرُ

فكَانَ الْقَوْمَ نَزَلَ عَلَيْهِمُ السُّبَاتُ فَمَا تَسْمَعُ حِسًّا ، وَأَضْغَوْا إِلَيْهِ بِأَذَانِهِمْ ، وَشَخَّصَتْ إِلَيْهِ أَحْدَاقُهُمْ . ثم غَنَّى الغريضُ أيضاً بصوتٍ أُنْسِيَتْهُ بِلَحْنٍ آخِر . ثم غَنَّى ابنُ سُريج ووقَّع بالقَضِيبِ . وأخذ الغريضُ الدَّفَّ فغَنَّى بشعر الأخطل :

فَقُلْتُ أَصْبَحُونَا (٢) لَا أَبَا لَأَبِيكُمْ وَمَا وَضَعُوا الْأَثْقَالَ إِلَّا لِيَفْعَلُوا

(١) الشواجر : جمع شاجرة ، وهي الصارفة من الشواغل والأمور .

(٢) أصبحونا : إيتونا بالصبح ، وهو ما يشرب في الغداة إلى القائلة .

فَقُلْتُ أَقْتُلُوهَا عَنْكُمْ بِمَزَاجِهَا وَأَكْرِمَ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ
أَنَاخُوا فَجَرُوشَا صَاصِيَاتٍ ^(١) كَأَنهَا
فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُمْ تَحَرَّكَوا وَلَا نَطَقُوا ، يَسْتَمِعُونَ لِمَا يَقُولُ . ثُمَّ غَنَى الْغَرِيضُ
بشعر آخر ، وهو :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ وَالْأَطْلَالَ وَالِدَمْنَآ زِدْنَ الْفُؤَادَ عَلَى مَا عِنْدَهُ حَزَنًا
دَارٌ لِّصَفْرَاءٍ ^(٢) إِذْ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا وَإِذْ تَرَى الْوَصْلَ فِيمَا بَيْنَنَا حَسَنًا
إِذْ تَسْتَبِيكُ بِمَصْقُولٍ ^(٣) عَوَارِضُهُ وَمُقَلَّتِي شَادِنٍ لَمْ يَعْدُ أَنْ شَدْنَا
ثُمَّ غَنَى جَمِيعًا بِلَحْنٍ وَاحِدٍ ، فَلَقَدْ خُيِّلَ لِي أَنَّ الْأَرْضَ تَمِيدُ ، وَتَبَيَّنَتْ فِي
عَطَاءِ ذَلِكَ أَيْضًا . وَغَنَى الْغَرِيضُ فِي شَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :
كَفَى حَزَنًا أَنْ تَجْمَعَ الدَّارُ شَمْلَنَا وَأُمْسِي قَرِيبًا لَا أَرْوُرُكَ كَلَمًا
دَعَى الْقَلْبَ لَا يَزِدُّ خَبَالًا مَعَ الَّذِي بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوِي هَوَاهُ الْمُكْتَمًا
وَمَنْ كَانَ لَا يَعْدُو هَوَاهُ لِسَانَهُ فَقَدْ حَلَّ فِي قَلْبِي هَوَاكَ وَخَيْمًا
وَلَيْسَ بِتَزْوِيقِ اللِّسَانِ وَصَوْنِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدَّمَآ
وَعَنَى ابْنُ سُرَيْجٍ أَيْضًا :

خَلِيلِي عَوْجًا نَسَّالَ الْيَوْمَ مَنَزَلَا أَبِي بِالْبَرِاقِ ^(٤) الْغُفْرَ أَنْ يَتَحَوَّلَا
فَفُرْعَ النَّبِيتِ فَالشَّرَى ^(٥) خَفَّ أَهْلُهُ وَبُدِّلَ أَرْوَاحًا جَنُوبًا وَشَمَالًا

(١) الشاصيات : الزقاق المملوءة ، قد ارتفعت قوائمها . وهى إذا ملئت أو نفخت كانت تلك حالها .
(٢) فى ديوان ابن أبي ربيعة : « لأسماء » .
(٣) العوارض : الثنايا .
(٤) البراق : جمع برقة ، وهى الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل . والغفر : جمع عفراء ، وهى البيضاء بياضاً غير ناصع .

(٥) الفرع : موضع على طريق مكة إلى المدينة . والنبيت : قبيلة . لعلها نزلت هذا الموضع فأضيف إليها . والشرى : أكثر من موضع . ولعل المراد به هنا : واد من عرفة ، أو موضع عند مكة .

أَرَادَتْ فَلَمْ تَسْطِعْ كَلَامًا فَأَوْمَأَتْ
بَأَنْ بَيْتَ عَسَى أَنْ يَسْتُرَ اللَّيْلُ مُجَلِّسًا
إِلَيْنَا وَلَمْ تَأْمَنْ رَسُولًا فَتُرْسِلَا
لَنَا أَوْ تَنَامَ الْعَيْنُ عَنَّا فَتَغْفُلَا
وَعَنَى الْغَرِيضُ :

يَا صَاحِبِي قِفَا نُقْضِ لُبَانَةً
لَا تُعْجِلَانِي أَنْ أَقُولَ بِحَاجَةٍ
وَمَقَالَهَا بِالنَّعْفِ نَعْفٌ ^(٣) مُحْسَرٌ
هَذَا الَّذِي أُعْطِيَ مَوَائِقَ عَهْدِهِ
وَعَلَى الظُّعَانِ ^(١) قَبْلَ بَيْنِكُمَا أُعْرِضَا
رِفْقًا فَقَدْ زُوِّدْتُ زَادًا ^(٢) مُجْرِضَا
لِفَتَاتِهَا هَلْ تَعْرِفِينَ الْمُعْرِضَا
أَلَّا يَخُونُ وَخِلْتُ أَلَّا يَنْقُضَا
وَأَغَانِي أَنْسَيْتُهَا ، وَعَطَاءٌ يَسْمَعُ عَلَى مَنْبَرِهِ وَمَكَانَهُ ، وَرَبَّمَا رَأَيْتُ رَأْسَهُ قَدْ
مَالَ وَشَفَقْتِيهِ تَتَحَرَّرَ كَانَ ، حَتَّى بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ ، فَقَامَ يُرِيدُ مَنَزِلَهُ . فَمَا سَمِعَ
السَّامِعُونَ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُمَا ، وَقَدْ رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا وَتَغَنَّيَا بِهِذَا . وَلَمَّا بَلَغَتْ
الشَّمْسُ عَطَاءً قَامَ ، وَهُمْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْغِنَاءِ ، فَاطْلَعَ ^(٤) فِي كُوَّةِ الْبَابِ .
فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَيُّهُمَا أَحْسَنَ غِنَاءً ؟ قَالَ : الرَّقِيقُ الصَّوْتِ . يَعْنِي
أَبْنُ سَرِيحٍ .

رحلة جرير إليه
يسمع صوتاً

ذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ : أَنَّهُ قَدِمَ جَرِيرُ بْنُ الْخَطَفِيِّ الْمَدِينَةَ ، وَنَحْنُ
يَوْمَئِذٍ شَبَابٌ نَطْلُبُ الشَّعْرَ ، وَاحْتَشَدْنَا لَهُ وَمَعَنَا أَشْعَبُ . فَبَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ قَامَ
لِحَاجَةٍ ، وَأَقَمْنَا لَا نَبْرَحَ ، وَجَاءَ الْأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّاعِرِ مِنْ قُبَاءَ ^(٥) عَلَى حِمَارٍ ،
فَقَالَ : أَيْنَ هَذَا ؟ قُلْنَا : قَامَ لِحَاجَةٍ ، فَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : أُرِيدُ وَاللَّهِ

(١) الظُّعَانُ : جمع ظُعينة ، وهى المرأة فى الهودج . يريد : اعرضاً حاجتكم على الظُّعَانِ
قبل فراقكم . (٢) مجرّض ، من أجرّضه ، إذا أغصه .

(٣) محسر : موضع بين مكة وعرفة .

(٤) فى الأصل : « عطاء والبيت الذى هم فيه على طريقه فاطلع » وما أثبتنا عن بعض
أصول الأغاني .

(٥) قباء : قرية على ميلين من المدينة .

أَعْلِمُهُ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ أَشْعَرُ مِنْهُ وَأَشْرَفُ. قُلْنَا: وَيَحْكُ! لَا تَعْرِضْ لَهُ وَأَنْصَرِفْ. فَاَنْصَرَفَ وَخَرَجَ، وَجَاءَ جَرِيرٌ فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ أَقْبَلَ الْأَخْوَصُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَرِيرُ. فَقَالَ جَرِيرٌ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ. فَقَالَ الْأَخْوَصُ: يَا بَنَ الْخَطَفِيِّ، الْفَرَزْدَقُ أَشْرَفُ مِنْكَ وَأَشْعَرُ. فَقَالَ جَرِيرٌ: مَنْ هَذَا؟ أَخْزَاهُ اللَّهُ! قُلْنَا: الْأَخْوَصُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ. فَقَالَ: نَعَمْ، هَذَا الْخَبِيثُ ابْنُ الطَّيِّبِ. أَأَنْتَ الْقَائِلُ:

يَقْرُ بِعَيْنِي مَا يَتَمَرُّ بِعَيْنِهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ

قال: نعم. قال: فَإِنَّهَا يَقْرُ بِعَيْنِهَا أَنْ يَدْخُلَ فِيهَا مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ، أَفَيَقْرُ ذَلِكَ بِعَيْنِكَ؟ قال: وكان الْأَخْوَصُ يُرْمِي بِالْحَلَّاقِ. ^(١) فَاَنْصَرَفَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ بِتَمَرٍ وَفَاكِهَةٍ، وَأَقْبَلْنَا عَلَى جَرِيرِ نِسَائِلِهِ، وَأَشْعَبُ عِنْدَ الْبَابِ، وَجَرِيرٌ فِي مُؤَخَّرِ الْبَيْتِ، فَالَحَّ عَلَيْهِ أَشْعَبُ يُسَائِلُهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكَ أَقْبَحَهُمْ وَجْهًا، وَأَرَاكَ أَلَا مَهْمُ حَسْبًا، قَدْ أَبْرَمْتَنِي مِنْذُ الْيَوْمِ. قال: إِنِّي وَاللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لَكَ وَخَيْرُهُمْ. فَانْتَبَهَ جَرِيرٌ وَقَالَ: وَيَحْكُ! كَيْفَ ذَاكَ؟ قال: إِنِّي أَمْلَحُ شِعْرَكَ وَأَجِيدُ مَقَاطِعَهُ وَمَبَادِئَهُ. فَقَالَ: قُلْ، وَيَحْكُ! فَاَنْدَفَعَ أَشْعَبُ وَنَادَى بِلَحْنِ ابْنِ سُرَيْجٍ، وَالشَّعْرُ لَجَرِيرٍ:

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ لَوْمِ الْعُذْلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ

فَطَرَبَ جَرِيرٌ وَجَعَلَ يَزَحْفُ نَحْوَهُ، حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتَهُ رُكْبَتَهُ، وَقَالَ: لَعَمْرِي لَقَدْ صَدَقْتَ! إِنَّكَ لَا أَنْفَعُهُمْ لِي، وَلَقَدْ حَسَنَتْهُ وَأَجَدَتْهُ وَزَيَّنَتْهُ. أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ! ثُمَّ وَصَلَهُ وَكَسَاهُ. فَلَمَّا رَأَيْنَا إِعْجَابَ جَرِيرٍ بِذَلِكَ الصَّوْتِ، قَالَ لَهُ بَعْضُ

(١) الحلاق: صفة غير صفة الرجولة.

الحاضرين : لو سمعتَ واضعَ هذا اللحن ؟ فقال : وإن له واضعاً غيرَ هذا ؟ قلنا : نعم . قال : فأين هو ؟ قلنا : بمكة . فقال : لستُ بمفارقٍ حِجَازَكم حتى أبلغه . فمضى ومضى معه جماعةٌ ممن يَرغبُ في طلبِ الشعرِ في صحابته ، وكنتُ فيهم . فقدِمنا مكةَ فأتَيْنَاهُ بِأَجْمَعِنَا ، فإذا هو في فِتيَةٍ من قُرَيشٍ كأنهم أُلَمَّهَا ، مع ظَرْفٍ كثير ، فرحبوا بجرير وأذنوه وسرُّوا بمكانه ، وأعظمَ عُمَيْدُ بنُ سُريجَ موضعَ جرير ، وقال : سل ما تريد ، جِعلتُ فِداك ! قال : أريد أن تُغَنِّينِي لِحَنًا سَمِعْتُهُ بِالْمَدِينَةِ أَزَعَجَنِي إِلَيْكَ . قال : وما هو ؟ قال :

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ عَذْلِ الْعَذَلِ

فغَنَّاهُ ابْنُ سُريجَ ، وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ يُوَقِّعُ بِهِ وَيَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ . فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ . فقال جَرِيرُ : اللَّهُ دَرُّكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ! ماذا أُعْطِيتُمْ ! وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ نَازِعًا نَزَعَ إِلَيْكُمْ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يَسْمَعُ هَذَا صَبَاحَ مَسَاءٍ لَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ حَظًّا ، فَكَيْفَ وَمَعَ هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَوُجُوهُكُمْ الْحِسانُ ، وَرِقَّةُ الْأَسْنَتِكُمْ ، وَحُسْنُ شَارَتِكُمْ ، وَكَثْرَةُ فَوَائِدِكُمْ !

وقيل : كَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عَامِلِ مَكَّةَ : أَنْ أَشْخِصَ إِلَيَّ ابْنَ سُريجَ ، فَأَشْخَصَهُ . فَلَمَّا قَدِمَ ، مَكَثَ أَيَّامًا لَا يَدْعُو بِهِ وَلَا يَذْكُرُهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَهُ وَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! أَيْنَ ابْنُ سُريجَ ؟ قَالُوا : هَاهُوَ حَاضِرٌ . قَالَ عَلَى بِهِ . فَأَتَوْهُ فَقَالُوا : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَتَهَيَّأَ وَلَبِسَ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ فَسَلَّمَ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ : أَنْ أَجْلِسَ . فَجَلَسَ بَعِيدًا . فَاسْتَدْنَاهُ ، فَدَنَا حَتَّى كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ . فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا عُمَيْدُ ! لَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ مَا حَمَلَنِي عَلَى الْوَفَادَةِ بِكَ ، مِنْ كَثْرَةِ أَدَبِكَ ، وَجَوْدَةِ اخْتِيَارِكَ ، مَعَ ظَرْفِ لِسَانِكَ ، وَحَلَاوَةِ مَجْلِسِكَ . قَالَ : جِعلتُ فِداك يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ . قَالَ الْوَلِيدُ : إِنِّي لَا أَرْجُو إِلَّا تَكُونَ

هو في حضرة الوليد
ابن عبد الملك

أَنْتَ ذَاكَ ! هَاتِ مَا عِنْدَكَ . فَاَنْدَفَعَ ابْنُ سُرَيْجٍ يُغْنِي بِشَعْرِ الْأُخُوصِ :

أَمْزَلَتْ سَأَلِي عَلَى الْقِدَمِ اسْمًا
وَذَكَرْتُمَا عَهْدَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى
فَقَدْ هَجَمَا لِلشَّوْقِ قَلْبًا مُتِمًّا
وَجِدَّةً وَصَلَ حَبْلُهُ قَدْ^(١) تَجَدَّمَا

ومنها :

أَحِبُّ دُنُو الدَّارِ مِنْهَا وَقَدْ أَبَى
بَكَاهَا وَمَا يَذْرى سِوَى الظَّنِّ مَنْ بَكَى
فَدَعَهَا وَأَخْلَفَ لِلْخَلِيفَةِ مِدْحَةً
فَإِنَّ بَكْفِيهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ
إِمَامٌ أَتَاهُ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يُثِبْ
تَخَيَّرَهُ رَبُّ الْعِبَادِ لَخَلْقِهِ
يَنَالُ الْعُلاَ وَالْعِزَّ مِنْ نَالٍ وَدَّهَ
بِهَا صَدْعُ شَعْبِ الدَّرِّ إِلَّا تَشَلَّمَا
أَحْيَا يُبَكِّى أُمُّ تَرْابًا وَأَعْظَمَا
تُزِلْ عَنْكَ بُوسَى أَوْ تُفِيدَكَ^(٢) أَنْعَمَا
وَعِثَّ حَيًّا يَحْيَا بِهِ النَّاسُ^(٣) مُرْهَمَا
عَلَى مُلْكِهِ مَالًا حَرَامًا وَلَا دَمًا
وَلِيًّا وَكَانَ اللَّهُ بِالنَّاسِ أَعْلَمًا
وَيَرْهَبُ مَوْتًا عَاجِلًا مِنْ تَشَأَّمَا

فَقَالَ الْوَلِيدُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ وَأَحْسَنَ الْأُخُوصُ ! عَلَى بِالْأُخُوصِ . ثُمَّ قَالَ :

يَا عُيَيْدُ ، هَيْه ! فَغَنَاهُ بِشَعْرِ عَدِيَّ بْنِ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِيِّ يَمْدَحُ الْوَلِيدَ :

طَارَ الْكَرَى وَالْمُهِمُّ^(٤) فَاكْتَنَفَا
كَانَ الشَّبَابُ قِنَاعًا أُسْتَكِنُ بِهِ
وَاسْتُبْدِلَ الرَّأْسُ شَيْبًا بَعْدَ دَاجِيَةٍ
فَإِنْ تَكُنْ مَيِّعَةً^(٥) مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبَتْ
وَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ فَاْمْتَنَعَا
وَأَسْتَظِلُّ زَمَانًا ثُمَّتَ أَنْقَشَعَا
فَيَنَانَةٍ مَا تَرَى فِي صُدْغِهَا^(٥) نَزَعَا
وَأَعْقَبَ اللَّهُ بَعْدَ الصَّبُوءِ الْوَرَعَا

(١) تجدما : انقطع .

(٢) رفع الفعل هنا على توهم رفع الأول أو على الاستئناف ، كأنه قال : أو هي تفيدك مغنيا .

(٣) مرهما : أى دائماً . (٤) اكتنف : دنا وحضر .

(٥) فينانة : حسنة الشعر طويلته . والنزع : انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبي الجبهة .

(٦) الميعة : الحلة .

فقد أبيتُ أراعى الخُودَ^(١) راقِدةً
 برّاقةً الثَّغرُ تشفى القلبَ لذَّتها
 كالأقحوانِ بضاحي الرّوضِ صَبَّحَه
 صَلَّى الذى الصَّلواتُ الطَّيِّباتُ له
 على الذى سَبَقَ الأَقْوامُ^(٢) ضاحيةً
 عُدنا بِذى العَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَنَفْقِدَه
 إِنْ الوليدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ
 لا يَمْنَعُ النَّاسُ ما أُعْطِيَ الَّذِينَ هُمْ
 على الوَسائدِ مَسْرُراً بها وَلِعاً
 إِذا مُقْبِلُها فى رِيْقِها^(٣) كَرَعاً
 غِيثُ أَرَشَ بَتَنْضاحِ^(٤) وما نَقَعاً
 وَالْمُؤْمِنُونَ إِذا ما جَمَعُوا الْجَمْعَ
 بِالْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَتى صاحِباهُ مَعاً
 وَأَنْ نَكُونَ لِرِاعِ بَعْدَه تَبَعاً
 مُلْكُ أَعانَ عَلَيْهِ اللهُ فَارْتَقَعاً
 لَهُ عِبَادٌ ولا يُعْطُونَ ما مَنَعاً

فقال له الوليد : صدقت ! أئني لك هذا يا عبيد ؟ قال : من عند الله . قال
 الوليد : لو غيرَ هذا قلتَ لَأَحْسَنْتُ أَدَبَكَ ! قال ابنُ سُرَيْجٍ : ذلك فَضْلُ اللهِ
 يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ . قال الوليد : يَزِيدُ فى الخَلْقِ ما يَشَاءُ . قال ابنُ سُرَيْجٍ : هذا
 من فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ . قال الوليد : عَلِمْتُكَ وَاللهُ أَكْثَرُ
 وَأَعْجَبُ إِلَى مَنْ غِنائِكَ ! غَنَّى . فَعَنَّاهُ بِشُعْرِ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِ
 يَمْدَحُ الوليد :

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهَّماً فاعْتادَها
 وَلَرُبَّ واضِحَةِ العَوارِضِ^(٦) حُرَّة
 من بَعْدِ ما شَمِلَ البِلَى^(٥) أَبْلاَدَها
 كالرَّيِّمِ قد ضَرَبَتْ بها أوتادَها
 وَاتَّمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْهِ وزادَها
 صَلَّى الإِلهُ على الذى ودَّعَتْهُ

(١) الخود : الفتاة الحسنة الشابة لم تصر نصفاً .

(٢) الكرع : التناول بالفم .

(٣) التنضاح . الماء القليل . وما نفع ، أى ما أروى .

(٤) ضاحية : على مسمع ومرأى .

(٥) اعتادها : أعاد إليها للأنظر مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها . وأبلادها : آثارها ،

جمع بلد ، وهو الأثر . (٦) العوارض : الشنايا ، سميت بذلك لأنها فى عرض الفم .

وإذا الرِّيعُ تَتَابَعَتْ (١) أَنْوَاؤُهُ
نَزَلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا
أَوَّلًا تَرَى أَنَّ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا
وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَّاكَهَا
أَعْمَرَتْ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَأَقْبَلَتْ
وَأَصَبَتْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مُصِيبَةً
ظَفَرًا وَنَصْرًا مَا تَنَاولَ مِثْلَهُ
وإذا نَشَرْتُ لَهُ الثَّنَاءَ وَجَدْتُهُ
فَسَقَى خُنَاصِرَةَ الْأَحْصِ فَجَادَهَا
غَيْثًا أَغَاثَ أَنْيَسَهَا وَبِلَادَهَا
أَلْقَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا
مِنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَرَشَادَهَا
وَكَفَفَتْ عَنْهَا مَنْ يَرُومُ فَسَادَهَا
عَمَّتْ أَقَاصِي غُورِهَا وَنِجَادَهَا
أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ كَانَ أَرَادَهَا
جَمَعَ الْمَكَارِمَ طَرَفَهَا (٢) وَتِلَادَهَا

فَأَشَارَ الْوَلِيدُ إِلَى بَعْضِ الْخَدَمِ ، فَعَطَّوْهُ بِالْخِلْعِ ، وَوَضَعُوا بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْسَةَ
الدَّيَّانِيرِ وَبَدَرَ الدَّرَاهِمَ . ثُمَّ قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : يَا مَوْلى بَنِي نَوْفَلِ بْنِ
الْحَارِثِ ، لَقَدْ أُوتِيتَ أَمْرًا جَلِيلًا . قَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ : وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ
أَتَاكَ اللَّهُ مُلْكًا عَظِيمًا ، وَشَرَفًا عَالِيًا ، وَعِزًّا بَسْطَ يَدَكَ فِيهِ وَلَمْ يَقْبُضْهُ عَنْكَ ،
وَلَا يَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَأَدَامَ اللَّهُ لَكَ مَا أَوْلَاكَ ، وَحَفِظَكَ فِيمَا أَسْتَرْعَاكَ ،
فَأَنْتَ أَهْلٌ لِمَا أُعْطَاكَ ، فَلَا نَزَعَهُ مِنْكَ إِذْ رَأَاكَ لَهُ مَوْضِعًا . قَالَ : يَا نَوْفَلِي ،
وَخَطِيبُي أَيْضًا ! قَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ : عَنْكَ نَطَقْتُ ، وَبِلِسَانِكَ تَكَلَّمْتُ ، وَبِعِزِّكَ
بَيَّضْتُ . وَقَدْ كَانَ أَمْرَ بِإِحْضَارِ الْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَعَدِيَّ بْنِ
الرَّقَّاعِ الْعَامِلِيِّ ، فَلَمَّا قَدِمَا عَلَيْهِ أَمَرَ بِإِنْزَالِهِمَا حَيْثُ ابْنُ سُرَيْجٍ . فَأَنْزَلَا مَنْزِلًا إِلَى
جَنْبِ ابْنِ سُرَيْجٍ ، فَقَالَا لَهُ : وَاللَّهِ لَقُرْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ
قُرْبِكَ يَا نَوْفَلِي ! فَإِنْ فِي قُرْبِكَ لَمَّا يَلِدُنَا (٣) وَيَشْغُلُنَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا نُرِيدُهُ . فَقَالَ

(١) الأنواء : النجوم المائلة للمنيب . وكانت العرب تنسب لها المطر . وخناصرة : من

أعمال حلب . والأحص : كورة كبيرة .

(٢) الطرف : المستحدث المستفاد ، وهو خلاف التلاد ، وهو القديم الأصيل .

(٣) يلدنا : يحبسنا ، هذلية .

ابن سُرَيْج : أَوْ قَلَّةُ شُكْرٍ ؟ فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ : كَأَنَّكَ يَا ابْنَ اللَّخْنَاءِ تَمُنُّ عَلَيْنَا !
 عَلَى وَعَلَىَّ إِنْ جَمَعْنَا وَإِيَّاكَ سَقَفُ بَيْتٍ أَوْ صَحْنُ دَارٍ إِلَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 فَأَمَّا الْأَحْوَصُ فَقَالَ : أَوْ لَا تَحْمِلِ لِأَبِي يَحْيَى الزَّلَّةَ وَالْهَفْوَةَ ! وَكَفَّارَةُ يَمِينٍ خَيْرٌ
 مِنْ عَدَمِ الْحُبَّةِ ، وَإِعْطَاءِ النَّفْسِ سُؤْلَهَا خَيْرٌ مِنْ لَجَاجٍ فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ . فَتَحَوَّلَ
 عَدِيٌّ وَبَقِيَ الْأَحْوَصُ . وَبَلَغَ الْوَلِيدَ مَا جَرَى بَيْنَهُمْ . فَدَعَا ابْنَ سُرَيْجٍ ، فَأَدْخَلَهُ
 بَيْتًا وَأَرْخَى دُونَهُ سِتْرًا ، ثُمَّ أَمَرَهُ إِذَا فَرَّغَ الْأَحْوَصَ وَعَدِيٌّ مِنْ كَلِمَتَيْهِمَا أَنْ
 يُغْنِي . فَلَمَّا دَخَلَ وَأَنْشَدَاهُ مَدَامَحَ فِيهِ ، رَفَعَ ابْنُ سُرَيْجٍ صَوْتَهُ مِنْ حَيْثُ
 لَا يَرَوْنَهُ وَضَرَبَ بِعُودِهِ . فَقَالَ عَدِيٌّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ ؟
 فَقَالَ : قُلْ يَا عَامِلِي . قَالَ أَمِثْلُ هَذَا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَبْعَثُ إِلَى ابْنِ سُرَيْجٍ
 يَتَخَطَّى بِهِ رِقَابَ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ مِنْ تِهَامَةٍ إِلَى الشَّامِ ، تَخْفِضُهُ أَرْضٌ وَتَرْفَعُهُ
 أُخْرَى ، فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَيُقَالُ : عُبَيْدُ بْنُ سُرَيْجٍ مَوْلَى بَنِي نُوْفَلٍ ، بَعَثَ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ لِيَسْمَعَ غِنَاءَهُ . قَالَ : وَيَحْكُ ! يَا عَدِيٌّ ، أَوْ لَا تَعْرِفُ هَذَا
 الصَّوْتُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا سَمِعْتُهُ قَطُّ وَلَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ حُسْنًا ،
 وَلَوْلَا أَنَّهُ فِي مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَقُلْتُ : طَائِفَةٌ مِنَ الْجَنِّ يُغَنُّونَ . فَقَالَ : اخْرُجْ .
 فَخَرَجَ ، فَإِذَا ابْنُ سُرَيْجٍ . فَقَالَ عَدِيٌّ : حَقٌّ لِهَذَا أَنْ يُحْمَلَ ! قَالَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ أَمَرَ
 لَهَا بِمِثْلِ مَا أَمَرَ بِهِ لِابْنِ سُرَيْجٍ ، وَارْتَحَلَ الْقَوْمُ .

وكان الذي غنَّاهُ ابنُ سُرَيْجٍ بِشَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ :

بِاللَّهِ يَا ظَنِّي بَنِي الْحَارِثِ هَلْ مِنْ وَفَى بِالْعَهْدِ كَالنَّارِ كِثْ
 حَتَّى مَتَى أَنْتَ لَنَا هَكَذَا نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا حَارِثِي
 يَا مُنْتَهَى هَمِّي وَيَا مُنْتَهَى هَوَى النَّفْسِ وَيَا وَارِثِي

وَقَالَ ابْنُ مُقِيمَةَ^(١) : دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ سُرَيْجٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَقُلْتُ :

كَيْفَ أَصْبَحْتَ أَبَا يَحْيَى ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « ابْنُ مُقِيمَةَ » .

كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرٍ مَا أُلَاقِ إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
سَقِيمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ وَأَسْلَمَهُ الْمَدَاوِي وَالْحَمِيمُ

ثم مات .

وقيل : لما احتضر ابن سريج نظر إلى ابنته تبكى ! فبكى وقال : إنَّ من أكبر هَمِّي أنتِ ، وأخشى أن تضيعي بعدي . فقالت : لا تخف ، فما غنيت غناء إلا وأنا أغنيه . فقال : هاتي . فاندفعت تغني أصواتاً وهو مُصْغٍ إليها . فقال : قد أصبت ما في نفسي وهونت على أمرِك . ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي ، فزوجه إياها ، فأخذ عنها أكثر غناء أبيها واتحله .

قال إسحاق الموصلي : فهو إلى الآن يُنسبُ إليه .

وذَكَرَ [هشام بن المُرِّيَّة] أَنَّ قَادِمًا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَسَارَ مَعْبِدًا بِشْيءٍ . فَقَالَ مَعْبِدٌ : أَصَبَحْتُ أَحْسَنَ النَّاسِ غِنَاءً ! فَقُلْنَا : أَوَلَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ ؟ قَالَ : أَلَا تَدْرُونَ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ هَذَا ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : أَعْلَمَنِي أَنَّ عُبَيْدَ بْنَ سُرَيْجٍ مَاتَ ، وَلَمْ أَكُنْ أَحْسَنَ النَّاسِ غِنَاءً وَهُوَ حَيٌّ .

وكان موته بالعلّة التي أصابته من الجذام بمكة في خلافة سليمان بن عبد الملك ، أو آخر خلافة الوليد .

قلت : وقد روى أبو الفرج أنّه مات في خلافة هشام . وروى أيضاً أنّه مات بعد قتل الوليد بن يزيد . وروى أنّه رثى حبابة ويزيد بن عبد الملك . وقد تقدّم ذلك كلّهُ .

أخبار نصيب

نسبه وولاه

هو نصيب بن رباح ، مولى عبد العزيز بن مروان . وكان لبعض العرب من بنى كنانة، السكّان بـودّان،^(١) فاشترى عبد العزيز منهم . وقيل : بل كانوا أعتقوه، فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم . وقيل : بل كاتب مواله فأدّى عنه مكاتبته .

وقيل : كان نصيب من قضاة ثم من بلي . وكانت أمه سؤداء ، فوقع عليها فحبّلت بنصيب . فوثب عليه عمه بعد وفاة أبيه ، فباعه من عبد العزيز .

منزلته في الشعر

وكان شاعراً فحلاً فصيحاً ، مقدّماً في النسيب والمدح ، ولم يكن له حظ في الهجاء . وكان عفيفاً . وقيل إنه لم ينسب قط إلا بامرأته .

نشأته في الشعر

ذكر عن نصيب أنه قال : قلت الشعر وأنا شاب ، فأعجبني قولي ، فجعلت آتي مَشِيخَةً من ضَمْرَةِ بن بكر بن عبد مناة ، ومَشِيخَةً من خُرَاعَةِ ، فأنشدهم

وقدومه على عبد
العزيز بن مروان

القصيدة من شعري ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين ، فيقولون : أحسن والله ! هكذا الكلام ! وهكذا الشعر ! فلما سمعت ذلك منهم علمت أنني مُحَسَّن ، وأجمعت الخروج إلى عبد العزيز بن مروان ، وهو يومئذ بمِصْرَ ، فقلت لأختي أُمَامَةَ ، وكانت عاقلةً جَلْدَةً : يا أختي ، إنني قد قلت شعراً ، وإنني أريد به عبد العزيز بن مروان ، وأرجو أن يُعْتَقِكَ اللهُ به وأُمّك ومن كان مَرْقُوقاً من أهل قَرَابَتِي . قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! يا بن أُمّ ، أجمع عليك الخصلتان : السّواد ، وأن تكون ضَحَكَةً للناس . قال : قلت : فاسمعي .

(١) ودان، هذه: هي التي بين مكة والمدينة ، وإياها يعني نصيب .

فأنشدتها ، فسمعت . فقالت : بأبي أنت ! أحسنت والله ! وفي هذا والله رجاء عظيم ، فأخرج على بركة الله . فخرجت على قعود^(١) لي حتى قدمت المدينة ، فوجدت بها الفرزدق في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرجت عليه ، فقلت : أنشده وأستنشه وأعرض عليه شعري . فأنشدته ، فقال لي : ويلك ! أهذا شعرك الذي تطلب به الملوك ؟ قلت له : نعم . قال : فلست في شيء ، إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل . قال : فانفضحت عرقاً^(٢) . فحصبني^(٣) رجل من قريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع إنشادي وسمع ما قال الفرزدق . فأومأ إلي فقلت إليه ، فقال : ويحك ! أهذا شعرك الذي أنشدته الفرزدق ؟ قلت : نعم . قال : فلقد والله أحسنت ! والله لئن كان الفرزدق شاعراً إننا لنعرف محاسن الشعر ، وقد والله حسدك ، فامض لوجهك . قال : فسررتي قوله ، وعلمت أنه قد صدقني فيما قال . فاعتزمت على المضي . فمضيت فقدمت مصر ، وبها عبد العزيز ابن مروان ، فحضرت بابه مع الناس . فنحيت عن مجلس الوجوه ، فكنيت وراءهم ، ورأيت رجلاً على بغلة حسن الشارة سهل المدخل ، يؤذن له إذا جاء . فلما أنصرف إلى منزله ، أنصرفت معه أماشي دابته . فلما رأيته قال : ألك حاجة ؟ قلت : نعم ، أنا رجل من أهل الحجاز شاعر ، وقد مدحت الأمير وخرجت إليه راجياً لمعرفه ، وقد أزدريت بالباب ونحيت عن الوجوه . قال : فأنشدني . فأنشدته ، فأعجبه شعري ، وقال : ويحك ! أهذا شعرك ! إياك أن تنتحل ! فإن الأمير راوية عالم بالشعر ، وعنده رواة ، فلا تفضحني ونفesk . فقلت :

(١) القعود من الإبل : ما أمكن أن يركب ، وأدناه أن تكون له سنتان .

(٢) انفضحت عرقاً ، أى تدفقت عرقاً .

(٣) حصبني : رماني بحصباء .

والله ما هو إلا شعري . فقال : وَيَحْك ! فقل أبيتاً تذكر فيها خوف^(١) مصر
وفضلها على غيرها ، وألقني بها غداً . فعدوت عليه من غدٍ ، فأنشدته قولي :

سرى الهمُّ تثنيني إليك طلائعه بمصرَ وبالخوفِ أعترتني روائعه
وبات وسادي ساعدٌ قلَّ لحمه عن العظم حتى كاد تبْدو^(٢) أشاجعه
وذكرتُ فيها الغيثَ فقلتُ :

وكم دون ذلك العارضِ البارقِ الذي له أشتقتُ من وجهِ أسيلٍ مدامعه
تمشى به أفناء بكرٍ ومذحجٍ وأفناء عمرٍ وهو خصب^(٣) مرابعه
فكلُّ مسيلٍ من تِهامةٍ طيبٌ دميثُ الرُّبَا تسقى البحارَ^(٤) دوافعه
أعني على برقِ أريك وميضه تُضيء دُجَنَاتِ الظَّلامِ لوامعه
إذا أكتحلت عينا محبٍ بضوئه تجافت به حتى الصَّباحِ مضاجعه
هنيئاً لأُمِّ البختريِّ الروي به وإن أنهبَ الحبلُ الذي أنا قاطعه
وما زلتُ حتى قلتُ إني لخالِعٌ ولأني من مولى نمتني^(٥) فوارعه
وما نَحُ قومٍ أنت منهم مودتي ومُتَّخذٌ مولاكَ مولى فتابعه

قال : أنت والله شاعر ! أحضر الباب فإني أذكرك للأمير . فجلستُ على
الباب . فدخل ، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرني حتى دُعِيَ بي . فدخلت فسلمت ،
فصعد في بصره وصوبه ، ثم قال : أنت شاعرٌ وملك ! قلت : نعم أيها الأمير .
قال : فأنشدني . فأنشدته ، فأعجبه شعري . وجاء الحاجبُ فقال : أيها الأمير ،

(١) بمصر حوفان : شرق وغربي ، وهما متصلان . وأول الشرق من جهة الشام ، وآخر
الغربي قرب دمياط . يشتملان على قرى وبلدان كثيرة . (عن ياقوت) .

(٢) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف .

(٣) تمشى ، أى تتمشى ، فحذف إحدى تاءيه . وأفناء بكر : أخلاطهم .

(٤) الدميث : السهل الطيب . والدوافع : الدفعات من الماء في إثر أخرى ؛ الواحدة : دافعة .

(٥) نمتني : رفعتني بالانتساب إليها . وفوارعه : أعاليه وأصوله التي تفرعه .

هذا أيمن بن خريم الأسديّ بالباب . قال : أئذن له . فأذن له ، فدخل فاطمأن . فقال له : يا أيمن بن خريم ، كم ترى ثمن هذا العبد؟ فنظر إلى فقال : والله لنعم الغادي في إثر المخاض ^(١) ! هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار . قال : فإن له لشعراً وفصاحة . فقال لي أيمن : أنقول الشعر؟ قلت : نعم . قال : قيمته ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن ، أرفعه وتخفّضه أنت؟ قال لكونه أحق أيها الأمير ! ما لهذا الشعر ! أمثل هذا يقول الشعر ! أو يحسن شعراً ! فقال : أنشده يا نصيب . فأنشدته . فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمن؟ قال : شعر أسود ، هو أشعر أهل جلده . قال : هو والله أشعر منك . قال : أمني أيها الأمير؟ قال : إني والله منك . قال : والله أيها الأمير ، إنك لملول طرف ^(٢) ! قال : كذبت والله ! ما أنا كذلك ، ولو كنت كذلك ما صبرت عليك ، تنازعني التّحية وتؤاكلني الطّعام وتتّكبي علي وسائدي وفرشي وبك ما بك ! يعني وضحاً كان بأيمن . قال : أئذن لي أخرج إلى بشر ^(٣) بالعراق ، وأحملي على البريد . قال : قد أذنت لك . وأمربه فحمل على البريد إلى بشر . فقال أيمن بن خريم :

رَكِبْتُ مِنَ الْمُقَطَّمِ فِي جُمَادَى	إلى بشر بن مروان البريدي
وَلَوْ أَعْطَاكَ بَشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ	رأى حقاً عليه أن يزيدا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقِمْ بِبَشْرِ	عمود الدين إن له عمودا
وَدَعْ بَشْرًا يَقُومُهُمْ وَيُحَدِّثُ	لأهل الزّيف إسلاماً جديدا
كَأَنَّ السَّاجَ تَاجَ بَنِي هِرَقْلٍ	جلوه لأعظم الأيام عيدا

(١) المخاض : الحوامل من النوق ؛ واحدتها : خلفه ، على غير قياس ، ولا واحد لها من لفظها .

يريد : لنعم هذا العبد راعياً للإبل .

(٢) الطرف من الرجال : الذي لا يثبت على عهد ويجب أن يستطرف آخر غير صاحبه ، ويطرف

غير ما في يده ، أي يستحدث . والآتي : طرفه .

(٣) هو بشر بن مروان ، ولي إمرة العراق . ومات بالبصرة سنة ٧٥ من الهجرة .

على ديباجِ خَدَيَّ وَجْهَ بَشِيرٍ إذا الأَلْوَانُ خَالَفتِ الخُدُودَا
— قيل : إنه عَرَضَ بقوله :

* إذا الأَلْوَانُ خَالَفتِ الخُدُودَا *

بِكَلَفٍ كان في وجه عبد العزيز —
وأنا قَدْ وَجَدْنَا أُمَّ بَشِيرٍ كَأُمِّ الأَسَدِ مِذْ كَارًا^(١) ولُودَا
فأعطاه بِشْرَ مائة ألفِ درهم .

وذُكِرَ أَنَّ نُصَيْبَ دَخَلَ على سُلَيْمَانَ بنِ عَبْدِ المَلِكِ وَعِنْدَهُ الفَرَزْدَقُ .
فاستنشد الفَرَزْدَقُ ، وهو يَرى أَنَّهُ سَيُنْشِدُهُ مَدِيحًا لَهُ فِيهِ . فَأَنْشَدَهُ
قوله يَفْتَخِرُ :

هو والفَرَزْدَقُ
عند سُلَيْمَانَ بنِ
عبد الملك

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطَابُ عِنْدَهُمْ لَهَا تَرَّةٌ مِنْ جَذْبِهَا^(٢) بالعَصَائِبِ
سَرَوْا يَزْ كَبُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفُهُمْ إلى شُعْبِ الأَكْوَارِ ذَاتِ^(٣) الحَقَائِبِ
إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ^(٤) غَالِبِ
قال : وَعِمامَتُهُ على رَأْسِهِ كَالْمِنْسَفِ^(٥) . فغَاطَ سُلَيْمَانُ ، وَكَلَحَ^(٦) في وَجْهِهِ .
فقال لِنُصَيْبٍ : قُمْ فَأَنْشِدْ مُوْلاكَ ، وَيْلَكَ ! قال : فَقَامَ نُصَيْبٌ ، فَأَنْشَدَهُ قوله :

(١) المذكار : التي من عاداتها أن تلد الذكران ، وكذلك الرجل مذكار . أما إذا ولدت
ذكرًا فهي مذكر . جعل أمه ولودا ، فأجرى المدح على غير وجهه ، فالإجماع على أن نتاج الكريمات
يكون أعسر . قال الشاعر :

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزور

(٢) العصائب : العمام . أي تنقض عمامتهم من شدتها ، فكأنها تسلبهم إياها .

(٣) الأكوار : جمع كور ، بالضم ، وهو الرجل ؛ وقيل : الرجل بأداته . والحقائب :
كل ما شد في مؤخر الرجل ؛ الواحدة : حقيبة . ورواية البيت في الديوان :

سروا يخبطون الليل وهي تلفهم على شعب الأكوار من كل جانب .

(٤) خصرت : اشتد عليها البرد .

(٥) المنسف : الغربال الكبير . (٦) كلح : كشر وعبس .

أَقُولُ لِرَكِبٍ صَادِرِينَ لَقِيَتُهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ ^(١) قَارِبُ
 قَفُوا خَبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنَّنِي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانٍ ^(٢) طَالِبُ
 فَعَاجُوا فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ ^(٣) الْحَقَائِبُ
 وَقَالُوا عَهْدَنَاهُ وَكُلَّ عَشِيَّةٍ بِأَبْوَابِهِ مِنْ طَالِبِ الْعُرْفِ ^(٤) رَاكِبُ
 هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَلَا يُشَبِّهُ الْبَدْرَ الْمُضَى الْكَوَاكِبُ
 فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَحْسَنْتَ يَا نَصِيبُ ! وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ ، وَلَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ
 بِالْفَرَزْدَقِ . فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ حِينَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ :

وَخَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَهُ الْعَبِيدُ

وَقِيلَ : حَمَلَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ نَصِيبًا بِالْمَقْطَمِ ، مُقْطَمٌ مِصْرَ ، عَلَى ^(٥) بُخْتِ
 قَدْ رَحَلَهُ بَغِيضٍ ^(٦) فَوْقَهُ وَالْبَسَهُ مُقْطَعَاتٍ وَشَى ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُنْشِدَهُ . فَاجْتَمَعَ
 حَوْلَهُ السُّودَانُ وَفَرَحُوا بِهِ . فَقَالَ لَهُمْ : أَسَرَرْتُكُمْ ؟ قَالُوا : إِي وَاللَّهِ ! قَالَ :
 وَاللَّهِ لَمَا يَسُوءُكُمْ مِنْ أَهْلِ جِلْدَتِكُمْ أَكْثَرُ .

وَذُكِرَ أَنَّ نَصِيبًا كَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخْلَى لَهُ مَجْلِسَهُ
 وَاسْتَنْشَدَهُ مَرَاتِي بَنِي أُمَيَّةَ . فَإِذَا أَنْشَدَهُ بَكَى وَبَكَى مَعَهُ . فَأَنْشَدَهُ يَوْمًا
 قَصِيدَةً لَهُ مَدَحَهُ بِهَا [يَقُولُ فِيهَا] :

(١) قفا : وراء . وذات أوشال ، يريد موضعاً . وقارب : طالب للمولى . ويريد بالمولى :
 نفسه . والخطاب لسليمان بن عبد الملك .

(٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة ، وهو الذي أكثر نصيب من ذكره . وهناك موضعان
 آخران بهذا الاسم .

(٣) عاجوا : مالوا . والحقائب : جمع حقيبة ، وهي التي تكون على عجز البعير .

(٤) العرف : المعروف والجود ، وما تبذله وتسديه .

(٥) البختي : الحمل الخراساني : ينتج من بين عربية وفالج - الفالج : البعير ذو السنامين ،

وهو الذي بين البختي والعربي - دخيل في العربية أعجمي . وقيل : البختي : عربي ، وهو الطويل العنق .

(٦) الغبيط : الرحل . ورحله به : شده عليه .

إِذَا اسْتَبَقَ النَّاسُ الْعُلَا سَبَقْتَهُمْ يَمِينِكَ عَفْوًا ثُمَّ صَلَّتْ شِمَاهَا^(١)

فقال له هشام : يا أسود ، قد بلغت غاية المدح ، فسألني . فقال له : يدك بالعطيّة أجود وأبسط من لسانى بمسألتك . فقال : هذا والله أحسن من الشعر ! وحباه وأحسن جائزته .

إعتاقه أمه
وامراته وابن
خالته سحيم

وقيل : أصاب نصيب من عبد العزيز بن مروان معروفاً ، فكتّمه ورجع [إلى المدينة] فى هيئة بذة^(٢) . فقالوا : لم يصب بمدحه شيئاً . فكتّ مدة ثم ساوم بأمه فابتاعها وأعتقها ، ثم ابتاع امرأته بضعف ما ابتاع به أمه فأعتقها . وجاءه ابن خالة له يقال له : سحيم ، فسأله أن يعتقه ؛ فقال : ما معى والله شيء ، ولكن إذا خرجت أخرجتك معى . ولعل الله أن يعتقك ، فلما أراد الخروج دفع غلاماً له إلى مولى سحيم يرعى إبله ، وأخرجه معه . فسأل فى ثمنه ، فأعطاه وأعتقه . فمر به [يوماً وهو] يزفن^(٣) ويزمر مع السودان . فأنكر ذلك عليه ، فقال له : إن كنت أعتقتنى لأكون كما تريد فهذا ما لا يكون أبداً ! وإن كنت أعتقتنى لتصل رحى وتقضى حقّ فهذا الذى أفعله هو الذى أريده ، أزفن وأزمر وأصنع ما شئت . فانصرف نصيب وهو يقول :

إِنِّ أَرَانِ لِسُحَيْمٍ قَائِلًا إِنِّ سُحَيْمًا لَمْ يُثْبِنِ طَائِلًا
نَسِيتَ إِعْمَالِي لَكَ الرَّوَاحِلَا وَضَرَبِىَ الْأَبْوَابَ فَيْكَ سَائِلَا
عِنْدَ الْمُلُوكِ أَسْتَشِيبُ النَّائِلَا حَتَّى إِذَا آنَسْتَ عِتْقًا عَاجِلَا
وَلَيْتَنِى مِنْكَ الْفَقَا وَالكَاهِلَا أَخْلُقًا شَكْسًا^(٤) وَلَوْ نَا حَائِلَا

(١) صلت شهاها ، أى تبعها ، من صلى الفرس ، إذا جاء ثانياً فى الحلبة بعد السابق ، لأن رأسه يلى صلا - الصلا : وسط الظهر - المتقدم .

(٢) بذة : رثة . (٣) يزفن : يرقص . (٤) شكساً : سيئاً .

استعجاله جائزة
عبد العزيز

وَأَطَّاتْ جَائِزَةٌ نُصِيبَ عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ لَهُ :

وإن وراء ظهري يا ابن ليلى
أمامة منهم وما قيئها
تركت بلادها ونأيت عنها
فأتبع بعضنا بعضاً فلسنا
فَعَجَّلَ جَائِزَتَهُ وَسَرَّحَهُ .
وَلَيْلَى هِيَ أُمُّ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَهِيَ كَلْبِيَّةٌ .
وَذُكْرُ أَنَّهُ قَالَ : لَا أُعْطَى شَاعِراً شَيْئاً حَتَّى يَذْكُرَهَا فِي مَدْحِهِ ، لَشَرَفِهَا .
فَكَانَ الشُّعْرَاءُ يَذْكُرُونَهَا بِاسْمِهَا فِي أَشْعَارِهِمْ .

هو وعبد الملك
ابن مروان

وَذُكْرُ أَنَّهُ دَخَلَ نُصِيبٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَتَغَدَّى مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
هَلْ لَكَ فِيمَا نَتَنَادِمُ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ تُوَمَّنِي ؟ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . فَقَالَ لَوْ نِي حَائِلٌ ،
وَشَعْرِي مُقْلَقٌ ، وَخِلَقَتِي مُشَوَّهَةٌ ، وَلَمْ أَبْلُغْ مَا بَلَغْتَ مِنْ إِكْرَامِكَ إِيَّايَ بِشَرَفِ
أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ عَشِيرٍ ، وَإِنَّمَا بَلَغْتُهُ بِعَقْلِي وَلِسَانِي ، فَأَنْشُدُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْ تَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا بَلَغْتُ بِهِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ مِنْكَ ، فَأَعْفَاهُ .

عمر وابن مزيد
في سبب تسميته

وَذُكْرُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَزِيدٍ قَالَ :
لَقِيتُ النَّصِيبَ يَوْمًا بِبَابِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ،
لَمْ تُسَمِّتْ نَصِيبًا ؟ أَلْقَوْلُكَ فِي شِعْرِكَ : « عَايَنَهَا النَّصِيبُ » ؟ فَقَالَ : لَا ! وَلَكِنِّي
وُلِدْتُ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ وَدَّانَ ، فَقَالَ سَيِّدِي : إِيْتُونَا بِمَوْلِدِنَا هَذَا لِنَنْظُرَ إِلَيْهِ .
فَلَمَّا أَتَى بِي ، قَالَ : إِنَّهُ لَمَنْصَبُ الْخَلْقِ ^(٣) ، فَسُمِّيتُ : النَّصِيبُ . ثُمَّ اشْتَرَانِي
عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ فَأَعْتَقَنِي .

(١) مَأَقُ الْعَيْنِ : حَرْفُهَا الَّذِي يَلِي الْأَنْفَ . وَالْغُرُوبُ : الدَّمُوعُ حِينَ تَخْرُجُ مِنَ الْعَيْنِ .

(٢) السُّلُوبُ ، يَرِيدُ : الظُّبْيَةُ الَّتِي سَلَبَتْ وَلَدَهَا .

(٣) مَنْصَبُ الْخَلْقِ : مَسَافَةُ مَسْتَقِيمَةٍ .

هو ورجل لقيه
هو وأم بكر

وذَكَرَ بَعْضُهُمْ، قَالَ :

رَأَيْتُ رَجُلًا أَسْوَدَ وَمَعَهُ أَمْرَأَةٌ بَيْضَاءُ ، فَجَعَلْتُ أُعْجِبُ مِنْ سَوَادِهِ وَبَيَاضِهَا ،
فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا الَّذِي أَقُول :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي تُحَدِّثُ بِي غَدَاً غُرْبَةً النَّأْيِ الْمُفَرِّقِ وَالْبُعْدِ
لَدَى أُمِّ بَكْرٍ حِينَ تَقْتَرِبُ النَّوَى بِنَا ثُمَّ يَخْلُو الْكَاشِحُونَ بِهَا بَعْدِي
أَتَضَرِّمُنِي عِنْدَ الْأُلَى هُمْ لَنَا الْعِدَا فَتَشْمِثُهُمْ بِي أُمُّ تَدْوُمٍ عَلَى الْعَهْدِ

قَالَ : فَصَاحَتْ : بَلْ تَدْوُمُ وَاللَّهِ عَلَى الْعَهْدِ . فَسَأَلْتُ عَنْهُمَا . فَقِيلَ : هَذَا
نَصِيبٌ . وَهَذِهِ أُمُّ بَكْرٍ .

وَقِيلَ : أَتَى نَصِيبٌ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَحَمَلَهُ وَأَعْطَاهُ وَكَسَاهُ . فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ :
يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، أَعْطَيْتَ هَذَا الْعَبْدَ الْأَسْوَدَ هَذِهِ الْعَطَايَا ! فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ كَانَ أَسْوَدَ
إِنْ ثَنَاءَهُ لَا بَيْضَ ، وَإِنْ شِعْرَهُ لِعَرَبِيٍّ . وَلَقَدْ أُسْتَحَقَّ بِمَا قَالَ أَكْثَرُ مَا نَالَ .
وَمَا ذَاكَ ؟ إِنَّمَا هِيَ رَوَاحِلُ تُنْضَى ^(١) ، وَثِيَابٌ تَبْلَى ، وَدَرَاهِمُ تَفْنَى ، وَثَنَاءٌ
يَبْقَى ، وَمَدَامُحُ تُرَوَّى .

جواب عبد الله
ابن جعفر وقد سئل
عن عطاياه له

وذَكَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ :

منقذ الهلال مع
بعضهم في شعر له

أَتَانِي مُنْقِذُ الْهِلَالِ لَيْلًا ، فَضَرَبَ عَلَى الْبَابِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ :
مُنْقِذُ الْهِلَالِ . فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَرِعَا . فَقَالَ : الْبُشْرَى ! فَقُلْتُ : أَيُّ بُشْرَى أَتَيْتَنِي
بِهَا فِي هَذَا اللَّيْلِ ؟ قَالَ : خَيْرٌ ، أَتَانِي أَهْلِي بِدَجَاجَةٍ مَشْوِيَّةٍ بَيْنَ رَغِيفَيْنِ ،
فَتَعَشَّيْتُ بِهَا . ثُمَّ أَتَوْنِي بِقَيْنِيَّةٍ مِنْ نَبِيدٍ قَدْ أُلْتَقِيَ طَرَفَاها رِقَّةً وَصَفَاءً ، فَجَعَلْتُ
أَشْرَبُ وَأَتَرَنَّمُ بِقَوْلِ نَصِيبٍ :

بَزَيْنَبَ أَلَمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ وَقُلْ إِنَّ تَمَلِّينَا فَمَا مَلَكِ الْقَلْبُ

(١) تنضى . تهزل ، وأنضاه السفر : هزله .

ففكرتُ في إنسان يفهم حسنه ويعرف فضله ، فلم أجِدْ غيرك ، فأتيتُك مُخبراً بذلك . فقلتُ : ما جاء بك إلّا هذا ؟ فقال : أوَلَا يَكْفِي ! ثم أنصرفت .

هو ومسلمة في عفة شعره

وقيل : قال مَسْلَمَةُ لِنَصِيب : أنت لا تُحَسِّنُ الهجاء . قال : بلى والله ! أترأى لا أحسن أن أجعل مكان « عافاك الله » « أخزأك الله » ؟ قال : فإنّ فلاناً قد مدحته فحرمك ، فاهجّه . قال : لا والله ، ما ينبغي أن أهجوّه ، إنما ينبغي أن أهجوّ نفسي حيث مدحته . قال مَسْلَمَةُ : هذا والله أشدّ من الهجاء .

طلب إليه عمر بن عبد العزيز أن ينشده « قفا أخوى »

وقيل : دَخَلَ نَصِيبٌ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْبَرِهِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَتَذُنُّ لِي أَنْشِدَكَ مِنْ مَرَاثِي عَبْدِ الْعَزِيزِ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ فَتَحْزِنَنِي ، وَلَكِنْ أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ : « قفا أخوى » فَإِنَّ شَيْطَانَكَ كَانَ لَكَ فِيهَا نَاصِحًا حِينَ لَقْنَكَ إِيَّاهَا . فَأَنشده :

قِفَا أَخَوَى إِنَّ الدَّارَ لَيْسَتْ كَمَا كَانَتْ بِعَهْدِكُمَا تَكُونُ
لِيَالِي تَعْلَمَانِ وَآلُ لَيْلَى قَطِينُ الدَّارِ فَاحْتَمَلُ ^(١) الْقَطِينِ
فَعَوَّجَا فَاَنْظُرَا أَتُبِينُ عَمَّا سَأَلْنَاهَا بِهِ أَمْ لَا تُبِينِ
فَظَلَا وَاقِفَيْنِ وَظَلَّ دَمْعِي عَلَى خَدَيَّ تَجُودُ بِهِ ^(٢) الشُّونِ
فَلَوْلَا إِذْ رَأَيْتَ الْيَأْسَ مِنْهَا بَدَأَ أَنْ كِدْتَ تَرَشُّقُكَ ^(٣) الْعُيُونِ
بَرِحْتَ فَلَمْ يَأْمُكِ النَّاسُ فِيهَا وَلَمْ تَغْلُقْ كَمَا غَلِقَ ^(٤) الرَّهَيْنِ

وقيل : كان نصيب ينزل على عجوز بالجحفة إذا قدم من الشام ، وكانت

هو وعجوز كان يختلف إليها مع ابنتها

(١) القطين : السكان ، للواحد والجمع .

(٢) الشئون : مجازي الدموع من العين ؛ الواحد : شأن .

(٣) ترشقك : تحد النظر إليك كأنها ترميك بسهام لحظها .

(٤) الرهين : جمع رهن ، وهو ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه . وغلق

الرهن : إذا لم يوجد له تخلص وبقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه .

لها بُنْيَة صَفراء ، وكان يَسْتَحْلِيها ، فإذا قَدِمَ وَهَبَ لها دَرَاهِمَ وَثِياباً وَغَيْرَ ذَلِكَ .
فَقَدِمَ عليهما قَدَمَةً وَبَاتَ بهما . فلم يَشْعُرْ إِلَّا بِفَتًى قَدْ جَاءَها لَيْلاً فَرَكَضَها بِرِجْلِهِ ،
فَقَامَتْ مَعَهُ ، وَأَبْطَأَتْ ثُمَّ عَادَتْ . وعادَ إليها بعد ساعة فَرَكَضَها بِرِجْلِهِ . فقامت
مَعَهُ وَأَبْطَأَتْ . ثُمَّ عَادَتْ . فَلَمَّا أَصْبَحَ نُصَيْبٌ رَأَى أَثَرَ مُعْتَرِكِهما وَمُغْتَسِلِهما .
فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْتَحِلَ قَالَتْ لَهُ الْعَجُوزُ وَبَنَتْها : بَأبَى أَنْتَ ! عَادَتِكَ . فَقَالَ لها :

أَرَاكَ طَمُوحَ الْعَيْنِ مَيَّالَةَ الْهَوَى لهذا وهذا منك وَدُّ مُلَاطِفُ
فَإِنْ تَحْمِلِي رِدْفَيْنِ لَا أَكُ مِنْهُمَا فَحِجَّتِي فَرَدُّ لَسْتُ مُنَّ (١) يُرَادِفُ

وقيل : كانت بِمَلَك (٢) أُمْرَأَةً يَنْزِلُ بِها النَّاسُ ، فنزل بِها أَبُو عُبَيْدَةَ
ابن عبد الله بن زَمْعَةَ ، وَعِمْرانُ بن عبد الله بن مُطِيع ، وَنُصَيْبٌ . فلما رَحَلُوا ، وَهَبَ
لها الْقُرْشَيَّانِ ، ولم يكن مَعَ نُصَيْبٍ شَيْءٌ ، فَقَالَ لها : أَخْتَارِي : إِنْ شِئْتَ أَضْمَنَ
لَكَ مِثْلَ ما أَعْطَيْكَ إِذَا قَدِمْتُ ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فَيْكَ أَيْبَاتًا تَنْفَعُكَ ؟ قَالَتْ :
بَلِ الشَّعْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ . فَقَالَ :

أَلَا حَيَّ قَبْلَ الْبَيْنِ أَمْ حَبِيبِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَّا غَدًا بِقَرِيبِ
لَنْ لَمْ يَكُنْ حُبِّيكَ حُبًّا صَدَقْتُهُ فَمَا أَحَدٌ عِنْدِي إِذَا بِحَبِيبِ
تَهَامٍ (٣) أَصَابَتْ قَلْبَهُ (٤) مَلَلِيَّةٌ غَرِيبُ الْهَوَى يَا وَيْحَ كُلِّ غَرِيبِ
فَشَهَرَهَا بِذَلِكَ ، وَأَصَابَتْ بِقَوْلِهِ فِيهَا خَيْرًا .

قيل : ودخلَ نُصَيْبٌ على عُمر بن عبد العزيز ، بعد ما وَلِيَ الْخِلاَفَةَ ، فَقَالَ :
إِيهَ يَا أَسْوَدَ ! أَنْتَ الَّذِي تُشَهِّرُ النِّسَاءَ بِنِسِيِّكَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ ذَلِكَ

هو وامرأة من ملل
ينزل عندها الناس

سؤاله عمر بن عبد
العزيز نفقة لبناته

(١) الردف : الذى يركب خلف الراكب . وأرادف : أكون ردفاً مع غيره .

(٢) ملل : موضع فى طريق مكة بين الحرمين . وفى الأصل : « مالک » .

(٣) تهام : نسبة إلى تهامة ، وتقول أيضاً : تهامى ، بكسر التاء . إذا فتحت التاء لم تشدد

الياء ، وإن كسرتها شددت الياء .

(٤) ومللية : نسبة إلى ملل ، موضع فى طريق مكة . وفى الأصل : « مالكية » .

يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وعاهدتُ اللهَ تعالى ألا أقولَ نَسِيبًا . وشَهِدَ له بذلكَ مَنْ حَضَرَ ،
وَأَثَنُوا عليه خيراً . فقال : أَمَّا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَسَلِّ حاجَتَكَ . فقال :
بُنَيَّاتُ لِي نَفَضْتُ عَلَيْهِنَّ سَوَادِي فَكَسَدَنَ ، أَرْغَبُ بِهِنَّ عَنِ السُّودَانِ ،
وَيَرْغَبُ عَنْهُنَّ الْبَيْضَانُ . قال : فَتُرِيدُ مَاذَا ؟ قال : تَقْرُضُ لِهُنَّ . ففعل . قال :
وَنَفَقَةٌ طَرِيقِي . فَأَعْطَاهُ حِلْيَةً سَيْفِهِ وَكِسَاهُ ثَوْبِيهِ ، وَكَانَا يُسَاوِيَانِ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا .

من رقيق شعره

ومن رقيق شعر نصيب قوله :

تَمُرُّ اللَّيَالِي مَا مَرَزَنَ وَلَا أَرَى مُرُورَ اللَّيَالِي مُنْشِيَاتِي أُبْنَةَ النَّضْرِ
وَقَفْتُ بَذِي دَوْرَانٍ أَنْشُدُ بِكَرْتِي وَمَالِي فِيهَا مِنْ قَلُوصٍ ^(١) وَلَا بَكْرٍ
وَمَا أَنْشُدُ الرُّغَيَانَ إِلَّا تَعَلَّةً بَوَاضِحَةَ الْأَنْيَابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
أَمَّا وَالَّذِي نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدَهُ وَعَلَّمَ أَيَّامَ الْمَنَاسِكِ وَالنَّحْرِ
لَقَدْ زَادَنِي لِلْجَفْرِ حُبًّا وَأَهْلَهُ لَيَالٍ أَقَامْتُهُنَّ لَيْلِي ^(٢) عَلَى الْجَفْرِ

شعره في عبد
العزيز بن مروان

وقيل : كان عبدُ العزيز بن مروان أُشْتَرِيَ نَصِيبًا وَأَهْلَهُ وَوَلَدَهُ فَأَعْتَقَهُمْ ،
وَكَانَ نَصِيبٌ يَرْحَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ مُسْتَمِيحًا ، فَيُجِيزُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَيُحَسِّنُ صَلَاتَهُ .
فَقَالَ فِيهِ نَصِيبٌ :

يَقُولُ فَيُحَسِّنُ الْقَوْلَ ابْنُ لَيْلِي وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ
فَتَّى لَا يَرَزَا الْإِخْوَانَ إِلَّا مَوَدَّتَهُمْ ^(٣) وَيَرْزُوهُ الْخَلِيلُ
فَبَشَّرَ أَهْلَ مِصْرَ فَقَدْ أَتَاهُمْ مَعَ النَّيْلِ الَّذِي فِي مِصْرَ نَيْلُ

هو وشاعر هجاء
بالسواد

قيل : وكان نَصِيبٌ يُسْكِنِي أَبَا الْحِجْنَاءِ ، فَهَجَاهُ شَاعِرٌ فَقَالَ :

رَأَيْتُ أَبَا الْحِجْنَاءِ فِي النَّاسِ حَائِرًا وَلَوْ أَنَّ أَبِي الْحِجْنَاءِ لَوْنُ الْبَهَائِمِ

(١) ذو دوران : موضع بين قديد والحفة . (ياقوت) . والقلوص : الفتية من الإبل .

(٢) في الأصل : « ليال أقامت فيه » .

(٣) لا يرزا ، أي لا يصيب منهم إلا الود .

تَرَاهُ عَلَى مَا لَاحَهُ مِنْ سَوَادِهِ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا لَهُ وَجْهُ ظَالِمٍ
فَقِيلَ لِنُصَيْبٍ : أَلَا تُجِيبُهُ ؟ فَقَالَ : لَا ! وَلَوْ كُنْتُ هَاجِيًا أَحَدًا لَأَجَبْتُهُ .
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَوْصَلَنِي بِهَذَا الشَّعْرِ إِلَى خَيْرٍ ، فَجَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَّا أَقُولَهُ فِي شَرٍّ ،
وَمَا وَصَفَنِي إِلَّا بِالسَّوَادِ ، وَقَدْ صَدَقَ . أَفَلَا أَنْشِدُكُمْ مَا وَصَفْتُ بِهِ نَفْسِي ؟ قَالُوا :
بَلَى . فَأَنْشَدَهُمْ قَوْلَهُ :

لَيْسَ السَّوَادُ بِنَاقِصٍ مَا دَامَ لِي هَذَا اللِّسَانُ إِلَى فُؤَادٍ ثَابِتٍ
مَنْ كَانَ تَرْفَعُهُ مَنَابِتُ أَصْلِهِ فَبَيُّوتُ أَشْعَارِي جُعِلْنَ مَنَابِتِي
كَمْ بَيْنَ أَسْوَدَ نَاطِقٍ بِبَيَانِهِ مَاضِيَ الْجَنَانِ وَبَيْنَ أَبْيَضَ صَامِتٍ
إِنِّي لَيَحْسُدُنِي الرَّفِيعُ بِنَاوِهِ فَضْلَ الْبَيَانِ وَلَيْسَ بِي مِنْ شَامِتٍ

وقيل : قال رجل لنُصَيْبٍ : أَيُّهَا الْعَبْدُ ! مَا لَكَ وَلِلشَّعْرِ ! فَقَالَ : أَمَّا قَوْلُكَ
«عَبْدُ» فَمَا وُلِدْتُ إِلَّا وَأَنَا حُرٌّ ، وَلَكِنْ ظَلَمُونِي وَبَاعُونِي . وَأَمَّا السَّوَادُ ،
فَأِنِّي أَقُولُ :

فَإِنْ أَكُ حَالِكًا لَوْنِي فَإِنِّي لِعَقْلٍ غَيْرِ ذِي سَقَطٍ وَعَاءٍ
وَمَا نَزَلْتُ بِي الْحَاجَاتُ إِلَّا وَقَى عِرْضِي مِنَ الطَّمَعِ الْحَيَاءِ

وقيل : وقف نُصَيْبٌ عَلَى أَيْبَاتٍ فَاسْتَسْقَى مَاءً ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ بِلَبَنٍ
أَوْ مَاءٍ فَسَقَّتَهُ وَقَالَتْ : شَبَّبَ بِي . فَقَالَ : مَا أَسْمُكَ ؟ قَالَتْ : هِنْدُ ، وَنَظَرَ إِلَى جَبَلٍ
وَقَالَ : مَا أَسْمُ هَذَا الْعَلَمِ ؟ قَالَتْ : قَنَا . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَحِبُّ قَنَا مِنْ حُبِّ هِنْدٍ وَلَمْ أَكُنْ أَبَالِي أَقْرَبًا زَادَهُ اللَّهُ أَمَّ بُعْدًا
أَلَا إِنَّ بِالْقَيْعَانِ مِنْ بَطْنِ ذِي قَنَا لَنَا حَاجَةً مَالَتْ إِلَيْهِ بِنَا عَمْدًا
أَرُونِي قَنَا أَنْظُرْ إِلَيْهِ فَإِنِّي أَحِبُّ قَنَا إِنِّي رَأَيْتُ بِهِ هِنْدًا
فَشَاعَتْ هَذِهِ الْأَيْبَاتُ ، وَخُطِبَتْ الْجَارِيَةُ مِنْ أَجْلِهَا ، وَأَصَابَتْ بِقَوْلِ نُصَيْبٍ
فِيهَا خَيْرًا كَثِيرًا .

بينه وبين رجل
سبه بالرق

هو وجارية سأله
أن يشيب بها

هو و جارية مطلقة
أبت ثم تزوجته

وقيل : دَخَلَ نُصَيْبٌ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي يَا نُصَيْبُ
بِإِغْوَاءِ مَا مَرَّ عَلَيْكَ . قَالَ : نَعَمْ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَّقْتُ جَارِيَةً حُمْرَاءَ ، فَكَثَرَتْ
زَمَانًا تُتَمَنِّيَنِي بِالْأَبَاطِيلِ ، فَلَمَّا أَلْحَحْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ
مِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ . فَقُلْتُ لَهَا : وَأَنْتِ وَاللَّهِ كَأَنَّكَ مِنْ طَوَارِقِ النَّهَارِ . فَقَالَتْ :
مَا أَظْرَفَكَ يَا أَسْوَدُ ! فَعَاظَنِي قَوْلُهَا . فَقُلْتُ لَهَا : أَتَدْرِينَ مَا الظَّرْفُ ؟ إِنَّمَا الظَّرْفُ
الْعَقْلُ . ثُمَّ قَالَتْ لِي : أَنْصَرِفْ حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِكَ . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا
بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

فَإِنْ أَكُّ حَالِكًا فَالْمِسْكُ أَحْوَى وَمَا لِسَوَادٍ جِلْدِي مِنْ دَوَاءٍ
وَلِي كَرَمٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ ^(١) نَابٍ كَبُعْدِ الْأَرْضِ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ
وَمِثْلِي فِي رَجَالِكُمْ قَلِيلٌ وَمِثْلِكَ لَيْسَ يُعْدَمُ فِي النِّسَاءِ
فَإِنْ تَرْضَى فَرَدِّي قَوْل ^(٢) وَاشٍ وَإِنْ تَأْبَى فَنَحْنُ عَلَى السَّوَاءِ

قال : فَلَمَّا قَرَأَتْ الشَّعْرَ قَالَتْ : الْمَالُ وَالشَّعْرُ يَأْتِيَانِ عَلَى غَيْرِهِمَا . فَتَزَوَّجْتَنِي .

وقال الرِّيَاشِيُّ :

أَنشَدْنَا الْأَصْعَى لِنُصَيْبٍ ، وَكَانَ يَسْتَجِيدُ هَذِهِ الْآيَاتِ وَيَقُولُ إِذَا أَنشَدَهَا :

قَاتِلِ اللَّهُ النَّصِيبَ ! مَا أَشْعَرَهُ !

فَإِنْ يَكُ مِنْ لَوْنِي السَّوَادُ فَإِنَّهُ لَكَالْمِسْكِ لَا يَرَوَى مِنَ الْمِسْكِ ذَائِقُهُ
وَمَا ضَرَّ أَثْوَابِي سَوَادِي وَتَحْتَهَا لِبَاسٌ مِنَ الْعُلْيَاءِ بَيْضٌ ^(٣) بَنَائِقُهُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْذُلْ مِنَ الْوُدِّ مِثْلَ مَا بَذَلْتُ لَهُ فَاغْلَمَ بِأَنِّي مُفَارِقُهُ
وَذُكْرُ أَنْ نُصَيْبًا خَرَجَ هُوَ وَالْأَحْوَصُ وَكَثِيرٌ غَبَّ يَوْمٍ أَمْطَرَتْ فِيهِ السَّمَاءُ .

هو والأحوص
وكثير في حضرة
امرأة من بني أمية

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « نَاءٌ » مَكَانَ « نَابٍ » .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « رَاضٍ » مَكَانَ « وَاشٍ » .

(٣) الْبَنَائِقُ : جَمْعُ بَنِيْقَةٍ ، وَهِيَ طَوْقُ الثَّوْبِ الَّتِي يُضَمُّ النِّحْرُ وَمَا حَوْلَهُ .

فقال : هل لكم في أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمتع فيه
 أبصارنا ؟ فقالوا : نعم . فركبوا أفضل ما يقدرّون عليه من الدواب . ولبسوا أحسن
 ما يقدرّون عليه من الثياب ، وتَنَكَّرُوا ثم ساروا حتى أتوا العقيق ، فجعلوا
 يتصفّحون ^(١) ويروّون بعض ما يشتهون ، حتى رُفِعَ لهم سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَأَمَّوهُ
 حتى أتوه . فإذا وصائفٌ ورجالٌ من الموالى ونساء بارزات ، فسألنهم أن ينزلوا .
 فاستَحْيَوْا أن يُجِيبوهنَّ من أوّل وهلةٍ ، فقالوا : لا نستطيع حتى نَمُضِيَ في حاجة
 لنا . فخلّفنهم أن يرّجعوا إليهن . ففعلوا وأتوهنَّ ، فسألنهم النزول . ودخلت
 امرأة من النساء ، فاستأذنت لهم ، فلم تلبث أن جاءت فقالت : ادخلوا . قال :
 فدخلنا على امرأةٍ برزّةٍ على فرُشٍ لها ، فرحبت وحيّت ، وإذا كرسي مَوْضوعة ،
 فجلسنا جميعاً في صفٍّ واحد ، كل إنسان على كرسي . فقالت : إن أحببتُم أن
 ندعُوَ بصبيّ لنا فنُصَيِّحه ونَعْرُكَ أُذنيه ^(٢) ، فعلنا ؟ وإن شِئتم بدأنا بالغداء ؟
 فقلنا : بل تدعِين بالصبيّ ، ولن يفوتنا الغداء . فأومأت بيدها إلى بعض الخدم .
 فلم يكن إلا كلاً ولا ^(٣) حتى جاءت جاريةٌ جميلةٌ قد سُتِرَتْ بِمُطَرَفٍ ، فَأَمْسَكُوهُ
 عليها حتى ذهب بهرُّها ^(٤) ، ثم كُشِفَ عنها ، فإذا جارية ذاتُ جمالٍ ، قريبةٌ من
 جمالِ مولاتِها ، فرحبت بهم وحيّتهم . فقالت لها مولاتُها : خُذِي ويحك
 من قول النُصيب ! عافى الله أبا محجن :

أَلَا هَلْ مِنَ الْبَيْنِ الْمُفَرَّقِ مِنْ بُدٍّ وهل مثلُ أيامٍ بِنُقْطَعِ السَّعْدِ ^(٥)

(١) تصفح الشيء : نظر إليه ليتعرفه .

(٢) عرك الأذن : دلكها . تريد الغناء وضرب العود .

(٣) قال ابن منظور : والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل ، أو ظهور شيء خفي ، قالوا : كان

فعله كلاً ؛ وربما كرروا فقالوا : كلاً ولا .

(٤) أي حتى هدأت واطمأنت .

(٥) السعد : موضع قرب المدينة . ويريد بمنقطع السعد : حيث ينقطع وينتهي .

تَمَنَيْتُ أَيَّامِي أَوْلَيْكَ وَالْمَنَى عَلَى عَهْدِ عَادٍ مَا تُعِيدُ وَلَا تُبْدِي ^(١)
فَغَنَّتْهُ الْجَارِيَةُ ، فَجَاءَتْ بِهِ أَحْسَنَ مَا سَمِعَتْهُ قَطُّ ، بِأَحْلَى لَفْظٍ وَأَشْجَى صَوْتٍ .
ثُمَّ قَالَتْ : خُذْهُ أَيْضًا مِنْ قَوْلِ أَبِي مُحْجَنٍ ، عَافَى اللَّهُ أَبَا مُحْجَنٍ :

أَرْقَ الْمَحِبُّ وَعَادَهُ سَهْدُهُ لَطَوَارِقِ الْهَمِّ الَّتِي تَرَدُّهُ
وَذَكَرْتُ مِنْ رَقَّتْ لَهُ كَبِدِي وَأَبَى فَلَيْسَ تَرَقُّ لِي كَبِدُهُ
لَا قَوْمُهُ قَوْمِي وَلَا بَلَدِي - فَنَكُونُ حِينًا حَيْرَةً - بَلَدُهُ
وَوَجَدْتُ وَجْدًا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَبْلِي مِنْ أَجْلِ صَبَابَةٍ يَجِدُهُ

فَجَاءَتْ بِهِ أَحْسَنَ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَكَذَتْ أَطِيرُ سُرُورًا . ثُمَّ قَالَتْ لَهَا : وَيْحَكَ !
خُذْهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي مُحْجَنٍ أَيْضًا ، عَافَى اللَّهُ أَبَا مُحْجَنٍ :

فِيَاللَّكَ مِنْ لَيْلٍ تَمَتَّعْتُ طَوْلَهُ وَهَلْ طَائِفٌ مِنْ نَأْمٍ مُتَمَتِّعٌ
نَعَمْ إِنَّ ذَا شَجْوٍ مَتَى يَلْقَى شَجْوَهُ وَلَوْ نَأْمًا مُسْتَعْتَبٌ ^(٢) أَوْ مُودَّعٌ
وَقَدْ قُرِعَتْ فِي أُمِّ عَمْرِو لَكَ الْعَصَا قَدِيمًا كَمَا كَانَتْ لَذَى الْحِلْمِ ^(٣) تُقْرَعُ

قَالَ : فَجَاءَتْ وَاللَّهِ بِشَيْءٍ حَيَّرَنِي وَأَذْهَلَنِي طَرَبًا ، مُحْسِنِ الْغِنَاءِ ، وَسُرُورًا
بِاخْتِيَارِهَا الْغِنَاءَ فِي شِعْرِي ، وَمَا سَمِعْتُ فِيهِ مِنْ حُسْنِ الصَّنِيعَةِ وَجُودَتِهَا
وَإِحْكَامِهَا . ثُمَّ قَالَتْ لَهَا : خُذْهُ وَيْحَكَ أَيْضًا مِنْ قَوْلِ أَبِي مُحْجَنٍ ! عَافَى اللَّهُ
أَبَا مُحْجَنٍ :

يَا أَيُّهَا الرَّكْبُ إِنِّي غَيْرُ تَابِعِكُمْ حَتَّى تُلِمُّوا وَأَنْتُمْ بِي مُلِمُّونَا
قَالَ نَصِيبٌ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ زَهَوْتُ بِمَا سَمِعْتُ زَهْوًا خَيْلَ لِي أَنَّ مِنْ قُرَيْشٍ ،

(١) ما تعيد ولا تبدى ، أى لا نفع عندها .

(٢) مستعتب ، أى طالب العتبى والرضى .

(٣) يشير إلى المثل المعروف : « إن العصا قرعت لذى الحلم » . وأصله أن حكماً من حكام العرب

عاش حتى أسن فأهتر ، فقال لابنته : إذا أنكرت منى شيئاً عند الحكم فافرقى لى العصا لأرتدع .

وَأَنَّ الْخِلَافَةَ لِي . ثُمَّ قَالَتْ : حَسْبُكَ يَا بُنَيَّةُ ! هَاتِ الطَّعَامَ يَا غُلَامُ . فَوَثَبَ
الْأَحْوَصُ وَكَثِيرٌ وَقَالَا : وَاللَّهِ لَا نَطْعَمُ لَكَ طَعَامًا وَلَا نَجْلِسُ لَكَ مَجْلِسًا ، فَقَدْ
أَسَاتِ عِشْرَتَنَا ، وَأُسْتَخَفَّتْ بِنَا وَقَدَّمْتَ شِعْرَ هَذَا عَلَى أَشْعَارِنَا ، وَأُسْتَمَعْتَ الْغِنَاءَ
فِيهِ ؛ وَإِنْ فِي أَشْعَارِنَا لِمَا يَفْضُلُ شِعْرَهُ ، وَفِيهَا مِنَ الْغِنَاءِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا .
فَقَالَتْ : عَلَى مَعْرِفَةِ كُلِّ مَا كَانَتْ مِنِّي ، فَأَيُّ شِعْرٍ كَمَا أَفْضَلُ مِنْ شِعْرِهِ ؟
أَقُولُكَ يَا أَحْوَصُ :

يَقْرَأُ بَعَيْنِي مَا يَقْرَأُ بَعَيْنَهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ
أَمْ قَوْلُكَ يَا كَثِيرٌ فِي عَزَّةٍ :
إِذَا ضَمْرِيَّةٌ عَطَسَتْ فَنِكَهَا فَإِنَّ عَطَاسُهَا طَرَفُ السَّفَادِ
أَمْ قَوْلُكَ فِيهَا :

وَمَا حَسَبْتُ ضَمْرِيَّةً^(١) جُدْوِيَّةً سِوَى التَّيْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنْ لَهَا بَعْلًا
قَالَ : فَخَرَجَا مُغْضَبَيْنِ ، وَاحْتَبَسْتَنِي وَأَمَرْتُ لِي بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ ، وَحُلَّتَيْنِ
وَطِيبٍ ، ثُمَّ دَفَعْتُ إِلَى مَائَتِي دِينَارٍ ، وَقَالَتْ : أَدْفَعُهُمَا إِلَى صَاحِبَيْكَ ، فَإِنْ قَبِلَاهَا
وِإِلَّا فَهِيَ لَكَ . فَأَتَيْتُهُمَا فِي مَنَازِلِهِمَا فَأَخْبَرْتُهُمَا الْقِصَّةَ ، فَأَمَّا الْأَحْوَصُ فَقَبِلَهَا ،
وَأَمَّا كَثِيرٌ فَلَمْ يَقْبَلَهَا وَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ صَاحِبَتَكَ وَجَاوَزْتُهَا ! وَلَعَنَكَ مَعَهَا .
فَأَخَذْتُهَا وَأَنْصَرَفْتُ .

قَالَ الرَّأَوِيُّ : فَسَأَلْتُ النَّصِيبَ : مَنْ الْمَرْأَةُ ؟ فَقَالَ : امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ،
وَلَا أَذْكَرُ أَسْمَها مَا حَيِّتُ لِأَحَدٍ .

قِيلَ : وَقَعَ الطَّاعُونُ بِمِصْرَ فِي وَلَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ إِيَّاهَا ، فَخَرَجَ
هَارِبًا مِنْهُ ، فَانْزَلَ بِقَرْيَةٍ مِنَ الصَّعِيدِ يُقَالُ لَهَا : سُكَّرٌ — قُلْتُ : « وَأَظْهَرُ الْقَرْيَةِ

رثاؤه عبد العزيز
وقد مات بسكر

(١) جدوية : نسبة إلى جدي بن ضمرة بن بكر ، من كنانة .

المعروفة اليوم بالشكر ، بينها وبين الفسطاط مرحلة » — قال : فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان ، فقال له عبد العزيز : ما أسمك ؟ قال : طالب ابن مدرك . فقال : أوّه ! ما أراني راجعاً إلى الفسطاط أبداً ما حييت . ومات في تلك القرية . فقال نصيب يرثيه :

أصبتُ يومَ الصَّعيد من سُكر مُصيبةٌ ليس لي بها قبَلُ
تالله أنسى مُصِيبتي أبداً ما أسمعُني حنينها الإبلُ
ولا التَّبَكِّيَ عليه^(١) أعولُه كلَّ المُصِيباتِ بعده جَلُ
لم يَعْلَمْ النَّعْشُ ما عليه من الـ عُرِفَ ولا الحاملون ما حَمَلُوا
حتى أَجَنُّوه في ضَرِيحهم حين أُنْهَى من خليك^(٢) الأجلُ

لابن واصل في ولاية مروان بالعهد

— قلت : كان مروان بن الحكم قد جعل ولاية عهده لابنه عبد الملك ، وبعده لعبد العزيز ، وولّى عبد العزيز مصر . فلما مات مروان وأفضت الخلافة إلى عبد الملك أقرّ أخاه عبد العزيز على مصر وولاية عهده . ونشأ لعبد الملك أبناء : الوليد وسليمان ، فأحبّ موت أخيه عبد العزيز لينقل ولاية العهد إلى أبنيه . وأستطال أيام عبد العزيز ، فاتفق موته بمصر سنة ست وثمانين . ومات بعده عبد الملك في هذه السنة ، بعد أن عهد إلى أبنيه —

هو عبد الملك وقد وُطلب إليه رثاءه في أخيه

وذُكر أنه دخل نصيب على عبد الملك فقال له : أنشدني بعض ما رثيت به أخى . فأنشده أبياتاً منها :

عَرَفْتُ وَجَرَّبْتُ الْأُمُورَ فما أَرَى كماضٍ تَلَاهُ الْغَابِرُ^(٣) المتأخِّرُ
ولكنَّ أَهْلَ الْفَضْلِ من أَهْلِ نِعْمَتِي يَمُرُّونَ أَسْلَافاً أُمَامِي وَأَغْبَرُ

(١) أعول : أى أرفع صوت بالبكاء .

(٢) الرواية في ياقوت : « خليله » .

(٣) الغابر : الباقي . وغبر ، كما يستعمل بمعنى مضى ، يستعمل بمعنى بقى .

فَإِنْ أَبْكَهْ ^(١) أَعْذَرُوا إِنْ أَغْلَبَ الْأَسَى بِصَبْرٍ فَمِثْلِي عِنْدَ مَا أُشْتَدَّ يَصْبِرُ
فَإِنْ كُنَّ قَدْ نَلْنِ ابْنَ لَيْلَى فَإِنَّهُ هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ أَهْلِهِ الْمُتَخَيَّرِ
فلما سمع عبد الملك قوله « فَإِنْ أَبْكَهْ أَعْذَر » قال : ويلك ! أنا كنتُ أَحَقَّ
بهذه الصِّفَّة منك في أخي ، فهلاً وصفتني بها : وجعل يبكي .

وذكر أنه قيل لِنُصَيْبٍ : هَرِمَ شَعْرُكَ . فقال : لا والله ، ما هَرِمَ ولكن
العطاء هَرِمَ ، مَنْ يُعْطِينِي مِثْلَ مَا أَعْطَانِي الْحَكَمُ بْنُ الْمُطَّلَبِ ؟ خَرَجْتُ إِلَيْهِ
وهو ساعٍ على بعض صدقات المدينة ، فلما رأيته قلتُ :

له في عطاء الحكم
ابن المطلب له

أَبَا مَرْوَانَ لَسْتُ ^(٢) بِخَارِجِيٍّ وَلَيْسَ قَدِيمُ مَجْدِكَ بَانْتِحَالٍ
أَغْرُ إِذَا الرُّوَّاقُ أُنجَبَ عَنْهُ بَدَا مِثْلَ الْهِلَالِ عَلَى ^(٣) الْمِثَالِ
تَرَاهُ الْعُيُونُ كَمَا تَرَأَى عَشِيَّةَ فِطْرِهَا وَضَحَ الْهِلَالِ
قال : فَأَعْطَانِي أَرْبَعَمِائَةَ ضَائِنَةٍ وَمِائَةَ لِقْحَةٍ ^(٤) ، وقال : أَرْفَعُ فِرَاشِي .
فَرَفَعْتُهُ فَأَخَذْتُ مِنْ تَحْتِهِ مَائَتِي دِينَار .

وذكر أنه دخل نُصَيْبٌ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً
أَمْتَدَحَهُ بِهَا . فَطَرِبَ لَهَا يَزِيدٌ وَأُسْتَحْسَنَهَا ، فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا نُصَيْبُ ، سَنِي
مَا شِئْتُ . فَقَالَ : يَدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَطَاءِ أَبْسَطُ مِنْ لِسَانِي بِالْمَسْأَلَةِ . فَأَمَرَ بِهِ
يَزِيدٌ فَمُلِيَءَ فُوهَ جَوْهَرًا . فَلَمْ يَزَلْ بِهِ غَنِيًّا حَتَّى مَاتَ .

يزيد يملأ فوه جوهرا

وقيل : دخل نُصَيْبٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِشَامٍ ، وَهُوَ وَالٍ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَنْشَدَهُ :
يَا بَنَ الْهِشَامَيْنِ ^(٥) لَا بَيْتٌ كَبَيْتِهِمَا إِذَا تَسَامَتْ إِلَى أَحْسَابِهَا مُضَرٌّ

جائزة ابراهيم بن
هشام له

(١) في بعض أصول الأغاني : « أَبْكَهْم » .

(٢) الخارجي : الذي يخرج بشرف نفسه من غير أن يكون له قديم .

(٣) رواق البيت : سترة مقدمه ، ضد الكفاء ، وهو سترة مؤخره . وانجاء : انكشف .

والمثال : الفراش . (٤) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٥) الهشامان ، هما : هشام بن عبد الملك ، أبوه ؛ وهشام بن اسماعيل المخزومي ، جد أبيه لأمه .

فقال إبراهيم : قُمْ يَا أَبَا مِجْنٍ إِلَى تِلْكَ الرَّاحِلَةِ الْمَرْحُولَةِ فَخُذْهَا بِرَحْلِهَا . فقام إليها نَصِيبٌ مُتَبَاطِئًا ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَا عَطِيَّةَ أَهْنَأَ مِنْ هَذِهِ ، وَلَا أَكْرَمَ وَلَا أَعْجَلَ وَلَا أَجْزَلَ ! فَسَمِعَهُمْ نَصِيبٌ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : وَاللَّهِ قَلَمًا صَاحِبْتُمْ الْكَرَامَ ! وَمَا رَاحِلَةٌ وَرَحْلٌ حَتَّى تَرْفَعُوهُمَا فَوْقَ قَدَرِهَا !

قدومه على هشام
بعد مرض حين
ولى الخلافة

وقيل : أُسْتَبْطِئَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حِينَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ ، نَصِيبًا أَلَّا يَكُونَ جَاءَهُ وَافِدًا عَلَيْهِ مَادِحًا لَهُ ، وَوَجَدَ عَلَيْهِ . وَكَانَ نَصِيبٌ مَرِيضًا ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ حِينَ بَرَأَ ، فَقَدِمَ عَلَى هِشَامٍ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْمَرَضِ وَعَلَى رَاحِلَتِهِ أَثَرُ النَّصَبِ ، فَأَنَشَدَهُ :

وَأَهْدَتْ لَهُ بُدْنًا^(١) عَلَيْهَا الْقَلَائِدُ
بِمَبْلَغِ حَوْلى فِي رِصَاكِ الْجَاهِدِ
عَلَى الْعِهَادِ^(٢) الْمَشْفِقَاتُ الْعَوَائِدِ
بِنُضْحٍ وَإِشْفَاقٍ مَتَى أَنْتَ قَاعِدِ
إِلَيْكَ وَذَلَّتْ لِلِّسَانِ الْقِصَائِدِ
وَنُضْحِي وَإِشْفَاقِي إِلَيْكَ لَعَامِدِ
فَيَمَيَّاسَ ذَوْقُ رَبِّي وَيَشْمَتَ حَاسِدِ
رِضَاكَ بِعَفْوٍ مِنْ نَدَاكَ وَزَائِدِ
قَلِيلٌ وَأَمَّا مَسُّ جِلْدِي فَبِإِرَادِ
لَيَانَ^(٣) وَمَعْرُوفٍ وَالْخَيْرِ قَائِدِ
قِسِي الشَّرَى ذُبُلًا بِرَتَبِهَا^(٤) الطَّرَائِدِ

حَلَفْتُ بَمَنْ حَجَّتْ قُرَيْشٌ لَبَيْتِهِ
لَنْ كُنْتُ طَالَتْ غَيْبَتِي عَنْكَ إِنِّي
وَلَكِنِّي قَدْ طَالَ سَقَمِي وَأَكْثَرْتُ
صَرِيْعُ فِرَاشٍ مَا يَزَلْنَ يَقْلُنَ لِي
فَلَمَّا زَجَرْتُ الْعَيْسَ أَسْرَتُ بِحَاجَتِي
وَإِنِّي فَلَا تَسْتَبْطِنِي^(٥) بِمَوَدَّتِي
وَلَا تُقْصِنِي حَتَّى أَكُونَ^(٦) بِصَرْعَةٍ
أَنْلِي وَقَرَّبَنِي فَإِنِّي بَالِغٌ
أَبْتُ نَائِمًا أَمَّا فُؤَادِي فَهَمُّهُ
وَقَدْ كَانَ لِي مِنْكُمْ إِذَا مَا لَقِيتُكُمْ
إِلَيْكَ رَحَلْتُ الْعَيْسَ حَتَّى كَانَهَا

(١) البدن : جمع بدنة ، وهى ناقة تنحر بمكة .

(٢) العهد : المطر بعد المطر ، الواحدة : عهد وعهدة ، بفتح العين وكسرهما . يريد الدموع .

(٣) لا تستبطني : أى لا تستبطني . (٤) أى حتى يحل بى الموت .

(٥) الليان : نعمة العيش . (٦) ذبلا : جمع ذابل . والطرائد : جمع طريدة ، قصبة فيها

حزة تنحت عليها القداح وتبرى . وما أشبهها بمبرة أفلام الرصاص الآن . والرواية فى الأصل :

« قس ذبولا قد » .

وَحَتَّى هَوَادِيهَا دِقَاقٌ وَشَكْوَاهَا صَرِيفٌ وَبَاقِي النَّقْيِ مِنْهَا ^(١) شَرَائِدُ
وَحَتَّى دَنْتُ ذَاتُ الْمِرَاحِ فَأَذْعَنْتُ إِلَيْكَ وَكُلَّ الرَّاسِمَاتِ ^(٢) الْحَوَافِدِ

قال : فرق له هشامٌ و بَكى ، وقال : ويحك يا نصيب ! لقد أضرتنا بك
و برِواحلك . ووصله وأحسن صلته وأحتفى به .

وقيل : دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان ، فقال له عبد العزيز ، وقد
سؤال عبد العزيز
له عن عشقه
طال الحديث بينهما : هل عشقت قط ؟ قال : نعم ، أمةً لبني مُدَلِّج . قال :
فكنت تصنعُ ماذا ؟ قال : كانوا يحرسونها مني فكنت أقنعُ بأن أراها في الطريق ،
فأشيرُ إليها بعيني أو بحاجبي . وفيها أقول :

وَقَفْتُ لَهَا كَيْمَا تَمُرُّ لَعَنِي أَخَالِسُهَا التَّسْلِيمَ إِنْ لَمْ تُسَلِّمْ
فَلَمَّا رَأَتْنِي وَالْوُشَاةَ تَحَدَّرْتُ مَدَامُعُهَا خَوْفًا وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ مَا كُنْتُ أَشْتَرَى جَمِيعَ حَيَاةِ الْعَاشِقِينَ بِدِرْهِمِ

فقال له عبد العزيز : ما فعلت ؟ قال : بيعت فأولدها سيدها . قال : فهل
في نفسك منها شيء ؟ قال : نعم ، عقابيل ^(٣) أحزان .

وذكر أنه أتى نصيب مكة ، فقصده المسجد الحرام ليلاً ، فبينما هو كذلك
هو والنسوة الثلاث
اللاقى كن يتناشدن
في المسجد الحرام
إذ طلعت ثلاث نسوة فجلسن قريباً منه ، وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر
والشعراء ، فإذا هن من أفصح النساء وآدبهن . قالت إحداهن : قاتل الله جميلاً
حيث يقول :

(١) الهوادي : الأعناق : وشكواها : شكوها . والصريف : صريف الأنياب : والنقي :
مخ العظم : والشرائد : البقايا .

(٢) الراسمات : ذوات الرسم ، وهو ضرب من السير . والحوافد : السرعات .

(٣) العقابيل : البقايا .

وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَتَيْنِ ذَكَرْتُكُمْ بِمُخْتَلَفٍ مَا بَيْنَ سَاعٍ^(١) وَمَوْجِفٍ
وَعِنْدَ طَوَافِي قَدْ ذَكَرْتُكَ ذُكْرَةً هِيَ الْمَوْتُ بَلْ كَادَتْ عَلَى الْمَوْتِ تَضَعُفُ

فَقَالَتِ الْآخَرَى : بَلْ قَاتَلَ اللَّهُ كَثِيرَ عَزَّةٍ حَيْثُ يَقُولُ :

طَلَعْنَا عَلَيْنَا بَيْنَ مَرْوَةٍ وَالصَّفَا يَمْرُنَ^(٢) عَلَى الْبَطْحَاءِ مَوْرَ السَّحَابِ
وَكِدْنِ لِعَمْرِ اللَّهِ يُحْدِثُنَ فِتْنَةً لِمُخْتَشِعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَائِبٍ

فَقَالَتِ الْآخَرَى : بَلْ قَاتَلَ اللَّهُ نُصَيْبًا ابْنَ الزَّانِيَةِ ، حَيْثُ يَقُولُ :

الْأَمُّ عَلَى لَيْلَى وَلَوْ أَسْتَطِيعُهَا وَحُرْمَةً مَا بَيْنَ الْبَنِيَّةِ وَالسَّيْرِ
مِلْتُ إِلَى لَيْلَى بِنَفْسِي مَيْلَةً وَلَوْ كَانَ فِي يَوْمِ التَّحَالُقِ وَالنَّحْرِ

فَقَامَ نَصِيبٌ إِلَيْهِنَّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ . فَرَدَدْنَ عَلَيْهِ السَّلَامَ . فَقَالَ لَهُنَّ : إِنِّي
رَأَيْتُكُمْ كُنَّ تَتَجَارَيْنَ^(٣) شَيْئًا عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ . فَقُلْنَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَسْمَعْنِ
أَوَّلًا . قُلْنَ : هَاتِ . فَأَنْشَدَهُنَّ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

وَيَوْمَ ذِي سَلَمٍ شَاقَتْكَ نَائِحَةٌ وَرَقَاءُ فِي فَنَنِ وَالرَّيْحُ تَضْطَرِبُ

فَقُلْنَ لَهُ : نَسَأَلُكَ بِاللَّهِ وَبِحَقِّ هَذَا الْبَيْتِ ، مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا ابْنُ الْمَظْلُومَةِ
الْمَقْدُودَةِ بِغَيْرِ جُرْمٍ ، نُصِيبٌ . فَقُمْنَ إِلَيْهِ وَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَرَحَّبْنَ بِهِ . وَأُعْتَذَرْتُ
الْقَائِلَةُ إِلَيْهِ ، وَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ سُوءًا ، وَإِنَّمَا حَمَلَنِي الْإِسْتِحْسَانُ لِقَوْلِكَ عَلَى
مَا سَمِعْتُ . فَضَحِكَ ، وَجَلَسَ إِلَيْهِنَّ ، فَحَادِثَهُنَّ إِلَى أَنْ أَنْصَرَفْنَ .

(١) الصفا : مكان مرتفع من جبل أبي قبيس ، ومن وقف على الصفا كان بجذاء الحجير
الأسود . والمروتان ، هو المروة : جبل مكة يعطف على الصفا . وقد ثناه الشعراء ، وهو واحد .
وموجف : ، مسرع . يقال : وجف وأوجف ، إذا أسرع . وأوجف دابته : إذا حشاها .

(٢) يمرن : يتمايلن جائيات ذاهبات .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « تتحدثن » . .

شعره الذى فيه
الغناء

وشعر نُصِيب الذى فيه الغناء :

أَهَاجَ هَوَاكَ الْمَنْزِلُ الْمُتَقَادِمُ نَعَمْ وَبِهِ مِمَّنْ ^(١) شَجَاكَ مَعَالِمُ
مَضَارِبُ أَوْ تَادٍ وَأَشْعَثُ ^(٢) دَاثِرُ مُقِيمٌ وَسُفْعٌ فِي الْمَحَلِّ جَوَاثِمُ

(١) فى الأصل : « ما » .

(٢) الأشعث : الودد . وداثر : قديم . والسفع : الأثافي قد اسودت من النار . والجواثم : الراسية .

أخبار ابن محرز

أُسْمُهُ مُسْلِمٌ ؛ وَقِيلَ : سَلَمٌ ؛ وَقِيلَ : عَبْدُ اللَّهِ . وَيُكْنَى أَبَا الْخَطَّابِ . مَوْلَى اسْمِهِ وَنَسَبِهِ
بَنَى عَبْدُ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ
وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ سَدَنَةِ ^(١) الْكَعْبَةِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْفُرْسِ . وَكَانَ أَصْفَرَ
أَخْنَى ^(٢) طَوِيلًا .

نشأته

كَانَ يَسْكُنُ الْمَدِينَةَ مَرَّةً وَمَكَّةَ مَرَّةً . فَإِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ أَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ
يَتَعَلَّمُ الضَّرْبَ مِنْ عَزَّةَ الْمِيلَاءِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَكَّةَ فَيُقِيمُ بِهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . ثُمَّ شَخَصَ
إِلَى فَارِسَ وَأَخَذَ غِنَاءَهُمْ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الشَّامِ فَتَعَلَّمَ الْحُسْنَ الرُّومَ وَأَخَذَ غِنَاءَهُمْ .
فَأَسْقَطَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُسْتَحْسَنُ مِنْ نَغَمِ الْفَرِيقَيْنِ ، وَأَخَذَ مُحَاسِنَهَا ، فَمَزَجَ بَعْضَهَا
بِبَعْضٍ ، وَأَلَّفَ مِنْهَا الْأَغَانِي الَّتِي صَنَعَهَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، فَأَتَى بِمَا لَمْ يُسْمَعْ
مِثْلَهُ . وَكَانَ يَقَالُ لَهُ : صَنَاجِ ^(٣) الْعَرَبِ .

هو وحنين
في العراق

وَكَانَتْ بِهِ عِلَّةُ الْجَذَامِ . وَلَمْ يُعَاشِرْ الْخُلَفَاءَ وَلَا خَالَطَ النَّاسَ لِأَجْلِ ذَلِكَ .
وَذُكِرَ أَنَّهُ شَخَصَ يُرِيدُ الْعِرَاقَ ، فَلَقِيَهُ حُنَيْنٌ فَقَالَ : غَنِّ صَوْتًا مِنْ غِنَائِكَ .
فَغَنَّاهُ يَقُولُ ابْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ :

وَحُسْنُ الزَّبْرِ جَدٌ فِي نَظْمِهِ عَلَى وَاضِحِ اللَّيْلِ ^(٤) زَانَ الْعُقُودَا
يُفَصِّلُ يَأْقُوتُهُ ^(٥) نَظْمَهُ وَكَالْجَمْرِ أَبْصَرَتْ فِيهِ ^(٦) الْفَرِيدَا

(١) السدنة : خدام الكعبة ؛ الواحد : سادن . وكانت السدانة لبني عبد الدار بن قصي بن كلاب ، فأقرها النبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام .

(٢) أخنى : محدودب الظهر .

(٣) الصنّاج : اللاعب بالصنّج ، وهي آلة ذات أوتار ، مما اختص به العجم . والصنّج عند

العرب : صفيحة مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى . (٤) الليت : صفيحة العنق .

(٥) في بعض أصول الأغاني : « دره » . (٦) الفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره .

فقال له حنين: كم أمأت من أهل العراق؟ قال: ألف دينار. فقال: هذه
خمسائة دينار، فخذها وأنصرف. ففعل. فلمّا شاع ما فعل، لامه أصحابه عليه.
فقال: والله لو دخل العراق لما كان لي معه خبزٌ آكله، ولا طرحتُ تم
سقطتُ إلى آخر الدهر.

أما قوله: ^(١) كم أمأت من أهل العراق؟ فلهذا قال: كم أمأت من أهل العراق؟
لأنه لم يأت من أهل العراق إلا ألف دينار، فلهذا قال: كم أمأت من أهل العراق؟

(١) قوله: كم أمأت من أهل العراق؟ فلهذا قال: كم أمأت من أهل العراق؟

(٢) قوله: فلهذا قال: كم أمأت من أهل العراق؟

(٣) قوله: فلهذا قال: كم أمأت من أهل العراق؟

(٤) قوله: فلهذا قال: كم أمأت من أهل العراق؟

(٥) قوله: فلهذا قال: كم أمأت من أهل العراق؟

(٦) قوله: فلهذا قال: كم أمأت من أهل العراق؟

أخبار العرجي

هو عبدُ الله بن عمرو^(١) بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف .

وأُمُّ عفان وجميع بني أبي العاصي أمينة بنتُ عبد العزى بن حُرثان بن عوف
ابن عُبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي . وأُمُّ عثمان رضى الله عنه
أروى بنتُ كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأُمُّها البيضاء أم حَكِيم
بنتُ عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وهي وعبدُ الله وأبو طالب إخوة لأبٍ وأم . وأُمُّ عمرو بن عثمان أم أبان بنتُ
جندب الدوسية .

وكان أبوها جندب بن عمرو بن حمّة الدوسي قدِم المدينة مهاجراً في خلافة
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم مضى إلى الشام وخلف أبنته أم أبان عند عمر ،
وقال : يا أمير المؤمنين ، إن وجدت لها كُفناً فزوجه بها ولو^(٢) بشراك نعليه .
وإلا فأمسكها حتى تلحقها بدار قومها بالسّرة^(٣) . فكانت عند عمر . وأستشهد
أبوها ، فكانت تدعو عمر أباهاً ويدعوها أبنته . قال : فإن عمر رضى الله عنه
يَوْمًا على المنبر يُكلم الناس في بعض الأمر ، إذ خطر على قلبه ذِكْرُها ، فقال :
من له في الجميلة الحسبية بنت جندب بن عمرو بن حمّة ، وليعلم أمرؤ من هو ؟
فقام عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فقال : أنت لعمرُ الله !
كم سقت إليها ؟ قال : كذا ، وكذا . قال : قد زوجتكها . فعجله فإنها معدة . ونزل

(١) في بعض أصول الأغاني : « عبد الله بن عمر » . وكذا هو عند ياقوت في معجم الأدباء .

(٢) شرك النعل : السير الذى على ظهر القدم . يضرب به المثل في الشيء القليل التافه .

(٣) السرة : أعلى كل شيء ، وهي ثلاث ، وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن .

عن المنبر. فجاء عثمان رضى الله عنه بمهرها . فأخذه عمر رضى الله عنه فى يديه ، ودخل به عليها فقال : يا بُدَيَّة ، مَدِّى حِجْرَكَ . ففتحت حِجْرَهَا ، فألقى فيه المال ، ثم قال لها : قولى : اللهم بارِكْ لى فيه . قالت : وما هذا يا أبتاه ؟ قال : مهرُك . فنَفَعَتْ به ^(١) ، وقالت : واسوأُتاه ! فقال : اُحْتَبَسَى منه لنفسك ووسعى منه لأهلك . ثم قال لخنْصَة : أَصْلِحِى من شأنها ، وَغَيِّرِى بَزَّتَهَا ^(٢) ، وَأَصْبِغِى ثَوْبَهَا . ففعلت . ثم أرسلها مع نسوة إلى عثمان رضى الله عنه . ثم قال عمر رضى الله عنه لما فارقتَه : إنها أمانةٌ فى عُنْقَى أَخْشَى أَنْ تَضِيعَ بَيْنَى وِىْنِ عُثْمَانَ ! فَاحْقِهَنَّ ، فَضَرْبَ عَلَى عُثْمَانَ بَابَهُ ، ثم قال : خُذْ أَهْلَكَ ، بارِكْ الله لك فيهم . فدخلت على عُثْمَانَ ، فأقام عندها مُقَامًا طويلاً لا يَخْرُجُ إِلَّا لِحَاجَةٍ . فدخل عليه سَعِيدُ ابْنِ العاصى فقال له : يا أبا عبد الله ، لقد أَقَمْتَ عند هذه الدَّوسِيَّةِ مُقَامًا ما كنت تُقِيمُه عند النساء ! فقال : أَمَا إِنَّهُ ما بَقِيتُ خَصْلَةً كُنتُ أَحِبُّ أَنْ تَكُونَ فى أُمْرَأَةٍ إِلَّا صادفتُها فيها ، ما خلا خَصْلَةً واحدة . قال : وما هى ؟ قال : إِنِّى رَجُلٌ قد دخلتُ فى السِّنِّ ، وحاجتى فى النساءِ الْوَلَدُ ، وَأَحْسَبُهَا حَدِيثَةً لا وَلَدَ فيها اليومَ . فَتَبَسَّمتُ . فلما خرج سَعِيدٌ من عنده قال لها عُثْمَانُ : ما أَضْحَكَكَ ؟ قالت : قد سَمِعْتُ قولَكَ فى الْوَلَدِ ، وَإِنِّى لَمَنْ نِسْوة ما دخلت أُمْرَأَةً مِنْهُنَّ قَطُّ على سَيِّدٍ فرأت حَمْرَاءَ ^(٣) حتى تلد سَيِّدًا مِنْهُ ^(٤) . قال : فما رأت حَمْرَاءَ حتى ولدتُ عمرو ابن عُثْمَانَ .

(١) نفعت به : رمت به وردته .

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « بدنُها » . والبدن : شبه الدرع إلا أنه قصير .

(٣) تكفى عن الحيض .

(٤) العبارة فى بعض أصول الأغاني : « سيد من هو منه » . تريد : حتى تلد من يبد فى المجد

أباه ، أو سيد حيه ورهطه .

وَأُمُّ عَمْرُو بْنِ عُمَانَ أُمُّ وَلَدٍ. وَأُمُّ الْعَرْجِيِّ أَمْنَةُ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ عُمَانَ ^(١) ،
وَأُمُّهَا أُمُّ وَلَدٍ .

وإنما لُقِّبَ : الْعَرْجِيُّ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ عَرْجَ الطَّائِفِ ^(٢) . وقيل : بل سُمِّيَ
بذلك لما كان له بالعرج .

وكان من شعراء قُرَيْشٍ ، وَمِنْ شُهْرٍ بِالغَزْلِ مِنْهَا ، وَنَحْوِ نَحْوِ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ
فِي ذَلِكَ وَتَشَبَّهَ بِهِ وَأَجَادَ . وَكَانَ مَشْغُوفًا بِاللَّهِوِّ وَالصَّيْدِ ، حَرِيصًا عَلَيْهِمَا ، قَلِيلَ
الْمَحَاشَاةِ لِأَحَدٍ فِيهِمَا ^(٣) .

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَبَاهَةٌ فِي أَهْلِهِ . وَكَانَ أَشْقَرَ أَزْرَقَ جَمِيلَ الْوَجْهِ . وَأَكْثَرَ التَّشْبِيهِ
فِي جَيْدَاءَ ، أُمُّ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْمَخْزُومِيِّ . وَكَانَ يَنْسُبُ بِهَا لِيَفْضَحَ
أَبْنَاهَا ، لَا لِمَحَبَّةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا . وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ حَبْسِهِ وَضَرْبِهِ ، حَتَّى مَاتَ
فِي السَّجْنِ .

وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ الْمَعْدُودِينَ مَعَ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِأَرْضِ الرُّومِ ،
وَكَانَ لَهُ مَعَهُ بَلَاءٌ حَسَنٌ وَنَفَقَةٌ كَثِيرَةٌ .

وقيل : إِنَّهُ بَاعَ أَمْوَالًا عَظِيمَةً وَأَطْعَمَ ثَمَنَهَا ^(٤) فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، حَتَّى نَفِدَ كُلُّ
ذَلِكَ . وَكَانَ قَدْ اتَّخَذَ غُلَامَيْنِ ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ نَصَبَ قُدُورَهُ وَقَامَ الْغُلَامَانِ
يُوقِدَانِ ، وَإِذَا نَامَ وَاحِدٌ قَامَ الْآخَرُ ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ . يَقُولُ :
لَعَلَّ طَارِقًا يَطْرُقُ .

وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَتْ حَبَشِيَّةٌ مِنْ مُوَلَّدَاتِ مَكَّةَ ظَرِيفَةً ، صَارَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
فَلَمَّا أَتَاهُمْ مَوْتُ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ أَشْتَدَّ جَزَعُهَا وَجَعَلَتْ تَبْكِي ، وَتَقُولُ : مَنْ
شَهَادَةُ حَبَشِيَّةٍ لَهُ
بأنه خلف لابن
أبي ربِيعَةَ

(١) هذه رواية . وفي رواية أخرى : « أمنة بنت عمر بن عثمان » .

(٢) عرج الطائف : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف .

(٣) أى قليل المبالاة والاكتراث بأحد فيهما . (٤) فى الأصل : « منها » .

لِمَكَّةَ وَلِشِعَابِهَا وَبَطْحَائِهَا وَنَزْهَهَا ، وَوَصَفَ نِسَاءَهَا وَحُسْنَهَا وَجَمَاهُنَّ ، وَوَصَفَ مَا فِيهَا ! فَقِيلَ لَهَا : خَفِّضِي عَلَيْكَ ، فَقَدْ نَشَأَ فِتًى مِنْ وَلَدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْخُذُ مَا أَخَذَهُ وَيَسْأَلُكَ مَسْأَلَكَهُ . فَقَالَتْ : أَنْشِدُونِي مِنْ شِعْرِهِ . فَأَنْشَدُوهَا . فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُضَيِّعْ حَرَمَهُ ، وَمَسَحَتْ عَيْنَهَا .

وَذُكِرَ أَنَّ مَوْلَاةً لثَقِيفٍ ، يُقَالُ لَهَا : كِلَابَةٌ ، كَانَتْ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ الْأَمْوِيِّ الْعَبْلِيِّ ، وَكَانَ يَبْلُغُهَا تَشْبِيبُ الْعَرَجِيِّ بِالنِّسَاءِ وَذِكْرُهُ لَهَا فِي شِعْرِهِ . فَكَانَتْ كِلَابَةٌ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ : لَشَدَّ مَا اجْتَرَأَ الْعَرَجِيُّ عَلَى نِسَاءِ قُرَيْشٍ ! يَذْكُرُهُنَّ فِي شِعْرِهِ . وَلَعَمْرِي مَا لَقِيَ أَحَدًا فِيهِ خَيْرٌ ، وَلَئِنْ لَقِيتُهُ لَأَسْوَدَنَّ وَجْهَهُ . فَبَلَغَهُ ذَلِكَ عَنْهَا . وَكَانَ الْعَبْلِيُّ نَازِلًا عَلَى مَاءِ لِبْنِي نَضْرٍ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، يُقَالُ لَهُ : الْفُتُقُ — وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ عَلَى طَرِيقٍ مِنْ جَاءِ مِنْ نَجْرَانَ أَوْ تَبَالَةَ إِلَى مَكَّةَ ، وَالْعَرَجُ أَعْلَاهَا قَلِيلًا مِمَّا يَلِي الطَّائِفَ — فَبَلَغَ الْعَرَجِيُّ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ . فَأَتَى قَصْرَهُ وَطَافَ بِهِ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ كِلَابَةٌ ، وَكَانَ خَلْفَهَا فِي أَهْلِهَا ، فَصَاحَتْ بِهِ : إِلَيْكَ ، وَيْلَكَ ! وَجَعَلَتْ تَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ فَتَمَنَعَهُ أَنْ يَذْبُوبَ مِنَ الْقَصْرِ . فَاسْتَسْقَاهَا مَاءً ، فَأَبَتْ أَنْ تَسْقِيَهُ ، وَقَالَتْ : لَا يُوجَدُ وَاللَّهِ أَثَرُكَ عِنْدِي أَبَدًا فَيَلْصِقَ بِي مِنْكَ شَرٌّ . فَانصرفت وقال : ستعلمين ! وقال :

حُورٌ بَعَثْنَ رَسُولًا فِي مُلَاطِفَةٍ	ثَقَفًا إِذَا غَفَلَ النَّسَاءُ ^(١) الْوَهْمُ
إِلَى أَنْ إِيْتِنَا هَذَا ^(٢) إِذَا غَفَلْتَ	أَحْرَاسُنَا وَافْتَضَحْنَا إِنْ هُمْ عَلِمُوا
فَجِئْتُ أَمْشِي عَلَى هَوْلٍ أَجْشَمُهُ	تَجَشَّمُ الْمَرْءُ هَوْلًا فِي الْهَوَى كَرَمُ
إِذَا تَخَوَّفْتُ مِنْ شَيْءٍ أَقُولُ لَهُ	قَدْ جَفَّ فَاْمُضْ بِشَيْءٍ قُدَّرَ الْقَلَمُ

(١) ثَقَفًا : حاذقًا فهما . والنساء : الكثير النسيان . والوهم : الكثير الوهم والسهو والغلط .

(٢) الهدى : التلث الأول من الليل .

أَمْشَى كَمَا حَرَّكَتْ رِيحٌ يَمَانِيَةً
 فِي حُلَّةٍ مِنْ طِرَازِ السُّوسِ^(٢) مُعَلَّمَةً
 خَلَّتْ سَبِيلِي كَمَا خَلَّيْتُ ذَا عُدُرٍ
 وَهْنٌ فِي مَجْلِسٍ خَالٍ وَلَيْسَ لَهُ
 حَتَّى جَلَسْتُ إِزَاءَ الْبَابِ مُكْتَتِمًا
 أَبْدِينَ لِي أَعْيُنًا نُجَلًّا كَمَا نَظَرْتُ
 قَالَتْ كَلَابَةٌ مِنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ لَهَا
 أَنَا أَمْرُؤٌ جَدِّي حُبٌّ^(٥) فَأَجْرَضَنِي
 لَا تَكْلِينِي إِلَى قَوْمٍ لَوْ أَنَّهُمْ
 فَأَنْعَمِي نِعْمَةً تُجْزِي بِأَحْسَنِهَا
 سَتَرُ الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا لَعَلَّهُمْ
 هَذَا يَمِينِي رَهْنٌ بِالْوَفَاءِ لَكُمْ
 قَالَتْ رَضِيتُ وَلَكِنْ جِئْتُ فِي قَمَرٍ
 فَبِتُّ أُسْقَى بِأَكْوَاسٍ^(٧) أَعْلُهَا
 حَتَّى بَدَأَ سَاطِعٌ لِلْفَجْرِ تَحْسَبُهُ
 غُضْنَا مِنَ الْبَانِ رَطْبًا طَلَهُ^(١) الدِّيمُ
 أَغْفُو بِهَدَايِهَا مَا أَثَرْتُ قَدَمَ
 إِذَا رَأَتْهُ عِتَاقُ الْخَيْلِ^(٣) يَنْتَحِمُ
 عَيْنٌ عَلَيْهِنَّ أَخْشَاهَا وَلَا نَدَمَ
 وَطَالِبُ الْحَاجِّ تَحْتَ اللَّيْلِ مُكْتَتِمٌ
 أُدْمُ هِجَانٌ أَتَاهَا مُصْعَبٌ^(٤) قَطْمٌ
 أَنَا الَّذِي أَنْتِ مِنْ أَعْدَائِهِ زَعَمُوا
 حَتَّى بَلَيْتُ وَحَتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ
 مِنْ بُغْضِنَا أَطْعِمُوا لَحْمِي إِذَا طَعِمُوا
 فَطَالَمَا مَسَّنِي مِنْ أَهْلِكَ النَّعَمُ
 أَنْ يُحْدِثُوا تَوْبَةً فِيهَا إِذَا أَشْمُوا
 فَارْضِي بِهَا وَلَا نَفِ الْكَاشِحِ^(٦) الرَّغَمُ
 هَلَّا تَلَبَّثْتُ حَتَّى تَدْخُلَ الظُّلَمَ
 مِنْ بَارِدٍ طَابَ مِنْهَا الطَّعْمُ^(٨) وَالنَّسَمُ
 سَنَا حَرِيقٍ لِنَارٍ حِينَ يَضْطَرِمُ

(١) طله : أمطره . والديم : الأمطار تدوم في سكون بلا رعد وبرق ؛ الواحدة : ديمة .

(٢) السوس : بلد بخوزستان . ومعلمة : جعلت فيها علامة . وأغفو : أحمو .

(٣) العذر : جمع عذار ، وهو من الفرس كالعارض بالنسبة للإنسان . وتنتحم ، من النحم ،

وهو صوت يخرج من صدر الفرس كالزحير .

(٤) المصعب : الفحل الذي يودع من الركوب والعمل للفحلة . والقطم : المشتهى للضراب .

(٥) أجزضني : أى أهنى وأجهدنى .

(٦) الرغم ، مشددة الراء مع إسكان الغين ، وحركت للشعر : الذل والعسر . والأصل فيه أن

يلتصق أنفه بالرغام ، وهو التراب .

(٧) أكواس : جمع لكأس ، لم تذكره كتب اللغة .

(٨) النسَم : الريح الطيبة . والذي في الأصل : « والشَم » .

كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْمَنْسُوبِ قَدْ حُسِرَتْ عَنْهُ الْجَلَالُ تَلَالًا وَهُوَ ^(١) يَلْتَجِمُ
وَدَعَتْهُنَّ وَلَا شَيْءٌ يُرَاجِعُنِي إِلَّا الْبَنَانُ وَإِلَّا الْأَعْيُنُ ^(٢) السَّجْمُ
إِذَا أَرَدَنْ كَلَامِي عِنْدَهَا اعْتَزَّتْ مِنْ دُونِهَا ^(٣) عَبْرَاتٌ فَاثْنَتْنِي الْكَلِمُ
تَكَادُ إِذْ رُمِنَ نَهْضًا لِلْقِيَامِ مَعِي أَعْجَازُهُنَّ مَعَ الْأَنْصَافِ تَنْقَصِمُ

فسمع ابن القاسم العبليُّ بالشَّعرِ يُغَنِّي به، وكان العرجيُّ قد أعطاه جماعةً من المغنِّين وسألهم أن يُغَنُّوا به . فصنعوا في أبياتٍ منه عِدَّةَ أَلْحَانٍ ، وقال : والله لا أُجِدُّ لهذه الأُمّةِ شَيْئًا أَبْلَغَ من إيقاعِها تَحْتَ التَّهْمَةِ عند ابن القاسم ليقطع ما كَلَّمَتْها من ماله . فلما سَمِعَ العبليُّ بالشَّعرِ يُغَنِّي به ، أخرج كُلابَةً وأتَمَّهما ، ثم أرسل بها بَعْدَ زَمَانٍ عَلَى بَعِيرٍ بَيْنَ غِرَارَتِي بَعْرٍ ، وأحلفها بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ أَنَّ الْعَرْجِيَّ كَذَبَ فِيمَا قَالَهُ . فَحَلَفْتُ سَبْعِينَ يَمِينًا . فَرَضِي عَنْهَا وَرَدَّهَا . فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا سَمِعَ قَوْلَ الْعَرْجِيَّ :

* فظالما مَسَّنِي مِنْ أَهْلِكَ النَّعْمُ *

قال : كذب والله ! ما مَسَّهُ ذَلِكَ مَنَّا قَط .

وقيل : إن صاحبَ [القصيدة] والقصة أبو جِراب ^(٤) العبليُّ ، وأنَّ كُلابَةَ كانت أُمّةً لِسُعْدَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وأنَّ الْعَرْجِيَّ كان قد خَطَبَهَا وَسُمِّيَتْ به ، ^(٥) ثم خَطَبَهَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، أو الوليدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَتَزَوَّجَتْهُ ، فقال العرجيُّ هذا الشَّعرُ فيها .

(١) المنسوب : الأصيل الكريم . وحسرت : كشفت . والجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به . ويلتجم : قد ألبس اللجام . تقول : ألحمت الفرس ، فالتجم .

(٢) السجم : السائلة بالدموع ؛ الواحدة : سجوم .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « عنده من دونه ... »

(٤) في بعض أصول الأغاني : « أبو حراب » .

(٥) أى عرف عند الناس أنها خطيبته .

وأبو جراب العبليّ، هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر بن عبد شمس .

مسلمة وأيوب
وأشعب في شعر
العرجي

وذكر مسلمة بن إبراهيم بن هشام قال :

كنتُ عند أيّوب^(١) بن مسلمة ومعنا أشعب ، فذكرنا قول العرجي :

أَيْنَ مَا قُلْتَ مِتْ قَبْلَكَ أَيْنَا أَيْنَ تَصْدِيقُ مَا عَهَدْتَ إِلَيْنَا
فَلَقَدْ خِفْتُ مِنْكَ أَنْ تَصْرِيحِي الْحَبْلَ وَأَنْ تَجْمَعِي مَعَ الصَّرْمِ بَيْنَا
مَا تَقُولِينَ فِي فَتَى هَامٍ إِذَا هَا مَ بَيْنَ لَا يُنَالُ جَهْلًا وَحَيْنَا
فَاجْعَلِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ عَدْلًا لَا تَحْيِي وَلَا يَحْيِي عَلَيْنَا
وَأَعْلَى أَنْ فِي الْقَضَاءِ شُهُودًا وَيَمِينًا فَأَحْضِرِي شَاهِدَيْنَا
خُلْتِي لَوْ قَدَرْتُ مِنْكَ عَلَى مَا قُلْتُ لِي فِي الْخِلَاءِ حِينَ التَّقِينَا
مَا تَخَرَّجْتُ مِنْ دَمِي عِلْمِ اللَّهِ وَلَوْ كُنْتُ قَدْ شَهِدْتُ حِينَنَا

فقال أيّوب^(٢) لأشعب : مَا تَظُنُّهَا وَعَدْتَهُ ؟ قال : أَخْبِرُكَ يَقِينًا لَا ظَنًّا ، وَعَدْتَهُ أَنْ تَأْتِيَهُ فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ الْعَرْجِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، إِذَا نَزَلَ الرَّجَالُ إِلَى الطَّائِفِ لِلصَّلَاةِ ، فَعَرَّصَ عَارِضٌ شُغْلَ فَقَطَعَهَا عَنْ مَوْعِدِهِ . قال : فَمَنْ كَانَ الشَّاهِدَانِ ؟ قال : كُسَيْرٌ وَعُوَيْرٌ ، وَكُلُّ غَيْرِ خَيْرٍ^(٣) : فَنَدَّ أَبُو زَيْدٍ ، مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتُ سَعْدٍ ، وَزُرَّ الْفَرَقِ^(٤) مَوْلَى الْأَنْصَارِ . قال : فَمَنْ الْحَاكِمُ ؟ قال خُضَيْرٌ :^(٥) ابن غُرَيْرِ الْحَمِيرِيِّ . قال : فَمَا حَاكَمَ بِهِ ؟ قال . أَدَّتْ إِلَيْهِ حَقَّهُ فَسَقَطَتِ الْمُؤُونَةُ عَنْهُ . قال : يَا أَشْعَبُ ، لَقَدْ أَحْكَمْتَ صِنَاعَتَكَ ! قال : سَلْ عَلَّامَةَ عَنْ عِلْمِهِ .

(١) في الأصل : « أبي أيوب » . (٢) في الأصل : « أبو أيوب » .

(٣) كُسَيْرٌ وَعُوَيْرٌ : جَبَلَانِ يَشْرَفَانِ عَلَى أَقْصَى بَحْرِ عَمَانَ ، صَعْبَا الْمَسْلَكِ وَعَرَا الْمَصْعَدِ ، يُضْرَبُ بِهِمَا الْمَثَلُ فِيمَا لَا خَيْرَ عَنْده . وَالْمَثَلُ فِي الْأَمْثَالِ : « كُسَيْرٌ وَعُوَيْرٌ وَثَالِثٌ لَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ . »

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيفِ (ص ٣٢١ بِلَاق) . وَفِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي :

« وَزُرَّ الْفَرَقِ » .

(٥) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « حَصِينٌ » .

هو وعاتكة زوجة
طريح

وقال العرجى في امرأة من بنى حبيب: بطن من بنى نصر بن معاوية، يقال لها: عاتكة، زوجة طريح بن إسماعيل الثقفي الشاعر:

يادار عاتكة التي بالأزهر أوفوقه بقفا الكتيب الأحمر
لم ألق أهلك بعد عام لقيتهم ياليت أن لقاءهم لم يقدر
بفناء بيتك وابن مشعب حاضر في سامر^(١) عطر وليل مقمر
مستشعرين ملاحفا^(٢) هروية بالزعران صباغها والعصفر
فتلازما عند الفراق صباية أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

الأزهر: على ثلاثة أميال من الطائف. وابن مشعب: مغل من أهل مكة.

وذكر أن العرجى واعد هوى^(٣) له شعباً من شعاب عرج الطائف إذا نزل

رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف. فجاءت على أتان لها ومعها جارية، وجاء [العرجى] على حمار له ومعها غلام له. فواقع المرأة، وواقع الغلام الجارية، ونزا الحمار على الأتان. فقال العرجى: هذا يوم غاب عذاله.

وقيل: كان العرجى يستقي على إبله في شملتين^(٤)، ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة [دينار]، ثم يقول:

يوماً لأصحابي ويوماً للمال مدرعة يوماً ويوماً سربال^(٥)

وذكر أن العرجى كان غازياً، فأصابت الناس مجاعة، فقال للتجار:

أعطوا الناس وعلى ما تعطون. فلم يزل يعطيهم ويطعم الناس حتى أخصبوا. فبلغ ذلك عشرين ألف دينار. فألزمها العرجى نفسه. وبلغ الخبر عمر بن العزيز رضى الله عنه، فقال: بيت المال أحق بهذا. ففضى التجار ذلك من بيت المال.

(١) السامر: مجلس السمار.

(٢) مستشعرين: لابسين. والملاحف: ما يلتحف به. وفي الأصل: «ملاء».

(٣) هوى: أى محبوبة.

(٤) المشملة: مئزر يثرتز به، من صوف أو وبر.

(٥) المدرعة: ضرب من الثياب. وقيل: جبة مشقوقة المقدم. والسربال: القميص.

هو وأم الأوقص

وذكر أن العرجي خرج إلى جنّبات^(١) الطائف مُتَنَزِّهاً ، فمرَّ ببطن النّقيع^(٢) ، فنظر إلى أمّ الأوقص ، وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي ، وكان يتعرّض لها ، فإذا رآته رمت بنفسها وتسوّت منه — وهي امرأة من بني تميم — فبصر بها في نسوة جالسة ، وهن يتحدّثن ، فعرفها وأحبّ أن يتأمّلها من قرب ، فعدل عنها ، ولقي أعرابياً من بني نصر على بكر له ، ومعه^(٣) وطبّا لبن ، فدفع إليه دابته وثيابه ، وأخذ قعوده ولبنه ، ولبس ثيابه . ثم أقبل فمرّ على النسوة ، فصحن به : يا أعرابي ، أمك لبن ؟ قال : نعم . فما إلىهن ، وجعل يتأمّل أمّ الأوقص ، وتواش من معها إلى الوطّبين ، وجلس العرجي يلاحظها وينظر أحياناً إلى الأرض ، كأنه يطلب شيئاً ، وهن يشربن اللبن . فقالت له امرأة منهن : أي شيء تطلب يا أعرابي في الأرض ؟ أضاع منك شيء ؟ قال : نعم ، قلبي . فلمّا سمعت التّميميّة كلامه نظرت إليه ، وكان أزرق ، فعرفته ، فقالت : العرجي وربّ الكعبة ! ووثبت ، وسأها نساؤها ، وقلن له : أنصرف عنّا ولا حاجة بنا إلى لبنك . فمضى مُنصرفاً ، وقال في ذلك :

أقول لصاحبي ومثل ما بي	شكاه المرء ذو الوجد الأليم
إلى الأخوين مثلهما إذا ما	تاو به مؤرقة الموم
لحيني والبلاء لقيت ظهراً	بأعلى النّقيع أخت بني تميم
فلما أن رأت عيناى منها	أسيل الخد في خلق ^(٤) عميم
وعيني جودر خرق ^(٥) وثغراً	كلون الأقحوان وجيد ريم
حنا أثرأبها دوني عليها	حنو العائدات على السقيم

(١) جنّبات الطائف : نواحيه ؛ الواحدة : جنبة .

(٢) النقيع : موضع قرب مكة بجنّبات الطائف .

(٣) الوطب : سقاء اللبن .

(٤) عميم : تام .

(٥) خرق : دهش مفرع .

فقال رجل من بني مُجَحِّح لا ينهـا الأوقص ، وقضى عليه بقضيّة فتظلم منه :
والله لو كنتُ أنا عبدَ الله بن عمرو العرجيّ لكنتُ أُسْرِفْتُ عَلَى ! فضر به
[الأوقص] سَبْعِينَ سَوْطًا .

وذكر بعضهم قال :

قوله أبي السائب
بشعره

أتاني أبو السائب المخزومي ليلةً بعد ما رقدَ السامرُ ، فأشرفتُ عليه ،
فقال : سهرتُ وذكرتُ أخا لي أستمتع به ، فلم أجِدْ سواك ، فلو مَضِينَا إلى
العقيق فتناشدنا وتحدّثنا ! فمضينا . فأنشدته قول العرجيّ :

باتا بالنعم ليلةً حتى بدا صُبْحُ تَلَوِّحِ كالأغرِّ الأشقرِّ

فتلازما عند الفراق صِباةً أخذَ الغريمُ بفضلِ ثوبِ المُعسرِ

فقال : أعدّه عليّ . فأعدّته . فقال : أحسنَ والله ! امرأته طالقٌ إن نطقَ
بحرفٍ غيره حتى يرجعَ إلى بيته . قال : فلقينا عبدَ الله بن حسن بن حسن ،
فلما صرنا إليه وقف بنا ، وهو مُنْصَرِفٌ من ماله يريدُ المدينة ، فسلمّ ثم قال :
كيف أنت يا أبا السائب ! فقال له :

فتلازما عند الفراق صِباةً أخذَ الغريمُ بفضلِ ثوبِ المُعسرِ

فالتفت إلىّ فقال : متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت : منذ الليلة . فقال : إنّا لله !
وأىّ كهل أصيبت منه قرّيش ! ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيميّ ، قاضي
المدينة ، يريد مالا له على بغلة له ، ومعه غلام على عنقه مخلّاة فيها قيدُ البغلة . فسلمّ
ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عند الفراق صِباةً أخذَ الغريمُ بفضلِ ثوبِ المُعسرِ

فالتفت إلىّ فقال : متى أنكرت صاحبك ؟ قلتُ : آفِئًا . فلما أراد
المضيّ قلتُ : أفتدعه هكذا ؟ والله ما آمنُ أن يتهوّر^(١) في بعضِ آبارِ العقيق .
قال : صدقت ، يا غلام ، قيدَ البغلة . فأخذَ القيدَ فوضعه في رجله ، وهو يُنشد

(١) يتهور : يسقط .

الْبَيْتَ وَيُشِيرُ يَدَهُ إِلَيْهِ ، يُرَى أَنَّهُ يَفْهَمُ قِصَّتَهُ . ثُمَّ نَزَلَ الشَّيْخُ وَقَالَ لِغُلَامِهِ :
يَا غُلَامُ ، أُحْمِلْهُ عَلَى بَعْلَتِي وَأَلْحِقْهُ بِأَهْلِهِ . فَلَمَّا كَانَ بِحَيْثُ عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ فَاتَهُ ،
أَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِهِ ، فَقَالَ : قَبَحَكَ اللَّهُ مَا جِئْنَا ! فَضَحَّتْ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَرَزْتَنِي .

وقيل : تزوج العرجي أم عثمان بنت بكر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، تزوجه لأم عثمان
وأُمُّهَا سُكَيْنَةُ بِنْتُ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، فَقَالَ فِيهَا :

إِنَّ عُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ أَحَلَّا دَارَهَا بِالْيَفَاعِ^(١) إِذْ وَلَدَاهَا
إِنَّهَا بِنْتُ كُلِّ أَبِيضٍ^(٢) قَرَمٍ نَالَ فِي الْمَجْدِ مِنْ قُصَى ذُرَاهَا
سَكَنَ النَّاسُ بِالظَّوَاهِرِ مِنْهَا وَتَبَوَّى^(٣) لِنَفْسِهِ^(٤) بَطْحَاهَا

ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية أعجب بها ، فكان كثيراً ما يتمثل
بهذه الأبيات .

وذَكَرَ عَبْدُ^(٥) اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْعُمَرِيُّ قَالَ :

ابن عمر
مع امرأة في الحج
نسب بها العرجي

خَرَجْتُ حَاجًّا فَرَأَيْتُ أُمْرَأَةً جَمِيلَةً تَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ أَرْفَعَتْ فِيهِ ، فَأَدْنَيْتُ نَاقَتِي
مِنْهَا ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : أَيَا أُمَّةَ اللَّهِ ، أَلَسْتَ حَاجَّةً ؟ أَمَا تَخَافِينَ اللَّهَ ؟ فَسَفَرْتُ عَنْ
[وَجْهِ] يَبْهَرُ الشَّمْسَ حُسْنًا ، ثُمَّ قَالَتْ : تَأْمَلْ يَا عَمَّ ، فَإِنِّي مِمَّنْ عَنَاهُ الْعَرْجِيُّ بِقَوْلِهِ :
أَمَاطَتْ كِسَاءَ الْخَزِّ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا وَأَدْنَتْ عَلَى الْخَدَّيْنِ بُرْدًا مُهْلَمَلًا
مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَحْجُبْجُنْ يَبْغِينَ حِسْبَةً وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ الْبَرِيءَ الْمُغْفَلَا
قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا : فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يُعَذِّبَ هَذَا الْوَجْهَ بِالنَّارِ .

(١) اليفاع : ما أشرف من الأرض والجبل .

(٢) القرم من الرجال : السيد المعظم .

(٣) وتبوى ، أى وتبوأ ، فسهل .

(٤) الظواهر : خارج مكة . وبطحاء مكة : شعبها الذى بين أخشبيها . وأكرم قريش من

نزل البطحاء .

(٥) فى الأصل : « عبيد الله » .

وَبَلَغَ ذَلِكَ سَعِيدَ بْنِ الْمَسِيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ بَعْضِ
بُغْضَاءِ الْعِرَاقِ لَقَالَ لَهَا : أُعْزُبِي قَبْحَكَ اللَّهُ ! وَلَكِنَّهُ ظَرَفُ عُبَادِ أَهْلِ الْحِجَازِ .

هو ومحمد بن هشام

وَقِيلَ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْخَزْزَمِيِّ ، خَالَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
فَلَمَّا وَلِيَ هِشَامٌ الْخِلَافَةَ وَلَّاهُ [مَكَّةَ] ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَحْجَّجَ بِالنَّاسِ . فَهَجَاهُ الْعَرَجِيُّ
بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا قَوْلُهُ فِيهِ :

كَأَنَّ الْعَامَ لَيْسَ بِعَامِ حَجٍّ تَغَيَّرَتِ الْمَوَاسِمُ وَالشُّكُولُ
إِلَى جَيْدَاءٍ ^(١) قَدْ بَعَثُوا رَسُولًا لِيُخْبِرَهَا ^(٢) فَلَا صُحْبَ الرَّسُولِ

ومنها قوله فيه :

أَلَا قُلْ لِمَنْ أُمْسَى بِمَكَّةَ قَاطِنًا وَمَنْ جَاءَ مِنْ عَمَقٍ وَنَقَبٍ ^(٣) الْمُشَلَّلِ
دَعُوا الْحَجَّ لَا تَسْتَهْلِكُوا نَفَقَاتِكُمْ فَمَا حَجَّ هَذَا الْعَامَ بِالْمُتَقَبَّلِ
وَكَيْفَ يُزَكِّي حَجًّا مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِمَامٌ لَدَى تَجْمِيرِهِ غَيْرُ ^(٤) دُلْدَلِ
يَظَلُّ يُرَآئِي بِالصَّيَامِ نَهَارَهُ وَيَلْبَسُ فِي الظَّلَمَاءِ سَمْطِي ^(٥) قَرَنُفَلِ

فلم يزل محمد يطلب عليه العِلَل ، حتى وجدها فحبسه .

وَكَانَ الْعَرَجِيُّ شَبَّ بَأَمِّ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ هَذَا ، وَهِيَ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ .
فَمِمَّا قَالَهُ فِيهَا قَوْلُهُ :

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلِي تَحْرَجِي
إِنِّي أُتَيْحْتُ لِي يَمَانِيَّةٌ إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجِ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ مَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنَهْجِ

(١) هي جيداء بنت عفيف ، أم محمد بن هشام الخزومي .

(٢) في الأصل : « ليخبرها » .

(٣) عمق : من أودية الطائف . والمشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر . والنقب : الطريق في الجبل .

(٤) التجمير : رمي الجمار . والدلدل : شبه القنفذ ، وأكثر ما يظهر بالليل . شبهه به لمواربته وتحفيه فيما يأتي .

(٥) السمط : الخيط ما دام فيه الخرز ، وإلا فهو سلك .

فِي الْحَبَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُبْ
أَيْسَرُ مَا نَالَ مُحِبُّ لَدَيَّ بَيْنَ حَبِيبٍ قَوْلُهُ عَرَجْ
نَقْضِ إِلَيْكُمْ حَاجَةً أَوْ نَقُلْ هَلْ لِي مِمَّا بِي مِنْ نَخْرَجْ

بين ابن سريج
وعطاء وقد غناه
بشعر للعرجي

قيل : لقي ابنُ سريجَ عطاءَ رحمه الله ، وهو راكبٌ على بغلته ، فقال له :
سألتك بالله إلا وقفتَ حتى أسمعك شيئاً . فقال : ويحك ! دغني فإني عجّل .
فقال : امرأته طالقٌ لئن لم تقفَ مختاراً للوقوفِ لأُمسِكَنَّ لجَامَ بغلتك ،
ثم لا أفارقُها ولو قُطِعتْ يدي حتى أغنيك وأُرفعَ صوتي لا أُسرُّه . فقال : هاتِ
وعجّل . فغناه :

فِي الْحَبَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُبْ
فقال عطاء : الخَيْرُ كُلُّهُ مِنِّي ، لاسيما وقد غيَّباها اللهُ عزَّ وجلَّ عن مَشَاعِرِهِ .
خَلَّ سَبِيلَ الْبَغْلَةِ .

من تشبيهه أيضاً
بجبرة زوجة
ابن هاشم

وقال العرجي يُشَبِّبُ أيضاً بزوجته محمد بن هشام الخزومية ، وأسمها جبرة :

عُوجِي عَلَى فَسَلَى جَبْرُ فِيمَ الْوُقُوفُ وَأَنْتُمْ سَفَرُ
مَا نَلْتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مِنِّي حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا النِّفَرُ
الْحَوْلُ بَعْدَ الْحَوْلِ يَتَّبِعُهُ مَا الدَّهْرُ إِلَّا الْحَوْلُ وَالشَّهْرُ

وذكر أن محمد بن هشام كان يقول لأُمِّه جِئَاءَ : أَنْتِ غَضَضْتِ مِنِّي بِأَنَّكَ
أُمِّي وَأَهْلَكَتِنِي وَقَتْلَتِنِي ! فتقول له : وَيْحَكَ ! وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قال : لو كانت أُمِّي
من قريش ما وَلِيَ الْخِلَافَةَ غَيْرِي .

موجدة ابن هشام
على العرجي

ولم يزل محمد بن هشام مضطجعاً على العرجي من هذه الأشعار التي يقولها
فيه ، مُتَطَلِّباً سَبِيلًا عَلَيْهِ ، حتى وجدته فيه ، فأخذه فقيده وضرَّبه وأقامه للناس ،

ثم حبسه ، وأقسم ألا يخرج من الحبس ما دام له سلطان . فمكث في حبسه نحوًا من تسع سنين ، حتى مات فيه .

وكان السبب الذي وجده محمد — على ما ذكر — أن العرجي ^(١) لآحى مولى كان لأبيه . فأمضه ^(٢) العرجي ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له . فأمره ، حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده ، فهجم عليه في منزله وأخذه وأوثقه كتافاً ^(٣) ، ثم أمر عبيده أن ينكحوا أمراًته بين يديه ، ففعلوا ، ثم قتله وأحرقه بالنار . فاستعدت أمراًته على العرجي محمد بن هشام ، فحبسه .

وقيل : بل كان العرجي وكل مجرمه مولى له يقوم مقامه بأموالهم . فبلغه أنه يخالف إليهن . فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهن ، فقتله وأحرقه بالنار . فاستعدت أمراًته عليه محمد بن هشام ، فحبسه .

وذُكر أن العرجي لما شتم مولاة هذا ، كان أشعب حاضراً ، وأن العرجي أطال شتم مولاة ، فلما أكثر ، ردّ المولى عليه ، فاختلف ^(٤) العرجي من ذلك ، وقال لأشعب : أشهد على ما سمعت . قال أشعب : وعلام أشهد ! قد شتمته ألفاً وشتمك واحدة . والله لو أن أمك أم الكتاب وأمه حمالة الخطب ما زاد على هذا !

وقيل : لما أخذ محمد بن هشام العرجي ، وأخذ معه الحصين بن غريير الحيمري ، فجلدهما وصب على رؤوسهما الزيت ، وأقامهما في الشمس بمكة . فجعل العرجي يئنشد :

(١) لآحى : خاصم وشاتم .

(٢) أمضه : أوجعه وآلمه .

(٣) الكتاف : الوثاق ، وهو الحبل يوثق به .

(٤) اختلط : أى غضب غضباً شديداً حتى كأنه فسد عقله .

سَيَنْصُرُنِي الْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَبِّي وَيَغْضَبُ حِينَ يُخْبَرَ عَنْ مَسَاقِي
عَلَى عِبَاءَةٍ بَلَقَاءُ^(١) لَيْسَتْ مَعَ الْبَلَوَى تُغَيِّبُ نِصْفَ سَاقِي
وَتَغْضَبُ لِي بِأَجْمَعِهَا قُصَى قَطِينُ الْبَيْتِ وَالْدُمَثُ^(٢) الرَّقَاقُ
ثُمَّ يَصِيحُ: يَا غُرَيْرَ، أَجِيادُ^(٣)! يَا غُرَيْرَ، أَجِيادُ! فيقول له الحِمْيَرِيُّ الْمَجْلُودُ
معه: أَلَا تَدْعُنَا! أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ؟

يعني بقوله «يا غرير» الحُصَيْنَ بْنَ غُرَيْرٍ، الْمَجْلُودُ معه . وكان صديقاً
للعرجي وخليطاً . وبقوله «أجياذ» بني مخزوم ، لأن أجياذ مسكنهم . يُعَيِّرُهُمْ
بأنهم ليسوا من أهل الأبطح .
ومن هذه الأبيات :

وَكَمْ مِنْ كَاعِبٍ حَوْرَاءَ بَكْرٍ أَلُوفِ السَّيْرِ وَاضِحَةٍ^(٤) التَّرَاقِي
بَكَتْ جَزَعًا وَقَدْ سُمِرَتْ كُبُولِي وَجَامِعَةٌ^(٥) يُشَدُّ بِهَا خِنَاقِي

وذكر أنه أجمع الناس للنظر إليه وإلى ابن غرير ، وقد جلدًا وحلقًا وصَبَّ
الزَّيْتُ عَلَى رِءُوسِهِمَا وَأَلْبَسَا عِبَاءَتَيْنِ . فَمَرَّ بِهِمَا رَجُلٌ كَانَ صَدِيقًا لِلْعَرْجِيِّ ،
وكان فافأً ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَتَوَجَّعَ لِمَا نَالَهُ وَيَدْعُو لَهُ ، فَلَجَلَجَ ، لِمَا كَانَ
فِي لِسَانِهِ ، كَمَا يَفْعَلُ الْفَافَاءُ . فَقَالَ لَهُ الْعَرْجِيُّ : لَا خَرَجْتُ مِنْ فَيْكِ أَبَدًا ! فَقَالَ لَهُ
الرَّجُلُ : فَكَانَكَ إِذَا لَا بَرَحْتَ فِيهِ أَبَدًا .

وَمَرَّ بِهِ صَبِيَانٌ يَنْقُطُونَ النَّوَى ، فَوَقَّفُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَالتَفَّتْ ابْنُ غُرَيْرٍ

(١) بلقاء : سوداء بيضاء .

(٢) الدُمَثُ : الأراضى السهلة اللينة ؛ الواحدة : دُمَثَاءُ .

(٣) أجياذ : موضع بمكة مما يلي الصفا .

(٤) التَّرَاقِي : جمع تَرْقُوة ، وهى مقدم الحلق فى أعلى الصدر .

(٥) سمرت : شدت . والكبول : القيود ؛ الواحد : كبيل . والجامعة : الغل .

وقال : ما أعرفُ في الدنيا شَيْخِينَ أَشَامَ مِنِّي وَمِنْكَ ! إِنْ هَؤُلَاءِ الصَّبَّيَّانِ لِأَهْلِهِمْ
عليهم في كُلِّ يَوْمٍ ، على كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ مَدُّ نَوَى ، فقد تركوا لِقَطَهُمُ لِلنَّوَى
وَوَقَفُوا يَنْظُرُونَ إِلَى وَإِلَيْكَ ، وَيَنْصَرِفُونَ بغير شيء ، فيَضْرِبُونَ ، فيَكُونُ شُؤْمُنَا
قد حَقَّقَهُمْ .

للعرجى في حبسه

وقال [العرجى في حبسه] :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ^(١) وَسِدَادٍ تَغْرِ
وَصَبْرٍ عِنْدَ مُعْتَرِكِ الْمَنَآيَا وقد شَرِعتُ أَسَدْتُهَا بِنَجْرِي
أَجَرَّرُ فِي الْجَوَامِعِ كُلَّ يَوْمٍ فيَاللَّهِ مَظْلَمَتِي ^(٢) وَصَبْرِي
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ ^(٣) وَسَيْطًا ولم تَكْ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرٍو
وَذُكْرُ أَنَّهُ كَانَ لِأَبِي حَنِيفَةَ جَارٌ بِالكُوفَةِ يُغْنِي ، فَإِذَا أَنْصَرَفَ وَقَدْ سَكِرَ
تَغْنَى فِي غُرْفَتِهِ ، فَيَسْمَعُهُ أَبُو حَنِيفَةَ فَيُعْجِبُهُ ، وَكَانَ يُكْثِرُ أَنْ يُغْنَى :

أبو حنيفة وجار
له كان يتغنى
في سكره بشعر
للعرجى

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تَغْرِ
فَلَقِيهِ الْعَسَسُ لَيْلَةً وَأَخَذُوهُ وَحُبَسَ ، فَقَدَّ أَبُو حَنِيفَةَ صَوْتَهُ ، وَسَأَلَ عَنْهُ
مَنْ غَدٍ ، فَأُخْبِرَ . فَدَعَا بِسَوَادِهِ وَطَوِيلَتِهِ ^(٤) فَلَبِسَهُمَا وَرَكِبَ إِلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى ،
فَقَالَ : إِنَّ لِي جَارًا أَخَذَهُ الْعَسَسُ الْبَارِحَةَ وَحُبَسَ ، وَمَا عَلِمْتُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا .
فَقَالَ عَيْسَى : سَامُّوْا إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ كُلِّ مَنْ أَخَذَهُ الْعَسَسُ الْبَارِحَةَ . فَأُطْلِقُوا جَمِيعًا .
فَلَمَّا خَرَجَ الْفَتَى ، دَعَا بِهِ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ سِرًّا : أَلَسْتَ كُنْتَ تَغْنَى :

* أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا *

(١) سداد الثغر : ما يسد به من رجال وعدة .

(٢) الجوامع : جمع جامعة ، وهى الغل . والمظلمة : الظلم .

(٣) وسيطاً : أى أوسطهم نسباً وأرفعهم مجداً .

(٤) السواد : شعار لبني العباس ، وكان أشياعهم يرتدون . والطويلة : قلنسوة عالية .

فهل أضعناك ؟ فقال : لا والله أيها القاضي ، ولكن أحسنت وتكرّمت ،
أحسن الله جزاءك . قال : فعد إلى ما كنت تُغنيّ ، فإني كنت أنس به ،
ولم أر به بأساً . قال : أفعل .

وقيل : لما حبس المنصور عبد الله بن عليّ عمّه ، كان كثير^(١) التمثّل
بقول العرجي :

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريمةٍ وسدادٍ ثغرٍ
فبلغ ذلك المنصور ، فقال : هو أضاع نفسه بسوء فعله ، فكانت أنفسنا آثر
عندنا من نفسه .

— قلت : كان عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العباس هذا خرج على ابن أخيه
المنصور ، وأستولى على الشام ، ودعا إلى نفسه بالخلافة . فسير إليه المنصور الجنود
مع أبي مسلم صاحب الدّعوة ، فهزّمه وقلّ جيوشه ، فهرب عبد الله إلى البصرة
واستتر بها ، حتى أخذ له الأمان من المنصور ، وحلف له بأغلظ الأيمان أنّه
لا يهيجّه . فجاء إليه ، فحبسه في بيت وجعل أساسه ملحاً ، ثم صبّ عليه
الماء حتى ذاب الملح ، فتداعى البيت وسقط على عبد الله فقتله —

وذَكَرَ الأصمعيّ قال : مررت بكنّاس بالبصرة يكنس كنيفاً وهو يغني :

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريمةٍ وسدادٍ ثغرٍ
فقلت له : أمّا سداد الكنيف فأنت مليء به^(٢) ، وأمّا الثغر فلا علم لنا بك ،
كيف أنت فيه ؟ وكنت حديث السنّ وأردت العبث به . فأعرض عني
مليّاً ، ثم أقبل فأنشد مُتمثلاً :

وأكرم نفسي إنّي أهنئها وحقّك لم تكرم على أحدٍ بعدي
فقلت له : والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له ! فبأى شيء

(١) في بعض أصول الأغاني : « يكثر » . (٢) مليء به : مضطجع به .

المنصور وعمه
عبد الله حين تمثّل
بشعر العرجي
في حبسه

للمؤلف في مقتل
عبد الله عم المنصور

الأصمعيّ وكنّاس
يغني بيت للعرجي

أكرمتمها؟ قال: بلى والله! إن من الهوان لشرًّا مما أنا فيه. فقلت: وما هو؟ فقال: الحاجة إليك وإلى أمثالك من الناس. فانصرفت عنه أخزى الناس.

وذُكر أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك كان مُضطغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبُلِّغُه عنه في حياة هشام، فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخصاً إليه إلى الشام، ثم دعا بالسيّاط. فقال له محمد: أسألك بالقَرابة. فقال: وأيّ قَرابة بيني وبينك؟ وهل أنت إلا من أشجع! قال: فأسألك بصهر عبد الملك. قال: لم تحفظه. فقال له: يا أمير المؤمنين، قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُضرب قرشي بالسيّاط إلا في حدٍّ. قال: ففي حدٍّ أضربك وقود، أنت أول من سنّ ذلك على العرجي، وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عُثمان، فما رعيت حق جدّه ولا نسبه بهشام، ولا ذكركت حينئذٍ هذا الخبر، وأنا وليُّ ثأره، أضرب يا غلام. فضرَبهما ضرباً شديداً مبرحاً، وأثقلًا بالحديد. ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة، وأمره^(١) باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا. وكتب إليه: أحببتهما مع ابن النضرانيّة — يعني خالد ابن عبد الله القسريّ — ونفّسك نفّسك إن عاش أحدٌ منهم. فعذبهم عذاباً شديداً، وأخذ منهم مالا عظيماً، حتّى لم يبقَ فيهم موضع للضرب.

تنكيل الوليد بمحمد
ابن هشام وأخيه
وخالد القسري

فكان محمد بن هشام مطرُوحاً، فإذا أرادوا أن يقيموه أخذوا ببلحيّته فجذبوه بها. ولما اشتدّت عليهم الحال، تحامل إبراهيم لينظر في وجه أخيه محمد، فوقع عليه، فماتاً جميعاً. ومات خالد القسريّ معهما في يومٍ واحد.

وقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر:

شعر الوليد بن
يزيد في ذلك

(١) استصفائهما، أي أخذ أموالهما.

قَدْ رَاحَ نَحْوَ الْعِرَاقِ مَخْشَلِبُهُ قُصَارُهُ السَّجْنُ بَعْدَهُ ^(١) الْخَشَبُهُ
يَرْكَبُهَا صَاحِرًا بِلَا قَتَبٍ وَلَا خِطَامٍ وَحَوْلُهُ جَلَبُهُ
فَقُلْ لَدَعَجَاءٍ إِنْ مَرَّتْ بِهَا لَنْ يُعْجِزَ اللَّهَ هَارِبٌ طَلَبُهُ
قَدْ جَعَلَ اللَّهُ بَعْدَ غَلَبَتِكُمْ لَنَا عَلَيْكُمْ يَادُلْدُلُ الْغَلَبُهُ
لَسْتُ إِلَى هَاشِمٍ وَلَا أُسْدٍ وَلَا إِلَى نَوْفَلٍ وَلَا ^(٢) الْحَجَبُهُ
لَكِنَّا أَشْجَعُ أَبُوكَ سَلِ الدَّ كَلْبِي ^(٣) لَا مَا يُزَوِّقُ الْكَذَبُهُ
وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيُّ :

غَنَيْتُ الرَّشِيدَ يَوْمًا فِي عُرْضِ الْغَنَاءِ :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ قَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغَرٍ

فَقَالَ لِي : مَا كَانَ سَبَبُ هَذَا الشَّرِّ حَتَّى قَالَهُ الْعَرْجِيُّ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِهِ مِنْ أَوَّلِهِ
إِلَى أَنْ مَاتَ . فَرَأَيْتُهُ يَتَغَيِّظُ كُلَّمَا مَرَّ مِنْهُ شَيْءٌ . فَاتَّبَعْتُهُ بِحَدِيثِ مَقْتُلِ ابْنِ
هَاشِمٍ . فَجَعَلَ وَجْهُهُ يُسْفِرُ وَغَيْظُهُ يَسْكُنُ . فَلَمَّا أَنْقَضَى الْحَدِيثُ قَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ ،
وَاللَّهِ لَوْلَا مَا حَدَّثْتَنِي بِهِ مِنْ فِعْلِ الْوَلِيدِ ، لَمَا تَرَكْتُ أَحَدًا مِنْ أُمَاثِلِ بَنِي مُحْزُومٍ
إِلَّا قَتَلْتُهُ بِالْعَرْجِيِّ .

وَالشَّرُّ الَّذِي فِيهِ الْغَنَاءُ مِنْ قَوْلِ الْعَرْجِيِّ هُوَ قَوْلُهُ :

إِلَى جَيْدَاءٍ قَدْ بَعَثُوا رَسُولًا لِيَحْزُنَهَا فَلَا صُحْبَ الرَّسُولِ
كَأَنَّ الْعَامَ لَيْسَ بِعَامِ حَجٍّ تَغَيَّرَتِ الْمَوَاسِمُ ^(٤) وَالشُّكُولِ

(١) المَخْشَلِبَةُ ، والمَشْخَلِبَةُ ، كلمتان عراقيتان ، بمعنى ، يطلقان على شيء يتخذ من الليف
والخرز أمثال الخلى . وقد تسمى الجارية مَخْشَلِبَةً أو مَشْخَلِبَةً ، لما يرى عليها من الخرز كالحلى .
والخَشَبَةُ ، يريد خشبة الصلب .

(٢) الْحَجَبَةُ : يريد حجة الكعبة ، وكانت الحجابة في بنى قصي . وقد بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحجابه البيت في يد شيبه بن عثمان بن طلحة بن عبد الله بن قصي فأبقاها .

(٣) الْكَلْبِيُّ : محمد بن السائب ، النسابة المعروف .

(٤) الشُّكُولِ : بجمع شكل .

بين إسحاق
الموصلى والرشيد
في بيت للعرجي

شعر العرجي
الذي فيه الغناء

أخبار المحبّون

اسمه

مِنَ النَّاسِ مَنْ أَثْبَتَ وُجُودَهُ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يُثْبِتْ . فَأَمَّا الْمُثْبِتُونَ
فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : أَسْمُهُ مَهْدِيٌّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : أَسْمُهُ بَن قَيْسٍ ، وَهُمْ الْأَكْثَرُونَ .
وَهُوَ ابْنُ الْمُلَوَّحِ بْنِ مُزَاحِمِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ رَبِيعَةَ^(١) بْنِ جَعْدَةَ بْنِ كَعْبِ
ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ .

وَقِيلَ : هُوَ قَيْسُ بْنُ مُعَاذٍ ، أَحَدُ بَنِي ثُمَيْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَقِيلٍ . وَقِيلَ : أَحَدُ
بَنِي جَعْدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ .

قَالُوا : وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَسْمَهُ « قَيْسٌ » فَوَلُّ لَيْلَى صَاحِبَتَهُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْخُطُوبُ كَثِيرَةٌ مَتَى رَحَلُ قَيْسٍ مُسْتَقِيلٌ فَرَا جَعُ
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ : لَمْ يَكُنْ مَجْنُونًا . وَلَكِنْ كَانَتْ بِهِ لُوثَةٌ^(٢)
كُلُّوثةُ أَبِي حَيَّةَ^(٣) الثُّمَيْرِيِّ .

وَرَوَى الْمُنْكَرُونَ أَخْبَارًا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَقِيقَةٌ ، مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى
أَبْنُ دَابَّ^(٤) قَالَ : قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ : أَتَعْرِفُ الْمَجْنُونَ وَتَرَوِي شِعْرَهُ ؟
قَالَ : أَوْقَدْ فَرَّغْنَا مِنْ شِعْرِ الْعُقَلَاءِ حَتَّى نَرَوِي أَشْعَارَ الْمَجَانِينِ ! إِنَّهُمْ لَكَثِيرٌ .
قُلْتُ : لَيْسَ هَؤُلَاءِ أَغْنَى ، إِنَّمَا أَغْنَى مَجْنُونُ بْنُ عَامِرٍ الَّذِي قَتَلَهُ الْعِشْقُ . فَقَالَ :

قول من أنكره

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « مُزَاحِمُ بْنُ عَدَسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ جَبَلَةَ » .

(٢) اللُّوْثَةُ ، بِالضَّمِّ وَتَفْتَحُ : الْحُمُقُ . وَقِيلَ : اللُّوْثَةُ ، بِالضَّمِّ : الْحَبْسَةُ فِي اللِّسَانِ ؛
وَبِالْفَتْحِ : الْحِمَاقَةُ .

(٣) سَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ فِي التَّجْرِيدِ .

(٤) هُوَ عَيْسَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ بَكْرِ بْنِ دَابَّ . كَانَ عَالِمًا وَشَاعِرًا .

هيهات ! إن بني عامر أغلظُ أ كباداً من ذلك ! إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصعلة^(١) رؤوسها ، فأما نزار فلا .

وروى عن الأصمعي أنه كان يقول :

رجلان ما عُرِفَا في الدنيا قطُّ إلا بالاسم : مجنون بني عامر ، وابن القرية^(٢) ، فإنهما وضعهما الرواة .

وروى عن ابن الكلبي أنه قال : حَدَّثْتُ أَنَّ حَدِيثَ الْمَجْنُونِ وَشِعْرَهُ وَضَعَهُ فَتَى مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ كَانَ يَهْوَى ابْنَةَ عَمِّ لَهُ ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُظْهَرَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، فَوَضَعَ حَدِيثَ الْمَجْنُونِ ، وَقَالَ الْأَشْعَارُ الَّتِي يَرْوِيهَا النَّاسُ لِلْمَجْنُونِ وَنَسَبَهَا إِلَيْهِ .

وروى مَنْ أَثْبَتَهُ : أَنَّ أَبَاهُ الْمُلُوحَ مَاتَ قَبْلَ اخْتِلَاطِهِ^(٣) ، فَعَقَرَ عَلَى قَبْرِهِ قَوْلَ الْمُشَبِّتِينَ لَهُ نَاقَتَهُ ، وَقَالَ :

عَقَرْتُ عَلَى قَبْرِ الْمُلُوحِ نَاقَتِي بَذَى السَّرْحِ^(٤) لَمَّا أَنَّ جَفَاهُ الْأَقَارِبُ
وَقُلْتُ لَهَا كُونِي عَقِيرًا^(٥) فَإِنِّي غَدًا رَاجِلٌ أَمْشِي وَبِالْأُمْسِ رَاكِبٌ
فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا بَنَ مُزَاحِمٍ فَكُلُّ بَكَاسٍ الْمَوْتُ لَا بُدَّ شَارِبِ

وَذُكِرَ أَنَّ لَيْلَى صَاحِبَتَهُ ، بِنْتُ مُهْدَى بْنِ^(٦) سَعْدِ بْنِ مَهْدَى بْنِ رَبِيعَةَ لَيْلَى صَاحِبَتِهِ
ابن الحرّيش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وفيها يقول المجنون :

(١) الصعلة : الصغيرة .

(٢) هو أيوب بن زيد بن قيس . والقرية : أمه . كان لسنّاً خطيباً . وقتله الحجاج لا تهامه بالميل إلى ابن الأشعث . (وفيات الأعيان) .

(٣) اختلاطه ، أي فساد عقله وتغيره .

(٤) ذو السرح : واد بأرض نجد .

(٥) العقير : المعقورة ، أي المنحورة . وكانوا ينحرون الإبل على قبور الموتى .

(٦) في بعض أصول الأغاني : « بنت سعد بن مهدي » .

أَخَذَتْ مُحَاسِنَ كُلِّ مَا ضَنَّتْ مُحَاسِنُهُ بِحُسْنِهِ
كَادَ الْغَزَالُ يَكُونُهَا لَوْلَا الشَّوَى ^(١) وَنُشُوزُ قَرْنِهِ

وَرُؤْيَى عَنْ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ :

الأصمعي وأعرابي
من بني عامر عمن
رموا فيهم بالجنون

سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ عَنِ الْمَجْنُونِ الْعَامِرِيِّ ، فَقَالَ :
عَنْ أَيِّهِمْ تَسْأَلُنِي ؟ فَقَدْ كَانَ فِينَا جَمَاعَةٌ رُمُوا بِالْجُنُونِ ، فَعَنْ أَيِّهِمْ تَسْأَلُ ؟ فَقُلْتُ :
عَنِ الَّذِي كَانَ يُشَبَّبُ بِلَيْلَى . فَقَالَ : كُلُّهُمْ كَانَ يُشَبَّبُ بِلَيْلَى . قُلْتُ : فَأَنْشِدْنِي
لِبَعْضِهِمْ . فَأَنْشِدْنِي لِمُزَاحِمِ بْنِ الْحَارِثِ الْمَجْنُونِ :

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي لَجَّ هَائِمًا بَلِيلَى وَلَيْدًا لَمْ تَقْطَعْ ^(٢) تَمَائِمَهُ
أَفِقْ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَقَدْ ^(٣) أَتَى لَكَ الْيَوْمَ أَنْ تَلْقَى طَبِيبًا تَلَامِيَهُ

قُلْتُ : فَأَنْشِدْنِي لِغَيْرِهِ . فَأَنْشِدْنِي لِمُعَازِ بْنِ كَلَيْبِ الْمَجْنُونِ :

أَلَا طَلَمَّا لَاعَبْتُ كَيْلَى وَقَادَنِي إِلَى اللَّهِو قَلْبٌ لِلْحِسَابِ تَبَوُّعُ
وَطَالَ أُمْتِرَاءُ ^(٤) الشَّوْقِ عَيْنِي كُلَّمَا نَزَفْتُ دُمُوعًا تَسْتَجِدُّ دُمُوعَ
وَقَدْ طَالَ إِمْسَاكِ عَلَى الْكَبِدِ ^(٥) الَّتِي بِهَا مِنْ هَوَى كَيْلَى الْغَدَاةَ صُدُوعَ

قُلْتُ : فَأَنْشِدْنِي لِغَيْرِ هَذَيْنِ مِمَّنْ ذَكَرْتَ . فَأَنْشِدْ لِمَهْدِيِّ بْنِ الْمُلَوَّحِ :

لَوْ أَنَّ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا عُدِلَتْ بِهِ سِوَاهَا وَلَيْلَى بَأْسٌ عَنْكَ ^(٦) بَيْنَهَا
لَكُنْتَ إِلَى كَيْلَى فَقِيرًا وَإِنَّمَا يَقُودُ إِلَيْهَا وَدَّ نَفْسِكَ حَيْنَهَا

(١) الشوى : الأطراف .

(٢) التمايم : جمع تميمة ، أو هي عوذة تعلق على المولود . ولم تقطع تمايمه ، أى لا يزال صغيراً .

(٣) أتى : حان وقرب .

(٤) الامتراء : الاستدراار .

(٥) الكبد ، تؤنت وتذكر .

(٦) بينها ، أى وصلها . وهو من أسماء الأضداد ، يطلق على الوصل والفراق .

فقلت : أَنشدني لمن بَقِيَ من هؤلاء . فقال : حَسْبُكَ ! فوالله إنَّ في واحدٍ من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائكم اليوم !

وذُكِرَ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ كَلِيبٍ كانَ مُجَنُّونًا ، وكانَ يُحِبُّ لَيْلَى ، فَشَرَكه في حُبِّها .
مُزاحم بن الحارث العَقِيلِيّ ، فقال مُزاحم يومًا للمَجْنُونِ :
مُزاحم والمجنون
في هوى ليلي

كَلانَا يا مُعَاذُ يُحِبُّ لَيْلَى بَنِي وَفِيكَ مِنْ لَيْلَى التُّرابُ
شَرِكْتُكَ في هَوَى مِنْ كانَ حَظِّي وَحَظُّكَ مِنْ مَوَدَّتِها العَذابُ
لَقَدْ خَبَلَتْ فُؤادَكَ ثُمَّ ثَنَّتْ بَقْلِي فَهو مَخْبُولٌ مُصَابُ

فَيُقَالُ : إِنَّه لما سَمِعَ هذه الأبياتَ التُّبَسَّ وخُلِطَ في عَقْلِهِ .

وَرَوَى هَارُونُ بْنُ مُوسَى ، قال :

سَأَلْتُ أبا بَكْرٍ العَدَوِيَّ ^(١) عَنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

وَخَبَّرْتُمَنِي أَنَّ تَيْمَاءَ ^(٢) مَنْزِلٌ لِلَّيْلِ إِذَا ما الصَّيْفُ أُلْقِيَ المَراسِيَا
فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ فَمَا لِلنَّوَى تَرَمِي بَلَيْلَى المَرَامِيَا

فَقَالَ : هُمَا لِحَمِيلٍ . وَلَمْ يَعْرِفِ المَجْنُونُ . قُلْتُ : وَهَلْ مَعَهُمَا غَيْرُهُما ؟ قَالَ :

نَعَمْ ، وَأَنشدني :

وَإِنِّي لِأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ فُجَاءَةً وَفِي النَّفْسِ حاجاتٌ إِلَيْكَ كما هِيَا
وَإِنِّي لَيُنْسِينِي لِقَاؤُكَ كَلًّا لَقَيْتُكَ يَوْمًا أَنَّ أَثْبَثَكَ ما بِيَا
وَقَالُوا بِهِ داءٌ عِيَاءٌ أَصَابَهُ وَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي مَكَانَ دَوَائِيَا

وَذَكَرَ الرُّوَاةُ الْمُتَّبِعُونَ أَخبارَ المَجْنُونِ ، أَنَّهُ كانَ يَهْوَى لَيْلَى بنتَ مَهْدَى ،
التي تَقَدَّمَ ذِكْرُ نَسَبِها ، وَتُكْنَى أُمُّ مالِكٍ ، وَهُما حينئِذٍ صَبِيَّانِ ، فَعَلِقَ كُلُّ واحدٍ

(١) في الأصل : « العَدَوِيَّ » . (٢) تَيْمَاءُ : بَلَدٌ صَغِيرٌ فِي أَطْرافِ الشَّامِ .

منهما صاحبه، وهما يرعيان مواشي أهلها، فلم يزا إلا كذلك حتى كبرا، فحُجبت عنه، فقال في ذلك :

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ ذَاتُ ^(١) ذُوَابَةٍ ولم يَبْدُ لِلْأَثْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ
صَغِيرِينَ نَرَعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَّنَا إلى اليوم لم نَكْبُرْ ولم تَكْبُرِ الْبَهْمُ

وَذُكْرُ أَنَّ ابْنَ مُلَيْكَةَ كَانَ يُؤَذِّنُ ، إِذْ سَمِعَ الْأَخْضَرَ الْجُدِّيَّ يَغْنِي
من دار العاصِ بن وائلٍ في هذين البيتين ، فلما أراد أن يقول : « حَيَّ عَلَى
الصلاة » قال : « حَيَّ عَلَى الْبَهْمِ » حتى سَمِعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ ، فغدا يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ .

اختلاط ابن
مليكَةَ في آذانه
عند سماعه من
يتغنى بشعر المجنون

وَذُكْرُ أَنَّ سَبَبَ تَعَلُّقِهِ بِلَيْلَى أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ غَزَلٍ وَمُجَالِسَةِ النِّسَاءِ، فَخَرَجَ عَلَى
نَاقَةٍ لَهُ يَسِيرُ، فَمَرَّ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ يُقَالُ لَهَا: كَرِيمَةٌ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً عَاقِلَةً، مَعَهَا
نِسْوَةٌ ، فَعَرَفَنَّهُ فَدَعَوْنَهُ إِلَى النُّزُولِ وَالْحَدِيثِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ لَهُ فَاخْرَتَانِ
وَطَيْلَسَانِ وَقَلَنَسَوَةٌ . فَنَزَلَ فَظَلَّ يُحَدِّثُهُنَّ وَيُنَشِّدُهُنَّ ، وَهُنَّ أَعْجَبُ شَيْءٍ بِهِ
فِيمَا يَرَى ، فَلَمَّا أَعْجَبَهُ ذَلِكَ مِنْهُنَّ عَقَرَهُنَّ نَاقَتَهُ ، وَقُمْنَ إِلَيْهَا وَجَعَلْنَ يَشْوِينَ
وَيَأْكُلْنَ مِنْ لَحْمِهَا إِلَى أَنْ أَمْسَيْنَ ، فَأَقْبَلَ غُلَامٌ شَابٌّ حَسَنُ الْوَجْهِ ، فَجَلَسَ
إِلَيْهِنَّ ، فَأَقْبَلْنَ عَلَيْهِ بِوُجُوهُنَّ يَقُلْنَ لَهُ : كَيْفَ . ظَلَلْتَ يَا مُنَازِلُ الْيَوْمَ ؟ فَلَمَّا رَأَى
ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِنَّ غَضِبَ وَقَامَ ، فَتَرَكَهُنَّ وَهُوَ يَقُولُ :

عود الى تعلق
المجنون بليلى

أَأَعْقِرُ مِنْ جَرًّا ^(٢) كَرِيمَةً نَاقَتِي وَوَصَلِي مَفْرُوشٍ ^(٣) لَوْصَلِ مُنَازِلِ
إِذَا جَاءَ قَعَقَعْنُ الْحُلِيِّ وَلَمْ أَكُنْ إِذَا جِئْتُ أَرْجُو صَوْتَ تِلْكَ الْخَلَاخِلِ

قال : فقال له الفتى : هَلَمْ نَتَصَارِعْ أَوْ نَتَمَاضِلْ . فقال له : إِنْ شِئْتَ ذَلِكَ
فَقُمْ إِلَى حَيْثُ لَا تَرَاهُنَّ وَلَا يَرَيْنَكَ ، ثُمَّ مَا شِئْتَ فَافْعَلْ . وقال :

(١) الذُّوَابَةُ : شعر الناحية .

(٢) من جَرَا ، من أَجَلَ .

(٣) مفروش : مهد .

إِذَا مَا أَنْتَضَلْنَا فِي الْخَلَاءِ^(١) نَضَلْتُهُ وَإِنْ يَرَمِ رَشَقًا عِنْدَهَا فَهُوَ نَاضِلِي
 فَلَمَّا أَصْبَحَ لَيْسَ حُلَّتُهُ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ وَمَضَى مُتَعَرِّضًا لَهَا ، فَأَلْفَى لَيْلَى جَالِسَةً
 بِفِنَاءِ بَيْتِهَا ، وَكَانَتْ مَعَهُنَّ يَوْمئِذٍ ، وَقَدْ عَلِقَ بِقَلْبِهَا وَهَوَيْتَهُ ، وَعِنْدَهَا جُويريات
 يُحَدِّثْنَهَا ، فَوَقَفَ عَلَيْهِنَّ وَسَلَّمَ ، فَدَعَا نَهْ إِلَى النُّزُولِ وَقَلْنَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي مُحَادَثَةِ
 مَنْ لَا يَشْغَلُهُ عَنْكَ مُنَازِلٌ وَلَا غَيْرُهُ ؟ قَالَ : إِي لَعَمْرِي ! وَفَعَلَ فَعَلَّتَهُ بِالْأَمْسِ .
 فَأَرَادَتْ أَنْ تَعْلَمَ هَلْ لَهَا عِنْدَهُ مِثْلُ مَا لَهَ عِنْدَهَا ، فَجَعَلَتْ تُعْرِضُ عَنْ حَدِيثِهِ سَاعَةً
 بَعْدَ سَاعَةٍ وَتُحَدِّثُ غَيْرَهُ ، وَقَدْ كَانَ عَلِقَ حُبُّهَا بِقَلْبِهِ وَشَغَفَهُ وَأَسْتَمْلَحَهَا ، فَبَيْنَمَا هِيَ
 تُحَدِّثُهُ إِذْ أَقْبَلَ فَتَى مِنَ الْحَيِّ ، فَدَعَتْهُ فَسَارَتْهُ سِرَّارًا طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ :
 أَنْصَرِفْ . فَانْصَرَفَ . وَنَظَرَتْ إِلَى وَجْهِ الْمَجْنُونِ قَدْ تَغَيَّرَ وَأُمْتَقَعَ^(٢) وَشَقَّ عَلَيْهِ
 مَا فَعَلَتْ ، فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

كَلَانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بَغْضًا وَكُلُّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينُ
 تَبَلَّغْنَا الْعُيُوفُ مُقَالَتَيْنَا وَفِي الْقَلْبَيْنِ شَمٌّ هَوَى دَفِينُ
 فَلَمَّا سَمِعَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ شَهَقَ شَهَقَةً عَظِيمَةً وَأَغْمَى عَلَيْهِ ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ
 سَاعَةً ، وَنَضَحُوا الْمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَفَاقَ . وَتَمَكَّنَ حُبُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
 فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ . وَبَلَغَ مِنْهُ كُلٌّ مَبْلَغًا .

وَقِيلَ : لَمَّا شُهِرَ أَمْرُ الْمَجْنُونِ وَلَيْلَى ، وَتَنَاشَدَ النَّاسُ الشَّعْرَ الَّذِي عَمَلَهُ فِيهَا ،
 خَطَبَهَا وَبَدَّلَ لَهَا خَمْسِينَ نَاقَةً خَمْرَاءَ ، وَخَطَبَهَا وَرَدُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعُقَيْلِيُّ ، وَبَدَّلَ لَهَا
 عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ وَرَاعِيَهَا . فَقَالَ أَهْلُهَا : نَحْنُ مُخَيَّرُوهَا بَيْنَكُمَا ، فَمَنْ اخْتَارَتْ
 تَزَوَّجَتْهُ . فَدَخَلُوا إِلَيْهَا وَقَالُوا : لَنْ لَمْ تَحْتَارِي وَرَدًّا كُنْمَثْنَنَّ بِكَ . فَقَالَ الْمَجْنُونُ :
 أَلَا يَا لَيْلَى إِنْ مُلِّكْتُ فِينَا خِيَارَكَ فَاَنْظُرِي أَيْنَ^(٣) الْخِيَارُ

(١) انتضلنا : ترامينا . ونضلتته : غلبته .

(٢) امتقع : تغير لونه . (٣) في بعض أصول الأغاني : «لن» .

ولا تَسْتَبْدِلِي مِنِّي دَنِيًّا ولا بَرِّمًا إِذَا حُبَّ^(١) الْقَتَارِ
يَهْرُولُ فِي الصَّغِيرِ إِذَا رَأَى وتُعْجِزُهُ الْمُلَمَّاتُ الْكِبَارُ
فَمِثْلُ تَأَيُّمٍ مِنْهُ نِكَاحٌ ومِثْلُ تَمَوُّلٍ مِنْهُ افْتِقَارُ
فاختارت «ورداً» فتزوَّجته على كُرْهِ مِنْهَا .

سبب اختلاط عقله

وذُكِرَ أَنَّ سَبَبَ اخْتِلَاطِ عَقْلِهِ أَنَّ كَيْلِيَّ أَنْشَدَتْهُ فِي خَلْوَةٍ :

كَلَانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بَغْضًا وَكُلُّهُ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينُ
وَأَسْرَارُ الْمَلَا حِظِّ^(٢) كَيْسٍ تَخْفَى وَقَدْ تَغْرَى بِذِي اللَّحْظِ^(٣) الْعُيُونُ
فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَاقْدَأَ عَقْلَهُ ، فَكَانَ لَا يَلْبَسُ ثَوْبًا إِلَّا خَرَقَهُ ،
وَلَا يَمْشِي إِلَّا عَارِيًّا ، وَيَلْعَبُ بِالتُّرَابِ ، وَيَجْمَعُ الْعِظَامَ حَوْلَهُ . فَإِذَا ذُكِرَتْ
كَيْلِيَّ أَنْشَأَ يَقُولُ وَيُحَدِّثُ عَنْهَا عَاقِلًا لَا يُخْطِئُ حَرْفًا . وَتَرَكَ الصَّلَاةَ ، فَإِذَا
قِيلَ لَهُ : مَا لَكَ لَا تُصَلِّي ؟ لَمْ يَرُدَّ حَرْفًا . وَكَانَ أَبُوهُ يَحْبِسُهُ وَيَقْيِدُهُ ، فَيَعْضُ
شَفَتَيْهِ وَلِسَانَهُ ، فَيُخَلِّي سَبِيلَهُ فَيَهْرِمُ .

سؤاله عمر بن
عبد الرحمن أن
يخرج معه

وَذُكِرَ : أَنَّهُ سَأَلَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ — وَكَانَ وَلَّاهُ مَرْوَانَ
أَبْنُ الْحَكَمِ صَدَقَاتِ بَنِي كَعْبٍ وَقُشَيْرٍ وَجَعَدَةً — أَنْ يُخْرِجَ بِهِ مَعَهُ ، وَقَالَ : أَكُونُ
مَعَكَ فِي هَذَا الْجَمْعِ الَّذِي تَجْمَعُهُ غَدًا ، وَأُرَى فِي أَصْحَابِكَ وَأَتَجَمَّلُ فِي عَشِيرَتِي بِكَ ،
وَأَخَّرَ بَقْرُوكَ . فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَحْكِمَ حُبَّهُ . فَجَاءَهُ رَهْطٌ كَيْلِيَّ
فَأَخْبَرُوهُ بِقِصَّتِهِ وَأَنَّهُ لَا يَرِيدُ التَّجَمُّلَ بِهِ وَإِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْوتَهُمْ وَيَفْضَحَهُمْ
فِي امْرَأَةٍ مِنْهُمْ يَهْوَاهَا ، وَأَنَّهُمْ شَكَّوْهُ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَهْدَرَ دَمَهُ إِنْ دَخَلَ
إِلَيْهِمْ . فَأَعْرَضَ عَمَّا أَجَابَهُ إِلَيْهِ مِنْ أَخْذِهِ مَعَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِقَلَائِصَ ، فَرَدَّهَا وَقَالَ :

(١) البرم : اللثيم . والقطار : ريح اللحم المشوى . (٢) في الأصل : « التلاحظ » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : * إِذَا نَطَقْتَ بِمَا تَخْفَى الْعُيُونُ *

وفي تزيين الأسواق : * وَقَدْ تَغْرَى بِذِي اللَّحْظِ الْعُيُونُ *

رَدَدْتُ قَلَائِصَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا بَدَأَ لِيَ النِّقْضُ مِنْهُ لِلْعُهودِ
وَرَأَوْا مُقْصِرِينَ وَخَلَفُونِي إِلَى حُزْنٍ أَعْلَجُهُ شَدِيدُ

فَرَجَعَ آيَسًا ، فَعَادَ إِلَى حَالِهِ الْأَوَّلِيِّ .

قصته مع نوفل
ابن مساحق

وَلَمْ تَزَلْ تِلْكَ حَالُهُ ، غَيْرَ مُسْتَوْحِشٍ ، إِنَّمَا يَكُونُ فِي جَنَابَاتِ الْحَيِّ مُنْفَرِدًا
عَارِيًّا ، لَا يَلْبَسُ ثَوْبًا إِلَّا خَرَقَةً ، يَهْدِي وَيُخَطِّطُ فِي الْأَرْضِ ، وَيَلْعَبُ بِالْثُرَابِ
وَالْحِجَارَةِ ، وَلَا يُجِيبُ أَحَدًا سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، فَإِذَا أَحَبُّوا أَنْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَثُوبَ إِلَيْهِ
عَقْلُهُ ذَكَرُوا كَثِيلًا ، فَيَقُولُ : بَأْبَى هِيَ وَأُمِّي ! ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ عَقْلُهُ فَيَخَاطِبُونَهُ
وَيُجِيبُهُمْ ، وَيَأْتِيهِ أَحْدَاثُ الْحَيِّ فَيَحْدِثُونَهُ عَنْهَا ، وَيُنْشِدُونَهُ الشَّعْرَ الْغَزْلَ ، فَيُجِيبُهُمْ
جَوَابًا صَحِيحًا ، وَيُنْشِدُهُمْ أَشْعَارًا قَالَهَا . حَتَّى سَعَى عَلَيْهِمْ ^(١) فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ،
بَعْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، نَوْفَلُ بْنُ مُسَاحِقٍ ، فَزَلَّ تَجْمَعًا مِنْ تِلْكَ الْجَمَاعِ ،
فَرَأَاهُ يَلْعَبُ بِالْثُرَابِ وَهُوَ عُرْيَانٌ ، فَقَالَ لِغُلَامٍ : يَا غُلَامُ ، هَاتِ ثَوْبًا . فَأَتَاهُ بِهِ .
فَقَالَ لِبَعْضِهِمْ : خُذْ هَذَا الثَّوبَ فَأَلْقِهِ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ . فَقَالَ لَهُ : أَتَعْرِفُهُ ؟
جُعِلَتْ فِدَاكَ ! قَالَ : لَا . قَالَ : هَذَا ابْنُ سَيِّدِ الْحَيِّ ، وَاللَّهِ مَا يَلْبَسُ الثِّيَابَ ،
وَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا تَرَاهُ يَفْعَلُهُ الْآنَ ، وَإِذَا طُرِحَ عَلَيْهِ شَيْءٌ خَرَقَةً ، وَلَوْ كَانَ
يَلْبَسُ ثَوْبًا لَكَانَ فِي مَالِ أَبِيهِ مَا يَكْفِيهِ . وَحَدَّثَهُ عَنْ أَمْرِهِ . فَدَعَا بِهِ وَكَلَّمَ ،
فَجَعَلَ لَا يَعْقِلُ شَيْئًا يُكَلِّمُهُ بِهِ . فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يُجِيبَكَ جَوَابًا صَحِيحًا
فَاذْكُرْ لَهُ كَثِيلًا . فَذَكَرَهَا لَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ حُبِّهِ إِيَّاهَا . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يُحَدِّثُهُ بِمَحْدِثِهَا
وَيَشْكُو إِلَيْهِ حُبَّهُ إِيَّاهَا ، وَيُنْشِدُهُ شِعْرَهُ فِيهَا . فَقَالَ لَهُ نَوْفَلُ : الْحُبُّ صَيْرَكَ إِلَى
مَا أَرَى ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَسَيَنْتَهِي إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِمَّا تَرَى . فَعَجِبَ مِنْهُ ، وَقَالَ :
أَتُحِبُّ أَنْ أَرْوِّجَ كَهْمًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَهَلْ إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ ؟ قَالَ : انْطَلِقْ مَعِي

(١) سعى عليهم : أى ولى جباية صدقاتهم .

حتى أقدم على أهلها بك، وأخطبها [عليك] ، وأرغبهم في المهر لها . قال : أترك
فاعلاً ؟ قال : نعم . قال : أنظر ما تقول ! قال : لك على أن أفعل ذلك . ودعاه
بذياب فلبسه إياها . وراح معه المجنون كاصح أصحابه يحدثه ويؤشده . فبلغ
ذلك رهطها ، فلقوه بالسلاح ، وقالوا : يا ابن مساحق ، لا والله لا يدخل المجنون
منازلنا أبداً أو نموت ، وقد أهدر لنا السلطان دمه . فاقبل بهم وأدبر . فأبوا .
فلما رأى ذلك قال للمجنون : أنصرف . فقال له المجنون : والله ما وفيت
بالعهد ! قال له : أنصرفك بعد أن آيسني القوم من إجابتك أصلح من سفك
الدماء . فقال المجنون :

أَيَاوَيْحَ مَنْ أَمْسَى تَخَلَّسَ عَقْلُهُ
خَلِيًّا مِنْ اخْلَانٍ إِلَّا^(١) مُعَذَّرًا
إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلِي عَقَلْتُ وَرَاجَعْتُ
وَقَالُوا صَحِيحٌ مَا بِهِ طَيْفُ^(٢) جَنَّةٍ
وَشَاهِدُ وَجْدِي دَمْعُ عَيْنِي وَخُبُّهَا
تَجَنَّبْتُ لَيْلِي أَنْ يَلِجَ بِكَ الْهَوَى
وَلَمْ أَرَ لَيْلِي بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ
وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفْتُ بِهِ
وَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلِي الْغَدَاةَ كَنَاطِرٍ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتُ يَا أُمَّ مَلَكٍ

فَأَصْبَحَ مَذْهُوبًا بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ
يُضَاحِكُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي
عَوَازِبُ عَقْلِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِّبٍ
وَلَا لَهُمْ إِلَّا افْتِرَاءُ^(٣) التَّكْذِبِ
بَرَى اللَّحْمَ عَنْ أَحْنَاءِ^(٤) عَظْمِي وَمَنْكَبِي
وَهَيْهَاتَ كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ
بِطْنٍ مَنَى تَرْمِي جِمَارِ^(٥) الْمُحَصَّبِ
مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ
مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُعَرَّبِ
صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ

(١) المعذر : المقصر الذي لا عذر له ، ولكنه يتكلف العذر .

(٢) طيف جنة ، أى مس من الجن .

(٣) فى بعض أصول الاغانى : «ولا لهم إلا بافتراء»

(٤) الأحناء : كل شئ فيه اعوجاج أو شبه اعوجاج ، وكذلك العظام ؛ الواحد : حنو .

(٥) المحصب : حيث ترمى الجمار .

ومما قاله المجنون :

فوالله ثمَّ الله إنِّي لدائبٌ أفكرُ ما ذنبي إليها وأعجبُ
ووالله ما أدري علامَ قتلْتَنِي وأيَّ أموري فيك يا كَيْلَ أَرْكَبُ
أَقْطَعُ حَبْلَ الْوَصْلِ فَمِلْتُ دُونَهُ أَمْ أَشْرَبُ رَنْقًا ^(١) مِنْكُمْ لَيْسَ يَشْرَبُ
أَمْ أَهْرَبُ حَتَّى لَا أَرَى لِي مُجَاوِرًا أَمْ أَصْنَعُ مَاذَا أَمْ أَبُوحُ فَأَغْلَبُ
فَأَيْهِمَا يَا كَيْلَ مَا تَرْتَضِيَنِي فَإِنِّي لَمَطْلُومٌ وَإِنِّي ^(٢) لَمُعْتَبٍ

وقيل : إنَّ أبا المجنون وأمه ورجالَ عَشِيرَتِهِ اجتمعوا إلى أبي كَيْلٍ ، فوعظوه
وناشدوه الله والرحيمَ ، وقالوا : إنَّ هذا الرَّجُلَ هَالِكٌ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ فِي أَقْبَحِ
مِنَ الْهَلَاكِ بَذَاهِبِ عَقْلِهِ ، وَإِنَّكَ فَاجِعٌ بِهِ أَبَاهُ وَأَهْلَهُ ، فَتَشَدَّنَاكَ اللَّهُ وَالرَّحِيمُ أَنْ
تَفْعَلَ ذَلِكَ ، وَاللَّهُ مَا هِيَ أَشْرَفُ مِنْهُ ، وَلَا لَكَ مِثْلُ مَالِ أَبِيهِ ، وَقَدْ حَكَمَكَ
فِي الْمَوْتِ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَخْلَعَ لَكَ نَفْسَهُ مِنْ مَالِهِ فَعَلْ . فَأَبَى وَحَلَفَ بِطَلَاقِ
أُمِّهَا إِنَّهُ لَا يُزَوِّجُهُ إِيَّاهَا أَبَدًا ، وَقَالَ : أَفْضَحُ نَفْسِي وَعَشِيرَتِي وَآتِي مَا لَمْ يَأْتِهِ
أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَسْمُ بِنْتِي بِمَيْسَمٍ فَضِيحَةٌ ! فَانصَرَفُوا ، وَخَالَفَهُمْ لَوْقَتَهُ
فَزَوَّجَهَا رَجُلًا مِنْ قَوْمِهَا ، وَأَدْخَلَهَا إِلَيْهِ . فَمَا أَمْسَى إِلَّا وَقَدْ بَنَى بِهَا . وَبَلَغَهُ
الْخَبْرُ ، فَأَيْسَ مِنْهَا حِينَئِذٍ وَزَالَ عَقْلُهُ مُجْمَلَةً .

فَقَالَ الْحَيُّ لِأَبِيهِ : أَحْجُبْ بِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَادْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمُرَّه أَنْ
يَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَهُ مِمَّا بِهِ ، وَيُبْغِضَهَا إِلَيْهِ ، فَلَعَلَّ
اللَّهُ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ . فَحُجَّ بِهِ أَبُوهُ ، فَلَمَّا صَارُوا بِمِنَى سَمِعَ صَائِحًا
بِاللَّيْلِ يَصِيحُ : يَا كَيْلِي . فَصَرَخَ صَرْخَةً ظَنُّوا بِهِ أَنَّ نَفْسَهُ قَدْ تَلَفَتْ ، وَسَقَطَ
مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحَ . ثُمَّ أَفَاقَ حَائِلَ اللَّوْنِ ذَاهِلًا ،
فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

(١) الرنق : الكدر .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « وإني لمتعب » .

عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْعِزَاءَ فَقَالَ لِي
إِذَا بَانَ مَنْ تَهْوَى وَأَصْبَحَ نَائِيًا
وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِي
دَعَا بِأَسْمٍ لَيْلَى ضَلَّلَ اللَّهُ سَعْيَهُ
قُلْتُ : وَمِنْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ :

دَعَا بِأَسْمٍ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا
أَطَارَ بَلَيْلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي
قال : ثم قال له أبوه : تَعَلَّقْ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَسَلَّ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعَافِيكَ
مِنْ حُبِّ لَيْلَى . فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ زِدْنِي بَلَيْلَى حُبًّا ، وَبِهَا
كَلَفًا ، وَلَا تُنْسِنِي ذِكْرَهَا أَبَدًا . فَهَامَ حِينَئِذٍ وَاخْتَلَطَ ، وَلَمْ يَضْبِطْ .
فَكَانَ يَهْرِمُ فِي الْبَرِّيَّةِ مَعَ الْوَحْشِ ، لَا يَأْكُلُ إِلَّا مَا يَنْبِثُ فِي الْبَرِّيَّةِ مِنْ
بَقْلِ ، وَلَا يَشْرَبُ إِلَّا مَعَ الظَّبَاءِ إِذَا وَرَدَتْ مَنَاهِلُهَا . وَطَالَ شَعْرُ جَسَدِهِ وَرَأْسِهِ ،
وَأَلِفَتْهُ الْوُحُوشُ فَكَانَتْ لَا تَنْفِرُ^(٣) مِنْهُ . وَجَعَلَ يَهْرِمُ حَتَّى يَبْلُغَ حُدُودَ الشَّامِ ،
فَإِذَا ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ سَأَلَ مَنْ يَمُرُّ بِهِ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ عَنْ نَجْدٍ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَيْنَ
أَنْتَ مِنْ نَجْدٍ ! قَدْ شَارَفْتَ الشَّامَ ! أَنْتَ بِمَوْضِعٍ كَذَا . فَيَقُولُ : فَأُرْوِنِي وَجْهَةَ
الطَّرِيقِ . فَيَرْحَمُونَهُ وَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِلُوهُ وَأَنْ يَكْسُوهُ ، فَيَأْتِي . فَيَدُلُّونَهُ
عَلَى طَرِيقِ نَجْدٍ ، فَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ .

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ ، قَالَ :

كُنْتُ بَيْتْرَ مَيْمُونٍ^(٤) ، وَإِذَا جَمَاعَةٌ فَوْقَ تِلْكَ الْجِبَالِ ، وَإِذَا مَعَهُمْ فَتًى

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « لَا أَعْزُكَ مِنْ صَبْرٍ » .

(٢) أَطْرَابُ : جَمْعُ طَرْبٍ ، وَهُوَ الْخَفَّةُ تَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنْ شِدَّةِ فَرَحٍ أَوْ حُزْنٍ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « لَا تَفِرُّ » .

(٤) بَيْتْرُ مَيْمُونٍ : بِمَكَّةَ ، بَيْنَ الْبَيْتِ وَالْحِجُونَ . مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَيْمُونِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، حَفَرَهَا

فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَعِنْدَهَا تَوَفَّى أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ .

أَيْضُ أَقْنَى (١) طُولُ (٢) جَعْد (٣) كَأَحْسَنِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ الرِّجَالِ ، عَلَى هُزَالٍ مِنْهُ وَصْفَرَةٍ ، وَإِذَا هُمْ مُتَعَلِّقُونَ بِهِ . فَسَأَلْتُ عَنْهُ . فَقِيلَ لِي : هَذَا قَيْسُ الْمَجْنُونِ ، خَرَجَ بِهِ أَبُوهُ يَسْتَجِيرُ لَهُ بِالْبَيْتِ ، وَهُوَ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِهِ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَدْعُو لَهُ هُنَاكَ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يُكْشَفَ مَا بِهِ .

وَقَالُوا : إِنَّهُ لَيَصْنَعُ بِنَفْسِهِ صَنِيعًا يَرَحُّهُ مِنْهُ عَدُوُّهُ . يَقُولُ : أَخْرِجُونِي كَعَلَى أَتَنَسَّمُ صَبَاً نَجْدٍ . فَيُخْرِجُونَهُ ، فَيَتَوَجَّهَ (٤) نَحْوَ نَجْدٍ . وَنَحْنُ أَيْضًا نَخَافُ أَنْ يُبْلِقِيَ نَفْسَهُ مِنَ الْجَبَلِ ، فَإِنْ شِئْتَ الْأَجْرَ دَنَوْتُ مِنْهُ [فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّكَ أَقْبَلْتَ مِنْ نَجْدٍ . فَدَنَوْتُ مِنْهُ] ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : يَا أَبَا الْمَهْدِيِّ ، هَذَا الْفَتَى أَقْبَلَ مِنْ نَجْدٍ . فَتَنَفَّسَ تَنَفُّسَةً ظَنَنْتُ أَنْ كَبِدَهُ قَدْ أَنْصَدَعَتْ . ثُمَّ جَعَلَ يُسَائِلُنِي عَنْ وَادٍ وَادٍ ، وَمَوْضِعٍ مَوْضِعٍ ، وَأَنَا أَخْبِرُهُ ، وَهُوَ يَبْكِي أَحْرَبُ بُكَاءٍ وَأَوْجَعَهُ لِلْقَلْبِ ، ثُمَّ قَالَ :

أَلَا كَيْتَ شِعْرِي عَنْ عَوَارِضَتِي (٥) قَنَّا
وَهَلْ جَارَتَانَا بِالْبَتِيلِ (٦) إِلَى الْحِمَى
وَعَنْ عُلُويَّاتِ (٧) الرِّيَّاحِ إِذَا جَرَتْ
وَعَنْ أَقْحُوانِ الرَّمْلِ مَا هُوَ فَاعِلٌ

لَطُولِ اللَّيَالِي هَلْ تَغَيَّرَتَا بَعْدِي
عَلَى عَهْدِنَا أَمْ لَمْ تَدُومَا عَلَى الْعَهْدِ
بِرِيحِ الْخَزَامَى هَلْ تَهَبُّ عَلَى نَجْدٍ
إِذَا هُوَ أُسْرَى لَيْلَةً بِثَرَى (٨) جَعْدٍ

(١) أقنى ، في أنفه ارتفاع في أعلاه بين القصبة والممارن ، من غير قبح .

(٢) طوال : مفرط في الطول .

(٣) الجعد : المعصوب الجوارح الشديد الأسر والخلق ، في غير استرخاء ولا اضطراب .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « فيتوجهون به » .

(٥) قننا : جبل ببلاد طيء ، وعوارضة : جبل بأعلى ديار طيء ، ذكره ياقوت ، ثم أنشد

بيت قيس هذا .

(٦) البتيل : جبل بنجد .

(٧) علويات : جمع علوية ، نسبة إلى العالية ، وهي مافوق أرض نجد إلى تهامة ، نسبة نادرة ،

والقياس : على .

(٨) الجعد : الندى .

وهل أنفَضَنَّ الدَّهْرَ أَفْنَانَ لِمَتِي على لَاحِقِ الْمُتَمَتِّنِ مُنْدَلِقِ ^(١) الْوَحْدِ
 وهل أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ ^(٢) تَحَدَّرُ مِنْ نَشْرِ ^(٣) خَصِيبٍ إِلَى وَهْدِ

سؤاله زوج ليلى
عن حاليهما

وقيل : مَرَّ الْجُنُونُ ذَاتَ يَوْمٍ بِزَوْجٍ لَيْلَى ، وَهُوَ جَالِسٌ يَصْطَلِي فِي يَوْمٍ
 شَاتٍ ، وَقَدْ أَتَى ابْنَ عَمٍّ لَهُ فِي حَيِّ الْجُنُونِ لِحَاجَةٍ ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قَبِيلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ فَأَهَا
 وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ ^(٤) لَيْلَى رَفِيفَ الْأَقْحَوَانَةِ فِي نَدَاهَا

فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِذْ حَلَفْتَنِي فَنَعَمْ . قَالَ : فَقَبَضَ الْجُنُونُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ قَبْضَتَيْنِ
 مِنَ الْجَمْرِ ، فَمَا فَارَقَهُمَا حَتَّى سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، وَسَقَطَ الْجَمْرُ مَعَ لَحْمٍ رَاحَتِيهِ .
 فَقَامَ زَوْجُ لَيْلَى مَغْمُومًا بِفِعْلِهِ مُتَعَجِّبًا مِنْهُ .

مروره بجبلى نعمان

وقيل : إِنْ أَهْلَ الْجُنُونِ خَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ إِلَى وَادِي الْقُرَى ^(٥) قَبْلَ تَوَحُّشِهِ
 لِيَمْتَارُوا ^(٦) ، خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَضِيعَ وَيَهْلِكَ ، فَمَرُّوا فِي طَرِيقِهِمْ بِجَبَلِي
 نَعْمَانَ ^(٧) . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ فِتْيَانِ الْحَيِّ : هَذَا جَبَلٌ نَعْمَانُ ، وَقَدْ كَانَتْ لَيْلَى
 تَنْزِلُ بِهِمَا . قَالَ : فَأَيُّ الرِّيَّاحِ يَأْتِي مِنْ نَاحِيَتِهِمَا ؟ قَالُوا : الصَّبَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ
 لَا أَرِيهِ هَذَا الْمَوْضِعَ حَتَّى تَهْبِ الصَّبَا . فَأَقَامَ ، وَمَضَوْا فَاِمْتَارُوا لَأَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ أَتَوْا
 عَلَيْهِ فَأَقَامُوا مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى هَبَّتِ الصَّبَا ، ثُمَّ انْطَلَقَ مَعَهُمْ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
 أَيَا جَبَلِي نَعْمَانُ بِاللَّهِ خَلِيًّا سَبِيلَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَى نَسِيمِهَا

(١) اللاحق : انضمام . والمتنان : جنبتا الظهر . والمندلق : السريع . والوحد : ضرب من
 سيرا الإبل والخيول ، معه سعة الخطو .

(٢) الهجمة : القطعة الضخمة من الخيل .

(٣) النشز : المكان المرتفع .

(٤) القرون : ذوائب الشعر . ورفت : اهتزت نضارة وحسناً .

(٥) وادي القرى : بين الشام والمدينة .

(٦) الامتياز : جاب الطعام .

(٧) نعمان : هو نعمان الأراك ، واد بين مكة والطائف . وقيل : هو واد لهديل على ليلتين

من عرفات .

أَجِدْ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّي حَرَّارَةً عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا ^(١) صَمِيمُهَا
فَإِنَّ الصَّبَّاءَ رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمْتَ عَلَى نَفْسٍ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا

وقيل : لما منع أبو ليلى المجنون وعشيرته من تزوجها إياه ، كان لا يزال
يغشى بيوتهم ويهجم عليهم ، فشكوه إلى الشيطان ، فأهدر دمه لهم ، فأخبروه
بذلك ، فلم يرعه ^(٢) وقال : الموت أروح لي ، فليتهم قتلوني . فلما علموا بذلك وعلموا
أنه لا يزال يطلب غرة ^(٣) منهم ، حتى إذا تفرقوا دخل دارهم ، ارتحلوا وأبعدوا .
وجاء المجنون عشيّة فأشرف على دارهم ، فإذا هي منهم بلاقع ^(٤) ، فقصده منزل
ليلى الذي كان يبيتها فيه ، فألصق صدره به وجعل يتمرغ على ترابه ويبكي ،
ثم أنشأ يقول :

أَيَا حَرَجاتٍ ^(٥) الْحَيَّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا بِذِي سَلَمٍ ^(٦) لَا جَادَ كُنَّ رَبِيعُ
وَحَيْمَاتِكَ اللَّاتِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى بَلَيْنَ بَلِيٍّ لَمْ تَبْلُغْ رُبُوعُ
نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي نَدَامَةً كَمَا يَنْدِمُ الْمَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ
فَقَدْتُكَ مِنْ قَلْبٍ شِعَاعٍ ^(٧) فَإِنِّي نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتَ جَمِيعُ
فَقَرَّبْتُ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتُ هُنَاكَ ثَنَائِيَا ^(٨) مَا لَهْنٌ طُلُوعُ

وذكر أن ليلى وعدته قبل أن يختلط أن تستزيره ليلة إذا وجدت
فرصة لذلك ، فمكث مدة يرأسلها في الوفاء ، وهي تعدّه وتسوّفه ، فأتى

(١) صميمها : أصلها .

(٢) في الأصل : « فلم يرعه » .

(٣) غرة : غفلة .

(٤) بلاقع : خالية .

(٥) الحرجات : الغيصات ، وهي الشجر الملتف ؛ الواحدة : غيضة .

(٦) ذو سلم : موضع بالحجاز .

(٧) قلب شعاع : متفرق لا عزم له . وفي بعض أصول الأغاني : « نفس شعاع » .

(٨) الثنايا : المراقى الصعبة في الجبل ؛ الواحدة : ثنية .

أهلها ذات يوم والحيُّ خلوف^(١) ، فجلس إلى نسوةٍ من أهلها حجرة^(٢) منها
بحيث تسمع كلامه . فحادثهنَّ طويلاً ، ثم قال : ألا أنشدُ كنَّ أئيمًا تأحدثها
في هذه الأيام ؟ قلن : بلى . فالشدَّهنَّ :

يا للرجالِ لهمَّ باتَ يعزُّوني مُستطرفٍ وقديمٍ كاد يُبليني
من عاذري من غريمٍ غيرِ ذي^(٣) عُسْر يابئٍ فيمطلني ديني ويلويني
لا يبعدُ النقدَ من حقٍّ فيُنكره ولا يُحدثني أن سوف يقضيني
فما كشكرى شكرٍ لو يوافقني ولا منأى سواه لو يواتيني
أطعته وعصيتُ النَّاسَ كلَّهم في أمره وهواه وهو يعصيني
فقلن له : ما أنصفك هذا الغريمُ الذي ذكرته ، وجعلنَّ يتصاحكن
من قوله وهو يبكي ، فأستحييتُ كيلى منهن ورقت [له] حتى بكت ، وقامت
ودخلت بيتها وأنصرف هو .

وذُكر أنه قيل لقيس بن الملوِّح المجنون قبل أن يختلط : ما أعجبُ شيء
أصابك من وجدك بليلى ؟ قال : طرَقنا ذات ليلة أضيافٌ ، ولم يكن عندنا أدمٌ ،
فبعثني أبي إلى منزل أبي كيلى ، وقال : اطلبُ منهم لنا أدمًا . فأتيتُه فوقفتُ على
خبائه وصحتُ . فقال : ماتشاء ؟ فقلت : طرَقنا ضيفانٌ ولا أدم لنا ، فأرسلني أبي اطلبُ
منك أدمًا . فقال : ياليلي ، أخرِجى ذلك النحى^(٤) فأملى له إناءه من السمن .
فأخرَجته ، ومعى قعبٌ ، فجعلتُ تصبُّ السمن لى فيه وتحدثُ ، فألهمانا
الحديثُ وهى تصبُّ السمن ، وقد أمتلأ القعبُ ولا نعلمُ جميعاً ، وهو يسيل حتى
استنقعتُ أرجلنا فى السمن .

حديثه مع ليل
وقد أتى أهلها
يسألهم أدمًا

(١) حى خلوف : قد غاب رجاله وأقام نساؤه .

(٢) حجرة منها : أى ناحية منها .

(٣) العسر : بضمّتين ، لغة فى العسر ، بالضم .

(٤) النحى : الزرق الذى يوضع فيه السمن خاصة .

قال : وَأَتَيْتُهُمْ لَيْلَةً ثَانِيَةً أَطْلُبُ نَاراً ، وَأَنَا مُتَلَفَعٌ بِبُرْدٍ لِي ^(١) . فَأَخْرَجَتْ لِي نَاراً فِي عُطْبَةٍ ^(٢) فَأَعْطَتْنِيهَا ، وَوَقَفْنَا نَتَحَدَّثُ ، فَلَمَّا أَحْتَرَقَتِ الْعُطْبَةُ خَرَقْتُ مِنْ بُرْدِي خِرْقَةً ، وَجَعَلْتُ النَّارَ فِيهَا ، وَكَلَّمَا أَحْتَرَقَتْ خَرَقْتُ أُخْرَى وَأَذْكَيْتُ بِهَا النَّارَ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ عَلَى مِنَ الْبُرْدِ إِلَّا مَا وَارَى عَوْرَتِي ، وَمَا أَعْقَلُ مَا أَصْنَعُ .

وَأَنشَدَ الْمَجْنُونُ :

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْخَمْرَ ^(٣) شَجَّهَا بِمَاءِ النَّدَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ ^(٤) غَابَقُ
وَمَا ذُقْتُهَا إِلَّا بِعَيْنِي تَفَرُّسًا كَمَا شِيمَ ^(٥) مِنْ أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ
وَيَدْعِي هَذَا الشَّعْرَ لِنُصِيبِ .

وقيل : لَمَّا أُخْتَلِطَ عَقْلُ الْمَجْنُونِ وَتَرَكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، مَضَتْ أُمُّهُ إِلَى لَيْلَى فَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ قَيْسًا قَدْ ذَهَبَ حُبَّكَ بِعَقْلِهِ ، وَتَرَكَ الْمَطْعَمَ وَالْمَشْرَبَ ، فَلَوْ جِئْتَهُ وَقَتًا لَرَجَوْتُ أَنْ يَثُوبَ إِلَيْهِ بَعْضُ عَقْلِهِ . فَقَالَتْ لَيْلَى : أَمَّا نَهَارًا فَلَا ، لِأَنِّي لَا آمَنُ قَوْحِي عَلَى نَفْسِي ، وَلَكِنْ لَيْلًا . فَأَتَتْهُ لَيْلًا فَقَالَتْ لَهُ : يَا قَيْسُ ، إِنَّ أُمَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ جُنِنْتَ مِنْ أَجْلِ وَتَرَكَتَ الْمَطْعَمَ وَالْمَشْرَبَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَأَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ . فَبَكَى وَأَنشَأَ يَقُولُ :

قَالَتْ جُنِنْتَ عَلَى رَأْسِي ^(٦) فَقُلْتُ لَهَا الْحُبُّ أَعْظَمُ مِّمَّا بِالْجَانِينِ
الْحُبُّ لَيْسَ يَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ وَإِنَّمَا يُضْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « بَرْدِي » .

(٢) الْعُطْبَةُ : خِرْقَةٌ تَتَّخَذُ بِهَا النَّارُ .

(٣) شَجَّهَا : مَزَجَهَا .

(٤) الْغَابِقُ : السَّاقِي فِي الْغُبُوقِ ، أَيْ الْعَشَى .

(٥) شَامَ : نَظَرَ .

(٦) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَبَعْضُ أَصُولِ الْأَغَانِي وَتَرْيِيزِ الْأَسْوَاقِ . وَفِي سَائِرِ أَصُولِ الْأَغَانِي :

« عَلَى أَيْشٍ » أَيْ عَلَى أَيْ شَيْءٍ . قَالَ الْخَفَاجِيُّ : إِنَّهَا سَمِعَتْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَوُرِدَتْ فِي شَعْرِ قَدِيمٍ .

هو وليلى وقد
أتى أهلها يطلب
نارا

شعر له يدعى
لنصيب

هو وليلى بعد أن
سألتها أمه لقاءه

قال : فبَكَتْ معه . وتحدَّثنا حتى كاد الصُّبحُ يُسْفِرُ ، ثم ودَّعته وأنصرفت .
فكان آخرَ عَهْدِهِ بها .

سبب تسميته
بالمجنون

وقيل : إنه إنما سُمِّيَ المَجْنُونُ بقوله :

ما بَالُ قَلْبِكَ يَا مَجْنُونُ قَدْ خِلَعَا
الْحُبُّ وَالْوُدُّ نِيْطًا بِالْفُؤَادِ لَهَا
ومن قوله في جنونه :

يُسَمُّونِي الْمَجْنُونُ حِينَ يَرَوْنِي
لِيَأْلَى يَزْهَى بِشَبَابٍ^(١) وَشِرَّةٍ
وقيل : بل سُمِّيَ المَجْنُونُ بقوله :

وَإِنِّي لِمَجْنُونٌ بَلِيْلِي مُوَكَّلٌ
إِذَا ذُكِرْتَ لِيْلِي بَكَيتُ صَبَابَةً
وقيل : بقوله :

وَبِي مِنْ هَوَى لَيْلِي الَّذِي لَوْ أَبْشُهُ
أَرَى النَّفْسَ عَنْ لَيْلِي أَبَتْ أَنْ تُطِيعَنِي
وقيل : بقوله :

يَقُولُ أَنَسٌ عَلَّ مَجْنُونٌ عَامِرٌ
وَقَدْ لَامَنِي فِي حُبِّ لَيْلِي قَرَابَتِي
يَقُولُونَ لَيْلِي أَهْلُ بَيْتِ عَدَاوَةٍ
وقال أيضاً :

من شعره

وشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سَوَى
وَأُدِيمُ لِحَظِ مُحَدَّثِي لِيَرَى
ما كان منك فإنه شُغِلَ
أن قد فهمتُ وعندكم عَقْلِي

(١) الشرة : نشاط الشباب . (٢) الغزوف : المنصرف عن الشيء زهداً فيه أو كراهية له .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « وجدى » .

وقال أيضاً :

بَلَيْلٌ وَلَا يَجْرِي بِذَلِكَ طَائِرُ
بَلَيْلٍ وَلَكِنْ مَا لَذَلِكَ زَاجِرُ
بَذَى الْأَيْكِ^(١) أَمْ قَدْ عَيَّرْتَهَا الْمَقَادِرُ
وَلَا الْبُعْدُ يُسْلِنِي وَلَا أَنَا صَابِرُ
وَأَيَّ مَرَامٍ أَوْ خِطَارٍ^(٢) أَخَاطِرُ
عَلَىٰ لَهَا فِي كُلِّ حَالٍ جَائِرُ
جَمِيعِ^(٣) الْقُوَى وَالْعُقُلُ مِنِّي وَافِرُ
أَمَانِي نَفْسِي وَالْمُؤَمِّلُ حَائِرُ
حَيَاتِي وَسَاقَتَنِي إِلَيْكَ الْمَقَادِرُ

أَلَا مَا لِلْيَلِّ لَا تَرَىٰ عِنْدَ مَضْجَعِي
بَلَىٰ إِنَّ عُجْمَ الطَّيْرِ تَجْرِي إِذَا جَرَتْ
أَزَالَتْ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
فَوَاللَّهِ مَا فِي الْقُرْبِ لِي مِنْكَ رَاحَةٌ
وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِأَيَّةِ حِيلَةٍ
وَتَاللَّهِ إِنَّ الدَّهْرَ فِي ذَاتِ بَيْنِنَا
فَلَوْ كُنْتُ إِذَا زَمَعْتَ هَجْرِي تَرَكَتَنِي
وَقَدْ أَصْبَحَ الْوُدُّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
لِعَمْرِي لَقَدْ رَنَقَتْ^(٤) يَا أُمَّ مَالِكٍ

وقال أيضاً :

لِيَ اللَّيْلُ هَزَّتَنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
كَمَا ثَبَتَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّىٰ إِذَا بَدَأَ
أَقْضَىٰ نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى
لَقَدْ ثَبَتَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَوَدَّةٌ

وقال أيضاً :

مِنَ الْأَرْضِ لَا مَالٌ لَدَيَّ وَلَا أَهْلُ
وَلَا صَاحِبٌ إِلَّا الْمَطِيَّةُ وَالرَّحْلُ
وَحَلَّتْ مَحَلًّا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ مِنْ قَبْلُ

أَظُنُّ هَوَاهَا تَارِكِي^(٥) بِمَضَلَّةٍ
وَلَا أَحَدٌ أَقْضَىٰ إِلَيْهِ^(٦) وَصِيَّتِي
مَحَاجِبُهَا حُبُّ الْأُلَىٰ كُنَّ قَبْلُهَا

(١) وهى رواية تزيين الأسواق أيضاً (ص ٧٩) . وفى بعض أصول الأغاني : « بنى الأثل » .

(٢) الخطار : الرهان . وأخاطر : أراهن . (٣) جميع : مجتمع .

(٤) رنقت : كدرت . (٥) المضلة ، بفتح الضاد وكسرهما : المكان يضل فيه الإنسان .

(٦) أقضى إليه وصيتي : أنهىها إليه وأبلغه إياها . وفى الأصل : « أقضى » بالفاء ، وهو مما يتعدى بالباء .

شعره وقد زوجت
ليلي في ثقيف

وقيل : زُوِّجَتْ رجلاً من ثقيف ، فقال :

دَعَوْتُ إِلَهِي دَعْوَةً مَا جَهِلْتُهَا وَرَبِّي بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ^(١) خَيْرُ
لَنْ كُنْتَ تُهْدِي بَرْدَ أَنْيَابِهَا الْعَلَا لِأَفْقَرَ مِنِّي إِنِّي لَفَقِيرُ
فَقَدْ شَاعَتْ الْأَخْبَارُ أَنَّ قَدْ تَزَوَّجْتَ فَهَلْ يَأْتِيَنِي بِالطَّلَاقِ بَشِيرُ
وقال أيضاً :

أَلَا تِلْكَ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ أَصْبَحَتْ تَقَطَّعُ إِلَّا مِنْ ثَقِيفٍ حَبَاهَا
هُمْ حَبَسُوهَا مُحْبَسَ الْبُذْنِ وَابْتَغَى بِهَا الْمَالَ أَقْوَامُ الْأَقْلِّ مَالُهَا
وَجَعَلَ يَمُرُّ بَيْتِهَا وَلَا يَسْأَلُ عَنْهَا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، وَيَقُولُ إِذَا جَاوَزَهُ :
أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي لَا أَزُورُهُ وَإِنْ حَلَّ شَخْصٌ إِلَى حَبِيبُ
هَجَرْتُكَ إِشْفَاقًا وَزُرْتُكَ خَائِفًا وَفِيكَ عَلَى الدَّهْرِ مِنْكَ رَقِيبُ
سَأَسْتَعْتِبُ الْأَيَّامَ فِيكَ لَعَلَّهَا بِيَوْمٍ سُرُورٍ فِي الزَّمانِ تَوْوَبُ
وَبَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَهَا يُرِيدُونَ نَقْلَهَا إِلَى زَوْجِهَا الثَّقَفِيِّ ، فَقَالَ :

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُعْدَى بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يَرَاخُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا^(٢) شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَادِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
فَلَمَّا نُقِلَتْ إِلَى الثَّقَفِيِّ قَالَ :

طَرِبْتُ وَشَاقَتُكَ الْحُمُولُ الدَّوَافِعُ غَدَاةَ دَعَا بِالْبَيْنِ أَسْفَعُ^(٣) نَازِعُ
شَحَا فَاهُ نَعْبًا بِالْفِرَاقِ كَأَنَّهُ حَرِيبٌ سَلِيبُ نَازِحِ الدَّارِ^(٤) جَازِعُ
فَقُلْتُ أَلَا قَدْ بَيْنَ^(٥) الْأُمُرُ فَاَنْصَرَفُ فَقَدْ رَاعَنَا بِالْبَيْنِ قَبْلَكَ رَائِعُ

(١) في الأصل : « قدير » مكان « خير » . (٢) عزها : غلبها .

(٣) الحمول : أى الإبل التى عليها الهوداج . والدوافع : المنفعة فى السير . والأسفع : الأسود .

والنازع : المسرع ، يريد غراباً .

(٤) شحافاه : فتحه . والنعب : الصياح والتصويت . والحريب : المسلوب . وفى الأصل :

« غريب » مكان « سليب » .

(٥) بين الأمر : تبين .

سُقِيتَ سِمَامًا مِنْ غُرَابٍ فَإِنِّي
أَلَمْ تَرَ أَنَّنِي لَا مُحِبَّ أَلُومُهُ
وَقَدْ يَتَنَاءَى الْإِلْفُ مِنْ بَعْدِ قُرْبِهِ
وَكَمْ مِنْ هَوًى أَوْ جِيرَةٍ قَدْ أَلْفَتْهُمْ
وَمِنْهَا :

فَلَمَّا اسْتَوَتْ تَحْتَ الْخُدُورِ وَقَدْ جَرَى
أَشْرُنَ بَأْنَ حُشَا الْجِمَالِ فَقَدْ بَدَا
فَلَمَّا لَحِقْنَا بِالْجُمُولِ تَبَاشَرْتُ
تَعَرَّضُنْ^(٤) بِالذَّلِّ الْمَلِيحِ وَإِنْ يُرْدُ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَدَمْعِي مُسْبِلٌ
أَلَيْلَى بِأَبْوَابِ الْخُدُورِ تَعَرَّضْتُ

عَبِيرٌ وَمِسْكٌ بِالْعَرَانِينَ^(٢) رَادِعُ
مِنَ الصَّيْفِ يَوْمَ لَا فِجْ الحَرِّ^(٣) مَاتِع
بِنَا مَقْصِرَاتُ غَابَ عَنْهَا الْمُطَالِع
جَنَاهُنَّ مَشْغُوفَةٌ فَهِنَّ مَوَانِع
وَقَدْ صَدَعَ الشَّمْلُ الْمُشْتَتَّ صَادِع
لِعَيْنِي أَمْ قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِع

تردده على التوباذ
حيث كان
يلقى ليلي

وَقِيلَ : كَانَ الْمَجْنُونُ وَلَيْلَى ، وَهِيَ صَبِيَّان ، يَرْعِيَانِ غَنَمًا لِأَهْلِهِمَا عِنْدَ جَبَلٍ
فِي بِلَادِهِمَا ، يُقَالُ لَهُ : التَّوْبَازُ^(٥) ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَقْلُهُ وَتَوَحَّشَ كَانَ يَجْهِيءُ إِلَى ذَلِكَ
الْجَبَلِ فَيُقِيمُ فِيهِ ، فَإِذَا تَذَكَّرَ زَمَنَ^(٦) كَانَ يُطِيفُ بِهِ هُوَ وَلَيْلَى جَزَعًا وَاسْتَوْحَشَ ،
وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى يَأْتِيَ نَوَاحِيَ الشَّامِ ، فَإِذَا ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ رَأَى بَلَدًا
لَا يَعْرِفُهُ ، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ الَّذِينَ يَلْقَاهُمْ : أَبَى أَنْتُمْ ! أَيْنَ التَّوْبَازُ مِنْ أَرْضِ
بَنِي عَامِرٍ ؟ فَيُقَالُ لَهُ : وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ؟ أَنْتَ بِالشَّامِ ، عَلَيْكَ بِنَجْمٍ
كَذَا فَاؤُهُ . فَيَمْضِي عَلَى وَجْهِهِ نَحْوَ ذَلِكَ النِّجْمِ ، حَتَّى يَقَعَ بِأَرْضِ الْيَمَنِ ،

(١) واقع : قد حط على مكان .

(٢) رادع : أى مردوع به الجسد والثوب ، أى ملطخ .

(٣) مَاتِع : طويل . (٤) فى بعض أصول الأغاني : « يعرضن » .

(٥) كذا فى ياقوت ، وضبطه البكرى بالبدال المهملة ، وهو جبل بنجد .

(٦) فى بعض أصول الأغاني : « أيام » .

فيرى بلاداً يُنْكِرُها وقوماً لا يَعْرِفُهُمْ ، فيَسْأَلُهُم عن التَّوْبَازِ وأَرْضِ بنى عامر ،
فَيَقُولُونَ له : وأَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَرْضِ بنى عامر ! عليكَ بِنَجْمِ كَذَا وكَذَا . ولا يَزَالُ
كَذلكَ حتَّى يَقَعَ على التَّوْبَازِ ، فإذا رآه قال :

وَأَجْهَشْتُ^(١) لِلتَّوْبَازِ حِينَ رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَانِي
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا عَرَفْتُهُ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي
فَقُلْتُ لَهُ قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جِيرَةٌ وَعَهْدِي بِذَلِكَ الصَّرْمِ مُنْذُ زَمَانٍ
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي حَدِيثَهُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ
وَإِنِّي لَا بُكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَدًا فِرَاقَكَ وَالْحَيَّاتِ مُؤْتَلِفَانِ
سَجَالًا وَتَهْتَانًا وَوَبَلًا وَدِيمَةً وَسَحًّا وَتَسْكَابًا^(٢) إِلَى هَمْلَانِ

وقيل : إنه لما قال المجنون :

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي قَضَى اللَّهُ فِي كَيْلِي وَلَا مَا قَضَى لِيَا
قَضَاهَا لِغَيْرِي وَأُبْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلِي أُبْتَلَانِيَا

مَرَضَ .

وقال المجنون أيضاً :

وَأَحْبَسُ عَنْكَ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ بِذِكْرِكَ وَالْمَشَى إِلَيْكَ قَرِيبُ
مَخَافَةٌ أَنْ يَسْعَى الْوُشَاةُ بِظَنَّةٍ وَأَحْرُسُكُمْ أَنْ يَسْتَرِيبَ مُرِيبُ
لَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ اجْتَرَمْتُهَا^(٣) وَكُنْتَ أَغْزَى النَّاسِ - عَنْكَ تَطِيبُ
فَلَوْ شِئْتُ لَمْ أَغْضَبْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ الدَّهْرُ مِنِّي مَا حَيَّيْتُ نَصِيبُ

(١) أجْهَشَ : تَهَيَّأَ لِلْبُكَاءِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَتَهْمَلَانِ » مَكَانَ « إِلَى هَمْلَانِ » . وَمَا أُثْبِتْنَاهُ مِنَ الدِّيَوَانِ .

(٣) الاجْتِرَامُ : الصَّرْمُ وَالْقَطِيعَةُ . يَرِيدُ : وَأَنْتَ قَطَعْتَنِي وَهَجَرْتَنِي . وَالاجْتِرَامُ أَيْضًا : كَسْبُ
الذَّنْبِ . يَرِيدُ : اجْتَرَمْتَ هَذِهِ الْقَطِيعَةَ ، أَوْ هَذِهِ الْفِعَالُ مِنْ اسْتِمَاعِكَ إِلَى الْوُشَاةِ . وَفِي بَعْضِ أَصُولِ
الْأَغَانِي : « اجْتَرَمْتَهُ » . يَرِيدُ : الذَّنْبُ ، أَيْ اسْتِمَاعَكَ إِلَى الْوُشَاةِ . وَالرَّوَايَةُ فِي الْأَصْلِ : « اجْتَرَمْتُهَا » .
بِالْحَاءِ . وَالِاخْتِرَامُ : الْاسْتِئْصَالُ وَالِاقْتِطَاعُ . يَرِيدُ وَصْفَ الْعَنَاءِ الَّذِي بَلَغَ بِهِ مَبْلَغُ هَذَا .

البيغاء وصديق له
أحب قرشية

قُلْتُ : وَأَسْتَطَرَدَ أَبُو الْفَرَجِ بِحِكَايَةِ لَيْسَتْ مِنْ أَخْبَارِ الْمَجْنُونِ ظَرِيفَةً ،
تَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ :

« لَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ أَجْرَمْتَهَا ^(١) وَكُنْتَ أَعَزَّ النَّاسِ عَنْكَ تَطْيِبَ »
وَهِيَ : حَكِي ^(٢) أَبُو الْحَسَنِ الْبَيْغَاءِ ^(٣) قَالَ : بَيْنَا أَنَا وَصَدِيقٌ لِي مِنْ قُرَيْشٍ نَمْشِي
بِالْبَلَاطِ ^(٤) لَيْلًا ، إِذَا بِظِلِّ نِسْوَةٍ فِي الْقَمَرِ ، فَسَمِعْتُ إِحْدَاهُنَّ تَقُولُ : هُوَ هُوَ ؟ فَقَالَتْ
لَهَا أُخْرَى مَعَهَا : إِي وَاللَّهِ لهُوَ هُوَ ! فَدَنْتُ مَنْنِي ثُمَّ قَالَتْ : يَا كَهْلُ ، قُلْ لِهَذَا
الَّذِي مَعَكَ :

لَيْسَتْ لِيَا لَيْكَ فِي خَاخٍ ^(٥) بَعَائِدَةٍ كَمَا عَهَدْتَ وَلَا أَيَّامُ ذِي سَلَمٍ
فَقُلْتُ : أَجِبْ فَقَدْ سَمِعْتُ . فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ قُطِعَ بِي وَأُزْتُجَ عَلَيَّ ، فَأَجِبْ
عَنِّي . فَقُلْتُ :

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَّئْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
ثُمَّ مَضَيْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي مُفْتَرَقِ طَرِيقَيْنِ ، مَضَى الْفَتَى إِلَى مَنْزِلِهِ وَمَضَيْتُ
إِلَى مَنْزِلِي ، فَإِذَا أَنَا بِجُودِيَّةٍ تَجَذِبُ رِدَائِي ، فَالْتَفَتْتُ . فَقَالَتْ [لِي] : الْمَرْأَةُ الَّتِي
كَلَّمْتَهَا تَدْعُوكَ . فَمَضَيْتُ مَعَهَا ، حَتَّى دَخَلْتُ دَارًا وَاسِعَةً ، ثُمَّ صِرْتُ إِلَى بَيْتٍ
فِيهِ حَصِيرٌ ، وَقَدْ ثُنِيَتْ لِي فِيهِ وَسَادَةٌ ، فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا . ثُمَّ جَاءَتْ الْجَارِيَةُ
بِوَسَادَةٍ مَثْنِيَّةٍ فَطَرَحَتْهَا ، ثُمَّ جَاءَتْ الْمَرْأَةُ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا ، وَقَالَتْ لِي : أَنْتَ
الْمُجِيبُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَتْ : مَا كَانَ أَفْظَ جَوَابِكَ وَأَغْلَظَهُ ! فَقُلْتُ : مَا حَضَرَنِي
غَيْرُهُ . فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ : مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ مَعَكَ !
فَقُلْتُ : أَنَا الضَّامِنُ لَكَ عَنْهُ مَا تُحِبُّينَ . فَقَالَتْ : هِيَاتَ أَنْ يَقَعَ بِذَلِكَ وَفَاءً !

(١) فِي الْأَصْلِ : « اخْتَرَمْتَهَا » . وَانْظُرِ الْحَاشِيَّةَ (٣ ص ١٧٢) مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « حَدَثَ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْيَنْبَعِي » . (٤) الْبَلَاطُ : مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ .

(٥) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « جَمَعَ » وَهِيَ الْمَزْدَلْفَةُ .

فقلتُ : أنا الضَّامِنُ وعلىَّ أنْ آتِيكَ به الليلةَ القابلةَ . قال : فأُصرفْتُ ، فإذا
الفتى ببابي ، فقلتُ : ما جاء بك ؟ فقال : ظننتُ أنها سترُسِلُ إليك ، وسألتُ عنك
فلم أعرف لك خبراً ، فظننتُ أنك عندها ، فجلستُ أنتظرك . فقلتُ : قد كان
الذى ظننتُ ، وقد وعدتُها أنْ آتِيكَ فأَمْضِيَ بك إليها في الليلةَ المقبلة .

فلما أصبحنا تهيَّأنا وانتظرنا المساء . فلما جاء الليلُ رَحَلْنَا إليها ، فإذا
الجاريةُ مُنتظرةٌ لنا ، فحضتُ أماناً حينَ رَأَتْنا ، حتَّى دَخَلْتُ تلكَ الدَّارَ ،
ودخلنا معها ، فإذا رَاحَةٌ طيبةٌ ومجلسٌ قد أُعِدَّ ونُضِدٌ . فجلَسْنَا على وسائدٍ قد
ثُبِتَتْ . وجلستُ مَلِيّاً ، ثمَّ أَقْبَلْتُ عليه تعاتبهُ مَلِيّاً ، ثم قالتُ :

وأنتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي ما وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكَتَنِي لَهُمْ غَرَضاً أُرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ
فَلَوْ كَانَ قَوْلٌ يَكْلِمُ الْجِلْدَ قَدْ بَدَا بِجِلْدِي مِنْ قَوْلِ الوُشَاةِ كُلُّومُ

— والأبيات لصاحبةُ ابْنِ الدُّمَيْنَةِ ، وهي أُمَيِّمَةٌ — قال : ثم سكتتُ ، وسَكَتَ

الفتى هُنَيْهَةً ، ثم قال :

غَدَرْتُ وَلَمْ أَغْدِرْ وَخُنْتُ وَلَمْ أَخُنْ وَفِي بَعْضِ هَذَا لِلْمُحِبِّ عَزَاءُ
جَزَيْتُكَ ضِعْفَ الْوُدِّ ثُمَّ صَرَمْتَنِي فَحَبَّبَكَ مِنْ قَلْبِي إِلَيْكَ أَدَاءُ

فالتفتتُ إلىَّ وقالتُ : أَلَا تَسْمَعُ ما يَقُولُ ! قد خَبَرْتُكَ ! قال : فغَمَزْتُهُ : أَنْ
كُفَّ . فَكُفَّ . ثم أَقْبَلْتُ عليه ، وقالتُ :

تَجَاهَلْتُ وَصَلِي حِينَ لَجْتُ^(١) عَمَائِي فَهَلَّا صَرَمْتَ الْحَبْلَ إِذَا أَنَا أَبْصِرُ
وَلِي مِنْ قُوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَدْ قَطَعْتَهُ نَصِيبٌ وَإِذَا رَأَيْ جَمِيعَهُ^(٢) مُوَفَّرٌ
وَلَكِنَّا آذَنْتَ بِالصَّرْمِ بَغْتَةً وَلَسْتُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي جِئْتُ أَقْدِرُ

(١) لجت : دامت وبقيت . (٢) في الأصل : « الجميع » .

فقال :

لقد جعلت نفسي وأنت^(١) أجترمتها وكنت أعزّ الناس عنك تطيبُ
قال : فبكت ، ثم قالت . أو قد طابت نفسك ! لا ! والله ما فيك بعد هذا
خير ! ثم ألتفتت إلى فقالت : قد علمت أنك لا تفني بضمانك ، ولا يفني [به] عنك .
[ج ٢]
ومما قاله المجنون :

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْرَافَ حُبِّكُمْ كما ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ
وماذا عسى الواشون أن يتحدّثوا سوى أن يقولوا إنني لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة إلى وإن لم تصف منك الخلائق

وقيل : دخلت ليلى على جارة لها من عقيل ، وفي يدها مسواك تستاك به ،
فتنفست ثم قالت : سقى الله من أهدي لي هذا المسواك ! فقالت لها جارتها : من هو ؟
قالت : قيس بن الملوّح . ثم نزع ثيابها تغتسل ، فقالت : ويحه ! لقد علق به مني
ما أهلكه من غير أن أستحق^(٢) ذلك ، فنشدتك الله ، أصدق في صفتي أم كذب ؟
فقلت : لا والله ، بل صدق . وبلغ المجنون قولها فبكى ، ثم أنشأ يقول :

نُبِّئْتُ لَيْلَى وَقَدْ كُنَّا^(٣) نُبْخَلُهَا قالت سقى الله غيثاً منزلاً خرباً
وحبّذا راكبٌ كُنَّا نَهْشُ له يَهْدِي لَنَا مِنْ أَرَاكِ الْمَوْسِمِ الْقُضْبَا
قالت لجارتها يوماً تسألها لَمَّا اسْتَحَمَّتْ وَأَلْقَتْ عِنْدَهَا^(٤) السَّلْبَا
يا عمرك^(٥) الله ألا قلتِ صادقةً أصدقتِ صفةَ المجنون أم كذبا

وذَكَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ قَالَ :

مُطِرٌ نَامِطَرًا شَدِيدًا فِي رَبِيعِ أُرْتَبَعْنَاهُ ، وَدَامَ الْمَطَرُ ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا

(١) في الأصل : « اخترمتها » . وانظر الحاشية (رقم ٣ ص ١٧٢) من هذا الجزء .

(٢) في الأصل : « يستحق » . (٣) في الأصل : « نبجلها » مكان « نبخلها » .

(٤) السلب : كل ما على الإنسان من ثياب . (٥) في الأصل : « أعمرك » .

شعره وقد وعظه
عامري غب مطر

في اليوم الرابع على صَحْوٍ ، وخرج الناسُ يَمْشُونَ على الوادِي ، فرأيتُ رجلاً
جالِسًا حَجْرَةً ^(١) وحده ، فقصدته ، فإذا هو المَجْنُونُ جالسٌ وحده يَبْكِي ،
فوعظته وكلمته طويلاً ، وهو ساكت . ثم رفع رأسه إليَّ وأنشدني بِصَوْتٍ
حزين ، لا أنساه أبداً وحرقتَه :

جَرَى السَّيْلُ فَأَسْتَبْكَاَنِ السَّيْلُ إِذْ جَرَى

وفاضت له من مُقَلَّتِي ^(٢) غُرُوبُ
وما ذاك إلا حين خَبِرْتُ أَنَّهُ
يَكُونُ أَجَاجًا دُونَكَ إِذَا انْتَهَى
يَمْرُ بَوَادِي أَنْتِ مِنْهُ قَرِيبُ
أَظَلُّ غَرِيبَ الدَّارِ فِي أَرْضِ عَامِرٍ
إِلَيْكُمْ تَلْقَى طَيْبَكُمْ فَيَطِيبُ
وَإِنَّ الْكُتَيْبَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى
أَلَا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنَاكَ غَرِيبُ
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزُرْ
إِلَى وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحَبِيبُ
وَأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي لَا أَزُورُهُ
وَهَجَرَانُهُ مَنَى إِلَيْهِ ذُنُوبُ
هَجَرْتُكَ مُشْتَقًا وَزُرْتُكَ خَائِفًا
وَفِيكَ عَلَى الدَّهْرِ مِنْكَ رَقِيبُ
سَأَسْتَعْطِفُ الْأَيَّامَ فِيكَ لَعَلَّهَا
يَوْمٍ سُورٍ فِي هَوَاكَ ^(٣) تُثِيبُ
لَنْ حَالٍ يَأْسُ دُونَ لَيْلِي لَرُبَّمَا
أَتَى الْيَأْسُ دُونَ الْأَمْرِ وَهُوَ قَرِيبُ
وَمَنْبِئْتِي حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتَنِي
عَلَى شَرَفٍ لِلنَّاطِرِينَ يُرِيبُ
صَدَدْتُ وَاشْمَتَ الْعَدُوُّ بِصَرْمِنَا
أَثَابَكَ يَا لَيْلَى الْجَزَاءُ مُثِيبُ

وقد رَوَى الْبَيْتَانِ الْأَوَّلَانِ لِحَمْدِ بْنِ أُمَيَّةَ .

(١) حجرة : ناحية .

(٢) الغروب : الدموع .

(٣) في الأصل : « تئيب » مكان « تئيب » .

لقاؤه ليلى فجأة

وَذُكِرَ أَنَّ الْمَجْنُونِ مَرَّ فِي بَعْضِ تَوَحُّشِهِ ، فَصَادَفَ حَتَّى لَيْلَى رَاحِلًا وَلَقِيَهَا
فَجَاءَةً ، فَعَرَفَهَا وَعَرَفَتْهُ ، فَصَعِقَ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَأَقْبَلَ فِتْيَانٌ مِنْ حَتَّى
لَيْلَى ، فَأَخَذُوهُ وَمَسَحُوا التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَأَسْنَدُوهُ إِلَى صُدُورِهِمْ ، وَسَأَلُوا لَيْلَى
أَنْ تَقِفَ لَهُ وَقْفَةً ، فَارْقَتْ لَهَا بِهِ وَقَالَتْ : أَمَّا هَذَا فَلَا يَجُوزُ أَنْ أَفْتَضِّحَ بِهِ ،
وَلَكِنْ يَا فُلَانَةَ ، لِأَمَةٍ لَهَا : أَذْهَبِي إِلَى قَيْسٍ فَقُولِي لَهُ : لَيْلَى تَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ
وَتَقُولُ لَكَ : أَعَزُّ عَلَيَّ بِمَا أَنْتَ فِيهِ ، وَلَوْ وَجَدْتُ سَبِيلًا إِلَى شِفَاءِ دَائِكَ لَوْ قِيتُكَ
بِنَفْسِي مِنْهُ . فَمَضَتْ الْوَلِيدَةُ إِلَيْهِ ، فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِهَا ، فَأَفَاقَ وَجَلَسَ وَقَالَ : أَبْلِغِيهَا
السَّلَامَ ، وَقُولِي : هِيَ هَاهُنَا ! إِنْ دَأَى وَدَوَّى أَنْتِ ، وَإِنْ حَيَاتِي وَوَفَاتِي لَفِي يَدَيْكَ ،
وَلَقَدْ وَكَلْتُ بِي شَقَاءَ لَازِمًا وَبَلَاءَ طَوِيلًا . ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَقُولُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ
لَقَدْ عَارَضَتْنَا الرِّيحُ مِنْهَا بِنَفْحَةٍ عَلَى كَبْدِي مِنْ طِيبِ أَرْوَاحِهَا بَرْدُ
مَا زِلْتُ مَغْشِيًّا عَلَى وَقْدِ مَضَتْ أَنَاةٌ^(١) وَمَا عِنْدِي جَوَابٌ وَلَا رَدُّ
أَقْلَبُ بِالْأَيْدِي وَأَهْلِي^(٢) بِعَوْلَةٍ يَفْدُونَنِي لَوْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْدُوا
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجِلْدُ وَالْعَظْمُ عَارِيًّا وَلَا عَظْمٌ لِي إِنْ دَامَ مَا بِي وَلَا جِلْدُ
أَدْنِيَايَ مَالِي فِي انْقِطَاعِي^(٣) وَغُرْبَتِي إِلَيْكَ ثَوَابٌ مِنْكَ دَيْنٌ وَلَا نَقْدُ
وَقَدْ يُدْتَلَى قَوْمٌ وَلَا كِبَالِيَّتِي وَلَا مِثْلَ جَدِّي^(٤) فِي الشَّقَاءِ بِكُمْ جَدُّ
غَزَتْنِي^(٥) جُنُودُ الْحُبِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِذَا حَانَ مِنْ جُنْدٍ قُقُولٌ^(٦) أَتَى جُنْدُ

(١) الأناة : الانتظار .

(٢) العولة : رفع الصوت بالبكاء . (٣) في الأصل : « رغبتى » .

(٤) الجد : الحظ والنصيب . وفي الأصل : « وجدى ... وجد » .

(٥) في الأصل : « عرتنى » . (٦) القُقُول : الرجوع .

نوفل بن مساحق
والجنون

وحكى نوفل بن مساحق قال :

قدمت البادية فسألت عن الجنون ، فقيل : توَحَّش وما لنا به عهد ، ولا ندرى
إلى أين صار . فخرَجْتُ يَوْمًا أَتَصَيِّدُ الْأَرَاكَةَ^(١) ، ومعى جماعةٌ من أصحابي ، حتى
إذا كنتُ بناحية الحمى ، إذا نحن بأراكةٍ^(٢) عظيمة ، وقد بدا منها قطيع طِبَاءَ ،
وفيها شخصُ إنسان يُرى من خلل تلك الأراكة^(٣) ، فَعَجِبَ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ ،
فَعَرَفْتُهُ وَأَتَيْتُهُ وعرفتُ أَنَّهُ الجنونُ الذى أَخْبَرْتُ عَنْهُ . فنزلتُ عن دابَّتِي
وتخففتُ من ثيابي وخرَجْتُ أَمْشِي رُويْدًا ، حتى أَتَيْتُ الْأَرَاكَةَ ، فَأَرْتَقَيْتُ
حتى صِرْتُ فِي أَعْلَاهَا ، وَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ وعلى الطِّبَّاءِ ، فإذا به قد تدلَّى الشَّعْرُ على
وَجْهِهِ . فلم أَكْذُ أَعْرِفْهُ إِلَّا بَعْدَ تَأَمُّلٍ شَدِيدٍ ، وهو يَرْتَعَى مِنْ ثَمَرِ تِلْكَ
الْأَرَاكَةِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَتَمَثَّلْتُ بَيْتٍ مِنْ شِعْرِهِ :

أَتَبَسَّكِي عَلَى لَيْلَى وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ لَيْلَى وَشِعْبًا كَمَا مَعَا
قال : فنَفَرَتِ الطِّبَّاءُ ، وَانْدَفَعَ فِي بَاقِي الْقَصِيدَةِ يُنْشِدُهَا ؛ فَمَا أَنْسى [حُسْن]
نَعْمَتِهِ وَحُسْنَ صَوْتِهِ ، وهو يقول :

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجَزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعًا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرَتْهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا
وَأَذْكَرَ أَيَّامَ الْحُمَى ثُمَّ أَنْذَنِي عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحُمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمَعَا
مَعَى كُلِّ غِرٍّ قَدْ عَصَى عَاذِلَاتِهِ بَوْصَلِ الْغَوَانِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعْرَعَا
إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرِّدَاءِ نِزْأً سَرَعَتْ إِلَيْهِ الْعُيُونُ النَّاطِرَاتُ التَّطَلُّعَا
قال : فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَتَمَثَّلْتُ بِقَوْلِهِ :

(١) الأروى : الوعول ، وهى تيوس الجبل ، الواحدة : أروية .

(٢) الأراكة : من الأشجار الكثيرة الورق والأغصان . تتخذ المساويك من أغصانها .

(٣) فى الأصل : « ذلك الأراك » .

يَادَارَ لَيْلَى بِسَقَطِ^(١) الْحَىِّ قَدْ دَرَسَتْ إِلَّا الثَّمَامَ^(٢) وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ
مَا تَفْتَأُ الدَّهْرَ مِنْ لَيْلَى تَمُوتُ كَذَا فِي مَوْقِفٍ وَقَفْتَهُ أَوْ عَلَى دَارِ
أُبْلَى عِظَامِكَ بَعْدَ اللَّحْمِ ذِكْرُ كَهَا كَمَا يُنْجَبُ قِدْحَ الشَّوْحِطِ^(٣) الْبَارَى

فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ حَيَّاكَ اللَّهُ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا نَوْفَلُ بْنُ مُسَاحِقٍ .
فَخَيَّانِي . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَحْدَثْتَ بَعْدِي فِي يَأْسِكَ مِنْهَا ؟ فَأَنْشَدَنِي :

أَلَا حُجِبَتْ لَيْلَى وَآلَى أَمِيرُهَا عَلَى يَمِينًا جَاهِدًا لَا أَزُورُهَا
وَأَوْعَدَنِي فِيهَا رَجَالُ آبُوهُمْ أَبِي وَأَبُوهَا خُشِنَتْ لِي صُدُورُهَا
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبُهَا وَأَنَّ فُؤَادِي رَهْنُهَا وَأَسِيرُهَا
قَالَ : ثُمَّ سَنَحَتْ لَهُ الطَّبَاءُ ، فَقَامَ يَعْدُو فِي آثَارِهَا حَتَّى مَضَى مَعَهَا .

وَقِيلَ : لَمَّا قَالَ الْمَجْنُونُ :

قَضَاهَا لِعَيْرِي وَأُبْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى أُبْتَلَانِيَا
نُودِي فِي اللَّيْلِ : أَنْتَ الْمَتَسَخِّطُ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ ، وَالْمُعْتَرِضُ فِي
أَحْكَامِهِ ! وَاخْتُلِسَ عَقْلُهُ ، وَتَوَحَّشَ مِنْذُ تِلْكَ السَّاعَةِ ، وَذَهَبَ مَعَ الْوَحْشِ
عَلَى وَجْهِهِ .

وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ مِنْهَا الْأَبْيَاتُ الَّتِي فِيهَا الْغَنَاءُ ، وَأُفْتُتِحَ بِهَا أَبُو الْفَرَجِ
أَخْبَارَ الْمَجْنُونِ ، وَهِيَ :

إِذَا مَا طَوَاكَ الدَّهْرُ يَا أُمَّ مَالِكٍ فَشَأْنُ الْمَنَايَا الْقَاضِيَاتِ وَشَأْنِيَا
تَمُرُّ اللَّيَالِي وَالشُّهُورُ وَتَنْقَضِي وَحُبُّكَ لَا يَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا

(١) سقط الحى ، أى حيث انقطع الرمل ورق .

(٢) الثمام : نبت من نبات البادية لا يطول ، وكانوا يسدون به خصائص البيوت .

(٣) ينجب : يقتشر . والقحط : السهم . والشوحت : ضرب من أشجار الجبال تتخذ منه القسي .

خَلِيلِي أَنْ دَارَتْ عَلَى أُمِّ مَالِكٍ صُرُوفَ اللَّيَالِي فَابْغِيَا لِي نَاعِيَا
وَلَا تَتْرُكَانِي لَا لِخَيْرٍ مُعْجَلٍ وَلَا لِبَقَاءٍ تَنْظُرَانِ بَقَائِيَا
ومنها:

أَعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَمْتُ نَحْوَهَا
وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حُبَّهَا أَحَبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمُهَا
وَحَبَّرْتُ مَنِي أَنْ تَيَمَّاءَ مَنَزِلُ فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ
فَلَوْ كَانَ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ وَمَاذَا لَهُمْ لَا أَحْسَنَ اللَّهُ (١) حِفْظَهُمْ
فَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِدَّتِ أَشْقَيْتِ عَيْشَتِي وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدَا
أَمْضُرُوبَةً لَيْلِي عَلَى أَنْ أُزَوَّرَهَا إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتُنِي
يَمِينًا إِذَا كَانَتْ يَمِينًا وَإِنْ تَكُنْ هِيَ السَّحَرُ إِلَّا أَنَّ السَّحَرَ رُقِيَّةٌ
وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لَا أَعُدُّ اللَّيَالِيَا بِوَجْهِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُصَلِّي وَرَائِيَا
كَمِثْلِ (٢) الشَّجَا أَعْيَا الطَّيِّبِ الْمَدَاوِيَا وَأَشْبَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
لِلَّيْلِ إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَايَا فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بَلَيْلِي الْمَرَامِيَا
وَدَارِي بِأَعْلَى حُضْرَمُوتٍ أَهْتَدَى لِيَا مِنْ الْخَطِّ فِي تَصْرِيمِ لَيْلِي حَبَالِيَا
وَإِنْ شِدَّتْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْعَمَتْ بِأَلِيَا يَرَى نِضْو (٣) مَا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَى لِيَا
وَمُتَّخِذُ ذَنْبًا لَهَا أَنْ تَرَانِيَا أَصَانِعُ رَحْلِي أَنْ تَمِيلَ حِيَالِيَا
شِمَالًا يُنَازِعُنِي الْهَوَى عَنْ شِمَالِيَا وَإِنِّي لَا أُلْفِي (٤) كَنَفْسِي (٥) رَاقِيَا

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي: « كَعُودٌ » .

(٢) فِي الدِّيَوَانِ: « حَاهِمٌ » مَكَانُ « حِفْظَهُمْ » .

(٣) نِضْوُهُ: جِسْمُهُ الَّذِي أَضْنَاهُ الْحُبَّ وَابْلَاهُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ: « لَا أُلْفِي » .

(٥) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي: « وَإِنِّي لَا أَلْهُ الدَّهْرَ رَاقِيًا » .

من شعر المجنون

ومما يروى له :

تَكَادُ يَدِي تَنْدَى إِذَا مَا لَمَسْتُهَا وَيَنْبُتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ الْخَضْرُ
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبَّهَا عَامِرِيَّةً لَهَا كُنْيَةٌ عَمَرُو وَلَيْسَ لَهَا عَمَرُو

وقيل :

المجنون ورجل
مر به

مَرَّ رَجُلٌ بِالْمَجْنُونِ وَهُوَ جَالِسٌ يَخْطُ فِي الْأَرْضِ وَيَعْبَثُ بِالْخَصَى ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
وَجَلَسَ عِنْدَهُ ، فَأَقْبَلَ يُخَاطِبُهُ وَيَعْظُمُهُ وَيُسَلِّيهِ ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَعْبَثُ بِيَدِهِ ،
كَأَنَّكَ كَانَ يَعْبَثُ وَهُوَ مُفَكِّرٌ قَدْ غَمَرَهُ مَا هُوَ فِيهِ . فَلَمَّا طَالَ خِطَابُهُ إِيَّاهُ ، قَالَ لَهُ :
يَا أَخِي ، أَمَّا لِكَلَامِي جَوَابٌ ؟ فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ يَا أَخِي مَا عَلِمْتُ أَنَّكَ كَلَّمْتَنِي ،
فَاعْذُرْنِي ، فَإِنِّي كَمَا تَرَى مَذْهُوبٌ بِي ، وَبَكَى . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَشَغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى مَا كَانَ مِنْكَ فَإِنَّهُ شُغِلِي
وَأَدِيمُ لِحَظِّ مُحَدَّثِي لِيَرَى أَنْ قَدْ فَهِمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي

وقيل :

للمجنون وقدمر
بواديتجاوب حمامه

مَرَّ الْمَجْنُونُ بِوَادٍ فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ ، وَحَمَامُهُ يَتَجَاوَبُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ مَالِكٌ بَاكِئًا أَفَارَقْتَ إِلْفًا أَمْ جَفَاكَ حَبِيبُ
دَعَاكَ الْهَوَى وَالشَّوْقُ لَمَّا تَرَمَّتْ هَتُوفُ^(١) الضُّحَى بَيْنَ الْغُصُونِ طَرُوبِ
تُجَاوِبُ وَرُقًا قَدْ أَذِنَ^(٢) لِصَوْتِهَا فَكُلُّ لِكُلِّ مُسْعِدٍ^(٣) وَمُجِيبِ

وقيل : لما بلغ المجنون ، قبل توحشه ، أن زوج ليلي ذكره وعَظَمَهُ وَشَتَمَهُ وَقَالَ : لَهُ فِي زَوْجِ لَيْلَى
أَوْ بَلَغَ مِنْ قَدْرِ قَيْسِ بْنِ الْمُوَحَّحِ أَنْ يَدَّعَى مُحَبَّةَ لَيْلَى وَيُنَوِّهَ بِاسْمِهَا ! فَقَالَ لِيَغِيظَهُ بِذَلِكَ :

لَئِنْ كَانَ فِيكُمْ بَعْلٌ لَيْلَى فَإِنِّي وَذِي الْعَرْشِ قَدْ قَبَّلْتُ لَيْلَى ثَمَانِيَا
وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي رَأَيْتُهَا وَعِشْرُونَ مِنْهَا أَصْبَعًا مِنْ وَرَائِهَا
أَلَيْسَ مِنَ الْبَلَوَى الَّتِي لَا شَوَى^(٤) لَهَا بَأَنَّ زَوْجَتَ كُلِّبَا وَمَا بَذَلْتُ لَهَا

(٣) مسعد : أى ينوح لنوح غيره .

(٤) شوى لها ، أى لا بقيا لها .

(١) الهتوف : الحماسة تنوح .

(٢) أذن : استمعن وأصغين .

وقيل :

له وقد أبت رفقة
أن تعدل معه الى
طريق ليل

خَرَجَ الْمَجْنُونُ فِي عِدَّةٍ مِنْ قَوْمِهِ يُرِيدُونَ سَفَرًا لَهُمْ ، فَمَرُّوا فِي طَرِيقٍ يَتَشَعَّبُ
طَرِيقَيْنِ ، أَحَدُهُمَا يَنْزِلُهُ رَهْطٌ كَلِيلٌ ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَعْدِلُوا مَعَهُ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ .
فَأَبَوْا ، وَمَضَى وَحْدَهُ ، وَقَالَ :

أَتَرَكْتُ لَيْلِي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورٌ
هَبُونِي أُمْرًا مِنْكُمْ أَضِلَّ بِعَيْرِهِ لَهُ حُرْمَةٌ إِنَّ الذَّمَّامَ كَبِيرُ
وَلِلصَّاحِبِ الْمَتْرُوكِ أَعْظَمُ حُرْقَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بِعَيْرِ
عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلِي الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلِيَتْ حُكْمًا عَلَى تَجْوُرِ

له وقد هتفت
حمامة

وَذُكِرَ : أَنَّ الْمَجْنُونَ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ مِنْ بَنِي عَمِّهِ ،
وَهُوَ وَلَهُ يَتَلَطَّى وَيَتَمَلَّمُ ، وَهُمْ يَعْطُونَهُ وَيُحَادِثُونَهُ ، حَتَّى هَتَفَتْ حَمَامَةٌ مِنْ
سَرْحَةٍ^(١) كَانَتْ بِإِزَائِهِمْ ، فَوَثَبَ قَائِمًا ، وَقَالَ :

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ عَلَى إِلْفِهَا تَبْكِي وَإِنِّي لَنَائِمٌ
كَذَبْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَامُ

ثُمَّ بَكَى حَتَّى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَمَا أَفَاقَ حَتَّى حَمَيْتِ الشَّمْسُ
عَلَيْهِ مِنْ غَدِهِ .

له وقد مر به
نفر من اليمن

وَذُكِرَ : أَنَّ نَفْرًا مِنَ الْيَمَنِ مَرُّوا بِالْمَجْنُونِ ، فَوَقَفُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا عَلَيْنَا فَقَدْ أَمْسَى هَوَانًا يَمَانِيَا
نُسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا وَحَبَّ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا

(١) السرحة : من الشجر الذي لا شوك فيه ، وقيل : هو شجر يطول .

ومن هذه القصيدة :

أَلَا يَا حَمَامِي قَصْرٍ وَدَّانٍ ^(١) هِجْتُمَا عَلَى الْهَوَى لِمَا تَغْنَيْتُمَا لِيَا
وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَّ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ أَبَالِي دُمُوعَ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا
أَلَا يَا خَلِيلِي حُبُّ لَيْلَى مُجَشِّمِي حِيَاضَ الْمَنَايَا أَوْ مُقِيدِي ^(٢) الْأَعَادِيَا
فِيَأْيُهَا الْقُمْرِيَّتَانِ تَجَاوَبَا بِلَحْنَيْكُمَا ثُمَّ أَسْجَعَا عَلَّلَانِيَا
فَإِنْ أَنْتُمَا اسْتَطَرَبْتُمَا ^(٣) وَأَرْدْتُمَا لِحَاقًا بِأَطْرَافِ الْغَضَى فَأَتْبَعَانِيَا
ذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ الْمَجْنُونُ أَنَّ زَوْجَ لَيْلَى قَدْ أَرْزَعَ الرَّحِيلَ إِلَى بَلَدِهِ ، قَالَ :
أُمَزِمَعَةُ لِلْبَيْنِ لَيْلَى وَلَمْ تَمُتْ كَأَنَّكَ عَمَّا قَدْ أَظْلَكَ غَافِلُ
سَتَعْلَمُ إِنْ شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى وَزَالُوا بَلِيلَى أَنْ لُبَّكَ زَائِلُ
وقيل :

مَرَّ الْمَجْنُونُ بِرَجُلَيْنِ قَدْ صَادَا ظَبِيَّةً ، فَرَبَطَاهَا بِجَبَلٍ وَذَهَبَا بِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا
وَهِيَ تَرْكُضُ فِي حَبَالِهَا دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ لَهَا : حُلَّاها وَخُذَا مَكَانَهَا شَاةً مِنْ
غَنَمِي — وَقِيلَ : بَلْ خُذَا مَكَانَهَا قَلُوصًا مِنْ إِبِلِي — فَأَعْطَاهَا ، وَحَلَّاها . فَوَلَّتْ
تَعْدُو هَارِبَةً . وَقَالَ الْمَجْنُونُ لِلرَّجُلَيْنِ حِينَ رَأَاهَا فِي حَبَالِهَا :

يَا صَاحِبِي اللَّذَيْنِ الْيَوْمَ قَدْ أَخَذَا فِي الْحَبْلِ شِبْهًا لِلَّيْلَى ثُمَّ ^(٤) غَلَّاها
إِنِّي أَرَى الْيَوْمَ فِي أَعْطَافِ شَاتِكُمَا مُشَابِهًا أَشْبَهَتْ لَيْلَى فَحُلَّاها
وقال فيها وقد نظر إليها تعدو أشدَّ عدو هاربة مذعورة :

أَيَا شِبْهَ لَيْلَى لَا تُرَاعِي فَإِنِّي لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَخْشِيَّةٍ لَصِيدِيقُ
وَيَا شِبْهَ لَيْلَى لَوْ تَلَبَّثْتَ سَاعَةً لَعَلَّ فُؤَادِي مِنْ جَوَاهُ يُفِيقُ
تَفَرَّ وَقَدْ أَطْلَقْتَهَا مِنْ وَثَاقِهَا فَأَنْتِ لِلَّيْلَى لَوْ عَلِمْتَ طَلِيقُ

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٠٨) من هذا الجزء .

(٢) مقيدى الأعاديا ، أى جاعل قيادى فى يد الأعداء .

(٣) استطربتما : طلبتما الطرب . (٤) غلاها : وضعا الغل فى عنقها .

له حين بلغه رحيل
زوج ليلي بها

هو مع
رجلين صادَا ظبية
وسألها حلها

هو مع فسوة
عزلته في حب ليل

وذكر أن نسوة جلسن إلى المجنون فقلن له : ما الذي دعاك إلى أن أحللت
بنفسك كل ما نرى في هوى ليلى ، وإنما هي امرأة من النساء ؟ وهل لك
في أن تصرف^(١) هوائك إلى إحدانا ففساعفك ونجزيك بهواك ، ويرجع إليك
ما عذب من عقلك وجسمك ؟ فقال لهن : لو قدرتُ على صرفِ الهوى عنها
إلىكن لأصرفته عنها وعن كل أحدٍ بعدها ، وعشتُ في الناس سويًا مُستريحًا .
فقلن له : فما أعجبك منها ؟ قال : كل شيء رأيتُه وسمعتُه وشاهدتُه منها أعجبنى .
والله ما رأيتُ شيئًا منها قطُّ إلا كان في عيني حسنًا ، وبقلبي علقًا . ولقد جهدتُ
أن يقبَحَ عندي منها شيء ، أو يسمُجَ أو يُعاب ، لأسألُو عنها فلم أجده . فقلن له :
فصفها لنا . فأنشأ يقول :

بيضاء خالصةً البياض كأنها	قمرٌ توسَّطَ جناحَ ليلى مُبرِدٍ
موسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسِدٍ	إنَّ الجمالَ مظنةٌ للحُسَدِ
وترى مدامعها ترقُّرقُ مقلةٍ	سوداء ترغَّبُ عن سوادِ الإِمدِ
خود ^(٢) إذا كثُرَ الكلامُ تعَوَّدتْ	بحمى الحياء وإن تكلم تقصِدِ

وأُشدَّ ابنُ الأعرابيَّ هذا الشعرَ ثم قال : هذا والله من حسنِ الكلام
ومُنقَّح^(٣) الشعر !

وقيل :

رسول بينه وبين
ليل

قال رجلٌ من عشيرة المجنون له : إنى أريد الإلمامَ بحى ليلى ، فهل تُودِعُنِي
إليها شيئًا ؟ قال : نعم . قِفْ بحيث تسمعك ثم قل :
اللهُ يُعلمُ أنَّ النفسَ قد هَلكتُ باليأسِ منك ولكنى^(٤) أعزَّيتها

(١) في الأصل : « نصرف » بالنون .

(٢) الخود : الفتاة الحسنة الخلق ما لم تصر نصفًا .

(٣) في الأصل : « وغنح » . (٤) في بعض أصول الأغاني : « أعنيها » .

مَنِّيَّتِكَ النَّفْسَ حَتَّى قَدْ أَضَرَّ بِهَا وَأُسْتَيْقِنْتُ^(١) خَلْفًا مِمَّا أَمَّنَّيْهَا
وَسَاعَةً مِّنْكَ أَلْهُوْهَا وَإِنْ قَصُرْتُ أَشْهَى إِلَى مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
فَمَضَى الرَّجُلُ وَلَمْ يَتَرَقَّبْ خَلْوَةً حَتَّى وَقَفَ عَلَى لَيْلَى فَقَالَ : يَا لَيْلَى ، لَقَدْ أَحْسَنَ
الَّذِي يَقُولُ :

* اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ هَلَكَتْ *

وَأَنشَدَهَا الْآيَاتِ . فَبَكَتُ بُكَاءً طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَتْ : أَبْلَغَهُ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ :
نَفْسِي فِدَاؤُكَ لَوْ نَفْسِي مَلَكَتُ إِذَا مَا كَانَ غَيْرَكَ يَجْزِيهَا وَيُرْضِيهَا
صَبْرًا عَلَى مَا قَضَاهُ اللَّهُ فِيكَ عَلَى مَرَارَةٍ فِي أَصْطِبَارِي عَنْكَ أَخْفِيهَا
فَأَبْلَغَهُ الْفَتَى الْيَتِيمَ وَأَخْبَرَهُ بِحَالِهَا . فَبَكَى حَتَّى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ،
ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ :

عَجِبْتُ لِعُرْوَةِ الْعُذْرَى أَضْحَى أَحَادِيثًا لِقَوْمٍ بَعْدَ قَوْمٍ
وَعُرْوَةُ مَاتَ مَوْتًا مُسْتَرِيحًا وَهَا أَنَا مَيِّتٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ

وقيل :

سَأَلَ الْمَلُوحُ ، أَبُو الْمَجْنُونِ ، رَجُلًا قَدِمَ مِنَ الطَّائِفِ أَنْ يَمُرَّ بِالْمَجْنُونِ فَيَجْلِسَ
إِلَيْهِ وَيُخْبِرَهُ أَنَّهُ لَقِيَ لَيْلَى وَجَلَسَ إِلَيْهَا ، وَوَصَفَ لَهُ صِفَاتٍ مِنْهَا وَمِنْ كَلَامِهَا يَعْرِفُهَا
الْمَجْنُونُ ، وَقَالَ : حَدَّثَنِي بِهَا ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ اشْرَأَبْ لِحَدِيثِكَ وَأَشْتَهَاهُ فَعَرَفْتَهُ أَنَّكَ
ذَكَرْتَهُ لَهَا وَوَصَفْتَ مَا بِهِ فَشَتَمْتَهُ وَسَبَّيْتَهُ وَقَالَتْ : إِنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيْهَا وَيُشَهِّرُ بِهَا
بِفَعْلِهِ ، وَإِنَّهَا مَا اجْتَمَعَتْ مَعَهُ قَطُّ كَمَا يَصِفُ . فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ ، وَجَاءَ إِلَيْهِ
فَأَخْبَرَهُ بِلِقَائِهَا . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْهَا ، فَيُخْبِرُهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ الْمَلُوحُ ،
فَيَزِدُّهُ نَشَاطًا وَيُثَوِّبُ إِلَى عَقْلِهِ ، إِلَى أَنْ أَخْبَرَهُ بِسَبِّهَا إِيَّاهُ وَشَتَمِهَا لَهُ . فَقَالَ ، وَهُوَ
غَيْرُ مَكْتَرٍ لِّمَا حَكَاهُ عَنْهَا :

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَأَبْصُرْتُ » .

هو ورجل دسه
إليه أبوه بدم ليل

تَمُرُّ الصَّبَا صَفْحًا يَسَا كُنْ ذِي ^(١) الْحُمَى وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبَّ هُبُوبُهَا
 إِذَا هَبَّتْ الرِّيحُ الشَّمَالُ فَإِنَّمَا جَوَاىَ بِمَا تُهْدِي ^(٢) إِلَيْهِ جَنُوبُهَا
 قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا
 وَحَسْبُ اللَّيَالِي أَنْ طَرَحْنَاكَ مَطْرَحًا بَدَارِ قَلِيٍّ تُمَسِّي وَأَنْتَ غَرِيبُهَا
 حَلَالٌ لِّلَّيْلِ شَتْمُنَا وَانْتِقَاصُنَا هَنِئًا وَمَغْفُورٌ لِّلَّيْلِ ذُنُوبُهَا

ليلى ورجل من
بنى مرة

وذكر : أَنَّهُ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ وَالْحِجَازِ ، وَمَا يَلِي
 تِيْمَاءَ ^(٣) وَالسَّرَاةَ ^(٤) وَأَرْضَ نَجْدٍ ، فِي طَلَبِ بُغْيَةٍ لَهُ ، فَاذْهَبُوا بِخِيْمَةٍ قَدْ رُفِعَتْ لَهُ ،
 وَأَصَابَهُ الْمَطَرُ فَعَدَلَ إِلَيْهَا وَتَنَحَّنَحَ ، فَاذًا أُمْرَأَةً قَدْ كَلَّمَتْهُ وَقَالَتْ : أَنْزِلْ ، فَنَزَلَ .
 وَرَاحَتْ إِبِلُهُمْ وَغَنَمُهُمْ ، فَاذًا أُمْرَأَةً عَظِيمَةً . فَقَالَتْ : سَلُوا هَذَا الرَّجُلَ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلَ .
 فَقُلْتُ : مِنْ نَاحِيَةِ تِهَامَةٍ وَنَجْدٍ . فَقَالَتْ : أَدْخُلْ أَيْهَا الرَّجُلُ . فَدَخَلْتُ إِلَى نَاحِيَةِ
 الْخِيْمَةِ ، فَأَرَحْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِتْرًا ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَيُّ بِلَادٍ نَجَدٍ
 وَطِئْتَ ؟ فَقُلْتُ : كُلَّهَا . قَالَتْ : فِيمَنْ نَزَلْتَ هُنَاكَ ؟ قُلْتُ : بِنَبِيِّ عَامِرٍ . فَتَنَقَّسْتُ
 الصُّعْدَاءَ ثُمَّ قَالَتْ : فَبَأَى بَنِي عَامِرٍ نَزَلْتَ ؟ فَقُلْتُ : بِنَبِيِّ الْحَرِيشِ . فَأَسْتَعْبَرْتُ
 ثُمَّ قَالَتْ : هَلْ سَمِعْتَ بِذِكْرِ فُتَّى مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : قَيْسُ بْنُ الْمُلُوحِ ، وَيُلَقَّبُ
 بِالْمَجْنُونِ ؟ قُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ ، وَعَلَى أَبِيهِ نَزَلْتُ ، وَأَتَيْتُهُ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ يَهِيمٌ فِي تِلْكَ
 الْفِيَا فِي وَيَكُونُ مَعَ الْوَحْشِ وَلَا يَعْقِلُ وَلَا يَفْهَمُ ، إِلَّا أَنْ تَذْكُرَ لَهُ أُمْرَأَةً يُقَالُ لَهَا :
 لَيْلَى ، فَيَسْكِي وَيُنْشِدُ أَشْعَارًا فِيهَا . قَالَ : فَرَفَعْتُ السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، فَاذًا
 فَلَاقَهُ قَمَرٌ لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهَا . فَبَكَتْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ أَنْ قَلْبَهَا قَدْ أَنْصَدَعَ .

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « الْغَضَى » مَكَانٌ « الْحُمَى » .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « إِلَى » مَكَانٌ « إِلَيْهِ » .

(٣) تِيْمَاءُ : بَلِيدَةٌ فِي أَطْرَافِ الشَّامِ .

(٤) السَّرَاةُ : أَعْلَى الْجِبَالِ الَّتِي تَحْجُزُ بَيْنَ تِهَامَةٍ وَنَجْدٍ .

فقلتُ : أَيَّتْهَا الْمَرْأَةُ ! أَتَقِي اللَّهَ ! فما قلتُ بِأَسَاءَ . فمكثتُ طَوِيلًا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنْ الْبُكَاءِ وَالنَّجِيبِ ، ثُمَّ قَالَتْ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْخُطُوبُ كَثِيرَةٌ مَتَى رَحُلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلُّ فَرَاغِعُ
بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ

ثُمَّ بَكَتُ حَتَّى سَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا . فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ أَنْتِ يَا أُمَّةَ اللَّهِ ؟
وَمَا قِصَّتُكَ ؟ قَالَتْ : أَنَا لَيْلَى صَاحِبَتُهُ الْمَشْهُومَةُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ ، غَيْرُ الْمُوَاسِيَةِ لَهُ .
فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ وَجْدِهَا وَحُزْنِهَا عَلَيْهِ قَطُّ .

وقيل :

المجنون وقد
مر بليلى

مَرَّ الْمَجْنُونُ بَعْدَ اخْتِلَاطِهِ بِلَيْلَى وَهِيَ تَمْشِي فِي ظَاهِرِ الْبُيُوتِ ، بَعْدَ فَقْدِ لَهَا
طَوِيل . فَلَمَّا رَأَاهَا سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَانْصَرَفَتْ خَوْفًا مِنْ أَهْلِهَا أَنْ
يَلْقَوْهَا عِنْدَهُ . فَمَكَثَ كَذَلِكَ مَلِيًّا ثُمَّ أَفَاقَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَكَى فَرَحًا بِلَيْلَى إِذْ رَأَاهَا مُحِبُّ لَا يَرَى حَسَنًا سِوَاهَا
لَقَدْ ظَفِرْتُ يَدَاهُ وَطَابَ عَيْشًا لَنْ كَانَتْ تَرَاهُ كَمَا يَرَاهَا

وَذَكَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ لِيَلْقَى الْمَجْنُونَ ،
قَالَ : فَذَلِلْتُ عَلَى مَحَلَّتِهِ فَأَتَيْتُهَا ^(٢) ، وَإِذَا أَبُوهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ وَإِخْوَةٌ لَهُ رِجَالٌ ، وَإِذَا
نَعَمٌ كَثِيرَةٌ وَخَيْرٌ ظَاهِرٌ ، فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ . فَاسْتَعْبَرُوا جَمِيعًا ، وَقَالَ الشَّيْخُ : وَاللَّهِ
لَهُوَ كَانَ آثَرُ هَؤُلَاءِ عِنْدِي وَأَحَبُّهُمْ إِلَيَّ ، وَإِنَّهُ هَوَى أُمْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ ، وَاللَّهِ
مَا كَانَتْ تَطْمَعُ فِي مِثْلِهِ ، فَلَمَّا فَشَا أَمْرُهُ وَأَمْرُهَا ، كَرِهَ أَبُوهَا أَنْ يَزُوجَهَا مِنْهُ بَعْدَ
ظُهُورِ الْخَبَرِ ، فَزُوجَهَا مِنْ غَيْرِهِ ، فَذَهَبَ عَقْلُ ابْنِي وَلَحِقَهُ خَبَلٌ ، وَهَامَ فِي الْفَيَافِي

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « الْمُوَاسَاة » .

(٢) الْأَصْلُ : « فَأَتَيْتُهَا » .

وجدًا عليها . فخبسناه وقيدناه ، فكان يعض لسانه وشفتيه حتى خفنا عليه ، فخلينا سبيله . فهو يهيم في هذه الفيا في مع الوحوش ، يذهب كل يوم إليه بطعامه فيوضع حيث يراه ، فإذا تنحوا عنه جاء وأكل منه . فسألتهم أن يدلوني [عليه . فدلوني] على فتى من الحي كان له صديقاً ، وقالوا : إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه إلا هو . فأتيتُه فسألته أن يدلني عليه . فقال : إن كنت تريد شعره فكل شعر . قاله إلى أمس عندي ، وأنا ذاهب إليه غداً ، فإن كان قال شيئاً أتيتك به . فقلت : بل تدلني عليه لآتيه . فقال : إن نفر منك نفر مني فيذهب شعره . فأبيت إلا أن يدلني عليه . فقال : أطلبه في هذه الصحارى ، فإذا رأيته فأدن منه مستأنساً ولا تره أنك تهابه ، فإنه يتهددك ويتوعدك أن يرميمك بشيء ، فلا يرؤعنك ، وأصرف بصرك عنه والحظه أحياناً ، فإذا رأيته قد سكن من نفاره فأنشده شعراً غزلاً ، وإن كنت تروى شعر قيس بن ذريح فأنشده إياه فإنه معجب به . فخرجت فطلبتُه يومى إلى العصر ، فوجدته جالساً على رملٍ قد خط فيه بإصبعه خطوطاً ، فدنوت منه غير متقبض ، فنفر مني نفور الوحش من الإنسان ، وإلى جانبه أحجار ، فتناول حجراً فأعرضت عنه ، فمكث ساعة كأنه نافر يريد القيام . فلما طال جلوسى سكن فأقبل يحط بإصبعه ، فأقبلت عليه فقلت : أحسن والله قيس ابن ذريح حيث يقول :

ألا يا غراب البين ويحك ندبني بعلمك في ليلى وأنت خير
فإن أنت لم تخبر بشيء علمته فلا طرت إلا والجنح كسير
ودرت بأعداء حبيبك فيهم كما قد ترانى للحبيب أدور

فأقبل على وهو يبكي ، فقال : أحسن والله ! وأنا أحسن قولاً منه

حيث أقول :

كَانَ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يَغْدَى بَلِيلِي الْعَامِرِيَّةَ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

قال : فأمسكت عنه هُنيئة ، ثم أقبلت عليه فقلت : أحسن والله قيسُ بن ذريح حيث يقول :

وَإِنِّي لَمَفْنٍ دَمَعَ عَيْنِي نَالِبُكَ حِذَارَ الَّذِي قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
وَقَالُوا غَدًا أَوْ بَعْدَ ذَاكَ بَلِيلَةٌ فِرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبْنَ وَهُوَ بَائِنُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي بِكَفِّكَ إِلَّا أَنْ مَنُ^(١) حَانَ حَائِنُ

قال : فبكى والله حتى ظننت أن نفسه قد فاظت ، وحتى رأيت دُموعه قد بَلَّتَ الرملَ الذي بين يديه . وقال : أحسنَ لَعَمْرُ اللهِ ، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول :

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بِقَوْلِ يَحْيَى الْعُصْمِ سَهْلِ^(٢) الْأَبَاطِحِ
تَنَاءَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

قال : ثم سَنَحْتُ له ظبيةً فوثبَ يَعدو خلفها حتى غاب عني ، وأنصرفت وعُدْتُ من غد فطلبته فلم أجده ، وجاءت امرأةٌ ، تصنع له طعاماً ، إلى الطعام فوجدته بحاله . فلما كان في اليوم الثالث غدوت وجاء أهله معي فطلبناه يومنا ، فلم نجده ، وغدونا في اليوم الرابع نَسْتَقْرِى أثره ، حتى وجدناه في وادٍ كثير الحجارة خشن وهو ميت بين تلك الحجارة . فاحتمله أهله فغسلوه وكفنوه ودفنوه .

(١) في الديوان : « ما » .

(٢) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذي في ذراعيه بياض . يريد أن قولها يستنزل العصم من مساكنها في الجبال إلى الأباطح السهلة .

فجميعه أهله به

قيل :

إنّه لم تبق فتاة من بنى جَعْدَةَ ولا بنى الحَرِيش إلا خرجت حاسرةً صارخةً
عليه تندبه . واجتمع فتيان الحىّ يكون عليه أحرّ بكاء . ويذسجون أشدّ
نشيح ، وحضرهم حىّ ليليّ معزّين وأبوها معهم . فكان أشدّ القوم جزعاً وبكاءً
عليه ، وجعل يقول : ما علمت أن الأمر يبلغ كلّ هذا ، ولكنى كنت أمراً عربياً
أخاف العار وقبح الأحدثة وما يخافه مثلى ، فزوّجتها وخرجت عن يدي ؛
ولو علمت أن أمره يجرى على هذا ما أخرجتها عن يده ، ولأحتملت ما كان
في ذلك .

قال : فما رُئي يوم كان أكثر باكيةً وباكيةً على ميت منه .

وذُكر : أنه لما قلبوه وجدوا خِرقةً فيها مكتوب :

من شعره الذى

وجدوه معه

ألا أيّها الشيخ الذى ما بنا يرضى شقيت ولا هنييت من عيشك أخفضاً
شقيت كما أشقيتني وتركتني أهيّم مع الهلاك لا أطمع الغمضا
كان فؤادى فى محالب طائر إذا ذكرت ليليّ يشدّ^(١) به قبضاً
كان فيجاج الأرض حلقة خاتم علىّ فما تزداد طولاً ولا عرضاً
ومما يروى للمجنون :

مما يروى له

وما أشرف الأيفاع^(٢) إلا صبايةً ولا أنشد الأشعار إلا تدأوياً
وقد يجمع الله الشيتين بعد ما يظنّان كلّ الظنّ^(٣) ألا تلاقياً
كلّى الله أقواماً^(٤) يقولون إننى وجدت^(٥) طوال الدهر للحبّ شافياً

(١) به ، أى بالفؤاد . وهو مذكر لا غير . وفى بعض أصول الأغاني : « بها » أى بالمخالب .

(٢) الأيفاع : جمع يفع ، وهو ما أشرف وعلا من الرمل .

(٣) فى بعض أصول الأغاني : « جهد الظن » أى غايته .

(٤) لى الله أقواماً ، أى قبائحهم ولعنهم وأبعدهم . (٥) فى الأصل : « أننا * وجدنا » .

أَخْبَارُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ

نسبه

هو عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن مخروف بن عامر بن عَصِيَّة
ابن أمريء القيس بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر
ابن نزار بن معد بن عدنان .

وكان أيوب هذا أول من سُمي من العرب أيوب .

منزلته في الشعر

وعديّ هذا شاعرٌ فصيحٌ من الجاهليّة . وكان نصرانيّاً ، وكذلك أبوه
وأهله ، وليس معدوداً من الفحول . وهو قرويّ ، قد أخذوا عليه أشياء عيبَ بها .
وكان الأصمعيّ وأبو عبيدة يقولان :

عدى بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم ، يُعارضها ولا يجري معها .
وكذلك عندهم أميّة بن أبي الصلت ، ومثلهما عندهم من الإسلاميين :
الكميت والطرمّاح .

سبب نزول
آله الحيرة

وكان سبب نزول آل عدى بن زيد الحيرة أنّ جدّه أيوب بن مخروف كان
منزله اليمامة في بني أمريء القيس بن زيد مناة . فأصاب دماً في قومه فهرب ،
فلحق بأوس بن قلام ، أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة . وكان بين أيوب
ابن مخروف وبين أوس بن قلام هذا نسبٌ من قبل النساء ، فلما قدّم عليه
أيوب بن مخروف أكرمه وأنزله في داره ، فمكث معه ما شاء الله أن يمكث .
ثم إن أوساً قال له : يا بن خال ، أتريد المقام عندى في دارى ؟ فقال له أيوب :
نعم ، فقد علمت أنّي إن أتيت قومي وقد أصبت فيهم دماً لم أسلم ، ومالي دارٌ

إلا دارك آخر الدهر . قال أوس : إني قد كبرتُ وإني خائف أن أموتَ فلا يعرفُ ولدي لك من الحقِّ مثل ما أعرفُ ، فأخشى أن يقع بينك وبينهم ما يقطعون فيه الرّحم ، فانظر أحبَّ مكانٍ في الحيرة إليك فأعلمني به لأقطعكهُ أو أبتاعهُ^(١) لك . وكان لأيوبَ صديقٌ في الجانب الشرقي من الحيرة ، وكان منزلُ أوسٍ في الجانب الغربي . فقال له : قد أحببتُ أن يكون المنزلُ الذي تسكنُنيهِ عند منزلِ عصام بن عبدة^(٢) أحدِ بني الحارث بن كعب . فأبتاع له موضعَ داره بثلاثة أوقية من الذهب ، وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برعائها وفرساً وقينةً . فمكث في منزلِ أوسٍ حتى هلك ثم تحوّل إلى داره التي في شرقي الحيرة ، فهلك بها . [وكان أيوب] قد اتّصل قبل مهلكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقّه ، وحقَّ ابنه زيد بن أيوب . فلم يكن منهم ملكٌ يملك إلا ولولّد أيوب منه جوائزٌ وحملان^(٣) .

ثم إن زيد بن أيوبَ نكح امرأة من آل قلام ، فولدت له حماداً . فخرج زيد بن أيوب يوماً من الأيام يُريد الصيدَ في ناسٍ من أهل الحيرة ، وهم مُتبدّون^(٤) بحفير^(٥) ، المكان الذي يذكره عدى بن زيد في شعره ، فأفرد في الصيد وتباعد من أصحابه ، فلقى رجلاً من بني امرئ القيس الذين كان لهم الثأرُ قبل أبيه ، فقال له : وقد عرّف فيه شبه أيوب : ممّن الرجلُ ؟ قال : من بني تميم . قال : من أيهم ؟ قال : مرئى^(٦) . قال له الأعرابي : وأين منزلك ؟ قال : الحيرة ؟ قال : من بني أيوب أنت ؟ قال : نعم ! ومن أين تعرّف بني أيوب ؟ وأستوحش من الأعرابي

(١) في الأصل : « وأبتاعه » . (٢) في الأصل : « عقدة » .

(٣) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب ، في الهبة خاصة .

(٤) تبدى : خرج إلى البادية . وفي بعض أصول الأغاني : « متبدون » . وانتدى القوم :

اجتمعوا . (٥) حفير : موضع بالحيرة . ذكره البكري .

(٦) مرئى : نسبة إلى امرئ القيس .

وذكر الثار الذي هرب أبوه منه ، فقال له : سمعتُ بهم ، ولم يُعلم أنه قد عرفه .
فقال له زيد بن أيوب : فمن أيّ العرب أنت ؟ قال : أمرؤ من طيء فأمّنه زيدٌ
وسكت عنه . ثم إنَّ الأعرابيَّ اغتفل^(١) زيدَ بن أيوب فرماه بسهم فوضعه
بين كتفيه ، ففلق قلبه . فلم يرم^(٢) حافرُ فرسه حتى مات . فلبث أصحابُ زيد ،
حتى إذا كان الليلُ طلبوه وقد أفتقدوه ، فظنُّوا أنه قد أمعن في طلب الصيد ، فباتوا
يطلبونه حتى يئسوا منه . ثم غدوا في طلبه فأقتفوا أثره حتى وقعوا عليه ، ورأوا معه
أثرَ راكب يُسايره . فأتبعوا الأثرَ حتى وجدوه قتيلاً . فعرفوا أنَّ صاحب الرَّاحلة
قتله . فأتبعوه وأغذوا السير ، فأدركوه مساء الليلة الثانية ، فصاحوا به ، وكان من
أرعى الناس ، فأمتنع منهم بالنبل حتى حال الليلُ بينهم وبينه . وقد أصاب رجلاً
منهم في مَرَجٍ كَتَفِيهِ^(٣) بسهم . فلما أجنَّ الليلُ مات . وأفلت الرَّامِي^(٤) . فرجعوا
وقد قُتل زيدُ بن أيوب ورجلٌ آخرُ معه من بني الحارث بن كعب ، فمكث
حماد في أخواله حتى أيفع ، فخرج يوماً من الأيام يلعبُ مع غلمان بني الحِمْيَر ،
فلطمَ اللَّحياني عَيْنَ حماد فشجَّه حماد . ، فخرج أبو اللحياني فضربَ حمادا . فأتى
حمادُ أمه يبكي ، فقالت له : ما شأنك ؟ فقال : ضربني فلان ، لأنَّ أُنْبه لَطَمَنِي
فشجَّجْتَه . فجَزَعَتْ من ذلك وحوَلَتْهُ إلى دار زيد بن أيوب ، وعَلَّمَتْهُ الكتابة
في دار أبيه . فكان حماد أولَ من كتب من بني أيوب ، فخرج من أكتب
الناس ، وطُلب حتى صار كاتبَ الملك النعمان الأكبر ، فلبث كاتباً له حتى ولد
له ابنٌ من امرأة تزوّجها من طيء ، فسماه زيدا ، بأسم أبيه . وكان حماد صديقاً
من الدهاقين^(٥) العُظماء يقال له فرُّوخ ماهان ، وكان محسناً إلى حماد ، فلما حضرت
حماداً الوفاة أوصى بأُنه زيد إلى الدهقان ، وكان من المرازبة^(٦) . فأخذه الدهقان

(١) اغتفل ، يريد : تغفل . ولم ترد في المعاجم . (٢) لم يرم : لم يبرح .

(٣) مرجع الكتفين : أسفلهما . (٤) في الأصل : « المرئي » .

(٥) الدهاقين : التجار ، فارسي معرب ؛ الواحد : دهقان .

(٦) المرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك . فارسي معرب .

إليه ، فكان عنده مع ولده . وكان زيد قد حَذِقَ الكتابة والعربية قبل أن يأخذه
 الدهقان ، فعلمه لما أخذه الفارسية ، فَلَقَنَهَا . فأشار الدهقان على كسرى أن يجعله
 على البريد في حوائجه . ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المرازبة ، فكث
 يتولى ذلك لكسرى زماناً . ثم إن النعمان النصري اللخمي هلك ، فاختلف أهل
 الحيرة فيمن يملكونه إلى أن يعقد كسرى الأمر لرجل ينصبه . فأشار المرزبان
 عليهم بزيد بن حماد بن زيد بن أيوب ، فكان على الحيرة إلى أن ملك كسرى
 المنذر بن ماء السماء . ونكح زيد بن حماد نعمة بنت ثعلبة العدوية ، فولدت له
 عدى بن زيد . وملك المنذر بن ماء السماء ، فكان لا يعصيه في شيء ، وولد
 للمرزبان ابن فستاه «شاهان مرْد» . فلما تحرَّك^(١) عدى بن زيد وأيفع طرحه أبوه في
 الكتاب ، حتى إذا حَذِقَ أرسله المرزبان مع ابنه «شاهان مرْد» إلى كتاب الفارسية ،
 فكان يختلف مع ابنه فيتعلَّم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم
 الناس وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر ، وتعلَّم الرمي بالنشاب . فخرج من
 الأساورة^(٢) الرثمة ، وتعلَّم لعب العجم على الخيل بالصَّوَالِجَة^(٣) وغيرها . ثم إن
 المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه «شاهان مرْد» . فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط
 طائران على الشور ، فتطاعما كما يتطاعم الذَّكر والأنثى ، فجعل كل واحد منهما
 منقاره في منقار الآخر . فغضب كسرى ولحقته غيره ، فقال للمرزبان وأبنه : ليروم
 كلُّ واحد منكما واحداً من هذين الطَّائرين ، فإن قتلتماها أدخلتكما بيت المال
 وملأت أفواهكما بالجواهر ، ومن أخطأ منكما عاقبته . فاعتمد كلُّ واحد منهما طائراً
 منهما ورَمَيَا ، فقتلها جميعاً . فبعث بهما إلى بيت المال فلملت أفواههما جوهراً ، وأثبت
 «شاهان مرْد» وسائر أولاد المرزبان في صحابته . فقال فرُّوخ ماهان للملك : إن عندي

(١) في الأصل : «تجرأ» .

(٢) الأساورة : جمع الأسوار ، بالضم والكسر ، وهو الجيد الرمي بالسهم .

(٣) الصَّوَالِجَة : جمع صولجان ، عصا يعطف طرفها تضرب بها الكرة على الدواب . فارسي معرب .

غلاماً من العرب مات أبوه ، وخلقه في حجرى ، وهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية ، والمملك محتاج إلى مثله ، فإن رأى الملك أن يثبتته فى ولى فعل . فقال : أدعه . فأرسل إلى عدى بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحسن ، وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه ، فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جواباً ، فرغب فيه وأثبتته مع ولد المرزبان . فكان عدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى ، فرغب أهل الحيرة إلى عدى ورهبوه . فلم يزل بالمدائن فى ديوان كسرى يؤذن له عليه فى الخاصة ، وهو معجب به قريب منه . وأبوه زيد بن حماد يومئذ حى ، إلا أن ذكر عدى قدارتفع وخل ذكر [أبيه] زيد . فكان عدى إذا دخل إلى المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة قام جميع من عنده حتى يقعد عدى . فعلاً له بذلك صوت عظيم . فكان إذا أراد المقام بالحيرة فى منزله ومع أبيه وأهله أستاذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل . ثم إن كسرى أرسل عدى ابن زيد إلى ملك الرّوم بهدية من طرف ما عنده . فلما أتاه عدى بها أكرمه وحمله إلى أعماله على البريد ليريه سعة ملكه . وكذلك كانوا يصنعون . فمن ثم وقع عدى بدمشق ، وقال فيها الشعر . فمما قاله بالشام ، وهو أول شعر قاله :

رُبَّ دَارٍ بِأَسْفَلِ الْجَزَعِ مِنْ دُو مَةَ أَشْهَى إِلَى مِنْ ^(١) جَيْرُونِ
وَنَدَامَى لَا يَفْرَحُونَ بِمَا نَا لُوا وَلَا يَتَّقُونَ صَرْفَ الْمُنُونِ
قَدْ سَقَيْتُ الشَّمُولَ فِي دَارِ بَشَرٍ قَهْوَةً مُرَّةً بِمَاءِ سَخِينِ

وفسد أمر الحيرة وعدى بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم ، وذلك لأن أهل الحيرة حين كان عليهم المنذر ، أرادوا قتله ، لأنه كان لا يعدل فيهم ، وكان يأخذ من أموالهم ما يعجبه . فلما تيقن أن أهل الحيرة قد اجتمعوا على قتله ، بعث إلى

(١) دومة . هذه : من منازل جذيمة الأبرش ، وهى دومة الحيرة . (عن البكرى) . وجيرون :

دمشق ، وقيل : بناء كان عند باب دمشق حوله مدينة تطيف به .

زَيْدُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَيُّوبَ ، وَكَانَ قَبْلَهُ عَلَى الْحِيرَةِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا زَيْدُ ، أَنْتَ خَلِيفَةُ أَبِي ، وَقَدْ بَلَغَنِي مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحِيرَةِ ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِي مُلْكِهِمْ ، دُونَكُمْ مَلَكُوهُ مَنْ شِئْتُمْ . فَقَالَ زَيْدُ : إِنْ الْأَمْرُ لَيْسَ إِلَيَّ وَلَكِنِّي أَسْبِرُكَ هَذَا الْأَمْرَ وَلَا أَلُوكَ نَصْحًا . فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَاً إِلَيْهِ النَّاسُ فَحَيَّوْهُ تَحِيَّةَ الْمَلِكِ ، وَقَالُوا لَهُ : أَلَا تَبْعَثُ إِلَى عَبْدِكَ الظَّالِمِ - يَعْنُونَ الْمُنْذِرَ - فَتُرِيحَ مِنْهُ رَعِيَّتَكَ ؟ فَقَالَ لَهُمْ : أَوْ لَا خَيْرَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالُوا : أَشَرُّ . فَقَالَ : تَدْعُونِي عَلَى حَالِهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُلْكٍ ، وَأَنَا آتِيهِ فَأُخْبِرُهُ أَنَّ أَهْلَ الْحِيرَةِ قَدْ اخْتَارُوا رَجُلًا يَكُونُ أَمْرَ الْحِيرَةِ إِلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ غَزْوً أَوْ قِتَالًا ، فَلِكِ اسْمُ الْمَلِكِ وَلَيْسَ إِلَيْكَ سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ . قَالُوا : رَأْيُكَ أَفْضَلُ . فَأَتَى الْمُنْذِرَ فَأُخْبِرَهُ بِمَا قَالُوا . فَقَبِلَ ذَلِكَ وَفَرَحَ ، وَقَالَ : إِنْ لَكَ عَلَى يَازِيدٍ نِعْمَةٌ لَا أَكْفُرُهَا مَا عَرَفْتُ حَقَّ سَبْدٍ - وَسَبْدٌ : صَنَمٌ كَانَ لِأَهْلِ الْحِيرَةِ - فَوَلِّ أَهْلَ الْحِيرَةِ زَيْدًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اسْمِ الْمَلِكِ ، فَإِنَّهُمْ أَقْرَبُوهُ الْمُنْذِرَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

نَحْنُ كُنَّا قَدْ عَلِمْتُمْ قَبْلَكُمْ عَمَدَ الْبَيْتِ وَأَوْتَادَ الْإِصَارِ^(١)

ثُمَّ هَلَكَ زَيْدُ بْنُ حَمَّادٍ ، وَابْنُهُ عَدِيُّ يَوْمَئِذٍ بِالشَّامِ ، وَكَانَ لَزِيدٍ نَاقَةٌ لِلْحِمَالَاتِ^(٢) ، وَكَانَ أَهْلُ الْحِيرَةِ أَعْطَوْهُ إِيَّاهَا حِينَ وَلَّوْهُ مَا وَلَّوْهُ . فَلَمَّا هَلَكَ أَرَادُوا اخْتِذَاهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُنْذِرَ فَقَالَ : لَا ، وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، لَا يُؤْخَذُ مِمَّا كَانَ فِي يَدِ زَيْدٍ ثَفْرُوقٍ^(٣) وَأَنَا أَسْمَعُ الصَّوْتَ . فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ لِابْنِهِ النَّعْمَانِ ابْنِ الْمُنْذِرِ :

وَأَبُوكَ الْمَرْءُ لَمْ نَشَقْ^(٤) بِهِ يَوْمَ سِيمِ الْخَسْفِ مَنَاذِرَ الْخَسَارِ

مقدم عدى
ولقاء المنذر له

(١) الإصار : الطنب . أو هو جل الخباء والسرادق ونحوهما .

(٢) الحمالات : الديات والغرامات التي يحملها قوم عن قوم ؛ الواحدة : حمالة .

(٣) الثفروق : علاقة ما بين النواة والقمع من الثمرة . يكنى به عن الثقلة .

(٤) كذا في الأصل . والذي في بعض أصول الأغاني : « لم يشنأ به » .

ثم إنَّ عديَّ بنَ زيدٍ قَدِمَ المدائنَ^(١) على كسرى بهديَّةٍ قيصر، فصاذف أباه والمرزبان الذي ربَّاه قد هلكا جميعاً، فأستأذن كسرى في الإمام بالحيرة، فأذن له، فتوجَّه إليها. وبلغ المنذر خبره، فخرج فلتقاه في الناس ورجع معه. وعديُّ أنبلُ أهلِ الحيرة في أنفسهم، ولو أراد أن يملكوه لملكوه، ولكنه كان يومئذ يؤثر الصيد والهُو واللَّعب على الملك. فمكث سنين^(٢) يبدو في فضلى السنة، فيقيم في جفير^(٣) ويشتو بالحيرة، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى. فمكث كذلك سنين، وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدئ من مبادئ العرب، ولا ينزل في حيٍّ من أحياء بني تميم وغيرهم. وكان أخلاقه من العرب كلهم بني جعفر. وكانت إبله في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد. وكذلك كان أبوه يفعل لا يجاوز هذين الحيين بإبله.

ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هند بنت النعمان الأصغر، ابن المنذر الأكبر^(٤)، ابن أمراء القيس بن النعمان بن أمراء القيس بن عمرو بن عدي بن زواج عدي بهند نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لحم، وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وفيها يقول عدي بن زيد:

يا خَلِيلِي يَمِّرَا التَّعْسِيرَا ثم رُوحَا فَهَجِّرَا تَهْجِيرَا
عَرَّجَا بِي عَلَى دِيَارِ لَهْنَدٍ لَيْسَ أَنْ عُجْتُمَا لَمْطِي كَثِيرَا
وكانت هند هذه من أجمل النساء. وأما مارية الكنديَّة، وكانت خرجت

(١) المدائن: مسكن الملوك الأكاسرة، كان كل واحد منهم إذا ملك بني لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها وسماها باسمه، فسميت المدائن بذلك.

(٢) يبدو: أى يخرج إلى البادية. (٣) جفير: موضع. (معجم البلدان). والذي

في الأصل: «بالبر». (٤) في بعض أصول الأغاني: «المنذر بن المنذر».

في خميس الفصح^(١) تتقرب في البيعة . ولها حينئذ إحدى عشرة سنة . وذلك في أيام جدّها المنذر ، وقد قدّم عدى بن زيد بهديّة من كسرى إلى المنذر ، وأبوها الثعمان يومئذ فتى شاب . فأتفق دخولها البيعة وقد دخلها عدى ليتقرب ، فرآها عدى وهي غافلة ، فلم تنتبه له حتى تأملها . وقد كان جواريا رآين عديا وهو مقبل . فلم يقلن لها ذلك لكي يراها عدى . وإنما فعلن هذا من أجل أمة لهند يقال لها : مارية . وقد كانت أحبت عديا فلم تدرك كيف تتأتى له . فلما رأت هند عديا ينظر إليها ، شق ذلك عليها وسبّت جواريا ونالت بعضهنّ بضرب . ووقعت هند في نفس عدى ، فلبث حولا لا يخبر أحداً بذلك . فلما كان بعد حول وظنّت مارية أنّ هنداً قد أضربت عما جرى وصفت لها بيعة دومة — وقيل : بيعة ثوما — ووصفت لها من فيها من الرّواهب ومن يأتيها من جوارى الحيرة ، وحسن بنائها وسرّجها ، وقالت لها : سلى أمك الإذن لك في إتيانها . فسألتها ذلك . فأذنت لها . وبادرت مارية إلى عدى فأخبرته الخبر . فبادر فليس يلقا^(٢) كان « فرخان شاء مرّد » قد كساه إياه ، وكان مذهبا لم ير مثله حسنا . وكان عدى حسن الوجه مديد القامة خلّو العينين حسن الملبس^(٣) نقي الثغر . وأخذ معه جماعة من فتيان الحيرة . فدخل البيعة . فلما رآته قالت لهند : أنظري إلى هذا الفتى ، فهو والله أحسن من كل ما ترين من الشرج وغيرها ! قالت : ومن هو ؟ قالت : عدى ابن زيد . قالت : أتخافين أن يعرفني إن دنوت منه لأراه . قالت : ومن أين يعرفك ؟ ومارآك قط حتى يعرفك ! فدنت منه وهو يمازح الفتيان الذين معه ، وقد برع عليهم بجماله وحسن كلامه وفصاحته ، وما عليه من الثياب . فذهلت لما رآته وبهتت تنظر إليه ، وعرفت مارية ما بها وتبيّنته في وجهها . وأنصرفت وقد تبعته نفسها . وأنصرفت بمثل حالها . فلما كان الغد تعرضت له مارية . فلما رآها هاش لها ، وكان قبل ذلك

(١) الفصح : عيد الإفطار : يصومون ثمانية وأربعين يوماً ، ويجعلون فصيحهم يوم الأحد الذي يجرى بعد الصوم . وقبل الفصح بثلاثة أيام : خميس العهد . وظاهر أنه المراد هنا . (انظر الآثار الباقية للبيروني ، وصبح الأعشى) . (٢) اليلمق : القباء ، فارسي معرب . (٣) في الأصل : « الجسم » .

لا يُكَلِّمُهَا ، وقال لها : ما غدا بك ؟ قالت : حاجةٌ إليك . قال : أذكرِها ، فوالله لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتُك إِيَّاه . فعرفتُه أنها تهواه وأن حاجتها الخلوَّةُ به ، على أن تحتال له في هند ، وعاهدته على ذلك . فأدخلها حانوتَ خمارٍ بالحيرة ووقع عليها . ثم أتت هنداً فقالت : أما تشتهين أن تَرى عديّاً ؟ قالت : وكيف لى به ؟ قالت : أعدهُ مكانَ كذا وكذا في ظَهْرِ القَصْرِ وتُشْرِفين عليه . قالت : أفعلِ . فواعدته إلى ذلك المكان ، وأشرفت عليه هند . فكادت تموت . وقالت : إن لم تُدخله إلى هلكتي . فبادرتِ الأَمَةُ إلى النُّعْمان وخبرته وصدقته وذكّرتُ أنه قد شُغِفَتْ به ، وأن سببَ ذلك رؤيتها إِيَّاه في يومِ الفِصح ، وأنه إن لم يَزُوجْها به افتضحت في أمره أو ماتت . فقال لها : ويحك ! وكيف أبدؤه ؟ فقالت : هو أرغبُ في ذلك من أن تبدأه ، وأنا أحتال في ذاك من حيث لا يعلم أنك عرفتَ أمره . فأتت عديّاً فأخبرته الخبر ، وقالت : أدعه ، فإذا أخذ الشرابُ منه فاخطُبْ إليه فإنه غيرُ رادِّك . فقال : أخشى أن يُغضبهُ ذلك فيكون سببَ العداوة بيننا . قالت : ما قلتُ لك هذا حتى فرغتُ منه . فصنع عدى طعاماً واحتفل فيه ، ثم أتى النُّعْمان بعد الفِصح ، وذلك يوم الاثنين . فسأله أن يتغدى عنده هو وأصحابه ، ففعل . فلما أخذ منهم الشرابُ خطبها إلى النُّعْمان ، فأجابهُ وزوجه . فضمَّتها إليه بعد ثلاث^(١) . فمكثت عنده حتى قتله النُّعْمان . فترهبت وحَبَسَتْ نفسها في الدَّيْرِ المعروف بدَيْرِ هِنْد في ظاهِر الحيرة .

وقيل : بل ترهبت بعد ثلاثِ سنين من تزويجها ومنعته نفسها . وأحتَبَسَتْ في الدَّيْرِ حتى ماتت .

وكانت وفاتها في الإسلام في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وكان المَغيرة إذ ذاك والياً على الكوفة .

وذكر أن المَغيرة بن شُعْبَةَ لما ولَّاه معاوية ، مرَّ بدَيْرِ هند هذه ، ودخل عليها

بعد أن استأذن عليها ، فأذنت له وبسطت له مسحاً^(١) ، فجلس عليه ، ثم قالت :
 ماجاء بك ؟ قال : جئتُ خاطباً : قالت : والصليب ! لو علمت أن في خصلة من
 جمال أو شبابٍ رغبتي في لأجبتك ، ولكنك أردت أن تقول في المواسم :
 ملكتُ مملكة النعمان بن المنذر ، ونكحتُ أبنته ، فبحقِّ معبودك ! هذا
 أردت ؟ قال : إى والله . قالت : فلا سبيلَ إليه . فقام المغيرة وانصرف ، وقال فيها :

أدركت ما منيتُ نفسي خالياً لله دركٍ يابنة النعمان
 فلقد رددت على المغيرة ذهنه إن الملوك نقيّة الأذهان
 ياهندُ حسبك قد صدقت فأمسكي فالصدق خيرُ مقالة الإنسان

وذكر أن هنداً هذه كانت تهوى زرقاء اليمامة ، وأنها أولُ امرأة أحبّت
 امرأة في العرب . وكانت الزرقاء ترى الجيش على مسيرة ثلاثين ميلاً . فعزا قومٌ من
 العرب اليمامة . فلما قرّبوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزرقاء !
 فاجتمع رأيهم على أن يقتلّوها شجراً ، تستر كلُّ شجرة منها الفارس إذا حملها . فقطع
 كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا . فأشرفت كما كانت تفعل . فقال لها قومها :
 ما تترين يا زرقاء ؟ وذلك في آخر النهار . قالت : أرى شجراً يسير . فقالوا : كذبت ،
 أو كذبتك عينك ! واستهانوا بقولها . فلما أصبحوا صبحهم القوم ، فأستباحوا أموالهم
 وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . وأخذوا الزرقاء ، فقلعوا عيناها ، فوجدوا فيها غروفاً سوداء .
 فسُئلت عنها ، فقالت : إني كنت أديمُ الاكتحال بالإثمد ، فلعلّ هذا منه .
 وماتت بعد أيام .

حديث ميلها إلى
 زرقاء اليمامة
 وبناء الدير

وبلغ هنداً بنت النعمان خبرها ، فترهبت ولبست المسوح ، وبنت الدير
 المعروف بدير هند ، فأقامت فيه حتى ماتت .

(١) المسح : كساء من شعر .

شعر عدى
في مصاهرته
للنعمان

وقد ذكر عدى بن زيد مصاهرته للنعمان في قصيدة يخاطبها بها ، بعد أن حبسه ، أولها :

* أبصرت عيني عشاء ضوء نار *

النعمان في حجر
عدى

يقول فيها :

أَجَلَ نَعْمَى رَبِّهَا أَوْلَكُمْ وَدُنُوئِي كَانَ مِنْكُمْ وَأَصْطِهَايَ

ثم هلك المنذر بن ماء السماء ، وهى أمه ، وأبوه المنذر الأكبر . كما ذكرناه في نسبه ، وخلف ابنه النعمان . وكان مضموماً إلى عدى بن زيد ، وآل عدى هم الذين أَرْضَعُوهُ وَرَبَّوهُ . وخلف أيضاً الأسود ، وأمّه مارية بنت الحارث بن جُلْهم ابن تيم الرباب ، وكان أَرْضَعَهُ وَرَبَّاهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو مَرِينَا ، يَنْتَسِبُونَ إِلَى نَحْمٍ ، وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر بن المنذر سوى هذين من الولد عشرة . وكان يُقَالُ لولده : الْأَشَاهِبُ ، من جمالهم . وفي ذلك يقول أَعَشَى بْنُ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

وَبَنُو الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبُ بِالْحِيَةِ رَرَةً يَمْشُونَ غُدُوَّةً كَالسَّيُوفِ

وقيل : بل كانوا ثلاثة عشر . وكان النعمان من بينهم أحرأبرش^(١) قصيراً ، وأمّه سَلَمَى بنت وائل بن عَطِيَّة الصَّائِغِ ، من أهل فدك^(٢) . وأوصى بهم أبوهم إلى [إياس بن] قبيصة الطائي ، ومَلَكَهُ عَلَى الْحِيرَةِ إِلَى أَنْ يَرَى كَسْرَى رَأْيَهُ . فمَكَثَ عَلَيْهَا مُمَلَّكاً أَشْهُرًا ، وكسرى في طلب رجل يَمْلِكُهُ عَلَيْهِمْ - وهو كسرى أبرويز ابن هُرْمُز بن أنوشروان - فلم يجد أحداً يَرْضَاهُ ، فَضَجِرَ وَقَالَ : لَأَبْعَثَنَّ إِلَى الْحِيرَةِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْأَسَاوِرَةِ ، وَلَأُمَلِّكَنَّ عَلَيْهِمْ رِجَالًا مِنَ الْفُرْسِ ، وَلَأَمَرَّنَهُمْ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى الْعَرَبِ فِي دُورِهِمْ وَيَمْلِكُوا عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ . فكان عدى بن

(١) الأبرش : الأرقط الأنمر ، الذي يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

(٢) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان .

زيد واقفاً بين يديه ، فأقبل عليه وقال : ويحك يا عدى ! مَنْ بَقِيَ من آل المُنذر ؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خير ؟ فقال : نعم أيها الملك ، إن في ولد المُنذر لبقيةً ، وفيهم ^(١) كلهم خير . فقال : أبعث إليهم . فبعث عدى إليهم وأحضرهم وأنزلهم جميعاً عنده . فلما نزلوا عليه أرسل إلى النعمان : لست أملك غيرك فلا يوحشتك ما أفضّل به إختوتك عليك من الكرامة ، فإنني إنما أعتزّهم بذلك . ثم كان يفضّل إختوته جميعاً عليه في النزول ^(٢) والإكرام والملازمة ، ويريههم تنقصاً للنعمان ، وأنه غير طامع في تمام أمر على يديه . وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول : إذا أدخلتكم ^(٣) على الملك فالبسوا أحرّ ثيابكم وأجملها ، وإذا دعاكم إلى الطعام لتأكلوا تباطأوا في الأكل ، وصغروا اللقم ، ونزّروا ماتاً كلون . فإذا قال لكم : أتكفونني العرب ؟ فقولوا : نعم . فإذا قال لكم : فإن شذّ أحدكم عن الطاعة أو فسد ^(٤) أتكفوننيهِ ؟ فقولوا : لا ، إن بعضنا لا يقدر على بعض ؛ ليهابكم ولا يطمع في تفرّقكم ، ويعلم أن للعرب منعةً وبأساً . فقبلوا منه . وخلا بالنعمان فقال له : البس ثياب السفر وأدخل متقلداً سيفك ، فإذا جلست للأكل فعظم اللقم وأسرع المضع والبلع وزد في الأكل ، وتجوّع قبل ذلك ؛ فإن كسرى يُعجبه كثرة الأكل من العرب خاصة ، ويرى أنه لا خير في العربي إذا لم يكن أكل ، ولا سيّاً إذا رأى غير طعامه وما لا عهد له بمثله . وإذا سألك : هل تكفيني العرب ؟ فقل : نعم . فإذا قال : فمن لي بإختوتك ؟ فقل : إن عجزت عنهم فإنني عن غيرهم لأعجز .

وخلا ابن مَرينا بالأسود بن المُنذر ، فسأله عما وصّاه به عدى . فأخبره . فقال : غشك والصليب والمعمودية ! وما نصحك ! ولئن أطعني لتخالفن كل ما أمرك به ولتلكن ، ولئن عصيتني ليملكك النعمان . ولا يغرنك ما أراكه من الإكرام والتفضيل على النعمان ؛ فإن ذلك دهاء فيه ومكر وحيلة . فقال له : إن عدياً لم يألني

(١) في الأصل : « كل » مكان « كذهم » . (٢) في الأصل : « في النزول » . (٣) في الأصل : « دخلتكم » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « وأفسد » .

نُصَحًا ، وهو أعلمُ بكسرى منك ، وإن خالفتُهُ أوحشتهُ فأفسد عليّ ، وهو جاء بنا ووَصَفنا ، وإلى قوله يرجع كسرى . فلما يئس ابنُ مَرِينا من قبوله منه ، قال : ستعلم ! ودعا بهم كِسرى ، فلما دخلوا عليه أعجبه جمالُهم وكاملُهم ، ورأى رجالاً قلما رأى مثْلهم . فدعا لهم بالطعام ، ففعلوا ما أمرهم به عديّ . فجعل ينظرُ إلى النُّعمان من بينهم ويتأملُ أكله . فقال لعديّ بالفارسيّة : إن لم يكن في أحد منهم خير ففي هذا . فلما غَسَلوا أيديهم جعل يدعو رجلاً رجلاً فيقول له : أتكفيني العرب ؟ فيقول : أ كفيكها كلّها إلّا إخوتي . حتى انتهى إلى النُّعمان آخرهم ، فقال له : أتكفيني العرب ؟ فقال : نعم . فقال : كلّها ؟ قال : نعم . قال : كيف بإخوتك ؟ قال : إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . فملّكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف دينارٍ ، فيه اللؤلؤ والذهب .

فلما خرج وقد ملّك النُّعمان . قال ابنُ مَرِينا للأَسود : دونك عُقبِي خِلافِكَ لي . ثم إن عديّاً صنَعَ طعاماً في بيعةٍ . فقال لابنُ مَرِينا . ائْتِنِي بِنِ أُحْبِبْتَ فَإِنِّي لِي حاجةٌ . فأنى في ناسٍ فتغدّوا في البيعة . فقال عديّ بن زيد لابن مَرِينا : يا عديّ ، إن أحقَّ من عرف الحقَّ ثم لم يَلْمِ عليه من كان مثلك ، وإني قد عرفتُ أنّ صاحبك الأَسود بن المنذر كان أحبَّ إليك أن يملّك من صاحبي النُّعمان ، فلا تَلْمُنِي على شيء كنتَ على مثله ، وأنا أحبُّ إلّا تحقّد على شيء لو قدرت عليه رَكِبْتَهُ ، وأحبُّ أن تُعْطِنِي مِن نَفْسِكَ ما أُعْطِيكَ من نَفْسِي ، فإن نصيبِي في هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك ، وقام إلى البيعة فحلف ألا يهجوّه أبداً ، ولا يَبْغِيهِ غائِلَةً أبداً . ولا يَزْوَى^(١) عنه خيراً أبداً . فلما فرغ عديّ بن زيد ، قام عديّ بن مَرِينا فحلف مثل يمينه ألا يزال يهجوّه أبداً ، ويَبْغِيهِ الغوائل ما بقى .

وخرج النُّعمانُ حتى نزل منزلاً أبيه بالحيرة . فقال عديّ بن مَرِينا لعديّ بن زيد :

(١) يزوى : يقبض .

أَلَا أبلغُ عَدِيًّا عن عَدِيٍّ فلا تَجَزَّعْ وإن رَثَّتْ^(١) قُؤَاكَا
فإن تَظْفَرُ فلم تَظْفَرُ حَمِيدًا وإن تَعْطِبْ فلا يَبْعُدُ سِوَاكَ
نَدِمْتَ نَدَامَةَ الكُسْعِيِّ^(٢) لما رَأَتْ عَيْنَاكَ ما صَنَعَتْ يَدَاكَ

ثم قال عدى بن مرينا للأسود : أما إذا لم تَظْفَرُ فلا تَعِجْزَنَّ أن تَطْلُبَ بشارك
من هذا المَعْدِيّ الذى فَعَلَ بِكَ ما فَعَلَ . فقد كُنْتُ أُخْبِرُكَ أنَّ مَعْدًا لا يَنَامُ كَيْدُهَا
ومكرها ، وأمرتكَ أن تَعْصِيَه ، فخالَفْتَنِي .

تدبير ابن مرينا
للإيقاع بعدى
ابن زيد

قال : فما تريد ؟ قال : أريد ألا تَأْتِيكَ فائدةٌ من مالك وأرضك إلا عرضتها
على . ففعل . وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة . فلم يكن فى الدهر يوم يأتى
إلا على باب النُّعْمان هَدِيَّةً من ابن مرينا . فصار من أكرم الناس عليه ، حتى
كان لا يَقْضَى فى مُلكه شيئًا إلا بأمر ابن مرينا . وكان إذا ذُكِرَ عدى بن زيد
عند النُّعْمان أحسنَ الثَّنَاءِ عليه وَشَيَّعَ^(٣) ذلك بأن يقول : إن عدى بن زيد فيه
مَكْرٌ وخَدِيعَةٌ ، والمَعْدَى لا يَصْلَحُ إلا هَكَذَا . فلما رأى مَنْ يُطِيفُ بالنُّعْمان منزلةَ
ابن مرينا عنده لَزِمَ موه وتابعوه^(٤) ، فجعل يقول لمن يثق به : إذا رأيتمونى أذكر
عَدِيًّا عند الملك بخير فقولوا : إِنَّه لَكَذْكَ ، ولكنه لا يَسْلَمُ عليه أحد ، وإنه ليقول :
إن الملك - يعنى النُّعْمان - عَامِلُهُ ، وإنه هو ولأه . فلم يزلوا كذلك حتى أَضْغَنُوهُ
عليه . فَكَتَبُوا كتابًا على لسانه إلى قَهْرَمَانٍ^(٥) له ، ثم دَسَّوْا إليه حتى أخذوا الكتابَ
منه وأَتَوْا به النُّعْمانَ فقَرَأَهُ . فاشتدَّ غَضَبُهُ ، وأرسل إلى عدى بن زيد : عَزَمْتُ

(١) رثت : ضعفت .

(٢) الكسعى : نسبة إلى كسع ، حى من قيس ، عيلان - وقيل : من اليمن - رماة . والكسعى
هذا الذى يضرب به المثل رجل رام رمى بعد ما أظلم الليل عيرا فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ،
ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه .

(٣) شيع : أتبع . (٤) فى الاصل : « وبأيعوه » .

(٥) القهرمان : أمين الملك وخاصته ، وهو كذلك الخازن والوكيل . فارسى معرب .

عليك إلا زُرْتَنِي . فَإِنِّي قَدْ أَشْتَقْتُ إِلَى رُؤْيَيْكَ . وَعَدِي يَوْمَئِذٍ عِنْدَ كَسْرِي .
فَأَسْتَأْذِنُ كَسْرِي ، فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ حَتَّى حَبَسَهُ فِي مَحْبَسٍ
لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ .

ثم كان من أمره معه ما سئذ كره إن شاء الله تعالى ^(١) .

وذكر أن عدي بن زيد كان سبب تنصر النعمان بن المنذر ، وكان يعبد
الأوثان قبل ذلك .

قيل : إنه خرج لظهر الحيرة ، ومعه عدي بن زيد العبادي ، فمرَّ على المقابر
من ظهر الحيرة ونهرها . فقال له عدي بن زيد . أَبَيْتَ اللَّعْنُ ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ
هذه المقابر ؟ قال : لا . فقال له : تقول :

أَيُّهَا الرَّكْبُ الْمُخْبِيُّ نَعَى الْأَرْضِ الْمُجْدُونُ ^(٢)
وَمَا أَتَمُّ كَذَا كُنَّا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَ

وقيل : بل قال : إنها تقول :

كُنَّا كَمَا كُنْتُمْ حِينًا فَغَيَّرْنَا دَهْرٌ فَسُوفَ كَمَا صِرْنَا تَصِيرُونَ ^(٣)
فأنصرف وقد دخلته رقة . فمكت بعد ذلك يسيراً ، ثم خرج خروجة أخرى ،
فمرَّ على المقابر ومعه عدي ، فقال له : أَبَيْتَ اللَّعْنُ ؟ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقَابِرُ ؟
قال : لا . قال : فإنها تقول :

مَنْ رَأَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قَرْنٍ ^(٤) زَوَالِ
وَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا يَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتَى بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ

(١) انظر بقية أخبار «عدي» فيما سيأتي (ص ٢١٢) من هذا الجزء . (٢) في الأصل : «مجدون» .

(٣) في الأصل : «تكونونا» . (٤) على قرن زوال ، أى على طرف زوال .

والأَبَرِيقُ عَلَيْهَا قَدُمٌ وَجِيادُ الْخَيْلِ تَرْدِي ^(١) فِي الْجِلَالِ
عَمَرُوا دَهْرًا بَعِيشٍ حَسَنِ آمَنِي دَهْرِهِمْ غَيْرَ عَجَالِ
ثُمَّ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالرِّجَالِ
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يَرْمِي بِالْفَتَى فِي طِلَابِ الْعَيْشِ حَالًا بَعْدَ حَالِ

فرجع النعمان وتنصّر. وهو الصحيح .

وَرَوَى الْكَلْبِيُّ أَنَّهُ قَالَ لَعْدَى : أَتُنْتَنِي اللَّيْلَةَ إِذَا هَدَأَتِ الرَّجُلُ لَتَعْرِفَ حَالِي .
فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ قَدْ لَبَسَ الْمَسُوحَ وَتَنَصَّرَ وَتَرَهَّبَ وَخَرَجَ سَائِحًا عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَا يُدْرَى
مَا كَانَتْ حَالُهُ ، وَتَنَصَّرَ وَلَدُهُ بَعْدَهُ ، وَبَنَوْا الْبَيْعَ وَالصَّوَامِعَ .
قُلْتُ : وَأَنْكَرَ أَبُو الْفَرَجِ هَذِهِ الرَّوَايَةَ جَدًّا ؛ فَإِنَّ الَّذِي فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ النُّعْمَانُ
الْأَكْبَرُ جَدُّ النُّعْمَانِ الْأَصْغَرِ ، وَعَدَى لَمْ يَدْرِكْ الْأَكْبَرَ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ عَدَى فِي شَعْرِهِ
الَّذِي خَاطَبَ بِهِ النُّعْمَانُ لَمَّا حَبَسَهُ .

حديث خالد
عن تنصر النعمان

ثُمَّ أَوْرَدَ أَبُو الْفَرَجِ حِكَايَةً تَشْهَدُ بِصَحَّةِ قَوْلِهِ وَبُطْلَانِ رَوَايَةِ الْكَلْبِيِّ ، وَهِيَ :
حَكَى خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ الْأَهْتَمِ قَالَ :

أَوْفَدَنِي يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي وَفْدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ . قَالَ :
فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ وَقَدْ خَرَجَ بِقَرَابَتِهِ وَحَشَمِهِ وَغَاشِيَتِهِ ^(٢) وَجُلَسَائِهِ ، فَنَزَلَ فِي أَرْضِ
قَاعٍ صَحْصَحٍ ^(٣) مُنِيفٍ أَفِيحٍ ^(٤) ، فِي عَامٍ قَدْ بَكَرَ وَسَمِيهِ ^(٥) ، وَتَتَابَعَ وَلِيهِ ^(٦) ،

(١) القدم : ما يوضع في فم الإبريق لتصفية ما فيه من الشراب ؛ الواحد : فدام ، بفتح الفاء وكسرها . وتردى : تعذو وترجم الأرض بحوافرها .

(٢) غاشية الرجل : من ينتابه من زواره وأصدقائه .

(٣) الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغير .

(٤) الأفيح : الواسع .

(٥) الوسمى : مطر الربيع الأول .

(٦) الولي : المطر الذي يلي الوسمى .

وأخذت الأرض فيه زيتتها على اختلاف ألوان نبتتها ، من نور ربيع موني ، فهو في أحسن منظر ومخبّر ومستمطر ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، ضرب له سرادق من حبرة^(١) كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن ، فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها ، وعليه دراعة من خز أحمر مثلها عمامتها . وقد أخذ الناس مجالسهم .

قال : فأخرجت رأسي من ناحية السماء^(٢) ، فنظر إلى شبه المستنطق لي . فقلت : أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه ، وجعل ما قللك من هذا الأمر رُشداً ، وعاقبة ما تؤول إليه حمداً ، وأخلصه لك بالثقي ، وكثره لك بالتماء ، ولا كدر عليك منه ما صفا ، ولا خالط سروره بالردي ؛ فلقد أصبحت للمؤمنين ثقةً ومُستراحاً ، إليك يقصدون في مظالمهم ، ويفزعون في أمورهم . وما أجد شيئاً يا أمير المؤمنين هو أبلغ في قضاء حقك ، وتوقير مجلسك ، وما من الله عز وجل على به من مجالستك ، من أن أذكرك نعم الله عليك ، وأنبئك لشكرها . وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك ؛ فإن أذن أمير المؤمنين أخبرت به .

قال : فاستوى جالسا ، وكان متكئاً ، وقال : هات يا بن الأهم . قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامك هذا إلى الخورنق^(٣) والسدير^(٤) ، في عامٍ قد بكر وسميه ، وتتابع وليه ، وأخذت الأرض فيه زيتتها على اختلاف ألوان نبتتها ، في ربيع موني ، فهو في أبهج منظر وأحسن مخبر ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، وقد كان أعطى فتاء السن

(١) الحبرة : ضرب من نسيج اليمن فيه نقط سود .

(٢) السماء : جمع سمط ، أو هو الصف من الناس وغيرهم .

(٣) سيأتي حديث الخورنق . (ص ٢١١) من هذا الجزء .

(٤) السدير : نهر بالحيرة . وقيل : قصر في الحيرة من منازل آل المنذر .

مع الكثرة والغلبة والقهر ، فأبعد النظر ثم قال مجلسائه : لمن مثلُ هذا ؟ وهل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ أو هل أعطى أحدٌ مثل ما أُعْطِيتُ . قال : وعنده رجلٌ من بقايا سحابة الحجة ، والمضى على أدب الحق ومنهاجه - قال : ولم تخلُ الأرض من قائم لله عز وجل بحجة في عباده - فقال : أيها الملك : إنك سألت عن أمرٍ ، أفتأذن لي في الجواب عنه ؟ قال : نعم . قال : رأيته هذا الذي أنت فيه ؟ أشيء لم تزل فيه ، أم صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنك وصائرٌ إلى غيرك كما صار إليك ؟ قال : كذلك هو . قال : فلا أراك أُعجبت إلا بشيء ^(١) يسيرٌ تكون فيه قليلاً وتغيب عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مُرتهناً . قال : ويحك ! فأين المهربُ وأين المطلب ؟ قال : إماماً أن تُقيم في ملكك فتعملَ بطاعة ربك على ماساءك وسرك ، وأمضك ^(٢) وأرمضك ^(٣) ؛ وإماماً أن تضعَ تاجك ، وتخلعَ أطمارك ، وتلبسَ أمساحك ، وتعبدَ ربك حتى يأتبك أجلك . قال : فإذا كان السحر فاقرعْ على بابي فأني مختارٌ أحد الرأيين ، فإن اخترتُ ما أنا فيه كُنتَ وزيراً لا يُعصى ، وإن اخترتُ فلوأت الأرض وقفرَ البلاد كنتَ رقيقاً لا تُخالف . قال : فقرع عليه عند السحر ، فإذا هو قد وضع تاجه ووضع أطماره ولبس أمساحه وتهياً للسياحة . فلزم ما والله الجبل حتى أتاها الأجل . فهو حيث يقول عدى بن زيد أخو بني تميم :

أيُّها السَّامِتُ المُعَيَّرُ بالله
رَأَيْتُ الْمُبْرَأَ الْمَوْفُورَ

أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْإِيْسَامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ

مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ أَبْقِينَ أَمْ مَنْ

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشِرُ
وَأَنْ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ

(١) عجب وأعجب ، بمعنى ، يقالان في الاستحسان . وقيل : أعجب ، في الاستحسان ؛

وتعجب ، في الإنكار .

(٢) أمضك : شق عليك .

(٣) أرمضك : أوجعك .

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دج
شاده مرمرًا وجلله كد
لم يهبه ريب المنون فبادا
وتذكر رب الخورنق إذا أش
سره ماله وكثرة ما يم
فارغوى قلبه وقال وما غب
ثم بعد الفلاح والملك والإمة
ثم صاروا كأنهم ورق جف
قال : فبكى والله هشام حتى أخضلت لحيته وبُلت عمامته ، وأمر بنزع أبيته ،
وأنتقال قرابته وأهله وغاشيته من جلسائه ، ولزم قصره . فأقبلت الموالى والحشم
على خالد بن صفوان وقالوا : ما أردت إلى أمير المؤمنين ! أفسدت عليه لذته ونغصت
عليه مأدبته ^(٥) ! فقال : إليكم عني ، فإني عاهدت الله عز وجل ألا أخلو بملك إلا ذكرته
الله جل وعز .

ثم ذكر أبو الفرج خبر الحضر وصاحبه ، وخبر الخورنق وصاحبه ، لجران
ذكرها في هذا الشعر .

فأما ذكر الحضر وصاحبه

فقد ذكر أن الحضر كان قصرًا بجبال تكريت ، بين دجلة والفرات . وصاحبه
الذى ذكره عدى بن زيد هو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرم بن عمرو
ابن النخع بن سليح ، من بني يزيد بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وأمه
جيهلة ^(٦) امرأة من بني يزيد بن حُلوان ، أخى سليح بن حُلوان ، وكان لا يعرف إلا بأمه
هذه ، وكان ملك تلك الناحية وسائر أرض الجزيرة ، وكان معه من بني الأجرم وسائر

(١) الخابور : نهر بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة .

(٢) معرضا : أى متسعا . (٣) الإمة : النعمة . (٤) ألوت به : ذهب به .

(٥) فى بعض أصول الأغاني : « جيهلة » . (٦) فى الأصل . « باديته »

قبائل قُضاة مالا يحصى، وكان مُلكه قد بلغ الشَّام . فأغار الضَّيَّزُ فأصاب أُختًا
لسابور ذى الأكتاف^(١)، وفتَح مدينة نهرشير وفتك فيهم .

ثم إن سابور ذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم ، فأقام على الحضر أربع سنين
لا يستغل منهم شيئاً . ثم إن النّضيرة بنت الضَّيَّز عرّكت - أى حاضت - فأخْرِجَتْ إلى
الرَّبَضِ^(٢) . وكانت من أجمل أهل دهرها ، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا
حِضْنَ . وكان سابور من أجمل أهل زمانه ، فراها وراثة وعشّقها وعشّقته . فأرسلت
إليه : ما تجعل لى إن دلّلتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبى ؟ قال : أحمك
وأرفعك على نسائى وأخصّك بنفسى دونهن . قالت : عليك بحمامة مطوّقة ورّقاء
فاكتب فى رجلها بحمض جارية بكر تكون زرقاء ، ثم أرسلها فإنها تقع على حائط
المدينة ، فتتداعى المدينة . وكان ذلك طلسمها لا يهدمها إلا هو . ففعل وتأهب لهم ،
وقالت له : أنا أسقى الحرس الحمر ، فإذا صرعوا فاقتلهم وادخل المدينة . ففعل وتداعت
المدينة ، وفتحها سابور عنوة ، وقتل الضَّيَّزَ وأباد بنى العبيد ، وأفنى قضاة الذين
كانوا مع الضَّيَّزَ ، ولم يبق منهم باقى إلى اليوم يُعرف ، وأصيّبت [قبائل] حُلوان ،
وأنقضوا ودَرَجُوا . وأخرب سابور المدينة وأحتمل النّضيرة بنت الضَّيَّزَ ،
وأعرس بها بعين التمر^(٣) . فلم تزل ليلتها تتصور من خشونة فى فرشها ، وهى من
حرير محشوة بالقز . فالتمس ما كان يؤذيها ، فإذا هى ورقة آسٍ ملتصقة بعكّنة
من عُكّنها ، قد أثّرت فيها . قال : وكان يُنظر إلى مُحّها من لين بشرتها .
فقال لها سابور : ويحك ! بأى شىء كان أبوك يغذوك ؟ قالت : بالزُّبدِ والمنخ

(١) ذكر ياقوت فى معجم البلدان فى رسم « الحضر » أن صاحب القصة إنما هو سابور
ابن أردشير ، لا سابور ذو الأكتاف ، وهو سابور ابن هرمز . وقال : « إنما ذكرت ذلك لأن
بعضهم يغلط ويروى أنه ذو الأكتاف » . وسيشير إلى ذلك ابن واصل صاحب التّجريد فى نهاية القصة
(ص ٢١) نقلاً عن الطبرى من هذا الجزء . (٢) الرّبض : ما حول المدينة من خارج .
(٣) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة .

وشهد الأ Bakar من النحل وصفوة الحمر. فقال : وأبيك ، لأنا أقرب عهداً بمعرفتك ،
وآثر لك من أهلك الذي غذاك بما تذكرين ! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جموحاً
وضفر غداً لها بذنبه ، ثم استركضه فقطعها قطعاً .

قلت : الذي ذكره أبو جعفر الطبري في تاريخه : إن صاحب هذه الواقعة
هو سابور بن أردشير بن بابك ، وهو جد سابور ذي الأكتاف .

خبر الخورنق

وأما خبر الخورنق وصاحبه :

فإنه ذكر أن النعمان الأكبر — وهو ابن أمي القيس ، الذي تقدم نسبه
في ذكر نسب النعمان الأصغر . وأمه الشقيقة وبها يعرف — بن الخورنق .
وسبب بنائه له أن يزدد جرد بن سابور كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل
صحيح من الأدوية والأسقام ، فدل على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور بن يزدد جرد
إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عامله على أرض العرب ، وأمره أن يبني
الخورنق مسكناً له ولأبنه ويُنزله إياه معه ، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب .
وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له «سِنَمَار» . فلما فرغوا من بنائه عجبوا من حسنه
وإتقان عمله . فقال : لو علمت أنكم توفوني أجرى وتصنعون بي ما أستحقه
لمنيتته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت . فقالوا : وإنك لتبني ما هو أفضل منه
ولم تبنيه ! ثم أمر به فطرح من رأس الجوسق^(١) .

وفي رواية : إنه قال : أنا أعرف في هذا القصر موضع عيب إذا هدم تداعي
القصر أجمع . فقال له : أما والله لا تدل عليه أحداً أبداً ! ثم رمى به من أعلى
القصر . فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة ، منها قول أبي الطمّحان القيني :

جزاء سِنَمَارٍ جزوها وربّها وباللّاتِ والعُزّى جزاء المكفر

(١) الجوسق : القصر .

وقال عبدُ العُزَّى بنُ أُمريّ القيس الكَلْبِيّ :

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنَارٍ وَمَا كَانَ ذَنْبِ
سَوَى رَصِّهِ الْبُنْيَانِ عِشْرِينَ حِجَّةً يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالْقَرَامِيدِ^(١) وَالسَّكَبِ
وعلا أَمْرُ النُّعْمَانِ الْأَكْبَرُ هَذَا . وَأَعْطَاهُ يَزْدَجِرْدَ كَتِيبَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا
مِنْ تَنْوُخٍ : وَتُسَمَّى دَوْسَر . وَالْأُخْرَى مِنَ الْفُرْسِ ، وَتُسَمَّى الشَّهْبَاءِ . كَانَ يَغْزُو
بِهِمَا بِلَادَ الشَّامِ ، وَكُلَّ مَنْ لَمْ يَدِنْ لَهُ مِنَ الْعَرَبِ . فَجَلَسَ يَوْمًا يُشْرِفُ مِنْ
الْخَوْرَنَقِ ، فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ مُلْكِهِ . ثُمَّ جَرَى لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي خَبَرِ
خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ .

رجع الحديث

إلى بقية أخبار عدى بن زيد العبادي

وَلَمَّا حَبَسَ النُّعْمَانُ الْأَصْغَرُ بْنُ الْمُنْذِرِ عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ وَطَالَ حَبْسُهُ ، جَعَلَ يَقُولُ
الشَّعْرَ . فَمِمَّا قَالَهُ قَصِيدَتُهُ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي خَبَرِ خَالِدٍ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

حبسه وشعره
الى النعمان

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ الْهَمَامِ وَيَأْتِيهِ لَيْتَ بَخْبَرِ الْأَبْنَاءِ عَطْفُ السُّؤَالِ
أَيْنَ عَنَّا إِخْطَارُنَا الْمَالَ وَالْأَنْفُسَ إِذْ نَاهَدُوا لِيَوْمٍ^(٢) الْمِحَالِ
وَنِصَالِي فِي جَنْبِكَ النَّاسِ يَرْمُونَ نَ وَأَرْحَى وَكُلُّنَا غَيْرُ^(٣) آلِي
فَأُصِيبُ الَّذِي تُرِيدُ بِلَا غِشٍّ وَأَرْبِي عَلَيْهِمْ وَأُوَالِي
ومنها قوله في قصيدة طويلة :

أَبْلَغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَالُكَ^(٤) أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَأَنْتَظَرِي

(١) القراميد : جمع قرمد ، وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص .

(٢) إخطار المال والنفوس : بذلها وجعلها خطراً . وناهدوا : ناهضوا . والمحال :

الكيد أو المكر .

(٣) غير آلي : غير مقصر . (٤) المالك ، بفتح اللام وضمها : الرسالة .

لو بغير الماء حلقى شرق^(١) كنت كالغصان بالماء^(١) اعتصاري
في قصائد كثيرة كان يقولها ويكتب بها إليه ، فلا تغنى عنه شيئاً .
ومما قاله في الحبس :

ليس شئ على المنون بباقي غير وجه المسبح الخلاق
إن نكن أمين فاجأنا شر^(٢) مصيب^(٢) ذا الود والإشفاق
فبري صدرى من الظلم للرب^(٢) ب^(٢) وحنث^(٢) بمعقد^(٢) الميثاق
ولقد ساءنى زيارة ذى قر^(٢) بى حبيب^(٢) لودنا مشتاق
ساء ما بنا تبين^(٢) فى الأي^(٢) دى وإشفاقها^(٢) إلى الأعناق^(٢)
فاذهبى يا أميم^(٢) غير بعيد^(٢) لا يؤاتى العناق من فى الوثاق^(٢)
واذهبى يا أميم^(٢) إن يشأ الله^(٢) ه^(٢) يُنفس من أزم^(٢) هذا الخناق^(٢)
أوتكن^(٢) وجهه فتلك سبيل^(٢) الناس لا تمنع الخوف الرواق^(٢)
ومنها :

يا أبا مسهر فأبلغ رسولا^(٢) إخوتى إن أتيت صحن العراق
أبلغاً عامراً وأبلغ أخاد^(٢) أنتى موثق^(٢) شديد^(٢) وثاق^(٢)
فى حديد القسطاس^(٢) يرقبى الحا^(٢) رس^(٢) والمرء كل شئ يلاق^(٢)
فاركبوا فى الحرام فكوا أحاكم^(٢) إن عيراً قد جهزت لأطلاق^(٢)
يعنى «بالحرام» : الشهر الحرام .

وكتب أيضاً إلى أخيه أبى بن زيد ، وهو عند كسرى أبرويز :

أبلغ أيباً على نأيه وهل ينفع المرء ما قد علم

شعره إلى أخيه
وسعى أخيه لإطلاقه
وحديث ذلك

(١) الاعتصار : أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلاً قليلاً ليسيفه .

(٢) معقد الميثاق : أوكده .

(٣) الإشفاق : أن تغل اليد إلى العنق . والذى فى الأصل : «وايثاقها» .

(٤) فى الأصل : «يا أمى» . (٥) الأزم - الشدة . (٦) فى الأصل : «إن» .

(٧) حديد القسطاس ، أى حديد القبان . عن ابن منظور .

بأنَّ أخاك شقيقَ الفؤا دِ كُنْتَ به واثقاً^(١) ما سَلِمَ
لدى مَلِكٍ مُوثِقٌ في الحدي دِ إمّا^(٢) بحقٍّ وإمّا ظَلِمَ
فأَرْضَكَ أَرْضَكَ إن تَأْتِنَا تَمَ نومةً ليس فيها حُلْمَ

فلما قرأ أبيُّ كتابَ عديَّ قام إلى كِسرى فكلَّمه في أمره وعَرَفه خبره . فكتب إلى النُّعمان يأمره بإطلاقه . وبعث معه رجلاً ، وكتب خليفة النُّعمان إليه : [إنه] قد كُتِبَ إليك في أمره . وأتى النُّعمانُ أعداءَ عديَّ ، فقالوا له : أقتله الساعة . فأبى عليهم . وجاء الرسولُ ، وقد كان أخو عديَّ رِشا الرسولَ وتقدَّم إليه أن يبدأ بعديَّ فيدخل عليه وهو محبوس ، فقال له : ادخل عليه وانظر ما يأمرُك به فامتثلْه . فدخل الرسولُ على عديَّ ، فقال له : إني قد جئتُ بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذي تُحب ، ووَعده عدةً سنِيَّةً وقال له : لا تخرجنَّ من عندي ، وأعطني الكتابَ حتى أرسله إليه ، فإنك والله لئن خرجتَ لأقتلنَّ . فقال : لا أستطيع إلا أن آتيَ الملكَ بالكتاب فأوصله إليه .

فانطلق بعضُ من كان هناك من أعدائه ، فأخبر النُّعمانَ أن رسولَ كِسرى دخل على عديَّ وهو ذاهبٌ به ، وإن فعلَ والله لم يَسْتَبِقْ مِنَّا أحداً : أنت ولا غيرك . فبعث إليه النُّعمانُ أعداءه فغمَّوه^(٣) حتى مات ، ثم دَفَنوه . ودخل الرسولُ إلى النُّعمان فأوصل الكتابَ إليه . فقال : نعم وكرامةً ، وأمر له بأربعة آلافٍ مِثقالِ ذهبٍ وجاريةٍ حسناء ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخلُ أنت بنفسك فأخرجْه . فلما أصبحَ ركبَ فدخل السجَنَ . فأعلمه الحرسُ أنه قد مات منذ أيام ، ولم نَجْترِءْ على إخبار الملكِ خوفاً منه ، فقد علمنا كرامته لموته . فرجع إلى النُّعمان ، فقال : إني كنتُ دخلتُ أمسٍ على عديَّ وهو حيٌّ ، وجئتُ اليوم فجددني السَّجَّانَ وبهتني^(٤) وذكر أنه

(١) في الأصل : « وإلها » . (٢) في الأصل : « لحق » مكان « بحق » .

(٣) غمَّوه : أي غطوا وجهه . (٤) بهتني : قابله بالكذب .

قد مات منذ أيام . فقال له النعمان : أبيعك بك الملك إلى فتدخل إليه قبلي ! كذبت ! ولكنك أردت الرشوة والخُبث ، وتهدده . ثم زاده جائزة وأكرمه ، وتوثق منه ألا يُخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يُقدّم عليه . فرجع الرسول إلى كسرى وقال : إني وجدت عدياً قد مات قبل أن أدخل عليه . وندم النعمان على قتل عدي ، وعرف أنه احتيل عليه في أسره ، وأجترأ أعداؤه عليه وهاهبهم هينةً شديدة .

ابن عدي يكتب
للنعمان

ثم إنه خرج إلى الصيد ذات يوم : فلقى ابناً لعدي يقال له : زيد . فلما رآه عرف شبهه فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا زيد بن عدي . فكلّمه ، فإذا غلامٌ ظريف ، ففرح به فرحاً شديداً وقرّبه وأعطاه ووصله ، واعتذر إليه من أمر أبيه وجهزه . ثم كتب إلى كسرى : إن عدياً كان ممن أُعِين به الملك في نصحه ولُبّه ، فأصابه مالا بُد منه ، وأنقطعت مدّته وانقضى أجله ، ولم يُصب به أحدٌ أشدّ من مُصيبتي ؛ وأمّا الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلا جعل الله له منه خلفاً ، لما عظم الله من ملكه وشأنه . وقد بلغ أبني له ليس بدونه ، رأيته يصلح لخدمة الملك فسرحته إليه . فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليفعل ، وليصرف عمه عن ذلك إلى عمل آخر . فكان هو الذي يلي المكتبة عن الملك إلى ملوك العرب في أمورها وفي خواصّ أمور الملك . وكانت له وظيفةٌ مَوْظَفةٌ في كل سنة : مُهران أشقران ، والكمّاة الرّطبة في حينها ، واليابسة والأقبط ، وسائر تجارات العرب . وكان زيد بن عدي يلي ذلك له . وكان هذا عمل عدي .

فلما وقع زيد بن عدي عند الملك هذا الموقع ، سأله كسرى عن النعمان ، فأحسن الثناء عليه . ومكث على ذلك سنواتٍ على الأمر الذي كان أبوه عليه ، وأعجب به كسرى . وكان يُكثر الدخول عليه والخدمة له .

كيد زيد للنعمان
عند كسرى

وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، وكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصّفة ، فإذا وجدت حُمِلت إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب . فأمر فكتب بها إلى النواحي . ودخل إليه زيد بن

عدى وهو في ذلك القول ، فخطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إني رأيتُ
 الملك كتب في نسوة يُطلَبُن له ، وقرأت الصفة ، وكنتُ بال المُنذر عارفاً ،
 وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه أكثر من عشرين امرأة على هذه
 الصفة . قال : فاكتب فيهن . قال : أيها الملك ، إن شرَّ شيء في العرب وفي النعمان
 خاصّة أنهم يتكرمون — زعموا في أنفسهم — عن العجم ، فأنا أكره أن
 يُغيَّبهن عمن تبعث إليه ، أو يعرض عليه غيرهن ، وإن قدِّمتُ أنا عليه لم يقدر
 على ذلك . فابعتني وابتعتني معي رجلاً من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبه .
 فبعث معه رجلاً فهماً . فخرج به زيد ، فجعل يُكرم الرّجل ويلطفه ، حتى بلغ
 الحيرة . فلما دخل عليه أعظم الملك ، وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده
 وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره [فبعث إليك] . فقال : ماهؤلاء النسوة ؟ فقال :
 هذه صفتهن قد جئنا بها .

وكانت الصّفة أن المُنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جارية كان أصابها
 إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني . وكتب إلى أنوشروان
 بصفتها . وقال : إني قد وجهتُ إلى الملك جارية معتدلة الخلق ، نقيّة اللون والثغر ،
 بيضاء قمراء ، وطفاء ^(١) كحلأ ، دَعَجَاء ^(٢) حوراء ، عَيْنَاء قَنَوَاء ^(٣) ، شَمَاء ^(٤)
 بَرَجَاء ^(٥) زَجَاء ^(٦) ، أَسِيلَةَ أَخَدٍّ ، شَهِيَّةَ الْمُقْبَلِ ، جَثَلَةَ ^(٧) الشَّعَرِ ، عظيمة

(١) وطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين .

(٢) دَعَجَاء : شديدة سواد العين ، شديدة بياضها .

(٣) قَنَوَاء : مرتفعة أعلى الأنف مع احديداب في وسطه وسبوغ في طرفه .

(٤) شَمَاء : مرتفعة قصبه الأنف في حسن .

(٥) بَرَجَاء : جميلة حسنة الوجه .

(٦) زَجَاء : دقيقة الحاجبين في طول .

(٧) جَثَلَةَ الشَّعَرِ : كثيفته سوداؤه .

الهامة ، بعيدة مهوى القُرط ، عَيْطاء^(١) ، عَرِيضة الصَّدْر ، كاعِبَ الثَّدْي ، ضَخمة
 مُشَاش المَنَكِب والعَضُد ، حَسنة المِعصم ، لطيفة الكَف ، سَبَطه البَنان ، ضامِرة
 البَطْن ، خَمِيصة الخَصِر ، غَرثي^(٢) الوِشاح ، رَداح^(٣) الأقبال^(٤) ، رايبة
 الكَفْل ، لَفاء الفَخْذَيْن^(٥) ، رِيًّا الرِّوَادِف ، ضَخمة المَاءِ كَمَتَيْن^(٦) ، مُفَعمة^(٧)
 الساق ، مُشْبعة^(٨) الخَلخال ، لطيفة الكَعْب والقدم ، قَطُوف المشي^(٩) ، مِكَسال^(١٠)
 الضَحى^(١١) ، بَضَّة المتجرد^(١٢) ، سَموعاً للسَّيِّد ، لَيْست بِخَنَساء^(١٣) ولا سَفْعاء^(١٤) ،
 رَقِيقَة الأنف ، عَزِيزَة النَّفْس ، لَمْ تُعَذِّ في بُؤْسٍ ، حَيَّيةَ رَزِينَةٍ ، حَلِيمَةً رَكِينَةً ،
 كَرِيمَةً الخال ، تَقْتَصِر على نَسَبِ أَيْهَا دون فَصِيلَتِهَا ، وَتَسْتَغْنِي بِفَصِيلَتِهَا دون جَمَاعِ
 قَبِيلَتِهَا ، قَدْ أَحْكَمَتِهَا الأُمُور في الأدب ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْل الشَّرَف ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ
 أَهْلِ الحَاجَةِ ، صَنَاعَ الكَفَّيْن ، قَطِيعَةَ اللِّسَانِ^(١٥) ، رَهْوَةَ الصَّوْتِ^(١٦) ، سَاكِنَتِهِ ،
 تَزِينُ الوَلِيَّ^(١٧) ، وَتَشِينُ العَدُوَّ ، إِنْ أَرَدْتَهَا أُشْتَهَتْ ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا أُتْهِتْ ، تُحْمَلِقُ

(١) غيطاء : طويلة العنق .

(٢) غرثي الوشاح : دقيقة الخصر .

(٣) رداح : عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق .

(٤) الأقبال : ما استقبلك .

(٥) لفاء الفخذين : ضخمتها .

(٦) الماء كمتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين .

(٧) مفعمة : ممتلئة .

(٨) مشبعة الخلخال : كناية عن السمن .

(٩) قطوف المشي : متقاربة الخطو .

(١٠) مكسال الضحى : أى لا تكاد تبرح مجلسها .

(١١) المتجرد : أى الجسم . والبضة : الناعمة .

(١٢) خنساء : لاحقة القصبة بالوجه ضخمة الأرنية .

(١٣) سفعاء : سوداء .

(١٤) قطيعة اللسان : غير سليطة .

(١٥) رهوة الصوت : رقيقة سهلة . (١٦) فى الأصل : « المولى » .

عينها^(١)، وتحمّر وجنتها، وتذبذب شفتها، وتبادرك الوثبة إذا قمت، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست.

قال: فقبلها أنوشروان وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه. فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى أبرويز بن هرمز. فقرأ زيد بن عدى هذه الصفة على النعمان، فشقت عليه، وقال لزيد، والرسول يسمع: أما في مهاب السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته؟ فقال الرسول لزيد بالفارسية: ما ألمها والعين؟ فقال له بالفارسية: كاوان، أي البقر. فأمسك الرسول.

وقال زيد للنعمان: إنما أراد الملك كرامتك، ولو يعلم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به. فأنزلها يومين عنده، ثم كتب إلى كسرى: إن الذي طلب كسرى ليس عندي. وقال لزيد: أعذرني عند الملك.

فلما رجعا إلى كسرى قال لزيد للرسول الذي قدم معه: اصدق الملك عما سمعت، فإني سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه. فلما دخلا على كسرى، قال زيد: هذا كتابه [إليك]. فقرأه عليه. فقال له كسرى: وأين الذي كنت خبرتني به؟ قال: قد كنت خبرتك بضمتهم بنسائهم على غيرهم؛ وإن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري على الشبع والرياش، وإيثارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه، حتى إنهم ليسمونها السجج. فسل هذا الرسول الذي كان معي عما قال، فإني أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به. قال للرسول: وما قال؟ فقال له الرسول: [أيها الملك]، إنه قال: أما في بقر فارس والسواد ما يكفيه عن طلب ما عندنا. فعرف الغضب في وجهه، ووقع في قلبه منه ما وقع، ولم يزد على أن قال: رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا، ثم صار أمره إلى التباب! وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان، وسكت كسرى أشهراً.

(١) المخلق من الأعين: ماحول مقلتها بياض لم يخالطه سواد.

على ذلك ، وجعل النعمانُ يَسْتَعِدُّ ويتوقع ، حتى أتى إليه أمرُ كسرى :
أن أقبل ، فإنَّ للملك حاجةٌ إليك .

فأطلق حين أتاه كتابه . فحمل سلاحه وفاقوى عليه ، ثم لحق بجبلى طيئ .
وكانت فرعة^(١) بنتُ سعد بن حارثة بن لأم عنده ، وقد ولدت له رجلاً وامرأة .
وكانت أيضاً عنده زينب بنتُ أوس بن حارثة . فأراد النعمانُ طيئاً على أن يدخلوه
الجبليين [ويمنعوه] ، فأبوا ذلك عليه وقالوا : لولا صهرُك لقتلناك ؛ فإنه لا حاجة بنا
إلى مُعاداة كسرى ولا طاقة لنا به .

وأقبل يطوفُ على قبائل العرب ، ليس أحدٌ منهم يقبله ، غير أن بني زوَاحَة
ابن قُطيعة بن عَبْسٍ قالوا : إن شئتَ قاتلنا معك ، لمنّة كانت له عندهم . فقال :
ما أحبُّ أن أهلكم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى . فأقبل حتى نزل
بذي قار^(٢) في بني شيبان سرّاً ، فلقى هانيء بن قبيصة — وقيل : بل هانيء بن مسعود
[ابن عامر] بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان سيّداً منيعاً ، والبيتُ
يومئذٍ من ربيعة في آل ذي الجَدَّين لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ،
ابن ذي الجَدَّين ، فأجاره هانيء وقال : قد لزمني ذمامُك ، وأنا مانعُك مما أَمْنَعُ نفسي
وأهلي وولدي منه ، مابقي من عشيرتي الأذنين رجُلٌ ، وإنَّ ذلك غيرُ نافعٍ لك ، لأنه
مُهْلِكِي ومُهْلِكُكَ ، وعندى رأى لستُ أشير به لأدفعك عما تريده من
مجاورتى ، ولكنه الصوابُ . فقال : هاته . فقال : إنَّ كُلَّ أمرٍ يَجْمَلُ بالرجُل أن
يكونَ عليه إلا أن يكونَ بعد الملكِ سُوقَةً ، والموتُ نازلٌ بكل أحد ، ولأنَّ تَمُوتَ
كريماً خيراً من أن تتجرَّع الذلَّ أو تَبْقَى سُوقَةً بعد الملك ؛ هذا إن بقيتَ ، فأَمْضِ

(١) في بعض أصول الأغاني : « قزعة » . وفي بعض آخر : « قرعة » .

(٢) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، كانت فيه الوقعة
المشهورة بين بكر بن وائل والفرس .

استجارة النعمان
بسادات العرب ثم
تسليمه نفسه

إلى صاحبك وأهل إليه هدايا ومالاً، وألقِ نفسك بين يديه ، فإمّا أن أصفح عنك
 فعُدّت ملكاً عزيزاً ، وإمّا أن أصابك ، فالموت خيرٌ من أن يتكعّب بك صعاليكُ
 العرب ، ويتخطفك ذبّابُها ، وتأكل مالك وتعيش فقيراً مجاوراً ، أو تقتل مقهوراً .
 قال : فكيف بُحرِمِي ؟ قال : [هُنَّ في ذِمَّتِي لا يُخلص إليهن حتى يُخلص إلى بناتي] .
 فقال : هذا وأبيك الرأي الصحيح ، ولن أجاوره . ثم اختار خيلاً وحللاً من
 عَصَبِ^(١) اليمين ، وجوهرًا وطُرفًا كانت عنده ، ووجهَ بها إلى كسرى ، وكتب
 إليه يعتذر ويُعلمه أنه صائرٌ إليه ، ووجهَ بها مع رسوله . فقبلها كسرى منه وأمره
 بالقدوم . فعاد إليه الرسول وأخبره بذلك ، وأنه لم يرَ عند كسرى سوءًا . فمضى إليه ،
 حتى إذا وصل إلى ساباط^(٢) ، لقيه زيدُ بن عديّ على قنطرة ساباط ، فقال له :
 انْجُ نعيمٍ إن أُستطعت النجاة . فقال له : أفعلتها يا زيدُ ! أمّا والله لئن عشتُ
 لأقتلنك قِتْلَةً لم يقتلها عربيٌّ قطُّ ، ولألحقنك بأبيك ! فقال له زيد : أمض
 لشأنك نعيم ، فلقد والله أخيتُ لك أخيةً^(٣) لا يقطعها المهرُ الأرنُ^(٤) . فلما بلغ
 كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده ، وبعث به إلى سِجْنٍ كان له بخانقين^(٥) . فلم يزل
 فيه حتى وقع الطاعونُ هناك فمات فيه .

وقيل : بل مات بساباط في حبسه . وفي ذلك يقول الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموتِ ربّه بساباط حتى مات وهو مُحْرَقُ

للأعشى في
 موت النعمان

(١) العصب : ضرب من برود اليمن يعصب غزله ، أى يجمع ويشد ، ثم يصبغ وينسج فيأتي
 موشيًا ، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٢) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

(٣) الأخية : العود يعرض في الحائط ويدفن طرفاه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة .
 وقد تخفف الياء ، كما قد تمد الهمزة مع تشديد الياء أيضاً .

(٤) الأرن : الشيط .

(٥) خانقين : بلد بسواد بغداد .

والحرزق : المضيق عليه .

وغضبت له العرب ، وكان قتله سبب وقعة ذي قار .

وقيل : إنه لما نعى النعمان بن المنذر إلى النابغة الذبياني وحُدث بما صنع به ما تمثل به النابغة حين بلغه موته كسرى قال : طلبه من الدهر طالب الملوك ، ثم تمثل :

مَنْ (١) يَطْلُبُ الدَّهْرُ تُدْرِكُهُ مَخَالِبُهُ والدَّهْرُ بِالْوِثْرِ نَاجٍ غَيْرُ مُطْلُوبٍ
مَأمَنُ أَنَاسٍ ذَوِي مَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ إِلَّا يَشْدُو عَلَيْهِمْ شِدَّةَ الذَّيْبِ
حَتَّى يُبِيدَ عَلَى عَمْدٍ سَرَائِهِمْ بالنافذاتِ مِنَ النَّبْلِ الْمَصَائِبِ
إِنِّي وَجَدْتُ سِهَامَ الْمَوْتِ مُعْرَضَةً (٢)

والأبيات التي لعدى التي فيها الغناء ، وأُفتتح بها أبو الفرج أخباره ، هي :

* رَبِّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا (٣) *

وقد ذكرت من شعره الذي تُغنى ، به وهو مشهور ، قوله :

يَا بُنَيَّ أَوْقِدِ النَّارَ إِنَّ مِنْ تَهَوِّينٍ قَدْ حَارَا (٤)
رَبِّ نَارٍ بَتَّ أَرْمُقُهَا تَقْضِمُ الْهِنْدَى وَالْغَارَا (٥)
عِنْدَهَا ظَنِّي يُورَثُهَا عَاقِدٌ فِي الْجِيدِ تَقْصَارَا (٦)

(١) في الأصل : « ما » .

(٢) مغرضة : مصيبة الغرض والهدف . وفي بعض أصول الأغاني : « معرضة » بالعين

المهملة ، أى متعرضة .

(٣) في الأصل : « حولنا » . وعجزه : * يشربون الخمر بالماء الزلال *

(٤) حار : ضل .

(٥) الغار : شجر طيب الريح .

(٦) يورثها : يوقدها ويكثر حطبها . والتقصار : الخنقة .

أخبار الحطيئة

وأسمه جَرْوَلُ بن أوس بن مالك بن جُوَيَّةَ بن مُحْزُوم بن مالك بن غالب
ابن قُطَيْعَةَ بن عَبْس بن بَغِيض بن الرِّيث بن غَطَفَان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان
ابن مُضَر بن نِزَار بن معد بن عدنان .

نسبه

وهو من فُحول الشعراء ومُتقدِّمهم ومن فُصحائهم ، مُتَصَرِّف في جميع فنون
الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب ، مُجيد في ذلك أجمع .

منزلته في الشعر

وكان ذا شَرٍّ وَسَفَهٍ ، ونَسَبُهُ مُتَدَافِعٌ بين قبائل [العرب] . كان يَنْتَمِي
إلى كل واحدةٍ منها إذا غَضِبَ على الأخرى .

شئ عنه

وهو مُحَضَّرٌ ، أدرك الجاهلية والإسلام ، فأسلم ثم أرتد ، وقال في ذلك :

إسلامه وارتداده
وشعره في ذلك

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيالعباد الله ما لأبي بكرٍ
أيورثها بكراً إذا مات بعده وتلك لعمرُ الله قاصمةُ الظهر

ويُكنى الحطيئةُ أبا مَدَكِيَّة . وإنما لُقِبَ الحطيئة لِقَصْرِهِ وقُرْبِهِ من الأرض .
وقيل : بل لأنه ضَرِطَ ضَرْطَةً بين قوم ، فُقِيلَ له : ما هذا ؟ فقال : إنما هي
حُطِيئةٌ^(١) . فَسُمِّيَ الحطيئة .

سبب تلقبيه
بالحطيئة

وذكر أنه كان يدعى أنه ابن عمرو بن علقمة ، أحد بني [الحارث بن]
سَدُوس . وتارة كان ينتمي إلى ذهل بن ثعلبة .

تردده في نسبة

(١) حطيئة : تصغير : حطاة ، وهي فعلة ، من قولهم : حطأ ، إذا ضرت .

وذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ أَنَّهُ كَانَ مَغْمُوزَ النَّسَبِ ، وَأَنَّهُ مِنْ أَوْلَادِ الزُّنَا رَأَى ابْنَ الْكَلْبِيِّ
الَّذِينَ شَرُّفُوا .

وَتَزَوَّجَ الْكَلْبُ بْنُ الْكُنَيْسِ النَّهْشَلِيُّ أُمَّ الْحُطَيْئَةِ ، وَأُسْمِيهَا الضَّرَاءُ ، فَقَالَ شَعْرَهُ فِي هِجَاءِ أُمِّهِ
فِيهَا الْحُطَيْئَةُ يَهْجُوها :

تَنَحَّيْ فَاجْلِسِي مِنِّي بَعِيداً أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَا
أَغْرِبَالاً^(١) إِذَا اسْتُدْعَتْ سِرّاً وَكَانُونَا^(٢) عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا
حَيَاتُكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةً سَوْءَ وَمَوْتُكَ قَدْ يَسُرُّ الصَّالِحِينَ

وَسَأَلَهَا يَوْمًا : مَنْ أَبُوه ؟ فَخَلَطَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ :

تَقُولِ لِي الضَّرَاءُ لَسْتَ لَوَاحِدٍ وَلَا أُثْنِ فَانْظُرْ كَيْفَ شِرْكُ أَوْلِيكَ
وَأَنْتَ أَمْرُؤُ تَبْغِي أَبًا قَدْ ضَلَمْتَهُ هَبْلَتْ أَلْمَا تَسْتَفِقُ مِنْ ضَلَالِكَ

وَكَانَ جَشِعًا سَوْوَلًا مُلْحِفًا دَنَى النَّفْسِ ، بَخِيلًا ، قَبِيحَ الْمَنْظَرِ ، رَثَّ الْهَيْئَةِ ،
فَاسِدَ الدِّينِ ، كَثِيرَ الْهَجَاءِ ، بَذَى اللِّسَانِ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ التَّمَسَّ يَوْمًا إِنْسَانًا يَهْجُوهُ فَلَمْ يَجِدْهُ ، وَضَاقَ عَلَيْهِ ذَلِكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
مِنْ وَلَعِهِ بِالْهَجَاءِ

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمْتُ بِشَرٍّ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
وَجَعَلَ يُدْهَوِرُ هَذَا الْبَيْتَ فِي أَشْدَاقِهِ وَلَا يَرَى إِنْسَانًا ، إِذْ أُطْلِعَ فِي رَاكِي^(٣)

أَوْ حَوْضٍ ، فَرَأَى وَجْهَهُ ، فَقَالَ :

أَرَى لِي وَجْهًا قَبَّحَ^(٤) اللَّهُ خَلْقَهُ فَقَبَّحَ مِنْ وَجْهِ وَقُبَّحَ حَامِلُهُ

وَذَكَرَ أَنَّهُ بَيْنَا سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ يُعَشِّي النَّاسَ بِالْمَدِينَةِ ، وَالنَّاسُ يَخْرُجُونَ أَوَّلًا
فِي حِفْلِ لِسَعِيدِ
ابْنِ الْعَاصِ

(١) الغربال : النمام .

(٢) الكانون : الثقليل الوخم .

(٣) الركي : البئر .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « شوه » .

فأولا ، إذ نظر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر ، رث الهيئة ، جالس مع أصحاب سمره . فذهب الشرطُ يقيمونه ، فأبى أن يقوم . وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دعوا الرجل . فتركوه وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مليا . فقال لهم الخطيئة : والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب . فقال له سعيد بن العاص : أفتعرف من ذلك شيئا ؟ قال : نعم . قال : من أشعر العرب ؟ قال : الذى يقول :

لا أعدُّ الإقتار عُدْمًا ولكن فقدُ من قد رزنته الإعدامُ

وأنشدها حتى أتى على آخرها . فقال : من يقولها ؟ قال : أبو دؤاد الإيادى . قال : ثم من ؟ قال : الذى يقول :

أدرِك^(١) بما شئتَ فقد يدرك بأد جهل وقد يُخدع الأريبُ

ثم أنشدها حتى فرغ منها . قال : ومن يقولها ؟ قال : عبيد بن الأبرص . قال : ثم من ؟ قال : والله لحسبك بى عند رهبة أو رغبة ، إذا رفعت إحدى رجلى على الأخرى ثم عويتُ عواء الفصيل الصادى فى إثر القوافى . قال : ومن أنت ؟ قال : الخطيئة . فرحب به سعيد . ثم قال : أسأت بكتماننا نفسك منذ الليلة . ووصله وكساه .

ومضى لوجهه إلى عتيبة بن النهماس العجليّ فسأله . فقال : ما أنا على عمل فأعطيك من عدده ، ولا فى مالى فضلٌ عن قومي . قال له : فلا عليك ، وانصرف . فقال له بعض قومه : لقد عرّضتنا ونفسك للشر ! قال : وكيف ؟ قالوا : هذا الخطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء . فقال : ردّوه ، فردّوه إليه . فقال له : لم كتمتنا نفسك

هو وعتيبة بن
النهماس

(١) فى بعض أصول الأغاني : « أفلج » أى فز واطفر . وفى بعض آخر : « أفلح »

من الفلاح ، وهو الفوز .

كَأَنَّكَ كُنْتَ تَطْلُبُ الْعِلَلَ عَلَيْنَا ! أَجْلِسْ : فَلكَ عِنْدَنَا مَا يَسُرُّكَ . فجلس ، فقال له :
مَنْ أَشْعَرَ النَّاسِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ^(١) وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمَ
فَقَالَ لَهُ عُتَيْبَةُ : إِنَّ هَذَا مِنْ مُقَدَّمَاتِ أَفَاعِيكَ ! ثُمَّ قَالَ لَوَكَيْلِهِ : أَذْهَبَ مَعَهُ إِلَى
السُّوقِ فَلَا يَطْلُبُ شَيْئًا إِلَّا أُشْرِيتَنَّهُ لَهُ . فَجَعَلَ يَعْضُ عَلَيْهِ الْخَزَّ وَرَقِيقَ الثِّيَابِ
فَلَا يُرِيدُهَا ، وَيُؤْمِي إِلَى الْكَرَابِيسِ^(٢) وَالْأَكْسِيَةِ الْغِلَظِ ، فَيَشْتَرِيهَا لَهُ . حَتَّى قَضَى
أَرْبَعَةَ ثَمَمَ . فَلَمَّا جَلَسَ عُتَيْبَةُ فِي نَادَى قَوْمَهُ أَقْبَلَ الْحُطَيْئَةَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ عُتَيْبَةُ قَالَ :
هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ يَا أَبَا مُلَيْكَةَ مِنْ خَيْرِكَ وَشَرِّكَ . قَالَ : لَقَدْ كُنْتُ قُلْتُ بَيْنَتَيْنِ
فَأَسْمَعُهُمَا . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

سُئِلْتُ فَلَمْ تَبْخُلْ وَلَمْ تَعْطِ طَائِلًا فِسْيَانٌ لَأَدَمَّ عَلَيْكَ وَلَا تَحْمَدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا الْجُودَ مِنْهُ سَجِيَّةٌ فَتُعْطَى وَقَدْ يُعْذَى عَلَى النَّائِلِ^(٣) الْوَجْدُ
ثُمَّ رَغَضَ فَرَسَهُ وَذَهَبَ .

للأحوزي في شعره

وقال أبو صفوان الأحوزي :

مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَوْ أَشَاءَ أَنْ أَجِدَ فِي شَعْرِهِ مَطْعَنًا لَوَجَدْتَهُ ، إِلَّا الْحُطَيْئَةَ .
وَأَنْشَدَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَوْلَ الْحُطَيْئَةِ :

فضله إسحاق
على الشعراء بعد زهير

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ مِنْ عَدِيٍّ عَلَيْهِمْ صَفَاحُ بُصْرَى عُلِّقَتْ بِالْعَوَاتِقِ
إِذَا مَا دُعُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ وَلَمْ يُمْسِكُوا فَوْقَ الْقُلُوبِ الْخَوَافِقِ
وَطَارُوا إِلَى الْجُرْدِ الْعِتَاقِ فَأَلْجَوْا وَشَدُّوا عَلَى أَوْسَاطِهِمْ بِالْمَنَاطِقِ
أُولَئِكَ آبَاءُ الْغَرِيبِ وَغَاثَةُ الصَّ رِيحٍ وَمَأْوَى الْمُرْمَايْنِ^(٤) الدَّرَادِقِ

(١) يفره : أى يبقيه موفرًا طيباً لم ينتقص بشتم . وفرت العرض أفره ، ووفر هو :

أكرم ولم يتبدل . (٢) الكرابيس : ثياب من القطن . فارسى معرب .

(٣) يعدى : يعين . والوجد ، مثلثة الواو : اليسار والسعة .

(٤) الدرداق : الصبيان الصغار ؛ الواحد : دردق .

أَحْلَوْا حِيَاضَ الْمَوْتِ فَوْقَ جِبَاهِهِمْ مَكَانَ النَّوَاصِي مِنْ وُجُوهِ السَّوَابِقِ
ثم قال . أَمَا إِنِّي مَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَعْدَ زُهَيْرٍ أَشْعَرَ مِنَ الْخُطِيبَةِ .

وذكر أنه مرَّ ابْنُ الْحَمَّامَةِ بِالْخُطِيبَةِ ، وَهُوَ جَالِسٌ بِفِنَاءِ بَيْتِهِ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . فَقَالَ : قُلْتَ مَا لَا يُنْكَرُ . قَالَ : إِنِّي خَرَجْتُ مِنْ أَهْلِي بِغَيْرِ زَادٍ . فَقَالَ : مَا ضَعِيفْتُ لِأَهْلِكَ قِرَاكَ . قَالَ : أَفْتَأْذِنْ لِي أَنْ آتِيَ إِلَى ظِلِّ بَيْتِكَ فَأَتَقِفَ أَبَاهُ ؟ قَالَ : دُونَكَ الْجَبَلَ يَفِيَّ عَلَيْكَ . فَقَالَ : أَنَا ابْنُ الْحَمَّامَةِ . قَالَ : أَنْصَرَفَ وَكُنْ ابْنُ أَيِّ طَائِرٍ شِئْتَ .

من بخله

وقيل :

أَتَى رَجُلٌ الْخُطِيبَةَ وَهُوَ فِي غَنَمٍ لَهُ ، فَقَالَ : يَا صَاحِبَ الْغَنَمِ . فَرَفَعَ الْخُطِيبَةُ الْعَصَا وَقَالَ : إِنَّهَا عَجْرَاءٌ مِنْ سَلَمٍ^(١) . فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي ضَيْفٌ . فَقَالَ : لِلضَّيْفَانِ أَعْدَدْتُهَا . فَانْصَرَفَ عَنْهُ .

وقيل : خَرَجَ الْخُطِيبَةُ فِي سَفَرٍ وَمَعَهُ أُمْرَاتُهُ أُمَامَةُ وَابْنَتُهُ مُلَيْكَةُ ، فَنَزَلَ مَنْزِلًا وَسَرَّحَ ذَوْدًا^(٢) . ثَلَاثًا . فَلَمَّا قَامَ فَقَدَ إِحْدَاهَا ، فَقَالَ :

شعر له في
ناقة فقدما

أَذِئْبُ الْقَفَرِ أَمْ ذِئْبُ أَنْيْسٍ أَصَابَ الْبَكْرُ^(٣) أَمْ حَدَثُ اللَّيَالِي
وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُ ذَوْدٍ لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي

وقيل :

لكعب الخبر
في بيت للخطيبة

أَنْشَدَ كَعْبُ الْخَبْرِ^(٤) قَوْلَ الْخُطِيبَةِ :

(١) العجرا : العصا فيها عقد . والسلام : شجر .

(٣) البكر : الفتي من الإبل ، والناقة التي ولدت بطناً واحداً .

(٢) الذود : الثلاث من الإبل إلى العشرة ، مؤنثة لا واحد لها من لفظها .

(٤) الخبر ، بالفتح ويكسر : العالم ، وهو وصف لكعب . وإذا نونت « كعباً » قلت :

كعب الخبر . وإذا لم تنون جاز لك أن تقول : كعب الأحبار .

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنْ هَذَا الْبَيْتَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ .

وصى ابن شداد
ابنه بشعره

وَذُكِرَ أَنَّ عُبَيْدَ^(١) اللَّهَ بْنَ شَدَّادٍ ، لما حضرته الوفاة ، دعا أبنه محمداً وأوصاه ،
وَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنْ دَاعَى الْمَوْتَ لَا يَقْلَعْ ، وَبِحَقِّ أَنْ مَنْ مَضَى لَا يَرْجِعُ ، وَمَنْ
بَقِيَ فَإِلَيْهِ يَنْزِعُ . يَا بُنَيَّ ، لِيَكُنْ أَوْلَى الْأُمُورِ بِكَ تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ،
وَصِدْقُ الْحَدِيثِ وَالنِّيَّةِ ؛ فَإِنَّ الشَّكُورَ مُزَادٌ ، وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ ، كما
قَالَ الْحُطَيْئَةُ :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْأَتْقَى مَزِيدٌ
وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدٌ

كذب به عمر في
بيت قاله

وقيل :

سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَقَالَ : إِنَّهُ
لَبَحْرٌ^(٢) ! فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَذَبَ الْحُطَيْئَةُ حَيْثُ يَقُولُ :
وَإِنْ جِيَادَ الْخَيْلِ لَا تَسْتَفِرُّنَا وَلَا جَاعِلَاتُ الرِّيطِ^(٣) فَوْقَ الْمَعَاصِمِ
وَلَوْ تَرَكَ ذَلِكَ أَحَدٌ لَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

استعطف امرأته
له وقد أراد سفراً

وقيل :

أَرَادَ الْحُطَيْئَةُ سَفْرًا ، فَأَتَتْهُ أُمْرَأَتُهُ ، وَقَدْ قُدِّمَتْ رَاحِلَتُهُ [لِيَرْكَبَ] ، فَقَالَتْ :
أَذْكُرُ تَحَنُّنًا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا

(١) فِي الْأَمَالِي : « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ » .

(٢) أَيْ وَاسِعُ الْجَرَى .

(٣) الرِّيطُ : جَمْعُ رِيْطَةٍ ، وَهِيَ الْمَلَاةُ . ذَاتُ لَفْظَيْنِ . وَهِيَ أَيْضًا كُلُّ ثَوْبٍ لَيْنٍ رَفِيقٍ .

فقال : حُطُّوا ، لا رَحَلْتُ لسفري أبدا .

وذكر أن ابن شبرمة قال : أنا والله عالم بجيّد الشعر ، لقد أحسن الخطيئة

استحسان ابن
شبرمة لشعره

حيث يقول :

أولئك قومٌ إن بنَوْا أحسنوا البني
وإن كانت النِّعماء فيهم جزّوا بها
وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ
من الدهر رُدُّوا فضلَ أحلامكم رَدُّوا

مدحه ابني مقلد
وقد أكرموا جواره

وقيل :

إن الخطيئة أقحمته السنة^(١) ، فنزل بيني مقلد بن يربوع ، فمَشَى بعضهم
إلى بعض فقالوا : إن هذا الرجل لا يسلم من لسانه أحدٌ ، فتعالوا حتى نسأله عما يُحبُّ
فنفعله ، وعما يكره فنَجْتِنبه . فأتوه وقالوا : يا أبا مليكة ، إنك اخترتنا على سائر
العرب ، ووجب حَقُّك علينا ، فمُرْنَا بما تُحبُّ أن نفعله ، وبما تُحبُّ أن ننتهيَ
عنه . فقال : لا تُكثِّروا زيارتي فتملُّوني ، ولا تقطعوا فتوحشوني ، ولا تجعلوا فناء
بיתי مجلساً لكم ، ولا تسمِعُوا بناقي غناء شُبَّانِكُمْ ؛ فإن الغناء رُقِيَّةُ الزَّنا . فأقام
عندهم ، وجمع كلُّ واحدٍ منهم ولده وقال : أمُّكم الطَّلَاقُ ، لئن تَغَنَّى أحدٌ منكم والخطيئة
مُقيم بين أظهرنا لأضربنّه ضربةً بِسَيْفِي أخذتُ منه ما أخذتُ . فلم يزل مُقيماً فيما
يرضى ، حتى أنجلت عنه السَّنةُ ، فأرتحل وهو يقول :

جاورتُ آلَ مقلدٍ فحمدتهم
إذ لا يكاد أخو جوارٍ يُحمدُ
أزمانَ من يردِ الصَّنِيعَةَ يَصْطَنِعُ
فيها ومن يردِ الزَّهَادَةَ^(٢) يزهدُ

(١) السنة : الجذب . وأقحمته : أوقعته في شدة وضيق .

(٢) رفع المضارع الواقع جواباً لفعل شرط مضارع جائز في غير الضرورة ، وإن كان

خلاف الأصح . ولو روى « يزهد » بالكسر دخل الشعر الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروي
رفعا وجرا .

خبره مع الزبرقان
ابن بدر

وَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّبْرَقَانَ بْنَ بَدْرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ خَلْفِ
ابْنِ بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ عَمَلًا — واسم
الزَّبْرَقَانَ الْحَصِينَ ، وَإِنَّمَا سَمِيَ الزَّبْرَقَانَ لِحُسْنِهِ ، شُبِّهَ بِالْقَمَرِ . وَقِيلَ : بَلْ لَأَنَّهُ
لَبِسَ عِمَامَةً مُزَبْرَقَةً ^(١) بِالزَّعْفَرَانِ فَسُمِيَ الزَّبْرَقَانَ بِذَلِكَ . وَالزَّبْرَقَانُ ،
فِي اللُّغَةِ الْقَمَرُ . وَالزَّبْرَقَانُ أَيْضًا : الرَّجُلُ الْخَفِيفُ اللَّحْيَةِ — فَبَقِيَ عَلَى
عَمَلِهِ حَتَّى تُوُفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقْرَبَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَمَلِهِ . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ لِيُؤَدِّيَ صَدَقَاتِ قَوْمِهِ . فَلَقِيَهُ الْحُطَيْئَةُ بَقْرَقَرَى ^(٢) وَمَعَهُ ابْنَادُ : أَوْسٌ ، وَسَوَادَةٌ ،
وَبَنَاتُهُ وَأَمْرَاتُهُ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ مُجْدِبَةٍ . فَقَالَ لَهُ الزَّبْرَقَانُ ، وَقَدْ عَرَفْتَهُ وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْحُطَيْئَةُ : أَيْنَ
تُرِيدُ؟ قَالَ : الْعِرَاقَ ، فَقَدْ حَطَّمْتَنَاهُ هَذِهِ السَّنَةَ . قَالَ : وَتَصْنَعُ مَاذَا؟ قَالَ : وَدِدْتُ أَنْ
أَصَادَفَ بِهَا رَجُلًا يَكْفِينِي مُؤُونَةَ عِيَالِي وَأَصْفِيهِ ^(٣) مَدْحِي أَبَدًا . فَقَالَ لَهُ الزَّبْرَقَانُ :
قَدْ أَصْبَتَهُ ، فَهَلْ لَكَ فِيهِ يُوسِعُكَ لَبْنًا وَتَمْرًا وَيُجَاوِرُكَ أَحْسَنَ جَوَارٍ وَأَكْرَمَهُ؟ فَقَالَ
الْحُطَيْئَةُ : هَذَا وَأَبْيَكُ الْعَيْشُ ! وَمَا كُنْتُ أَرْجُو هَذَا كُلَّهُ . قَالَ : فَقَدْ أَصْبَتَهُ . قَالَ :
عِنْدَ مَنْ؟ قَالَ : عِنْدِي . قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرِ . قَالَ : وَأَيْنَ
مَحَلُّكَ؟ قَالَ : أُرْكَبُ هَذِهِ النَّاقَةَ وَاسْتَقْبِلُ مَطْلَعِ الشَّمْسِ ، وَسَلُّ عَنْ الْقَمَرِ حَتَّى تَأْتِيَ
مَنْزِلِي ، فَيَسِرُّ إِلَى أُمِّ شَذْرَةَ ، وَهِيَ أُمُّ الزَّبْرَقَانَ وَعَمَّةُ الْفَرَزْدَقِ . وَكَتَبَ إِلَيْهَا : أَنْ
أَحْسِنِي إِلَيْهِ وَأَكْثِرِي لَهُ مِنَ اللَّبَنِ وَالتَّمْرِ . وَقِيلَ : بَلْ أَرْسَلَهُ إِلَى زَوْجَتِهِ ، وَهِيَ
هَنْيْدَةُ بِنْتُ صَعْصَعَةَ بِنِ نَاجِيَةِ الْمُجَاشِعِيَّةِ . فَأَكْرَمَتْهُ الْمَرْأَةُ وَأَحْسَنْتُ إِلَيْهِ . فَبَلَغَ
ذَلِكَ بَغِيضَ بْنَ عَامِرِ بْنِ شَمَّاسِ بْنِ لَأْيِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ أَنْفُ النَّاقَةِ بْنِ قُرَيْعٍ
ابْنِ عَوْفٍ ^(٤) بَنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، وَبَلَغَ إِخْوَتَهُ وَبَنِي عَمِّهِ ،

(١) مزبرقة : مصبوغة بجمرة أو صفرة .

(٢) قرقري : أرض باليمنية .

(٣) أصفيه : أخلصه .

(٤) في الأصل : « عمرو » . تحريف .

وكانوا يَغضبون من تَلْقِيبِ أباهم جعفرًا بأنف الناقة — وإنما سُمِّي جعفرٌ بأنف الناقة ، لأنَّ أباه قُرَيْعًا نَحَرَ ناقةً فقسَّمها بين نساءه ، فبعثت جعفرًا هذا أمَّهُ ، وهى الشَّمُوسُ ، من وائل ثم من سَعْد هُذَيْم ، فأتى أباه ولم يَبْق من النّاقة إلَّا رأسُها وعُنُقُها ، فقال : شأنك بهذا . فأدخل يده فى أنفها وجَرَّ ما أعطاه . فكانوا لذلك يَغضبون من هذا اللَّقب ، حتى مدَّحهم الحطيئةُ فقال :

قومٌ هم الأنف والأذنبُ غيرُهُم ومَن يُسوِّى بأنف النّاقة الذَّنْبَا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً ، فكانوا يُنازعون الزُّبرقان الشرفَ — وكانوا أشرفَ من الزُّبرقان إلا أنَّه قد كان استعلاهم بنفسه . وكان الحطيئةُ قبيحَ المنظر ، وكان عياله كذلك . فلما رأت أمُّ شَذْرَةَ حاله هان عليها وقصَّرت به . ورأى بنو أنف النّاقة وبَغِيضٌ ما تصنع به أمُّ شَذْرَةَ ، فأرسلوا إليه : أن ائْتِنَا . فأبى عليهم وقال : إنَّ من شَأْنِ النِّسَاءِ التَّقْصِيرَ والغَفْلَةَ ، ولستُ بالذى أحمل على صاحبها ذَنْبَهَا ؛ فإن تُرَكْتُ وجُفِيتُ تحوَّلتُ إليكم . فأطمعوه ووعدوه وعداً عظيماً . وقيل : لما لم يُجِبْهم دَسُّوا إلى هُنَيْدَةَ ، زوجة الزُّبرقان ، أن الزُّبرقان يُريد أن يتزوَّج ابنته مُليكة ، وكانت جميلةً . فظهرت من المرأة للحطيئة جفوةً ، وهى فى ذلك تُداريه ، ثم أرادوا النُّجعة .^(١) فقالت له هُنَيْدَةُ : قد حَضَرَتِ النُّجعةُ فأركب أنت وأهلك هذا الظَّهْرَ إلى مكان كذا وكذا ، ثم اُردِّدْهُ إلينا حتى نَلْحَقَكَ ؛ فإنه لا يَسْعُنَا جميعاً . فأرسل إليها : بل تقدِّمى فأنت أحقُّ بذلك . ففعلت وتثاقلت عن رَدِّها^(٢) إليه ، وتركته يومين أو ثلاثةً ، وألحَّ بنو أنف النّاقة عليه ، وقالوا : قد تُرَكْتُ بمَضِيعَةٍ . وكان أشدَّهم فى ذلك قولاً بَغِيضُ بن شِمَّاس ، وعَلَقْمَةُ بن هَوْدَةَ . وكان الزُّبرقان قد قال فى عَلَقْمَةِ :

(١) النُّجعة : طلب الكَلَا .

(٢) يريد : الظَّهر . وهو مذكر ، إلا أنه أنثى الضمير ملتفتاً إلى أن معناه : الدابة . وهى تقع على الأنثى والمذكر .

لِي أَبْنُ عَمَّ لَا يَزَالُ يَعِينِي وَيُعِينُ عَائِبُ
وَأَعِينُهُ فِي النَّبَاتِ لَا تَلَا يَعِينُ عَلَى النَّوَابِ
تَسْرِي عَقَارِبُهُ إِلَى وَلَا تَدْبُّ لَهُ عَقَارِبُ
لَاهِ (١) ابْنُ عَمِّكَ لَا يَخَافُ الْمُخْزِيَاتِ مِنَ الْعَوَاقِبِ (٢)

وكان علقمة ممتلئاً غيظاً عليه . فلما ألحوا على الحطيئة أجابهم وقال : أمّا الآن
فنعم ، أنا صائرٌ معكم . فتحمل معهم ، فضرّبوا له قبةً ، وربطوا بكل طنب من
أطناها جلة (٣) هَجَرِيَّة ، وأراحوا (٤) عليه إبلهم ، وأكثروا له من اللبن والتمر ،
وأعطوه لقاحاً (٥) وكسوة . فلما قدّم الزّبرقان سأل عنه ، فأخبر بقصته ، فنادى في
بهذلة بن عوف . وركب الزّبرقان فرسه ، وأخذ رُمحه ، وسار حتى وقف على
نادى بنى شماس القرّيعيين فقال : ردّوا عليّ جاري . فقالوا : ما هو لك بجاري ،
وقد أطرحته وضيّعته . فألم (٦) أن يكون بين الحيين حرب . فحضرهم أهل الحيجا
من قومهم ، فلاموا بغيضاً وقالوا : أردّد على الرجل جاره . فقال : لست تُخرجه
وقد آويته ، وهو رجلٌ حرٌّ مالكٌ لأمره ، فخيّروه فإن اختراني لم أخرجّه ،
وإن اختاره لم أكرهه . فخيّروا الحطيئة ، فأختار بغيضاً ورهطه . فجاء الزّبرقان
فوقف عليه وقال : أبا مليكة ، فارقت جوارى عن سُخْطٍ وذمّ ؟ قال : لا .
فأنصرف وتركه .

وقيل :

أستعدى الزّبرقان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه على بغيض ، فحكم عمرُ

(١) لاه : لله . (٢) في بعض أصول الأغاني : « المحزنات » .

(٣) الجلة : وعاء من خوص للتمر .

(٤) إراحة الإبل : ردها في العشى .

(٥) اللقاح : جمع لقوح ، وهى الناقة الحلوب .

(٦) ألم : قرب وأوشك .

أَنْ يُخْرِجَ الحَطيئةَ حَتَّى يُقَامَ فِي مَوْضِعٍ خَالٍ بَيْنَ الحَيَّيْنِ وَحَدَهُ ، وَيُخَلِّي سَبِيلَهُ ،
وَيَكُونُ جَارَ أَيُّهُمَا اخْتَارَ . ففَعَلَ ذَلِكَ بِهِ ، فَاخْتَارَ القُرَيْعِيِّينَ . وَجَعَلَ الحَطيئةَ
يَمْدَحُهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَهْجُوا الزَّبْرَقَانَ ، وَهُمْ يَحْضُونَهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُحَرِّضُونَهُ ، فَيَأْتِي
وَيَقُولُ : لَا ذَنْبَ لِلرَّجُلِ عِنْدِي . حَتَّى أَرْسَلَ الزَّبْرَقَانُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ النَّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ ،
فَهَجَا بَغِيضًا ، فحينئذٍ قَالَ الحَطيئةُ ، يَهْجُوا الزَّبْرَقَانَ وَيُفَاضِلُ عَنْ بَغِيضٍ ، قَصِيدَتَهُ
الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

والله ما مَعَشَرٌ لَامُوا أَمْرًا جُنُبًا	فِي آلِ لَأْيٍ بِنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسٍ
مَا كَانَ ذَنْبٌ بَغِيضٍ لَا أَبَالِكُمْ	فِي يَأْسٍ جَاءَ يَمْدُو آخِرَ النَّاسِ
لَقَدْ مَرِيتُكُمْ لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُمْ	يَوْمًا يَجِيءُ بِهِامَسْحِي ^(١) وَإِبْسَاسِي
وَقَدْ مَدَحْتُكُمْ عَمْدًا لَأَرْشِدَكُمْ	كَيْمَا يَكُونُ لَكُمْ مَتَحِي ^(٢) وَإِمْرَاسِي
لَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكُمْ غَيْبُ أَنْفُسِكُمْ	وَلَمْ يَكُنْ لِي جِرَاحِي فِيكُمْ أَسَى
أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ	وَلَنْ يُرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ
جَارٌ لِقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ	وَوَاحِدُهُ مَقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسِ
مَلَّوْا قِرَاهَ وَهَرَّتَهُ كَلَابُهُمْ	وَأَقْعُدُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا	لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
مَنْ يَفْعَلْ خَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ	مِنْ آلِ لَأْيٍ صَفَاةً أَصْلُهَا رَاسِي
مَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ فَلَّتْ مَعَاوِلُكُمْ	مَجْدًا تَلِيدًا وَنَبْلًا غَيْرَ ^(٣) أَنْكَاسِ
قَدْ نَاضَلُوكَ فَسَلُّوا مِنْ كَنَانِهِمْ	

(١) المرى : مسح ضرع الناقة . يريد : داريتكم ومدحتكم لتدروا على بالعطاء . والذرة : اللبن . والإبساس : صوت الراعى تسكن به الناقة عند الحلب . (٢) المنح : جذب الدلو . والإمراس : إعادة الحبل إلى مجراه ، بعد أن يقع في أحد جانبي البكرة ، بين الخطاف والبكرة . (٣) أنكاس : جمع نكس ، وهو أضعف السهام . قال ابن منظور : ومعنى البيت : أن العرب كانوا إذا أسروا أسيراً خيروه بين التخلية وجز الناصية والأسر ، فإن اختار جز الناصية جزوها وخلوها سبيله ، ثم جعلوا ذلك الشعر في كنانتهم ، فإذا افتخروا أخرجه وأروه مفاخرهم .

فَأَسْتَعْدَى عَلَيْهِ الزُّبْرْقَانُ عُمرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَرَفَعَهُ عُمرُ إِلَيْهِ
وَأَسْتَنْشَدَهُ ، فَأَنْشَدَهُ . فَقَالَ عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ : أَتُرَاهُ هَجَاهُ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، وَسَلِّحْ عَلَيْهِ . فَحَبَسَهُ عُمرُ .

وقيل :

إِنَّ الزُّبْرْقَانَ لَمَّا أَتَى عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْحُطَيْئَةِ ، قَالَ : هَبْجَانِي . قَالَ :
وَمَا قَالَ فَيْك ؟ قَالَ ، قَالَ :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لُبَغَيْتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
فَقَالَ عُمرُ : مَا أَسْمَعُ هَجَاءَ وَلَكِنَّهَا مُعَاتِبَةٌ . فَقَالَ الزُّبْرْقَانُ : أَوْ مَا تَبْلُغُ مُرُوءَتِي
إِلَّا أَنْ آكُلَ وَأَلْبَسَ ! وَسَأَلَ عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْبِدَ بْنَ رَبِيعَةَ عَنْ ذَلِكَ . فَقَالَ :
مَا يَمُرُّنِي أَنَّهُ لَحِقَنِي مِنْ هَذَا الشَّعْرِ مَا لَحِقَهُ وَأَنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ . فَأَمَرَ بِهِ عُمرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَيُجْعَلَ فِي نَقِيرٍ^(١) فِي بئرٍ ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ . فَقَالَ فِي الْحَبْسِ
أَبْيَاتًا وَبَعَثَ بِهَا إِلَى عُمرَ ، وَهِيَ :

أَعُوذُ بِجَدِّكَ إِنِّي أُمِرُّوْ	سَقَتْنِي الْأَعَادَى سَمًّا ^(٢) سِجَالًا
فَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنَ الزُّبْرْقَانِ	أَشَدُّ نَكَالًا وَأَرْجَى نَوَالًا
تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِكُ	فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا
وَلَا تَأْخُذْنِي بِقَوْلِ الْوُشَاةِ	فَإِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالًا
فَإِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا صَادِقًا	فَسِيقَتْ إِلَيْكَ نِسَائِي ^(٣) رِجَالًا
حَوَاسِرَ لَا يَشْتَكِينُ ^(٤) الْوَجَى	يُخَفِّضُنَ آلًا وَيَرْفَعُنَ آلًا

(١) النقيير : ما نقر وحفر .

(٢) السجال : جمع سجل ، وهي الدلو الضخمة المملوءة . يريد : مرة بعد مرة .
والرواية في بعض أصول الأغاني : « سَقَتْنِي الْأَعَادَى إِلَيْكَ السِّجَالَا » .

(٣) رجال : راجلة تمشى . الواحدة : رجلة ، بفتح الراء وضم الجيم . (٤) الوجى : الخفى .

فلم يلتفت إليه عمر . فكلمه فيه عمرو بن العاص ، فأخرجه من الحبس ،
فأنشده قوله فيه :

ماذا تقول لأفراخِ بذي أمرٍ ^(١) زُغِبِ الحَوَاصِلِ لا ماء ولا شَجَرُ
غَادَرَتْ ^(٢) كاسِبِهِمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَأَغْفِرْ هَذَاكَ مَلِيكَ النَّاسِ يَا عُمَرُ
أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَيْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشَرِ
لَمْ يُؤْثِرْ وَكِيهَا إِذْ قَدَّمَوكَ لَهَا لَكِنْ لَا نَفْسَهُمْ كَانَتْ بِكَ الْأَثَرِ ^(٣)
فَأَمْنٌ عَلَى صِبْيَةٍ بِالرَّمْلِ مَسْكَنُهُمْ بَيْنَ الْأَبَاطِحِ تَغْشَاهُمْ بِهَا الْقَرَرُ ^(٤)
أَهْلِي فِدَاؤُكَ كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَرَضِ دَاوِيَةَ ^(٥) تَعْمَى بِهَا الْخُبْرُ

فبكى عمر رضى الله عنه حين قال : « ماذا تقول لأفراخ » . فقال عمرو بن
العاص : ما أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ ، وَلَا أَقَلَّتِ الْغُبْرَاءُ ، أَعْدَلْ مِنْ رَجُلٍ يَبْكِي عَلَى
تَرْكِهِ الْخَطِيئَةَ . ثم قال عمر رضى الله عنه : عَلَى الْكُرْسِيِّ . فَأَتَى بِهِ ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ
ثُمَّ قَالَ : أَشِيرُوا عَلَىَّ فِي الشَّاعِرِ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ الْهَجْوَ وَيَنْسُبُ بِالْحَرَمِ وَيَمْدَحُ النَّاسَ
وَيَذْمُهُمْ بغير ما فيهم ، ما أُرَانِي إِلَّا قَاطِعًا لِسَانَهُ . ثُمَّ قَالَ : عَلَى بِالطَّسْتِ . ثُمَّ قَالَ :
عَلَى بِالْمَخْصَفِ ^(٦) ، عَلَى بِالسَّكِينِ ، لَا بَلْ عَلَى بِالْمُوسَى ، فَهُوَ أَوْحَى ^(٧) . فَقَالُوا :
لَا يَعُودُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَشَارُوا إِلَيْهِ أَنْ قُلْ : لَا أَعُودُ . فَقَالَ : لَا أَعُودُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ : النَّجَاءُ . فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا حُطِيئَةَ ، كَأَنِّي بَكَ عِنْدَ
فَتًى مِنْ قَرِيشٍ قَدْ بَسَطَ لَكَ مُنْمَرَةً ^(٨) وَكَسَرَ لَكَ أُخْرَى . وَقَالَ : غَنَّمَا يَا حُطِيئَةَ .
فَطَفَقَتْ تَغْنِيهِ بِأَعْرَاضِ النَّاسِ .

(١) ذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان . قال ياقوت : « وهى الرواية المشهورة » .
ويروى : « بذي مرخ » وهو واد بين فدك والوابشية . (٢) فى بعض أصول الأغاني : « ألقى »
(٣) الأثر : المكرومات ؛ الواحدة : أثر .
(٤) القرر : جمع قررة ، بالكسر ، وهى البرد . (٥) الداوية والدوية : الفلاة الواسعة
(٦) المخصف : الخرز . (٧) أوحى : أسرع . (٨) المنمرة : الوسادة .

فحكى أسلم قال : ما أنقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط له تمرقة وكسر له أخرى ، وقال : غننا يا حطيئة . فجعل يُغنيهِ . فقلت له : يا حطيئة ، أتذكر قولَ عمر ؟ ففرع وقال : يرحم الله ذلك المرء ، أما لو كان حيًّا ما فعلتُ .

قال : وقلت لعبيد الله : سمعتُ أباك يقول : كذا وكذا ، فكنت أنت ذلك الرجل .

وقيل : إنَّ عمر رضى الله عنه قال للحطيئة : إياك وهجاء النَّاس . قال : إذا يموت عيالى جوعاً ، هذا مكسبي ومنه معاشي . قال : إياك والمقدِّع من القول . قال : وما المقدِّع ؟ قال : أن تُخايرَ بين النَّاس فتقول : فلانٌ خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان . فقال : فأنت واللهِ أهجى مِنِّي . ثم قال : لولا أن تكون سنةً لقطعْتَ لسانك ، ولكن أذهب فأنت له . خُذه يا زبرقان . فألقى الزبرقان في رقبته عمامته فاقتاده بها . وعارضته غطفان ، فقالوا له : يا أبا شذرة ، إخوانك وبنوعمك ، هبْ لنا . فوهبه لهم .

شراء عمر
الأعراض منه

وذُكر أنَّ عمر رضى الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكِّد عليه الحجة ، فأشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم . فقال الحطيئة : وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتماً يضر ولا مديحاً ينفع وحمتني عرض اللئيم فلم يخف ذمي وأصبح آمناً لا يفرع .
وقيل :

وصيته عند موته

لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه ، وقالوا : يا أبا مُليكة ، أوص . فقال : ويلٌ للشَّعْرِ من راوية السَّوء . قالوا : أوص يرحمك الله يا حطىء . قال : من الذى يقول :

إذا أنبض^(١) الرّامون عنها ترنمت
ترنم شكلى أوجعتها الجنائز !

(١) أنبض القوس : جذب وترها التصوت .

قالوا: الشماخ . فقال: أبلغوا غطفان أنه أشعرُ العرب . قالوا: ويحك ! أهذه وصية ! أو وص . قال : أبلغوا أهل ضابئ^(١) أنه شاعرٌ حيث يقول :

لكلٍّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيدٍ

فقالوا: أو وص ، ويحك بما ينفعك ! فقال : أبلغوا أهل أمرى القيس أنه أشعرُ العرب حيث يقول :

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلِ شُدَّتْ^(٢) بِيَذْبُلِ

فقالوا : اتقِ الله ودع عنك هذا ! فقال : أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعرُ العرب حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كِلَابُهُمْ لَا يُسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

فقالوا : إن هذا لا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، فقل غير ما أنت فيه . فقال :

الشَّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلَمَةٌ إِذَا أُرْتَقِيَ فِيهِ الذِّى لَا يَعْلَمُهُ

زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ يَرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ

فقالوا : هذا مثلُ الذى كنت فيه . فقال :

قَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا شَدِيدَ الْمُعْتَمَدِ وَكُنْتُ ذَا غَرْبٍ عَلَى الْخَضَمِ الْأَلَدِ

فَوَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَادَتْ تَرْدُ

فقالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، ولكن أجزع على المديح الجيّد

يُمدح به من ليس له أهلاً . قالوا : فمن أشعرُ الناس ؟ فأوماً بيده إلى فيه ، وقال :

هَذَا الْجَحِيرُ^(٣) إِذَا طَمَعَ فِي خَيْرٍ ، وَاسْتَعْبَرَ بِأَكْيَا . فقالوا له : قل لا إله

إلا الله ! فقال :

(١) هو ضابئ بن الحارث البرجمي ، ثم اليربوعي ، الشاعر ، من بني تميم .

(٢) مغار الفتل : محكمه ؛ أغار الحبل إغارة : شد فتله . ويذبل : جبل لباهلة .

(٣) يعنى : « فنه » .

قالت وفيها حَيْدَةٌ وَذُعْرٌ عَوِذُ رَبِّي مِنْكُمْ ^(١) وَحُجْرٌ

فقالوا له : ما تقول في عبيدك ؟ فقال : هم عبيدٌ قِنْ مَا تَعاقِب ^(٢) اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

فقالوا : أَوْصِ لِلْفُقَرَاءِ بِشَيْءٍ . فقال : أوصيهم بِالْإِلْحَاحِ فِي الْمَسْأَلَةِ فَإِنَّهَا تَجَارَةٌ

لَا تَبُورُ ، وَأَسْتُ الْمَسْئُولِ أَضِيقُ ^(٣) . قالوا : فما تقول في مالك ؟ فقال : للأثني من

وَلَدِي مِثْلًا حَظُّ الذَّكَرِ . فقالوا : ليس هكذا قضى الله عزَّ وجلَّ لهنَّ . قال :

لكني هكذا قضيتُ . قالوا : فما تُوصي لليتامى ؟ قال : كُلُّوا أَمْوَالَهُمْ وَنِكَحُوا

أُمَّهَاتِهِمْ . قالوا : فهل شيءٌ تَعَهَّدُ فِيهِ غَيْرَ هَذَا ؟ قال : نعم . تَحْمِلُونَنِي عَلَى أَتَانٍ

وَتَتْرَكُونَنِي رَاكِبًا حَتَّى أَمُوتَ ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يَمُوتُ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَالْأَتَانُ

مَرَكَبٌ لَمْ يَمُتْ عَلَيْهِ كَرِيمٌ قَطُّ . فَحَمَلُوهُ عَلَى أَتَانٍ وَجَعَلُوا يَذْهَبُونَ بِهِ وَيَجِئُونَ

وَهُوَ عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَ ، وَهُوَ يَقُولُ :

لَا أَحَدُ الْأُمِّ مِنْ حُطَيْئَةٍ هَجَا بَنِيهِ وَهَجَا الْمُرِيَّةَ

مِنْ لُؤْمِهِ مَاتَ عَلَى فُرْيَةٍ

وَالْفُرْيَةُ : الْأَتَانُ .

وَذُكِرَ أَنَّهُ أَنْشَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلَ الْحُطَيْئَةِ :

تكذيب عمراه
في بيت سمعه

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُو ^(٤) إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

فَقَالَ عُمَرُ : كَذَبَ ! بَلْ تِلْكَ نَارُ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) حيدة : صمود و نفور . وحجر : دفع ومنع . (٢) في الأصل : «ماعاقب»

(٣) كناية عن العجز . (٤) تعشو : تقصد في الظلام .

أخبار ابن عائشة

اسمه وولاه

هو محمد، ويكنى: أبا جعفر. ولم يكن يُعرف له أب. وإنما نسب إلى أمه. وهو يزعم أن اسم أبيه جعفر، وليس يعرف ذلك. وأمّه عائشة مولاة لكثير بن الصلت الكندي، حليف قریش. وقيل: إنها مولاة لآل المطلب بن وداعة السهمي.

منزله في الغناء

وأخذ الغناء عن معبد ومالك، ولم يموتا حتى ساواهما، على تقديمهما وأُعتزف بهما. وكان أحسن الناس صوتاً، وكان ابتداءه بالغناء أحسن ابتداء، حتى قيل: لو كان أول غنائه مثل آخره لقدم على ابن سريج.

من تبه

وكان سيء الخلق، إذا قال له إنسان: تغنّ، قال: لمثلي يتمال هذا! وإن قال إنسان، وقد ابتداء بغناء: أحسنت! قال: لمثلي يقال: أحسنت! ثم يسكت. فكان قليلاً ما ينتفع به.

أكرهه الحسن على الغناء فغناه

فسال العقيق، مرةً فدخل عرصة سعيد بن العاصي الماء حتى ملأها، فخرج الناس إليها، وخرج ابن عائشة فجلس على قرن البئر. فبينما هم كذلك أقبل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب على بغلة، وخلفه غلامان أسودان كأنهما من الشياطين، فقال لهما: أمضيا رؤيئاً حتى تقفيا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة. فخرجا حتى فعلا ذلك. ثم ناداه الحسن: كيف أصبحت يا ابن عائشة؟ قال: بخير، فذاك أبي وأمي! قال: أنظر من إلى جنبك. فإذا العبدان. فقال له: أتعرفهما؟ قال: نعم. قال: فهما حرّان لئن لم تُغنّين لأمرنهما بطرحك في البئر، وهما حرّان لئن لم يفعلا لأقطعن أيديهما. فاندفع ابن عائشة، فكان أول ما ابتداء به صوتاً له، وهو:

أَلَا لِلَّهِ دَرَكٌ مِّنْ فَتَى قَوْمٍ إِذَا رَهَبُوا
وَقَالُوا مَن فَتَى لِلْحَرِّ ب (١) يَرْقُبْنَا وَيَرْتَقِب
فَكَنتَ فَتَاهُمْ فِيهَا إِذَا تُدْعَى لَهَا تَذَب

ثم لم يسكت حتى غنى مائة صوت. فيقال : إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر مما سمعوا ذلك اليوم . وكان آخر ما غنى :

قُلْ لِّلْمَنَازِلِ بِالظَّهْرَانِ (٢) قَدْ حَانَا أَنْ تَنْطِقِي وَتُبَيِّنِي الْقَوْلَ تَبْيَانًا
قَالَتْ وَمَنْ أَنْتَ قُلْ لِي قُلْتُ ذُو شَغَفٍ هَجَبَتْ لَهُ مِنْ دَوَاعِي الشَّوْقِ أَحْزَانَا
فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا أَحْسَنُ مِنْهُ . ولقد سمع الناس شيئًا لم يسمعوا مثله ، وما تشاغل
الناس عن أستماعه بشيء ، وما أنصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى
فرغ . ولقد تبادر الناس من المدينة ومما حولها حيث بلغهم الخبرُ لاستماع غنائه ،
فما رَأَى جمع في ذلك الموضع مثل ذلك الجمع ، ولقد رَفَعَ النَّاسُ أصْوَاتَهُمْ يقولون :
أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ! أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ! ثم أنصرفوا حوله يزفونه إلى المدينة زَفَا .

غنى بالموسم فحبس
الناس عن المسير

وقيل : إن ابن عائشة كان واقفًا بالموسم مُتَحَيِّرًا ، فمرَّ به بعض أصحابه فقال :
مَا يُقِيمُكَ هَاهُنَا ؟ فقال : إني أعرف رجلًا لو تكلم حبس الناس هاهنا فلم يذهب
أحدٌ ولم يجيئ . فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال : أنا ، ثم اندفع يُغَنِّي :

جَرَتْ سُنْحًا (٣) فَقُلْتُ لَهَا أُجِيزِي نَوَى مَشْمُولَةً فَتَى الْقَاءِ
بِنَفْسِي مَن تَذَكَّرَهُ سَقَامٌ أَغَانِيَهُ وَمَطْلَبُهُ عَنَاءُ

قال : فحبس الناس واضطربت الحامل ومدَّت الإبل أعناقها ، وكادت
الفتنة تقع . فَأَتَى به هِشَامُ بن عبد الملك ، فقال له : يا عدوَّ الله ! أردت أن تقفن

(١) في الأصل : «الحي» . (٢) الظهران : واد قرب مكة .

(٣) سنحاً ، أى من الشمال . وأجيزى : انفذى . ومشمولة : سريعة الانكشاف . قال

أبو الفرج : «أخذه من السحابة المشمولة وهى التى تصيبها الشمال فتكشفها ، ومن شأن الشمال أن تقطع
السحاب . واستعارها هاهنا فى النوى ، لسرعة انكشافهم فيها عن بلادهم ، وأجرى ذلك مجرى الذم
للسانح ، لأنه يتشامم به » .

النَّاسَ ! قال : فأمسك عنه وكان تيّهاً . فقال له هشام : أرفق بتيهك . فقال :
 حقّ لمن كانت هذه مقدّرتّه على القلوب أن يكون تيّهاً^(١) . فضحك منه وخلق سبيله .
 وحكى صاحبُ ستر الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال : رأيتُ ابنَ عائشة
 عنده وقد غنّاه :

في حضرة
 الوليد بن يزيد

إني رأيتُ صبيحة النّفر حوراً نفّين عزيمة الصّبر
 مثل الكواكب في مطالعها بعد العشاء أطفن بالبدر
 وخرجتُ أبغى الأجر مُحْتَسِباً فرجفتُ موفوراً من الوزر

فطرب الوليدُ حتى كَفَرَ وألحدَ وقال : يا غلام ، اسقنا بالسّماء الرابعة . وكان
 الغناء يعمل فيه عملاً ضلّ عنه من بعده ، ثم قال له : أحسنت والله يا أميري !
 أعد بحق عبد شمس . فأعاد . ثم قال : أعد بحق أميّة . فأعاد . ثم قال : أعد بحق
 فلان ، أعد بحق فلان ، حتى بلغ من الملوك نفسه ، فقال : أعد بحياقي . فأعاد . قال : فقام إليه
 فأكبّ عليه . فلم يبق عضو من أعضائه إلّا قبّله ، وأهوى إلى هَنه فجعل ابنُ عائشة
 يضمّ فحذيه عليه . فقال : والله العظيم لا ترّيم حتى أقبّله . فأبداه له . فقبّل رأسَ
 ذكره . ثم نزع ثيابه فألقاها عليه ، وبقى مجرداً إلى أن أتوه بمثلها . ووهب له ألفَ
 دينار وحمله على بغلة ، وقال : اركبها بأبي أنت وانصرف ، فقد تركتني على مثل
 المقلّي من حرارة غنائك . فركبها على بساطه وانصرف .

وقيل : خرج ابنُ عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد غنّاه :

هو ورجل من
 أهل وادي القرى
 يشتهي الغناء

أبعدك مَعْفِلاً أرجو وحِصْناً قد أعيّنتني المعافلُ والحِصونُ

فأطربّه ، وأمر له بثلاثين ألفَ درهم وبمثل كارة القصارَة كسوة . فبينما ابنُ
 عائشة يسير على بغلته ، إذ نظر إليه رجلٌ من أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء
 ويشرب النّبيذ ، فدنا من غلامه وقال : مَنْ هذا الراكب ؟ قال : ابنُ عائشة

(١) في الأصل : «تائها» .

المُغْنَى . فدنا منه وقال : جُعِلْتُ فداك ؟ أنت ابنُ عائشة أم المؤمنين ؟ قال : لا ، أنا مولى لقريش وعائشة أُمِّي ، وحَسْبُكَ هذا ، ولا عليك أن تُكثر . قال : وما هذا الذى أراه بين يديك من المال والكسوة ؟ قال : غَنَيْتُ أميرَ المؤمنين صوتاً فأطربته ، فكُفِرَ وترك الصلاة وأمر لى بهذا المال وهذه الكسوة . قال : جُعِلْتُ فداك ! فهل تَمَنَّى عَلَى بَأْسٍ تَسْمِعُنِي مَا أَسْمَعْتَهُ إِيَّاهُ ؟ فقال له : ويحك ! أمثلي يُكَلِّمُ بهذا فى الطريق ! قال : فما أَصْنَعُ . قال : أَلْحَقْنِي بِالْبَابِ . وحرَّكَ ابنُ عائشة بَغْلَتَهُ لينقطع عنه ، فعَدَا معه حتى وافيا البابَ كَفَرَسَى رِهَانٍ ، ودخل ابنُ عائشة فمكث طويلاً طمعاً فى أن يَضْجَرَ فينصرف ، فلم يفعل . فلما أعياه قال لغلامه : أدخله . فلما دخل قال له : ويلك ! من أين صَبَّكَ اللهُ عَلَى ؟ قال : أنا رجلٌ من أهل وادى القرى أَشْتَهَى هذا الغناء . فقال له : هل لك فيما هو أنفعُ لك منه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : مائتا دينارٍ وعشرة أثوابٍ تَنَصَّرَفُ بها إلى أهلك . فقال له : جُعِلْتُ فداك ! والله إن لى لبُنيَّةَ ما فى أذنها — علم الله — حَلَقَةٌ من الورق فضلاً عن الذهب ، وإن لى لزوجَةً ما عليها — يشهد الله — قَمِيصٌ ، ولو أعطيتنى جميع ما أمر لك به أميرُ المؤمنين على هذه الخَلَّةِ ^(١) والفقر اللذين عرَّفْتُكهما ، وأضعفت لى ذلك ، لكان الصوتُ أَعْجَبَ لى . وكان ابنُ عائشة تامهاً لا يغني إلا الخليفة أو لذى قَدَرٌ جليل من إخوانه . فتعجَّب ابنُ عائشة ورحمه وغناه الصوت ، فطرب له طرباً شديداً وجعل يُحرِّكُ رأسه حتى ظنَّ أن عُنُقَهُ سَيَنْقُصُ . ثم خَرَجَ من عنده ولم يَرَزَاهُ شيئاً . وبلغ الخبرُ الوليدَ بنَ يزيد ، فسأل ابنُ عائشة عنه ، فجعل يَغِيبُ عن الحديث . ثم جدَّ الوليدُ به ، فصدَّقه عنه . وأمر بطلب الرجل ، فطُلب حتى أُحْضِرَ ، ووَصَلَهُ صِلَةً سَنِيَّةً ، وجعله فى نُدُمائه ووَكَّلَهُ بالسَّقَى . فلم يزل معه حتى قُتِلَ .

وقيل : دعا فِتْنَةً من بنى هاشم ابنُ عائشة فأجابهم . فلما دخل جعلوه فى صدر المجلس فتحدَّثوا حتى حضر الطعام . فلما طَعِمُوا دَعَوْا بالشراب فشرَبوا . وكان ابنُ عائشة

غناؤه لفتية
من بنى هاشم

(١) الخلة : الحاجة والخصاصة .

إِذَا سُئِلَ أَنْ يُغْنِيَ أَبِي وَغَضِبَ ، فَإِذَا تَحَدَّثَ الْقَوْمَ بِحَدِيثٍ وَمَضَى فِيهِ شَعْرٌ قَدْ غُنِيَ فِيهِ
أَبْتَدَأَ هُوَ فَعَنَاهُ ، فَكَانَ مَنْ فُطِنَ لَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : حَدَّثَنِي
رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِمَّنْ كَانَ يَصْحَبُ جَمِيلاً بِحَدِيثٍ عَجِيبٍ . فَقَالَ الْقَوْمُ : وَمَا هُوَ ؟
قَالَ : حَدَّثَنِي أَنَّ جَمِيلاً بَيْنَا هُوَ يَحْدِثُهُ ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، إِذْ أَنْكَرَهُ وَرَأَى مِنْهُ غَيْرَ
مَا كَانَ يَرَى . فَتَارَ نَافِراً ، مُقَشَّعَ الشَّعْرِ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ، إِلَى نَاقَةٍ لَهُ مُجْتَمِعَةٍ ^(١)
قَرِيبَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مُوثَّقَةَ الْخَلْقِ ، فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهُ ، ثُمَّ أَتَاهَا بِمَحَلِّبٍ فِيهِ لَبَنٌ
فَشَرِبَتْهُ ، ثُمَّ ثَنَّى بِآخِرِ فُشْرَتِ حَتَّى رَوَيْتُ . ثُمَّ قَالَ : أَشَدُّ أَدَاةَ رَحْلِكَ وَأَشْرَبَ
وَاسِقِ جَمَلِكَ ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ بِكَ إِلَى بَعْضِ مَذَاهِبِي . ففَعَلْتُ ، فَجَالَ فِي ظَهْرِ نَاقَتِهِ
وَرَكِبْتُ مَعَهُ جَمَلِي . فَمَسَرْنَا بَيَاضَ يَوْمِنَا وَسَوَادَ لَيْلَتِنَا ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا فَمَسَرْنَا يَوْمِنَا ،
لَا وَاللَّهِ مَا نَزَلْنَا إِلَّا أَصْلَاحَةً . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثَ دَفَعْنَا إِلَى نِسْوَةٍ ، فَمَالَ إِلَيْهِنَّ .
فَوَجَدْنَا الرِّجَالَ خُلُوفًا ^(٢) ، وَإِذَا قِدْرٌ لَبِئَاءُ ^(٣) ، وَقَدْ جُهِّدَتْ جَوْعاً وَعَطَشاً ، فَلَمَّا رَأَيْتُ
الْقِدْرَ اقْتَحَمْتُ ^(٤) عَنْ بَعِيرِي وَتَرَكْتُهُمْ جَانِباً ، ثُمَّ أَدَخَلْتُ رَأْسِي فِي الْقِدْرِ مَا يَثْنِي
حَرَّهَا حَتَّى رَوَيْتُ ، فَذَهَبْتُ أَخْرِجَ رَأْسِي مِنَ الْقِدْرِ فَضَاقَتْ عَلَيَّ ، فَإِذَا هِيَ عَلَى
رَأْسِي قَلْنِسُوتٍ . فَضَحَكَنَ مِنِّي وَغَسَلَنَ مَا أَصَابَنِي . وَأَتَى جَمِيلاً بِقَرَرِي ، فَوَاللَّهِ
مَا الْتَفَتَ إِلَيْهِ . فَبَيْنَا هُوَ يَحْدِثُهُنَّ إِذَا رَوَاعَى الْإِبِلَ ، وَقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ أَحْلَلَ لَهُمْ
دَمَهُ إِنْ وَجَدُوهُ فِي بِلَادِهِمْ . وَجَاءَ النَّاسُ فَقُلْنَ ^(٥) : وَيْحَكَ ! أُنْجِ وَتَقَدَّمْ ، فَوَاللَّهِ
مَا أَكْبَرَهُمْ ذَلِكَ الْإِكْبَارَ ، فَإِذَا بِهِمْ يَرْمُونَهُ وَيَطْرُدُونَهُ ، فَإِذَا غَشَوْهُ قَاتِلُهُمْ وَرَمَى
فِيهِمْ . وَقَامَ بِي جَمَلِي ، فَقَالَ لِي : يَسِّرْ لِنَفْسِكَ مَرَّةً كَبِئْسَ خَلْفِي . فَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ ، لَا وَاللَّهِ

(١) مجتمعة : شديدة قوية .

(٢) خلوفاً : غائبين عن الحى .

(٣) اللبأ : أول اللبن في النتاج .

(٤) اقتحمت : بادرت بالنزول .

(٥) في الأصل : « فقالوا » . وهى رواية أكثر أصول الأغاني .

ما انكسر حتى رَجَعَ إلى أهله ، وقد سار ستَّ ليالٍ وستة أيام وما التفت إلى طعام ، وقال في ذلك :

إنَّ المنازل هَيَّجَتْ أطرابي وأستعجمت آياتها بجوابي
قَفَرْتُ تلوح بذي اللُّجَيْنِ كأنها أنضاء رسم^(١) أو سُطور كتاب
لما وقفتُ بها القُلُوص تبادرت متى الدموعُ لفرقةِ الأحباب
وذ كرتُ عصراً يا بُثينة شاقني إذ فاتني وذ كرتُ شرخ شبابي

وقال ، وهو من قصيدة :

وأحسنُ أيامي وأبهجُ عيشتي إذا هيجَ بي يوماً ونحن^(٢) قعودُ

فقال ابنُ عائشة : أفلا أغني لكم ذلك ؟ قلنا : بلى والله . فأندفع فغناه . فما سمع السامعون شيئاً أحسنَ من ذلك . وبقى الجماعةُ يتعجبون من الحديث وحُسْنِه والغناء وطيبه . فقالوا له : يا أبا جعفر ، إنا مُستأذنون ، فإن أذنت لنا سألناك . وإن كرهت تركناك . قال : سلوا . قالوا : نحب أن تُغنينا في مجلسنا هذا ما نشطت هذا الصوت . فقال لهم : نعم ونعمة عينٍ وكرامة . فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس .

وحكى يونس الكاتب قال : كنّا [يوماً] متنزّهين بالعقيق أنا وجماعةٌ من قرّيش ، فبينما نحن على حالنا إذ أقبل ابنُ عائشة يمشي ، ومعه غلام من بني ليث وهو مُتوكّيٌّ على يده ، فلما رأى جماعتنا وسَمِعَني أغني جاء فسلم ، وجلس [إلينا] وتحدّث معنا . وكانت الجماعةُ تعرفُ سوءَ خلقه وغَضَبه إذا سُئِلَ أن يغني ، فأقبل بعضهم على بعض يتحدّثون بأحاديثٍ كثيرٍ وجميلٍ وغيرهما من الشعراء ، يَسْتَجِرُّون

هو وجماعة من
قرّيش جروه
إلى الغناء

(١) أنضاء رسم ، أي بقايا .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « وهنَّ » مكان « ونحن » .

بذلك أن يَطْرَبُ فيُعْنَى . فلم يَجِدُوا عنده ما أرادوا ، فقلتُ لهم أنا : لقد حدثني
اليومُ بعضُ الأعرابِ حديثاً يأكلُ الأحاديثُ ، فإن شئتم حدثتكم إِيَّاه . قالوا :
هات . قلتُ : حدثني هذا الرجلُ أنه مرَّ بناحية الرِّبْذَةِ ^(١) فإذا صِبيانٌ يتغاطسون
في غدير ، وإذا شابٌ جَمِيلٌ منهوكُ الجسمِ عليه أثرُ العِلَّةِ ، والنَّحولُ في جسمه
بَيِّنٌ ، وهو جالسٌ ينظرُ إليهم ، فسأمتُ عليه ، فردَّ عليَّ السلام ، وقال لي : من أين
وَصَحَّ ^(٢) الراكب ؟ قلتُ : من الحمى . قال : ومتى عهدك به ؟ قلتُ : راحاً . قال :
وأين كان مبيتك ؟ قلتُ : بيني فلان . قال : أوَّه ! وألقى بنفسه على ظهره وتنفسَ
الصُّعْداءَ تنفُّساً قلتُ إنَّه قد خرَّقَ حجابَ قلبه . ثم أنشأ يقول :

سَقَى بِلداً أَمَسْتُ سُلَيْمى تَحْلُهُ من المُرْنِ ما يَرَوَى به ^(٣) وَيُسِمُ
وإن لم أكن من قاطنيه فإنه يَحُلُّ به شخصٌ على كريم
ألا حبذا من ليس يعدلُ قُرْبَهُ لَدَى وإن شَطَّ المَزَارُ نَعِيمِ
ومن لأمنى فيه خليلٌ وصاحبٌ فرُدَّ بغيظِ صاحبٍ وحميم
قال : ثم سكن كالمغشى عليه . فصحتُ بالأصبيية . فأتوا بماء فصبته على وجهه ،
فأفاق وأنشأ يقول :

إذا الصبُّ الغريبُ رأى خُشوعى وأنفاسى تَزَيِّنُ بالخُشوعِ
ولى عَيْنٌ أَضَرَّ بها التفاتى إلى الأجرعِ مُطلقةِ الدُّموعِ
إلى الخَلَوَاتِ يأنسُ فيكِ قلبي كما أنسَ الغريبُ إلى الجميعِ

فقلتُ له : ألا أنزلُ فأُساءدك وأُكرِّرُ عَوْدى على بَدْنى إلى الحمى في حاجة
أو رسالة ، إن كانت لك حاجة أو رسالة . فقال : جُزيت خيراً وصحبتك السلامة ، أُمض

(١) الرِبْذَةُ : قرية على ثلاثة أميال من المدينة .

(٢) وَصَحَّ : بدا وطلع .

(٣) أسام : أرى . يريد ما يجعله صالحاً للإسامة .

لَطِيبَتِكَ^(١)، فلو علمت أنك تُغني عني شيئاً لكنت موضعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسألة، ولكنك أدركتني في صُبابَةٍ من حياتي يسيرة . فأُصرفتُ وأنا لا أراه يُمسي ليله إلا مَيِّتاً . فقال القوم : ما أعجب هذا الحديث ! وأُندفع ابنُ عائشة يغني في الشعرَين جميعاً . وطرب وشرب بقيّة يومه ، ولم يزل يُغنيني إلى أن انصرفنا .

هنا ابن هشام
وقصة موته

وذُكر أن ابنَ عائشة أقبل من عند الوليد بن يزيد ، وقد أجازته وأحسن إليه ، فجاء بما لم يأت به أحدٌ من عنده ، فلما قرُب من المدينة نزل بذي خُشب^(٢) على أربعة فراسخ من المدينة، وكان واليها إبراهيمُ بن هشام، ولّاه إياها [هشام] وهو خاله ، وكان في قصره هناك . فقيل له : أصلح الله الأمير ، هذا ابنُ عائشة ورد من عند الوليد بن يزيد ، فلو سألته أن يُقيم عندنا فيُطربنا وينصرف من الغد ؟ فدعا به فسأله المُقام ، فأجابه إلى ذلك . فلما أخذوا في شربهم أخرج الخزومي جواريه ، فنظر إلى ابنِ عائشة وهو يغمز جاريةً منهم ، فقال لخادمه : إذا خرج ابنُ عائشة يُريد حاجة فأرّم به . وكانوا يشربون في سطح ليس له إفريز ولا شُرَفات، يُشرف على بُستان . فلما قام ليبول رمى به الخادم من فوق السطح فمات . فقبّره معروف هناك .

وقيل :

إنه أقبل من الشام حتى نزل بقصر ذي خُشب ومعه مالٌ وطيبٌ وكساء ، فصعد إلى القصر . ثم نظر فإذا بنسوة يتمشّين في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهن ؟ قالوا : وكيف بهن ؟ فهض ولَبِس ملاءة مدلوكة^(٣) ، ثم قام على شُرفة من شُرَفات القصر فتغنى بشعر ابنِ أذينة :

(١) لطيتك : لوجهك .

(٢) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة في الطريق إلى الشام .

(٣) مدلوكة : مصقولة .

سُلَيْمَى أَرَمَعْتُ بَيْنَمَا فَأَيْنَ تَقُولُهَا ^(١) أَيْدَا
 وَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابِ لَهَا زُهْرٌ تَلَاقَيْنَا
 تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ لَنَا الْعِيشُ تَعَالَيْنَا
 فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهِ . فطرب واستدار، فسقط فمات . ولما مات قال أشعب : قد قلتُ
 لكم ! ولكنه لا يُغْنِي حَزْرٌ مِنْ قَدَرٍ : زَوْجُو ابْنِ عَائِشَةَ مِنْ رُيْحَةِ الشَّمْسِ
 تَخْرُجُ لَكُمْ بَيْنَهُمَا مِزَامِيرُ دَاوُدَ ! فلم تفعلوا . وجعل يبكي والناس يضحكون .

(١) تقولها ، أى تظنها .

(١) تقولها ، أى تظنها .

(٢) تقولها ، أى تظنها .

(٣) تقولها ، أى تظنها .

أخبار ابن أُرطاة

نسبه

هو عبد الرحمن بن أُرطاة. وقيل : عبد الرحمن بن سَيْحان بن أُرطاة بن سَيْحان ابن عمرو بن نُجَيْد بن سَعْد بن لَاحِب بن ربيعة بن شُكْم بن عبد الله بن عَوْف [بن زيد بن بكر بن عُمَيْر بن عليّ بن جَسْر بن مُحَارِب بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان .

وشُكْم بن عبد الله أولُ مُحَارِبِي سَاد قَوْمِهِ وأَفْرَدَهُمْ رَأْسًا بِنَفْسِهِ . وكانوا حِيرَانًا فِي هَوَازِنَ . وآلُ سَيْحَانَ حُلَفَاءُ حَرْبِ بَنِي أُمَيَّةَ بن عبدِ شمس ، وبمنزلة بعضهم عندهم خاصّة ، وعند سائر بني أُمَيَّةَ عامّة .

منزلته في الشعر
وحلفه في أُمَيّة

وكان عبدُ الرحمن بن أُرطاة شاعراً مُقلِّداً إسلامياً ، ليس من الفُحول المشهورين ، ولكنه كان يقول في الشَّرَابِ والغَزَلِ والفَخْرِ ومَدْحِ أَحْلَافِهِ من بني أُمَيَّةَ . وهو أحدُ المُعَاقِرِينَ للشَّرَابِ والمُحْدُودِينَ فِيهِ . وكان مع بني أُمَيَّةَ كواحدٍ منهم ، إِلَّا أَن اخْتِصَاصَهُ بِآلِ أَبِي سُفْيَانَ وَآلِ عُثْمَانَ خَاصَّةً كَانَ أَكْثَرَ . وَخُصُوصَهُ بِالْوَلِيدِ بن عُثْمَانَ وَمُؤَانَسَتِهِ إِيَّاهُ أَزِيدُ من خُصُوصِهِ بِسَائِرِهِمْ ، لِأَنَّهُمَا كَانَا يَتَنَادِمَانِ عَلَى الشَّرَابِ .

قيل :

مدحه للوليد
ابن عثمان

كان الوليد بن عُثْمَانَ بن عَفَّانَ ذَا غَلَّةٍ فِي الْحِجَازِ ، يَخْرُجُ إِلَيْهَا فِي زَمَانِ التَّمَرِ بنفَرٍ من قَوْمِهِ ، يَجْنُونَ لَهُ وَيُعَاوَنُونَهُ ، وَكَانَ إِذَا حَضَرَ خُرُوجُهُمْ دَفَعَ إِلَيْهِمْ نَفَقَاتِ لِأَهْلِيهِمْ إِلَى رُجُوعِهِمْ . فخرج مرّةً كما كان يَخْرُجُ ، وَفِيهِمْ ابْنُ سَيْحَانَ - وَهُوَ ابْنُ أُرطاة - فَأَتَى ابْنَ سَيْحَانَ كِتَابٌ مِنْ أَهْلِهِ يَسْأَلُونَهُ الْقُدُومَ لِحَاجَةٍ لَا بَدَّ مِنْهَا ، فَاسْتَأْذَنَهُ فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ

ابن سنيحان: زوّدني من شرابكم هذا . فزوّدته إداوة ملاًها له من شرابهم . فكان يشربها في طريقه ، حتّى قدّم على أهله ، فألقاها في جانب البيت فارغةً مطروحةً . فمكث زماناً لا يذكّرها ، ثم كنسوا البيت فراها ملقاةً في الكناسة ، فقال في ذلك . ومن هذا الشعر الأبيات التي فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخبار ابن أُرطاة :

بأبي الوليد وأُمّ نفسي كلّما
كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ
وكرامةٍ للمُعْتَفِينَ إذا أُعْتَفَوْا
أَثَوَى فَأَكْرَمَ فِي الثَّوَاءِ وَقُضِّيتْ
لَمَّا أَتَيْنَاهُ أَتَيْنَاهُ مَا جَدَّ أَلْ
قال الوليدُ يَدِي لَكُمْ رَهْنٌ بَمَا
فإلى الوليدِ إليه ^(٢) حنّت ناقتي
حنّت إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِّي
لا تبتعدنْ إداوةً مطروحةً
إن تُصْبِحِي لا شيءَ فيكِ فربّما
بَدَتِ النُّجُومُ وَذَرَّ قَرْنُ الشَّارِقِ
وشمائلٍ ميمونةٍ وخلائقٍ
في ماله حقاً ووعدٍ صادقٍ
حاجتُنَا مِنْ عِنْدِ أَرْوَعٍ بَاسِقٍ
أَخْلَاقٍ سَبَّاقًا نَقَرُمُ ^(١) سَابِقٍ
حاولتُمُ مِنْ صَامِتٍ أَوْ نَاطِقٍ
تَهْوِي بِمُغْبِرِّ الْمُتُونِ ^(٣) سَمَاقِ
بعضَ الحَئِينَ فَإِنْ شَجَوَكَ شَائِقِ
كانت قديماً للشراب العاتق
أثُرِغْتِ مِنْ كَأْسٍ تَلْدُ لَذَائِقِ

وذكر أن ابن سنيحان ، وهو عبد الرحمن بن أُرطاة المحاربي ، كان حُلَوِّ الأحاديث ، عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيامها وأشعارها ، وكان على ذلك يُصِيب من الشراب ، فكان كل من قدّم من ولاة بني أميّة وأحداثهم ، ممن يُصِيب الشراب يدعوهُ ويُنادمه . فلمّا ولي الوليدُ بن عُتبة

حذو الوليد بن
عثمان في الخمر
وأبطله عنه معاوية

(١) القرم : السبد .

(٢) في اللسان (سملق) : « اليوم » .

(٣) سمالك : جمع سملق ، وهي الأرض المستوية الجرداء التي لا شجر فيها .

ابن أبي سفيان المدينة وعزل عنها مروان بن الحكم، وجد مروان في نفسه. وكان الوليد يُصيب من الشراب ويبعث إلى ابن سيحان فيشرب معه، وابن سيحان لا يظن أن مروان يفعل به الذي فعله. وقد كان مدحه ابن سيحان ووصله مروان. ولكن مروان أراد فضيحة الوليد، فرصده ليلة من المسجد، وكان ابن سيحان يخرج في السحر من عند الوليد ثملاً فيمّر في المقصورة من المسجد حتى يخرج في زقاق عاصم. وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلي، وكذلك عبد الله بن حنظلة وغيرهما من القراء. فلما خرج ابن سيحان ثملاً من دار الوليد أخذه مروان وأعوانه، ثم دعا له محمد بن عمرو، وعبد الله بن حنظلة، فأشهدهما على سُكره، وقد سأله أن يقرأ أم الكتاب، فلم يقرأها، فدفعه إلى صاحب شُرطه فحبسه. فلما أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع في المدينة، وعلم أن مروان إنما أراد أن يفضحه، وأنه لو لقي ابن سيحان ثملاً خارجاً من عند غيره لم يعرض له. فقال الوليد: لا يُبرئني من هذا عند أهل المدينة إلا ضرب ابن سيحان. فأمر صاحب شُرطه فضربه الحد ثم أرسله. فجلس ابن سيحان في بيته [لا يخرج] حياءً من الناس. فجاءه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في ولده، وكان له جليساً، فقال له: ما يجلسك في بيتك؟ قال: الاستحياء من الناس. قال: أخرج أيها الرجل. وكان عبد الرحمن قد حمل له معه كسوة، فقال له: البسها ورُح معنا إلى المسجد، فهذا أحرى أن مُكذَّب به مُكذَّب، ثم ترحل إلى أمير المؤمنين فتخبره بما صنع بك الوليد، فإنه يصلك ويبطل هذا الحد عنك. فراح مع عبد الرحمن في جماعة ولده متوسطاً لهم حتى دخل المسجد، فصلي ركعتين، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأستوانة، فقائل يقول: لم يضرب، وقائل يقول: أنا رأيته يضرب، وقائل يقول: عزّز أسواطاً. ثم رحل إلى معاوية بن أبي سفيان، فدخل إل يزيد بن معاوية فشرب معه. فكلّم يزيد أباه معاوية في أمره، فدعا به

فأخبره بقصته وما صنعه به مروان . فقال : قبح الله الوليد ! ما أضعف عقله !
أما أستحيا أن يضربك فيما شرب ! وأما مروان فإني كنت لا أحسبه يبلغ هذا منك
مع رأيك فيه ومودتك له ! ولكنه أراد أن يضع الوليد عندي ولم يُصب ، وقد وضع
نفسه في حدٍ كنّا ننزّهه عنه ، صار شرطيا ! ثم قال لكاتبه : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد
أبن عُتبة . أما بعد . فالعجب من ضربك أبن سيحان فيما تشرب منه ! ما زدت
على أن عرفت أهل المدينة ما كنت تشربه مما حرّم الله عليك . فإذا جاءك كتابي
هذا فأبطل الحدّ عن أبن سيحان ، وطّف به في حاق المسجد ، وأخبرهم أن صاحب
شرطتك تعدّى عليه وظلمه ، وأن أمير المؤمنين قد أبطل ذلك عنه . أليس أبن
سيحان الذي يقول :

وإني امرؤ أنمى إلى أفضل الورى
إلى نضدٍ من عبد شمس كأنهم
ميامين يرضون الكفاية إن كفوا
غطارفة^(٢) سأسوا البلاد فأحسنوا
فمن يك منهم مؤسراً يغش فضله
وإن تبسط النعمى لهم يبسطوا بها
وإن تزو عنهم لا يضيحوا وتلفهم
إذا انصرفوا للحق يوماً تصرّفوا
سموا فعلا فوق البرية كلها

عديداً إذا أرفضت عصا المتحلف
هضاب أجاً^(١) أركانها لم تقصّف
ويكفون ما ولّوا بغير تكلف
سياستها حتى أقرت لمردف
ومن يك منهم مُفسراً يتعفّف
أكفاً سباطاً نفعها غير مقرّف^(٣)
قليلى التشكى عندها والتكلف
إذا الجاهل الخيران لم يتصرّف
ببنيان عالٍ من مُنيفٍ ومُشرف

(١) النضد : الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف . وأجاء ، بالهمز وسهل : أحد جبلى طيء ،
والآخر يقال له : سلمى .

(٢) غطارفة : سادة شرفاء . الواحد : غطريف . ومردف : تابع .

(٣) سباط : جمع سبط ، وهو السمع . وغير مقرّف : ليس فيه ما يشين .

وكتب له أن يُعطى أربعمائة شاة وثلاثين لقمحة ، وأمر له بخمسمائة دينار .
وأعطاه يزيد بن معاوية مائتي دينار . ثم قدم بكتاب معاوية إلى الوليد ، فطاف
به في المسجد ، وأبطل ذلك الحد عنه ، وأعطاه ما كتب له به معاوية . وكتب
معاوية إلى مروان يلومه فيما فعله بأبن سيجان ، وما أراد به بذلك . ودعا الوليد
عبد الرحمن بن سيجان أن يعود للشرب معه . فقال : والله لا ذقتُ معك
شرباً أبداً .

وقيل : إن معاوية كتب إلى مروان بإبطال الحد عنه ، وإن مروان هو الذي
أقام عليه الحد في ولايته ، وأن يُخطب بذلك فوق المنبر . فلما ورد عليه الكتاب
عظم عليه ودعا بأبنه عبد الملك فقرأه عليه ، وشاوره فيه . فقال له عبد الملك :
راجعه ولا تكذب نفسك ولا تبطل حكمك . فقال مروان : أنا أعلم بمعاوية إذا
عزم على شيء وأراد ، لا والله لا أراجعه فيه . فلما كان يوم الجمعة وفرغ من الخطبة
قال : وابن سيجان ، فإننا كشفنا أمره فإذا هو لم يشرب مُسكرًا ، وإذا نحن قد عجلنا
عليه ، وقد أبطلت عنه الحد . ونزل وأرسل إليه بألفي درهم .

مقتل سعيد بن
عثمان ورثاؤه له

وذُكر أن سعيد بن عثمان بن عفان لما قدم المدينة بعد قُفوله من الصغد^(١) ،
كان معه غلمان جاء بهم من تلك الناحية ، فوثبوا به في المدينة فقتلوه . . وكان
معه يومئذ عبد الرحمن بن أرمطة بن سيجان ، فهرب عنه . فقال خالد بن عتبة
ابن أبي مَعِيْط — وقيل : بل قال ذلك أبو قטיפفة :

* يا عينُ جودى بدمعٍ منك تهْتَانَا *

البيتين اللذين تقدّم ذكرهما في أخبار أبي قטיפفة .

(١) الصغد ، بالصاد وبالسین : إقليم قصبته سمرقند . (عن ياقوت) .

فقال ابن سِيحان يَعْتَذِرُ مِنْ ذَلِكَ :

فإن كان نادى دَعْوَةً فسمعتها
فشككت يدي واستككت مني المسمعُ
وإلا فكانت بالذي قال باطلاً
ودارت عليه الدَّائِرَاتُ القَوَارِعُ
يلومونني أن كنتُ في الدار حاسراً
وقد فرَّ عنه خالدٌ وهو^(١) دَارِعُ
فقال بعضُ الشعراءِ يُجيبه :

فإنك لم تسمع ولكن رأيتَه
بعينيك إذ تجراك في الدَّارِ واسعُ
وأسلمته للصُّغْدِ تَدَمَّى كُلُّوْمُه
وفارقتَه والصوتُ في الدارِ شائعُ
فلا زلتما في غُلٍّ سوءٍ بَعْبَرَةٍ
ودارت عليكم بالشَّامَاتِ القَوَارِعُ
ولما قُتِلَ سعيد بن عثمان بن عفَّان قالت أمه^(٢) :
أشتهى أن يرثيه شاعرٌ
كما في نفسى حتى أعطيه ما يحتكم . فقال ابنُ أرطاة :

إن كنتِ باكيةً ففِيَّ
فابكي هَبَاتٍ^(٢) على سَعِيدِ
فارقتِ أَهْلَكَ بَغْتَةً
وجلبتِ حَتْفَكَ مِنْ بَعِيدِ
أَذْرِي دَمْعَكَ وَالِدِّمَا
ء على الشَّهِيدِ ابْنِ الشَّهِيدِ

فقالت : هكذا كنتِ أشتهى أن يُقال فيه ، ووصلت ابنُ أرطاة ، وكانت تندبه بهذا الشعر .

وقيل : جلس ابنُ أرطاة بن سِيحان وخالد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط بعد قتل
سعيد بن عثمان بن عفَّان يتحدثان ، فجري ذكرُه فبكيا عليه ، فقال
ابن سِيحان يرثيه :

ألا إن خير الناس إن كنتَ سائلاً
سعيد بن عثمان القَتِيلُ بلا^(٣) ذَحْلٍ

(١) الدارع : لابس الدرع .

(٢) هبَّت : ثكَلت .

(٣) الذحل : الثَّار .

هو وابن أبي معيط
في رثاء سعيد
بن عثمان

تَدَاعَتْ عَلَيْهِ عُصْبَةُ فَارَسِيَّةٌ فَأَضْحَى سَعِيدٌ لَا يُمِرُّ وَلَا يُحْلِي
وقال خالد بن عَقْبَةَ :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا
سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ قَتِيلُ الْأَعَاجِمِ
بَكَتْ عَيْنُ مَنْ لَمْ يَنْبِكْهُ وَسْطُ يَثْرِبٍ
يَدَ الدَّهْرِ ^(١) مِنْهُ بِالْذَّمِّ مَوْعِ السَّوَاجِمِ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَرْدَتْ صَرُوفُهَا
سَعِيدًا فَمَنْ هَذَا مِنَ الْمَوْتِ ^(٢) سَالِمِ

وقيل : دخل ابن سِيحَانَ عَلَى أَبِي عَمٍّ لَهُ يَقَالُ لَهُ : الْحَارِثُ بْنُ سَرِيْعٍ ،
فَوَجَدَهُ يَشْرَبُ نَبِيذًا لَزِيْبٍ . فَجَعَلَ يَعْظُهُ وَيَأْمُرُهُ بِشُرْبِ الْخَمْرِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا بَنَ
سَرِيْعٍ ، إِنْ كُنْتَ تَشْرَبُهُ عَلَى أَنْ نَبِيذُ الزَّيْبِ حَلَالٌ فَأَنْتَ أَحَقُّ ، وَإِنْ كُنْتَ
تَشْرَبُهُ عَلَى أَنَّهُ حَرَامٌ تَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهُ وَتَتَنَوَّى التَّوْبَةَ ، فَأَشْرَبَ أَجُودَهُ ، فَإِنْ الْوِزْرُ
وَاحِدٌ . ثُمَّ قَالَ :

دَعِ ابْنَ سَرِيْعٍ شُرْبَ مَا مَاتَ مَرَّةً
وَخُذْهَا سُلَافًا حَيَّةً مُزَّةَ الطَّعْمِ
تَدْعُكَ عَلَى مُلْكِ ابْنِ سَاسَانَ وَالْيَا
إِذَا حَرَّمْتَ قُرْأُونَا حَلَبَ الْكَرْمِ
فَشَتَّانَ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ فَأَعْتَزَمْ
عَلَى مُزَّةِ صَهْبَاءَ رَأَوْقَهَا يَهْمِي
فَإِنَّ سَرِيْعًا كَانَ أَوْصَى بِحُبِّهَا
بَنِيهِ وَعَمِّي جَاوَزَ اللَّهَ عَنْ عَمِّي
أَلَا رَبِّ يَوْمٍ قَدْ شَهِدْتُ بَنِي أَبِي
عَلَيْهَا إِلَى أَنْ غَابَ تَالِيَةُ ^(٣) النَّجْمِ
حَسَوُهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَالشَّمْسُ حَيَّةً
تُدَارُ عَلَيْهِمُ بِالصَّغِيرِ وَالْبُضْخَمِ
فَمَاتُوا وَعَاشُوا وَالْمُدَامَةُ بَيْنَهُمْ
مُشْعَشَعَةٌ كَالنَّجْمِ تُوصَفُ بِالْوَهْمِ

وقيل : كَانَ ابْنُ سِيحَانَ يُنَادِمُ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ وَيَشْرَبُ مَعَهُ
الْخَمْرَ ، وَهُوَ الْقَائِلُ لَهُ :

(١) يد الدهر : كلمة يراد بها الدوام .

(٢) هذه رواية التجريد . وعليها الإقواء . وفي بعض أصول الأغاني :

* سَعِيدًا فَمَنْ هَذَا عَلَيَّاسًا *

(٣) تالية النجم : آخرها .

أراد ابن عم له
على شرب الخمر

منادمته الوليد
ابن عقبة

إِصْبَحْ نَدِيمَكَ مِنْ صَفَرَاءِ صَافِيَةٍ حَتَّى يَرْوَحَ كَرِيماً نَاعِمَ الْبَالِ
وَأَشْرَبْ هُدَيْتَ أَبَا وَهْبٍ مُجَاهِرَةً وَأَخْتَلْ فَإِنَّكَ مِنْ قَوْمِ أُولَى^(١) خَالِي
أَنْتَ الْجَوَادُ أَبَا وَهْبٍ إِذَا جَمَدَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ بِمَا تَحْوِيهِ مِنْ مَالِ
لَمَّا تَوَاصَوْا بِقَتْلِي قُتُّ مُعْتَرِماً حَتَّى حَمَيْتُ مِنَ الْأَعْدَاءِ أَوْصَالِي
عَمَّ الْوَلِيدُ بِمَعْرُوفٍ عَشِيرَتَهُ وَالْأَبْعَدُونَ حَظُّوا مِنْهُ بِإِفْضَالِ

حماية الوليد له
وشعره فيه

وكان ابن سيحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده ، ولم تقم عليه
بيته ، فتأمر به القوم ومنع منه ابن خال له ، وخاف الوليد بن عتبة أن يرجع إلى
المدينة هارباً منهم وخوفاً من جنايته عليهم فيفارقه وينقطع عنه ، فدعاهم وأرضاهم
وأعطاهم دية صاحبهم . فلم يزل عند الوليد حتى عزل ، وهو نديمه وصفيّه . وهو
القائل في الوليد :

بَاتَ الْوَلِيدُ يُعَاطِنِي مُشْعِشَةً حَتَّى هَوَيْتُ صَرِيحاً بَيْنَ أَصْحَابِي
لَا أَسْتَطِيعُ نُهُوضاً إِنْ هَمَمْتُ بِهِ وَمَا أَتَّهَنُهُ عَنْ حَسْوٍ وَتَشْرَابِ
كَأَنْتَى مِنْ مُحِيّاً كَأَسِهِ جَمَلٍ صَحَّتْ قَوَائِمُهُ مِنْ بَعْدِ أَوْصَابِ

وذكر أنه دخل عبد الرحمن بن سيحان بن أرطاة على سعيد بن العاص ،
وهو أمير المدينة ، فقال له : أأنت القائل :

هو وسعيد بن
العاص في وصفه
للخمر وما كان
من معاوية

إِنَّا لَنَشْرَبُهَا حَتَّى تَمِيلَ بِنَا كَمَا تَمِيلُ وَسَنَانٌ بَوْسَنَانِ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَشْرَبَهَا وَأَنْعَمَهَا ! وَلَكِنِّي الَّذِي أَقُولُ :

سَمَوْتُ بِحِلْفِي لِلطَّوَالِ مِنَ الذُّرَى وَلَمْ تَلْقَنِي كَالنَّسْرِ فِي مُلْتَقَى جَدْبِ
إِذَا مَا حَلِيفُ الْقَوْمِ أَقْعَى مَكَانَهُ وَدَبَّ كَمَا يَمْشِي الْكَسِيرُ^(٢) عَلَى^(٣) نَقَبِ

(١) الحال : الخلاء والكبر .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « الحسير » . وهو المعية .

(٣) النقب : رقة الأخفاف .

وَهَضْتُ^(١) الْحَصَى لَا أَرْهَبُ الضَّيْمَ قَائِمًا إِذَا أَنَا رَاخِي لِي خِنَاقِي بَنُو حَرْبٍ
 وَقَامَ يَجْرُ مِطْرُفَهُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ حَتَّى خَرَجَ . فَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَلَى أَبِيهِ
 فَقَالَ : لَوْ أَمَرْتُ بِهَذَا الْكَلْبِ فَضْرُبَ مَائَتِي سَوَّطَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ . فَقَالَ :
 يَا بُنَيَّ ، أَضْرِبُهُ وَهُوَ حَلِيفُ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةٍ ! وَمَعَاوِيَةُ خَلِيفَةُ^٢ بِالشَّامِ ! إِذَا لَا يَرْضَى .
 فَلَمَّا حَجَّ^٣ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ لِقِيهِ بِمَنَى ، فَقَالَ : يَا سَعِيدُ ! أَمْرُكَ أَحَقُّكَ
 أَنْ تَضْرِبَ حَلِيفِي مَائَةَ سَوَّطٍ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ جَلَدْتَهُ سَوَّطًا لَجَلَدْتُكَ سَوَّطَيْنِ ! فَقَالَ لَهُ
 سَعِيدٌ : وَلَمْ ذَلِكَ ؟ أَوْلَمْ تَجْلِدْ أَنْتَ حَلِيفَكَ عَمْرُو بْنُ جَبَلَةَ ؟ فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : هُوَ لَحْمِي
 آكَلُهُ وَلَا أُؤْكَلُهُ . وَكَانَ ابْنُ سَيْحَانَ قَدْ قَالَ :

لَا يَعْدَمَنِّي نَدِيمِي مَاجِدًا أَنْفًا لَا قَاتِلًا خَالِطًا زُورًا بِيَهْتَانِ
 أُمْسِي أُعَاطِيهِ كَأْسًا لَذَّ مَشْرَبُهَا كَالْمِسْكِ حُفَّتْ بِنَسْرَيْنِ وَرَيْنَحَانِ
 سَبِيئَةٌ^(٢) مِنْ قُرَى بَيْرُوتَ صَافِيَةً أَوِ الَّتِي سَبَيْتَ مِنْ أَرْضِ^(٣) بَيْسَانَ
 إِنَّا لَنَشْرِبُهَا حَتَّى تَمِيلَ بِنَا كَمَا تَمِيلُ وَسَنَانِ بَوْسَنَانِ

(١) الوهص : الدق والكسر .

(٢) بيسان : مدينة بالأردن ، بين صوران وفلسطين .

(٣) السبيئة : الخمر تشتريها لتشربها .

(١) السبيئة : الخمر تشتريها لتشربها .

(٢) بيسان : مدينة بالأردن ، بين صوران وفلسطين .

(٣) السبيئة : الخمر تشتريها لتشربها .

أخبار ابن ميادة

تسبيه

واسمه الرَّمَّاح بن أبرد بن ثريان^(١) بن سُرَاقَة بن حَرْمَلَة . وقيل : ثريان ابن سُرَاقَة بن قيس بن سَلَمَى بن ظالم بن جَدِيمَة بن يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرَّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيَان بن بَغِيض بن رَيْث بن زَيْد بن غطفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن معد بن عدنان .

وأُمّه مِيَادَة ، أُم وَلَدٍ بَرَبَرِيَّة . وقيل : صَقْلَبِيَّة .

وَيُسَكْنِي أَبَا شُرْحُبِيل . وقيل : أَبَا شَرَّاحِيل .

وقيل : كانت أُمّه فَارَسِيَّة . وفي ذلك يقول :

أَنَا ابْنُ أَبِي سَلَمَى وَجَدَى ظَالِمٌ وَأُمِّي حَصَانٌ أَخْلَصَتْهَا الْأَعَاجِمُ
أَلَيْسَ غَلَامٌ بَيْنَ كَسْرَى وَظَالِمٍ بِأَكْرَمٍ مَنْ نَيْطَتْ عَلَيْهِ التَّمَائِمُ

وكانت مِيَادَة هذه لرجل من كَلْب، زوجةً لعبد له يقال له : نَهْبِيل . فاشتراها بنو ثريان فأقبلوا بها من الشام ، فلما قَدِمُوا وَصَبَّحُوا بِهَا الْمَلِيحَةَ . مائة لبني سَلَمَى نظر رجل من بني سَلَمَى إليها وهي ناعسة تَمَّائِلُ على بغيرها ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : اشتراها بنو ثريان . قال : وأبيكم ، إنها لمِيَادَة تَمِيد وتَمِيل على بغيرها . فغلب عليها « مِيَادَة » . فوقع عليها أبرد بن ثريان فأتت بالرَّمَّاح ؛ وكان أبرد يُرْعَى على إخوته وأهله ، وكان ضِلَّةً^(٢) من الضُّلَل ، ورثَةً من الرِّثْث^(٣) ، جَلْفًا لَا تَخْلُص إِحْدَى يَدَيْهِ مِنَ الْأُخْرَى ، وإخوته كلهم كانوا ظُفَاءَ غَيْرِهِ . ولَمَّا حَمَلَتْ مِيَادَة

من خبر أمه

(١) هذه رواية الأصل . وفي أكثر أصول الأغاني : « ثوبان » هنا وفيما سياتي .

(٢) الضلة : الذي لاخير فيه .

(٣) الرثث : سفلة الناس وضعفاؤهم .

بالرَّمَّاح سألوها : لَمَنْ مَا فِي بَطْنِكَ ؟ قالت : لأَبْرَد . وسألوا أَبْرَدَ ، فجعل يسكت ولا يُجيبهم . ولَمَّا أَتَتْ بِالرَّمَّاح ، ورأوه نَجِيبًا ، أَقْرَبَ به أَبْرَدُ . فبنوا الميَّادة بيتًا وأَقْعَدُوها فيه . فجاءت بعد الرَّمَّاح يثريان ، وخليل ، وبشير ، بنى أَبْرَدَ . وكانت أولَ نسائه وآخرهنَّ ، وكانت امرأةٌ صِدْق ، وما رُميت بشيء ولا سُبَّت إلا بنَهْل ، وهو العبد الذي كانت مزوجة به .

وقال عبد الرحمن بن جُهيم الأُسدَى في هجائه ابنَ ميَّادة :

لعمري لئن شابت حليَّةُ نَهْلٍ لبئسَ شبابُ المرءِ كانَ شَبابُها
ولم تدرِ حمراءُ العِجانِ أَنَهْلٌ أبوه أم المرءى تبَّ تَبابُها^(١)
وقال ابنُ ميَّادة يَفخر بأُمه :

أنا ابنُ ميَّادة تَهَوَّى نَجْبِي صلتُ الجِمينَ حَسَنٌ مُرَكَّبِي^(٢)
ترفعني أُمِّي وَيَنَمِينِي أَبِي فوق السَّحابِ ودُورِ الكوكبِ
وقال أيضًا يَفخر بنَسَبِ أبيه في العرب وأُمه في العجم :

لو أنَّ جميعَ النَّاسِ كانوا بَتْلَعَةً وجئتُ بِجَدِّي ظالمٍ وابنِ ظالمٍ
لظَلَّت رِقَابُ النَّاسِ خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامنا بِالْمَاجِمِ
أليس غلامٌ بينَ كَسْرَى وظالمٍ بأَكْرَمٍ منَ نِيطَتِ عليه^(٣) التَّمائمُ
وقد تقدَّم ذكرُ هذا البيت الأخير^(٤) .

(١) العِجان : الدبر . وكان العرب إذا سبوا الأعجمي قالوا له : يا ابنَ حمراءِ العِجان . وتب تبابها : دعاء عليها بالخسران والهلاك .

(٢) النَجْب : جمع نَجِيب ، وهو كل كريم عتيق ، بغيراً أو فرساً . وصلت الجِمين : واضحه مشرقه . ومر كبه ، أى جسمه .

(٣) في البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى في الإعراب .

(٤) انظر (ص ٣٥٦) من هذا الجزء .

لابن جُهيم يهجو
ورده عليه وفخره
بوالديه

وسمع الفرزدقُ البيتين الأولين ، فقال لراويته أضْمُهما إليك . وجعل مكان « ظالم » « دار ما » ، وأدعاها ، وذلك بمحضر ابن ميادة ، فلم ينكر عليه ^(١) .

قليل :

من وصفه

وكان ابن ميادة أحمر سَبَطاً ^(٢) ، عظيم الخلق ، طويل اللحية ، لباساً عِطِراً . وكان فصيحاً يُحتجُّ بشعره . وهو مُحْصَرَم الدَّولَتَيْنِ : الأموية والعباسية . مدح من بنى أمية الوليد بن يزيد ، وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ؛ ومدح من بنى العباس أبا جعفر المنصور ، وجعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس . وكان ينسب بأُم جَحدَر بنت حسان المريّة ، إحدى نساء بني جذيمة . خلف أبوها ليُخرجنها إلى رجلٍ من غير عشيرته ولا يُزوّجها بنجد . فقدم عليه رجلٌ من أهل الشام ، فزوجه إياها ، فلقى عليها ابن ميادة شدة . فلما خرج بها زوجها إلى بلاده أندفع ابن ميادة يقول :

نسبه بأُم جَحدَر
وشعره فيها

ألا ليت شِعْرى هل إلى أُمِّ جَحدَرٍ
إذا نزلت بُصْرى تَرَاحَى مَزَارُهَا
فلو كان نَذْرٌ مُدْنِياً أُمِّ جَحدَرٍ
ألا لا تَلَطَّى السَّيْرُ يا أُمِّ جَحدَرٍ
لعمري لئن أمسيتِ يا أُمِّ جَحدَرٍ
فبَهْراً لقومي إذ يَبِيعُونَ مُهْجَتِي
سَبِيلٌ فَأَمَّا الصِّبْرُ ^(٣) عنها فلا صَبْراً
وأغلقَ بَوَّابانِ مِنْ دُونِهَا قَصْراً
إليّ لَقَدْ أَوْجَبْتُ فِي عُنُقِي نَذْراً
كفى بذراً الأعلام مِنْ دُونِنا سِترا
نأيت لَقَدْ أَبْلَيْتُ فِي طَلَبِ عُذْراً
بجاريةٍ بَهْراً لَهم بَعْدَها بَهْراً

(١) يريد بيتي الفرزدق :

وجئت بجدي دارم وابن دارم
سجوداً على أقدامنا بالهماجم

لو ان جميع الناس كانوا بتلعة
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا

(٢) السبط : الطويل الحسن القد .

(٣) يجوز في « الصبر » النصب على أن مفعول له ؛ والرفع على أنه مبتدأ . (انظر الكتاب

لسيويه ١ : ١٩٣) .

حديث عشقه لها

وحكى رجلٌ من غطفان قال :

كنّا بباب بعضِ الوُلاةِ بالمدينة ، فغَرَضْنَا^(١) من طُولِ الشَّوَاءِ ، فإذا أعرابيٌّ يقول : يا معشرَ العرب ، أمّا فيكم رجلٌ يأتيني أُلله إذ غَرَضْنَا من هذا المكان ، فأخبره عن أُمِّ جَحْدَرٍ وعَنِّي ؟ فحُجْتُ إليه فقلتُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قال أنا الرَّمَّاحُ بنُ أبرد . قلتُ : فأخبرني ببَدْءِ أَمْرِكما . قال : كانت أُمُّ جَحْدَرٍ من عَشِيرَتِي فَأَعْجَبْتَنِي ، وكانت بيني وبينها خُلَّةٌ ، ثمَّ إِنِّي عَتَبْتُ عليها في شَيْءٍ بلغني عنها ، فَأَتَيْتُهَا فقلتُ : يَا أُمُّ جَحْدَرِ ، إِنَّ الْوَصْلَ عَلَيْكَ مَرْدُودٌ . قالت : ما قَضَى اللهُ فهو خير . فَلَبِثْتُ على تلك الحال سنة ، وذهبتُ بهم نُجْعَةً فتابعدوا ، وأُشْتَقْتُ إليها شوقاً شديداً ، فقلتُ لَأُمْرَأَةٍ أَخٍ لِي : والله لئن دَنْتُ دَارُنَا من أُمِّ جَحْدَرٍ لَأَتَيْنَهَا ولَأُطْلِبَنَّ إليها أن تردَّ الْوَصْلَ بيني وبينها ، ولئن رَدَّتْه لا نَقْضُتْهُ أَبَداً . ولم يكن يوماً حتى رَجَعُوا . فلما أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عليهم فإذا بيئتين نازلين إلى سَنَدٍ أَبْرَقَ^(٢) طويلاً ، وإذا أُمْرأتان جالستان في كِسَاءٍ واحدٍ بين البيئتين ، فحُجْتُ فَسَلَّمْتُ ، فردَّتْ إحداها ولم تَرُدِّ الأُخْرَى . فقالت : ما جاء بك يَا رَمَّاحَ إلينا ؟ ما كنّا حَسِبْنَا إِلَّا أَنَّهُ قد انْقَطَعَ ما بيننا وبينك ! فقلتُ : إِنِّي جعلْتُ على نَذْرًا لئن دَنْتُ بأُمِّ جَحْدَرٍ دَارٌ لَأَتَيْنَهَا ولَأُطْلِبَنَّ منها أن تردَّ الْوَصْلَ بيني وبينها ، ولئن هي فعلتْ لا نَقْضُتْهُ أَبَداً . وإذا الذي تُكَلِّمُنِي أُمْرَأَةٌ أُخِيهَا ، وإذا الساكِئَةُ أُمُّ جَحْدَرٍ . فقالت أُمْرَأَةُ أُخِيهَا : فادْخُلْ مُقَدِّمَ الْبَيْتِ . فدخلتُ ، وجاءتْ فدخلتْ من مُؤَخَّرِهِ ، فدنتْ قليلاً ، ثمَّ إذا هي قد بَرَزَتْ . فساعةَ بَرَزَتْ جاء غُرَابٌ فَنَعَبَ على رَأْسِ الْأَبْرَقِ . فنظرتُ إليه وشَهِقْتُ وتغيَّرَ وَجْهُهَا . فقلتُ : ما شأنُكَ ؟ قالت : لا شَيْءَ . قلتُ : بالله إلا أَخْبَرْتَنِي . قالت : أرى هذا الغراب يُخْبِرُنِي أَنَّا لا نَجْتَمِعُ بعد هذا اليوم

(١) غرضنا : ضجرنا .

(٢) السند : ما ارتفع من الأرض . والأبرق : ما كان له لونان : سواد وبياض .

إِلَّا بِلَدٍ غَيْرِ هَذَا الْبَلَدِ . فَتَقَبَّضْتُ نَفْسِي ثُمَّ قُلْتُ : جَارِيَةٌ وَاللَّهِ مَا هِيَ فِي بَيْتِ
عِيَافَةٍ^(١) وَلَا قِيَافَةٍ^(٢) . فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثُمَّ تَرَوَّحْتُ إِلَى أَهْلِهَا فَكُنْتُ عَنْدهُمْ
يَوْمِينَ ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ غَادِيًا إِلَيْهَا . فَقَالَتْ لِي أَمْرَأَةٌ أَخِيهَا : وَيْحَكَ يَا رَمَاحُ ! أَيْنَ
تَذْهَبُ ؟ فَقُلْتُ : إِلَيْكُمْ . فَقَالَتْ : وَمَا تُرِيدُ ؟ قَدْ وَاللَّهِ زُوَّجْتُ أُمَّ جَحْدَرٍ [البارحة] .
فَقُلْتُ : بِمَنْ ؟ وَيْحَكَ ! فَقَالَتْ : بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهَا ، جَاءَهُمْ مِنَ
الشَّامِ فَخَطَبَهَا فزَوَّجَهَا وَقَدْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ . فَمَضَيْتُ إِلَيْهِمْ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ ضَرَبَ
سُرَادِقَاتٍ . فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَأَنْشَدَتْهُ وَحَدَّثَتْهُ ، وَعُدْتُ إِلَيْهِ أَيَّامًا . ثُمَّ إِنَّهُ أَحْتَمَلَهَا
فَذَهَبَ بِهَا . فَقُلْتُ :

أَجَارْتَنَا إِنْ الْخُطُوبُ تَنْوُبُ	عَلَيْنَا وَبَعْضَ الْآمِنِينَ تُصِيبُ
أَجَارْتَنَا لَسْتُ الْغَدَاةَ بِبَارِحٍ	وَلَكِنْ مُقِيمٌ مَا أَقَامَ ^(٣) عَسِيبُ
فَإِنْ تَسْأَلْنِي هَلْ صَبَرْتُ فَإِنِّي	صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
جَرَى بَانْتَاتِ الْحُبْلِ مِنْ أُمِّ جَحْدَرٍ	ظَبَاءُ وَطَيْرٌ بِالْفِرَاقِ نَعُوبُ
فَقَالَتْ حَرَامٌ أَنْ نَرَى بَعْدَ هَذِهِ	جَمِيعِينَ إِلَّا أَنْ يُلِمَّ غَرِيبُ
أَجَارْتَنَا صَبْرًا فَيَارُبَّ هَالِكٍ	تَقَطَّعُ مِنْ وَجَدٍ عَلَيْهِ قُلُوبُ

ثُمَّ أُنْحَدَرْتُ فِي طَلَبِهَا ، وَطَمَعْتُ فِي كَلِمَتِهَا : « إِلَّا أَنْ نَجْتَمِعَ فِي بَلَدٍ غَيْرِ هَذَا الْبَلَدِ »
فَدَرْتُ الشَّامَ زَمَانًا ، فَتَلَقَّانِي زَوْجُهَا . فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَغْسِلُ ثِيَابَكَ هَذِهِ ! أَرْسَلْتُ بِهَا
إِلَى الدَّارِ تَغْسِلُ . فَأَرْسَلْتُ بِهَا . ثُمَّ إِنِّي وَقَفْتُ أَنْتَظِرُ خُرُوجَ الْجَارِيَةِ بِالثِّيَابِ ، فَقَالَتْ
أُمُّ جَحْدَرٍ لَجَارِيَتِهَا : إِذَا جَاءَ فَأَعْلِمِينِي . فَلَمَّا جِئْتُ إِذَا أُمُّ جَحْدَرٍ وَرَاءَ الْبَابِ ،
فَقَالَتْ : وَيْحَكَ يَا رَمَاحُ ! قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ لَكَ عَقْلًا ! أَمَا تَرَى أَمْرَأَةً قَدْ حِيلَ

(١) العيافة : زجر الطير ثم التفاؤل بأسمائها وممرها . والمعروف بالعيافة من العرب : بنو أسد
وبنو لُحَب ، من الأزْد .

(٢) القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها . والمعروف بالقيافة من العرب : بنو مدلج قبيلة من كنانة .

(٣) عسيب : جبل بعلية نخلة . ويقال : لَا أَفْعَلْ كَذَا مَا أَقَامَ عَسِيبُ ، أَي لَا أَفْعَلْ أَبَدًا .

دونه وقد طابت أنفسنا عنه ؟ أنصرف إلى عشيرتك فإني أستحي لك من هذا المقام . فانصرفت وأنا أقول :

عَسَىٰ إِن حَجَجْنَا أَنْ نَرَىٰ أُمَّ جَحْدَرٍ وَيَجْمَعُنَا مِنْ نَخْلَتَيْنِ ^(١) طَرِيقُ
وَتَصْطُكَ أَعْضَادُ الْمِطِيِّ وَبَيْنَنَا حَدِيثٌ مُسَرٌّ دُونَ كُلِّ ^(٢) رَفِيقٍ

والبيتان الأولان، من الأبيات البائية، أغار ابن ميادة على معنييهما ^(٣) ، وهو بيت قاله عمرو القيس بأنقرة ، وهو :

أَجَارَتْنَا إِنْ الْخُطُوبُ تَنْوُبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية أغار عليه ابن ميادة فسرقه برُمته ونقله نقلاً ، وقد تمثل به علي بن أبي طالب رضى الله عنه في رسالة كتب بها إلى أخيه عقيل بن أبي طالب .

من شعره في أم
جحدر

ومما قاله ابن ميادة في أم جحدر ويغنى فيه :

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلْهَوَىٰ وَالتَّذَكُّرِ وَعَيْنٌ قَذَىٰ إِنْسَانِيهَا أُمُّ ^(٤) جَحْدَرٍ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ قَلْبِي لَمْ يَطِرْ وَلَا كَضُلُوعٍ فَوْقَهُ لَمْ تُكْسَرْ

ذكر

بعض ما وقع من التهاجي بين ابن ميادة والحكم الخضرى .

قد طوّل أبو الفرج القول في ذلك ، فنذكر بعضه :

قيل : إنه حكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك تلاحيا في بيتين ابن طريف بن محارب - والخضر : ولد مالك بن طريف ، [سُمُوا بذلك] لأن مالكا

(١) النخلتان : واديان عن يمين بستان ابن عامر وشماله .

(٢) في البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى في الإعراب .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « نصفيهما » .

(٤) يريد أن أم جحدر سبب جريان دموعه ، شأن القذى في العين فإنه يسيلها .

كان شديد الأدمة ، وكذلك خرج ولده فسموا الخضر لذلك — نزل بسُمير
ابن سلمة بن عوسجة بن أنس بن يزيد بن معاوية بن ساعدة بن عمرو ،
وهو خُصيلة بن مُرّة . فأقبل ابنُ ميّادة إلى حَكَم الخُضريّ ليعرضَ عليه شعره
وليسمعَ من شعره . وكان حَكَم أسنهما . فأنشدا جميعاً جماعة القوم . ثم قال
ابنُ ميّادة : والله لقد أعجبنى بيتان قُلتَهما يا حَكَم . قال : أوّما أعجبك من شعري
إلا بيتان ! فقال : والله لقد أعجبانى . يردّد ذلك مراراً لا يزيد عليه . فقال له
حَكَم : فأىُ بيتين هما ؟ قال : حين تُساهم بين ثوبَينِها وتقول :

فوالله ما أدري أزيدت ملاحهً وحسناً على النسوان أم ليس لى عقلُ
تساهم ثوباها فى الدرع رادةً وفى المرط لفانٍ ردْفُهما عبِلُ^(١)

فقال له حَكَم : أوّما أعجبك غيرُ هذين البيتين ؟ فقال له ابنُ ميّادة : قد
أعجبانى . فقال : أوّما فى شعري ما أعجبك غيرهما ؟ فقال : لقد أعجبانى . فقال له
حَكَم : فإنى سوف أعيب عليك قولك :

ولا برح الممدور^(٢) ريانَ مُحْصِباً وجيد^(٣) أعالي شِعبه وأسافلُه
فاستسقيت لأعلاه وأسافلَه [وتركتَ وسطَه ، وهو خير موضع فيه] . فقال :
وأىَ شىء تُريد ؟ تركته لا يزال ريانَ مُحْصِبا . وتهاترا . فغضب حَكَم فارتحل
ناقته وهدر^(٤) ثم قال :

* فإنه يومٌ قريضٍ ورجزٌ *

فقال رجلٌ من بنى مُرة لابن ميّادة : أهدر كما هدر يارمّاح . فقال : إنما
يَغِطُّ^(٥) البكر .

(١) تساهم ثوباها : تقارعا وتقاسما . والرادة : الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء .
والمرط : كساء يؤتزربه . واللواء : الفخذ الضخمة .

(٢) الممدور : موضع فى ديار غطفان .

(٣) جيد : سقى مطراً جوداً ، أى غزيراً .

(٤) هدر : صوت كما يصوت الفحل .

(٥) يغط : يهدر فى شقشقة .

ثم قال الرّماح :

فإنّه يومٌ قريضٍ ورَجَزٍ مَنْ كانَ مِنْكُمْ ناكِزاً فَقَدْ نَكَزَ
وبَيْنَ الطَّرْفِ النَّجِيبُ فَبَرَزَ

فهذا أول ما هاج التّهاجى بينهما .

قصيدته في هجاء
الحكم

ومما هجا ابن ميادة به الحكم الخضرى قصيدته التى ينسب فيها بأمر جحدر ،
وأولها :

يُمْنُونى مِنْكَ اللّقاءُ وإِنّى لأَعْلَمُ لا أَقْلاكِ مِنْ دُونِ قَابِلِ
يقول فيها :

مِن الصَّفْرِ لا وَرْهَاءَ سَمَجٍ دَلالُها وليستُ مِنَ السُّودِ القِصارِ^(١) الحوائِلِ
ولكنها رِيحانةٌ طابَ نَشْرُها وردتُ عليها بالضُّحى والأصائلِ
ومنها :

فيا لَيْتَ رَثَّ الوَصْلِ مِنْ أُم جَحْدَر لنا بِجَدِيدٍ مِنْ أَوَّلِكَ البَدائلِ
فلم يَبْقَ مِمّا كانَ بَيْنى وبَيْنِها مِنَ الوُدِّ إِلَّا مُخَفِّياتِ الرِساءِلِ
وَإِنّى إِذا اسْتَنْبَهْتُ مِنْ حُلُوِّ رَقْدَةٍ رُمِيتُ بِجُبِّيها كَرَمىِ المَناسِلِ
فما أَنَسَ مِنَ الأشياءِ لا أَنَسَ قَوْلُها وأدْمُعُها يُذْذِرِينَ حَشَوَ المَكاكِيلِ
تَمَتَّعْ بِذا اليَوْمِ القصِيرِ فَإِنَّه رَهينٌ بِأَيَّامِ الدَّهْورِ الأَطْوالِ
وَكَنتُ أُمراً أَرْمى^(٢) الزَّوائِلَ مَرَّةً فأَصْبَحْتُ قَدْ ودَّعْتُ رَمىَ الزَّوائِلِ
إِذا حلَّ بَيْتى بَيْنَ بَدْرِ وَمَازَنِ ومُرَّةً نَلْتُ الشَّمْسَ واشتَدَّ كاهِلِ
فَضَلْنَا قُرَيْشاً غَيْرَ رَهْطِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرَ بَنى مَرْوانَ أَهْلِ الفَضائلِ

(١) الورهاء : الخرقاء الحمقاء . والسمج : الذى لا ملاحه فيه . والحوائل : جمع حائلة ، وهى

المتغيرة اللون . (٢) الزوائل ، يريد : النساء ، على التشبيه بالوحش . يقال : فلان يرمى

الزوائل ، إذا كان طبا بإصباغ النساء إليه .

و بلغ قوله هذا إبراهيم بن هشام الخزومي ، فقال له : أنت فضلت قریشاً !
وجردده فضر به أسواطاً .

وقال له الوليد بن يزيد بن عبد الملك : قدّمت آل محمد قبلنا . قال : ما كان
يمكن يا أمير المؤمنين غير ذلك .

فلما أفضت الخلافة إلى بني هاشم وفد ابن ميادة إلى المنصور ومدحه ، فقال
المنصور ، لما دخل إليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره بما قال . فجعل المنصور يتعجب .

من تهاجيهما

ومن قصائد ابن ميادة التي يهجو فيها الحكم قصيدته التي يقول فيها :
تري بوجوه الخضر خضر محارب طابع لؤم ليس ينبت طينها
وما حملت خضرية ذات ليلة من الدهر إلا أزداد لؤماً جينها
وأجابه الخضر بقصيدة منها :

فما حملت مرية قط ليلة من الدهر إلا أزداد لؤماً جينها
وما حملت إلا للألم من مشي ولا ذكرت إلا بأمر يشينها
ومما قاله ابن ميادة في الحكم الخضرى قصيدته التي أولها :

من هجاء
ابن ميادة

لقد سبقتك اليوم عينك سبقة وأبكاك من عهد الشباب ملاعبه
فوالله ما أدرى أيعليني الهوى إذا جد جد البين أم أنا غالبه
فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لا قيت يغلب صاحبه
يقول فيها :

لقد طال حبس الوفد وفد محارب عن المجد لم يأذن لهم بعد حاجبه
وقال لهم كروا فلست بأذن لكم أبداً أو يمحصى الترب حاسبه
وهي طويلة .

وقيل : سب رجل من قریش ، في أيام بني أمية ، بعض ولد الحسن بن علي
ابن أبي طالب عليهما السلام ، فأغلظ له وهو ساكت ، والناس يتعجبون من

تمثل بعض ولد
الحسن ولد له

صَبْرُهُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَطَالَ أَقْبَلَ الْحَسَنِيَّ عَلَيْهِ مِمَثَّلًا يَقُولُ ابْنُ مِيَادَةَ يَهْجُو الْحَكَمَ
الْخَضْرَى الْمُحَارِبِيَّ :

أُظْنِتُ سَفَاهًا مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا أَنْ أَهْجُوَهَا لَمَّا هَجَتْنِي مُحَارِبُ
فَلَا وَأَيُّهَا إِنِّي بَعَثِي رَتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لِرَاغِبِ
فَقَامَ الْقُرَشِيُّ خَجَلًا وَمَا رَدَّ عَلَيْهِ جَوَابًا .

وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا أَهَاجٌ كَثِيرَةٌ ، وَآخِرُ ذَلِكَ أَنَّهُمَا اجْتَمَعَا وَأُصْطَلِحَا وَأَنْصَرَفَا
رَاضِيَيْنِ ، فَرَكِبَ بَعْضُ بَنِي مُرَّةٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِشَامٍ ، فَاسْتَغْضَبَهُ عَلَى الْحَكَمِ
الْخَضْرَى فِي قَوْلِهِ :

وَمَا وَلَدْتُ مُرِيَّةً ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا أَزْدَادَ لُؤْمًا جَنِينُهَا
فَأُطْرَدَ^(١) وَأَقْسَمَ : لَنْ ظَفِرَ بِهِ لِيُسْرِجَنَّهُ وَلِيَحْمِلَنَّ عَلَيْهِ أَحَدَهُمْ . فَقَالَ
ابْنُ مِيَادَةَ — وَسَاءَ مَا صَنَعُوا — : عَمَدْتُمْ إِلَى رَجُلٍ قَدْ صَلَحَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ
فَاسْتَعْدَيْتُمْ عَلَيْهِ وَجِئْتُمْ بِإِطْرَادِهِ ! وَبَلَغَ الْحَكَمَ الْخَضْرَى الْخَبْرُ فَطَارَ إِلَى الشَّامِ
فَلَمْ يَبْرَحْهَا حَتَّى مَاتَ .

وَقِيلَ : مَاتَ فِي بَعْضِ أَنْهَارِهَا غَرَقًا ، وَكَانَ لَا يُحْسِنُ الْعَوْمَ ، وَهُوَ وَجْهُ^(٢)
الَّذِي مَدَحَ فِيهِ أَسْوَدُ بْنُ بِلَالٍ الْمُحَارِبِيَّ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

وَاسْتَيْقَنْتُ أَلَّا رَوَّاحَ مِنَ الشَّرَى حَتَّى تُنَاحَ بِأَسْوَدَ بْنِ بِلَالٍ
قَرَمٌ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودَ بِيَابِهِ سَمَتِ الْعُيُونُ إِلَى أَشْمِ طُؤَالِ

وَحَكَى ابْنُ مِيَادَةَ قَالَ : وَصَلْتُ أَنَا وَالشَّعْرَاءُ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ وَهُوَ خَلِيفَةُ ،
وَكَانَ مَوْلًى مِنْ مَوَالِي خَرَّشَةَ ، يُقَالُ لَهُ : شُقْرَانُ ، يَعِيبُ ابْنُ مِيَادَةَ وَيَحْسُدُهُ عَلَى

(١) أُطْرَدَ : أُمِرَ بِإِخْرَاجِهِ وَطْرَدَهُ .

(٢) وَجْهُ ، أَيْ رَحْلَتُهُ وَسَفَرُهُ .

آخِرُ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا
وَمَوْتَ الْحَكَمِ

هُوَ وَشُقْرَانُ بَيْنَ
يَدَيِ الْوَلِيدِ
ابْنِ يَزِيدٍ

مكانه من الوليد، فقال الوليد لشُقْران لما اجتمعت الشعراء : ما علمك بأبن ميادة ؟
قال : علمي فيه يا أمير المؤمنين أنه :

لَيْمٌ يُبَارِي فِيهِ أَبْرَدُ نَهْبَلًا لَيْمٌ أَتَاهُ اللَّؤْمُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فقال الوليد : يا بن ميادة ، ما علمك في شُقْران ؟ فقلت : كان علمي يا أمير المؤمنين
أنه عبد لعجوز من خَرَشَةٍ كَاتَبَتْهُ عَلَى أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا ووَعَدَتْهُ أَنْ تُجِيزَهُ بِعَشْرِينَ
دِرْهَمًا ، فَقَبَضَتْهُ إِيَّاهَا . فَأَغْنِيَهُ عَنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِأَصْلٍ أَحْتَقِرُهُ ،
وَلَا بِفَرْعٍ أَهْتَصِرُهُ . فقال له الوليد : أَجْتَذِبُهُ يَا شُقْران ، فَقَدْ أَبْلَغَ إِلَيْكَ فِي الشَّيْئَةِ .
فَقَصَرَ شُقْران صَاغِرًا . ثُمَّ أَنْشَدَتْهُ ، فَأُقِيمَتِ الشُّعْرَاءُ [جَمِيعًا] غَيْرِي . فَأَمْرٌ لِي بِمِائَةِ
لِقْحَةٍ وَفَحْلُهَا وَرَاعِيهَا وَجَارِيَةُ بَكْرٍ وَفَرَسٌ عَرَبِيٌّ . فَأُخْتَلَتْ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَقُلْتُ :
أَعْطَيْتَنِي مِائَةً صُفْرًا مَدَامُعُهَا كَالنَّخْلِ زَيْنٌ أَعْلَى نَبْتِهِ الشَّرَبُ^(١)
يَسُوقُهَا يَافِعٌ جَعْدٌ مَفَارِقُهُ مِثْلُ الْغُرَابِ غَذَاهُ الصَّرُّ وَالْحَلْبُ
وَذَا سَبِيبٍ^(٢) صُهَيْبِيًّا لَهُ عُرْفٌ وَهَامَةٌ ذَاتُ فَرْقٍ نَابِهَا صَخَبُ
وهذه الأبيات من قصيدة يمدح بها أبن ميادة الوليد بن يزيد ، أجاد فيها
وأحسن ، وأولها :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِالْعَلِيَاءِ غَيْرَهَا سَافِي الرِّيَّاحِ وَمُسْتَنٍّ لَهُ^(٣) صَبَبُ
دَارٌ لَبِيضَاءُ مُسَوِّدٌ مَسَائِحُهَا كَأَنَّهَا ظِلَّةٌ تَرَعَى وَتَنْتَصِبُ
يقول فيها :

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا بَعْدَ هَجَعَتِهَا وَأَمْلَحَ النَّاسِ عَيْنًا حِينَ تَذَنْقَبُ
لَيْسَتْ تَجُودُ بَنِيْلٍ حِينَ أَسْأَلُهَا وَلَسْتُ عِنْدَ خَلَاءِ اللَّهِوَأَغْتَصِبُ

(١) المدامع : المآقي . وذكر أبو حنيفة الدينوري أن الماشية تصفر إذا رعت ما يخضر من
الشجر ، ترى مغابنها ومشافرها وأوبارها صفرا . والشرب : جمع شربة ، وهي ما يحفر حول الشجرة
كالخويض ويملأ ماء فتتروى منه . (٢) السبيب : شعر الذنب والناصية . يريد الفرس المهدي إليه .
(٣) المستن : المنصب ، يريد مطراً . والصبب : الهاوى في تدفق . وفي بعض أصول الأغاني :
« طنب » مكان « صبيب » .

فِي مِرْقِيَّهَا إِذَا مَا عُوْنَتْ جَمَمَ عَلَى الضَّجِيعِ وَفِي أَنْيَابِهَا^(١) شَنَبَ
ومنها :

إِلَى الْوَلِيدِ أَبِي الْعَبَّاسِ مَا عَجَلْتُ
لَمَّا أَتَيْتُكَ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ
إِنِّي أُمِرُّوْا أَعْتَفِي الْحَاجَاتِ أَطْلُبُهَا
وَلَا أُخَادِعُ نَدْمَانِي لِأَخْدَعِهِ
وَلَا أُلِحَّ عَلَى الْخُلَّانِ أَسْأَلُهُمْ
وَأَنْتَ وَأَبْنَاكَ لَمْ يُوْجَدْ لَكُمْ مَثَلُ
الطَّيِّبُونَ إِذَا طَابَتْ نَفُوسُهُمْ
قَسْنِي إِلَى شُعْرَاءِ النَّاسِ كُلَّهُمْ
إِنِّي وَإِنْ قَالَ أَقْوَامٌ مَدِيحَهُمْ
أَجْرِي أُمَامَهُمْ جَرَى أُمْرِي^(٨) فَلَجَ

وحكى ابن ميادة قال : قلت وأنا عند الوليد بن يزيد بأبأين ، وهو موضع

كان ينزله في الرَّبِيع :

شعره في الحنين
إلى وطنه وحديث
الوليد معه

- (١) الجسم : كثرة اللحم . والشنب : ماء ورقة يجرى على الثغر .
(٢) أبو العباس : كنية الوليد بن يزيد . والمعط : جمع معطاء ، وهي الأرض الجرداء .
ونيان : موضع قرب تيماء . وفي بعض أصول الأغاني : « لبنان » .
(٣) أعتفى : أطلب . والسنىق : الذى قد شبع حتى بشم .
(٤) الندمان : المنادم على الشراب ، وكذلك هو كل رفيق ومصاحب . واللبب : البال .
واسترخاء البال : دليل الرخاء والسعة . ومنه : فلان فى لبب رضى . وأصل اللبب : مايشد على صدر
الدابة أو الناقة .

- (٥) الغارب : الكاهل . والقتب : إكاف البعير .
(٦) شوس : ينظرون بمؤخر العين تكبراً وتغيظاً . الواحد : أشوس .
(٧) غب : فسد وردؤ . وما اجتلبوا ، أى ماساقوه .
(٨) فلج ، بالفتح وحرك الشعر : ظافر فائز .

لَعْمُرِكَ إِنِّي نَازِلٌ بِأَبَايِنِ لَصَوْرٍ^(١) مُشْتَقٌّ وَإِنْ كُنْتُ مَكْرَمًا
أَبَيْتُ كَأَنِّي أَرَمَدُ الْعَيْنِ سَاهِرٌ إِذَا بَاتَ أَصْحَابِي مِنَ اللَّيْلِ نَوْمًا

فَقَالَ لِي الْوَلِيدُ : يَا بَنَ مِيَّادَةَ ، كَأَنَّكَ غَرَضْتُ^(٢) مِنْ قُرْبِنَا ! فَقُلْتُ : مَا مِثْلَكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُغْرَضُ مِنْ قُرْبِهِ ، وَلَكِنْ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنِّي لَيْلَةً بِحَرَّةٍ لَيْلِي حَيْثُ رَبَّنِي^(٣) أَهْلِي
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ تَطَالَعُ مِنْ هَجَلٍ خَصِيبٍ^(٤) إِلَى هَجَلٍ
بِلَادٍ بِهَا نَيْطَتْ عَلَى تَمَائِي وَقُطِّعَنَّ عَنِّي حِينَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي
فَإِنْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَابِسِي فَأَيْسِرْ عَلَيَّ الرِّزْقَ وَأُجْمَعْ إِذَا شَمَلِي

فَقَالَ : كَمْ الْهَجْمَةُ ؟ قُلْتُ : مِائَةُ نَاقَةٍ . قَالَ : قَدْ صَدَرْتُ بِهَا كُلِّهَا عَشْرَاءَ^(٥) .
قَالَ : أَبْنُ مِيَّادَةَ : فَذَكَرْتُ وَلَدَانَا لِي بِنَجْدٍ إِذَا أُسْتَطْعِمُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَطْعَمَهُمُ
اللَّهُ وَأَنَا ، وَإِذَا اسْتَسْقَوْا اللَّهَ سَقَاهُمُ اللَّهُ وَأَنَا ، وَإِذَا اسْتَكْسَوْا اللَّهَ كَسَاهُمُ اللَّهُ وَأَنَا .
فَقَالَ : يَا بَنَ مِيَّادَةَ ، وَكَمْ وَلَدَانُكَ ؟ قُلْتُ : سَبْعَةٌ عَشَرَ ، مِنْهُمْ عَشْرَةٌ نَفَرٌ وَسَبْعُ
نِسْوَةٍ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فَأَخَذَ بِقَلْبِي . فَقَالَ : يَا بَنَ مِيَّادَةَ ، قَدْ أَطْعَمَهُمُ اللَّهُ
وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَقَاهُمُ اللَّهُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَسَاهُمُ اللَّهُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .
أَمَّا النِّسَاءُ فَأَرْبَعُ حُلِيٍّ مُخْتَلِفَاتُ الْأَلْوَانِ ، وَأَمَّا الرِّجَالُ فَثَلَاثُ حُلِيٍّ مُخْتَلِفَاتُ
الْأَلْوَانِ . وَأَمَّا السَّقِيُّ فَلَا أَرَى مِائَةَ لِقْحَةٍ إِلَّا سَتَرُوهُمْ ، فَإِنْ لَمْ تُرَوْهُمْ زِدْتُهُمْ
عَيْنَيْنِ مِنَ الْحِجَازِ . قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَسْنَا بِأَصْحَابِ عُيُونٍ يَا كُلُّنَا بِهَا

(١) صوور : ماء لكلب على مسافة يوم من الكوفة .

(٢) غرضت : ضجرت .

(٣) ربه : ربه .

(٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . والهجل : المظمن من الأرض .

(٥) العشراء : الناقة أتى على حملها عشرة أشهر .

البَعُوضُ ، وتأخذنا بها الحُمَيَّات . قال : فقد أخلفها الله عليك ، لك كُلَّ عام فيه مثلُ ما أعطيتك العام : مائة لِقْحَةٍ وفَحْلها وجاريةٌ وفَرَسٌ عَتِيق .

أراد بنو كلب
إبدال ما أجازه
الوليد فقال شعراً

وقيل : إنَّ الوليدَ بنَ يزيدَ لما أمرَ لأبن ميادةَ بالمائة من الإبل جعلها على صدقات بني كلب . فلما أتى الخولُ أرادوا أن يبتاعوا له من الطرائد ، وهي الغرائب ، وأن يُمسكوا التلاد^(١) ، فقال ابنُ ميادة :

ألم يَبْلُغْكَ أنَّ الحَيَّ كَلْباً أرادوا في عَطِيَّتِكَ أرْتَدَاداً
وقالوا إِنَّهَا صُهْبٌ وَوُرُقٌ وقد أَعْطَيْتَهَا دُهْماً^(٢) جِعَاداً
فَعَلِمُوا أنَّ الشَّعْرَ سَيَبْلُغُهُ فَيُغْضِبُهُ ، فقالوا : أنْطَلِقْ فَخُذْهَا صُفْراً جِعَاداً .

رثاؤه للوليد
ابن يزيد

ولما قُتِلَ الوليدُ بنَ يزيدَ قال ابنُ ميادةَ يرثيه :

أَلَا يَا لَهْفَتِي عَلَى وَلِيدٍ غَدَاةَ أَصَابِهِ الْقَدَرُ^(٣) الْمَتَّاحُ
أَلَا بَكَى الْوَلِيدَ فَتَى قُرَيْشٍ وَأَسَمَحَهَا إِذَا عُدَّ السَّمَاحُ
وَأَجْبَرَهَا لَذَى عُظْمٍ مَهْيُضٍ إِذَا ضَنَّتْ بِدِرَّتِهَا الْقَّاحُ
لَقَدْ فَعَلْتُ بَنُو مَرْوَانَ فِعْلاً وَأَمراً مَا يَسُوعُ بِهِ^(٤) الْقَرَّاحُ

للمؤلف في
مقتل الوليد

قلت : الذي قتل الوليدَ بنَ يزيدَ ابنُ عمِّه يزيدَ بنَ الوليدَ بنَ عبد الملك ، واطأه على ذلك جَمْعٌ كبيرٌ لأجلِ فسقه وتهتكه . وسيأتى ذكر مقتله في هذا الكتاب . وكانت مدة خلافته سنةً واحدةً وأشهرًا . وولى الخلافة قاتله نحو ستة أشهر . وأضطرب حبل بني أمية بقتلهم الوليد ، ولم ينتظم لهم أمر بعده ، حتى أفضى الأمرُ إلى بني العبَّاس .

(١) التلاد : مانتيج عندهم .

(٢) الصهب : التي في ظاهر شعرها حمرة وفي أصوله سواد . والورق : التي لونها سواد في

بياض . والدهم : السود . والجعاد : الملتوية الوبر .

(٣) المتاح : الماء الخالص لم يخالطه شيء .

(٤) القراح : المقدر .

هو وزينب بنت
مالك

وحكى ابنُ ميادة قال :

خرجتُ قافلاً من سَلْع^(١) إلى نجد حتى إذا كنتُ ببعضِ هضابِ الحرّةِ رُفِعَ
لى بيتٌ كالطَّرَافِ^(٢) العظيم ، وإذا بفنائِه غنمٌ لم تَسْرَحْ ، فقلتُ : بيت من
بُيوتِ بنى مُرّةٍ وبنى من العَيمةِ^(٣) إلى اللبنِ ما ليس بأحد . فقلتُ : آتيهم وأُسلِّمَ
عليهم وأشرب من لبنهم . فلما كنتُ غيرَ بعيدٍ سَلَّمْتُ . فردّتْ على امرأةٍ بَرَزَةٍ^(٤)
بفناء البيت ، وحيّت ورحبتْ وأستنزلتني ، فنزلتُ . فدعتْ بلبن ولبأ^(٥) ، ورسلٍ
من رسل تلك الغنم . ثم قالت : هيا فلانة ، ألبسى شَفًّا^(٦) وأخرجى . فخرجتُ
على جاريةٍ ما رأيتُ في الخلق مثلاً قبل ولا بعدُ ، فإذا شَفُّها ذلك ليس يُوارى
منها شيئاً ، وقد نبأ عن رَكبها^(٧) ما وقع عليه من الثوب ، فكأنه قَعْبٌ^(٨) مُكْفَأٌ ،
ثم قالتُ : يا ابنَ ميادة الخبيثة ، أنتِ القائلُ :

وتُبْدَى الحُمَيْسيّاتُ في كُلِّ زينةٍ فُروجاً كأثارِ الصَّغارِ من البَهمِ
فقلتُ : لا والله — جعلني الله فداك يا سيدتي — ما قلتُ هذا قطُّ ،
وإنما قلتُ :

وتُبْدَى الحُمَيْسيّاتُ في كُلِّ زينةٍ فُروجاً كأمثالِ المُقيسِرةِ^(٩) الدِّهَمِ
وكان يقال للجارية الحُمَيْسيّة : زينب بنت مالك . وفيها يقول ابن ميادة
قصيدته التي أولها :
* أَلْمَا فُزُورَا اليَوْمَ خَيْرَ مَزَارٍ *

(١) سلع : جبل قرب المدينة .

(٢) الطراف : البيت من آدم ليس له سترة في مؤخره .

(٣) العيمة : شهوة اللبن .

(٤) البرزة : التي تبرز للناس ويجلس إليها القوم ، مع عفة وعقل .

(٥) اللبأ : أول اللبن عند النتاج . والرسل : اللبن .

(٦) الشف : الرقيق من الثياب .

(٧) الركب : الفرج . (٨) القعب : القدح الضخم . والمكفأ : المقلوب .

(٩) المقيسرة : الإبل المسان .

يقول فيها :

نظرنا فهاجتنا على الشوق والهوى لزنب ناراً أوقدت مجبار
كان سناها لاح لي من خصاصة على غير قصدٍ والمطى سوارى
حميسة بالرملتين محلها تمد بحلف بيننا وجوار
تجاور من سهم بن مرة نسوة بمجتمع النقبين غير عوارى
نواغم أبكاراً كأن عيونها عيون طباء أو عيون صوار^(١)

وقيل : أعطى الوليد بن يزيد ابن ميادة جارية طبرية^(٢) أعجمية لا تفصح ، شعره في جارية أعطاه إياها الوليد حسناء جميلة كاملة لولا العجمة ، فعشقه وقال فيها :

جزاك الله خيراً من أمير فقد أعطيت مبرداً سخوناً
بأهلى ما ألدك عند نفسى لو أنك بالكلام تُعريّنا
كأنك ظبية مضغت أراكا بوادي الجزع حين تبغميننا^(٣)

وذُكر أن الوليد بن يزيد قال لأبن ميادة فى بعض قدماته عليه : من تركت عند نسائك ؟ فقال : رقيين لا يخالفانى طرفة عين : الجوع والعري .

وذُكر أن ابن ميادة مدح أبا جعفر المنصور بقصيدته التى يقول فيها :

* طلعت علينا العيس بالرمّاح *

ثم خرج من عند أهله يُريده ، فر على إبله ، فحلبت له ناقة من إبله ، وراح عليه راعيه بلبنها فشر به ، ثم مسح على بطنه ثم قال : سبحان الله ! إن هذا لشره ! يكفينى ابن بكره وأنا شيخ كبير ، ثم أخرج وأعترب فى طلب المال ! ثم رجع ولم يخرج . وهذه القصيدة من أجود شعر ابن ميادة ، وأولها :

(١) الصوار : القطيع من البقر .

(٢) طبرية : نسبة إلى طبرستان .

(٣) التبغيم : ترخيم الصوت .

شعره في جارية أعطاه إياها الوليد

جوابه للوليد حين سأله عن ترك عند نسائه

عدوله عن الخروج

وكواعبٍ قد قلن يومَ تواعدٍ قولَ المجدِّ وهنَّ كالنِّزاحِ
يالتنَّسا في غيرِ أمرٍ ثائرٍ طلعتُ علينا العيسُ بالرمَّاحِ
بيننا كذاك رأيتني متعصِّباً بالخزِّ فوق جُلالةٍ^(١) سرِّداحِ
فيهنَّ صفراءُ المعاصمِ طفلةٌ بيضاءُ مثلُ غريضةٍ^(٢) التَّفَّاحِ
فنظرن من خللِ الحِجالِ بأعينٍ مرَضَى يُخالطُها السَّقامُ صِحاحِ
وأرتشن^(٣) حينَ أردنَ أن يرمينني نبلاً بلا ريشٍ ولا بقَداحِ

يقول فيها في مدح المنصور وسائر بني علي بن عبد الله بن العباس :

فلئن بقيتُ لألحقنَّ بأجرٍ ينمين لا قطعٍ^(٤) ولا أنزاحِ
ولأتينَّ بني عليٍّ إنهم من يأتهم يُتلقَّ بالإفلاحِ
قومٌ إذا جلبَ الثَّناءَ إليهم بيع الثَّناءَ هناك بالأرباحِ
ولأجلسنَّ إلى الخليفة إنه رَحْبُ الفناءِ بواسعِ بَحْبَاحِ

وهي طويلة .

وحكى بعضهم قال :

شعر له في مطر
أصاب الحاج
وصواعق

اعتمرتُ في رجب سنة خمس ومائة ، فصادفني ابنُ ميادة بمكة وقد مها معتمراً ،
فأصابنا مطرٌ شديد تهدمت منه البيوت وتوالت فيه الصَّواعق ، فجلس إلى
ابن ميادة الغدَّ من ذلك المطر ، فجعل يأتيني قومٌ من قومي وغيرهم فأستخبرهم عن
ذلك الغيث ، فيقولون : صَعِقَ فلان ، وأنهدم منزلُ فلان . فقال ابنُ ميادة : هذا
الغيثُ^(٥) لا الغيثُ . فقلت : فما الغيثُ عندك ؟ فقال :

(١) الجلالة : الناقة العظيمة . والسرداح : الطويلة . وقيل : الكثيرة اللحم .

(٢) الطفلة : الجارية الرقيقة الناعمة . والغريضة : الطرية .

(٣) ارتشن : اتخذن لها ريشاً .

(٤) قطع : قد انقطع ماؤها . الواحد : أقطع . وأنزاح : قد نزح أكثر ماؤها . الواحد : نزح ،

بالتحريك . (٥) الغيث : الفساد .

سحابُ لا من صَيَّبَ ذى صَواعِقٍ ولا مُحْرِقاتِ مأوَهِنِ حَمِيمٍ
إذا ماهِبطُنَ الأرضَ قَد داء^(١) عودُها بكَينَ بها حتى يَعيشَ هَشِيمُ

ووفد ابن ميادة على عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان أمير المدينة ،

فمدحه بقوله :

مَنْ كانَ أخطاهُ الرَّبيعُ فإنما نُصِرَ الحِجازُ بَغِيثِ عبدِ الواحدِ
إنَّ المدينةَ أصبحتْ مَعْمورةً بِمُتَوَجِّ حُلُوِّ الشَّمالِ ما جَد
ولقد بَلَغْتَ بغيرِ أمرٍ تَكْلُفٍ أَعلى الحُطُوطِ برِغَمِ أنفِ الحاسِدِ
وملكتَ ما بينَ العِراقِ وَيَثِربِ مُلكاً أَجارَ مُسْلِمٍ ومُعاهِدِ
مالَئِهما ودَمَئِهما من بعد ما غَشَى الضَّعيفَ شُعاعُ سِيفِ المارِدِ

ومدح ابن ميادة جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، وعرض

بإشارته عليه بالعفو عن بنى أمية والتذكير بأرحامهم بقوله :

لَعَمْرُكَ ما سِيفُ بنى عَلِيٍّ بِنائِيةِ الظُّبَاةِ^(٢) ولا كِلالِ
هُمُ القَومُ الأَلَى وَرِثُوا أباهم تُراثَ مُحَمَّدٍ غَيرَ اُتِّحالِ
وهم تَرَكَوا المَقالَ لَهُم رَفِيعاً وما تَرَكَوا عَلَیْهِم من مَقالِ
حَذَوْتُم قَوْمَكُم ما قَد حَذَوْتُم كما يُحَذِى المِثالَ عَلى المِثالِ
فَرَدُّوا فى جِراحِكُم^(٣) أَساکُم فَقَد أَبْلَغْتُم مَرَّ النِّكالِ

وذکر أن جعفر بن سليمان قال لأبن ميادة : أنت الذى تقول :

بَنى أَسَدٍ إِنْ تَغَضُّبُوا ثُمَّ تَغَضُّبُوا وَتَغَضُّبُ قُرَيشٌ تَحْمُ قَيساً غِضابُها
فَقال : لا والله ما هكذا قلت . قال : فكيف قلت ؟ قال : قلت :

بَنى أَسَدٍ إِنْ تَغَضُّبُوا ثُمَّ تَغَضُّبُوا وَتَعْدِلُ قُرَيشٌ تَحْمُ قَيساً غِضابُها

(١) داء عودها : أصابه الداء .

(٢) الظبابة : جمع ظبة ، وهى حد السيف والسنان والنصل .

(٣) الأسى : المداواة .

قال : صدقت ، هكذا قلت . وهذا البيت من قصيدة يهجو بها ابن ميادة
بنى أسد و بنى تميم ويفتخر بقيس ، منها :

وأحقرُ محفور تميم أخوكم وإن غضبت يرُبعها^(١) وربابها
ألا ما أبالي أن تخندف^(٢) خندف ولست أبالي أن يطن ذبابها
ولو أن قيساً قيس عيلان أقسمت على الشمس لم يطلع عليك حجابها
ولو حاربنا الجن لم نرفع القنا عن الجن حتى لا تهرّ كلابها
لنا الملك إلا أن شيئاً تعدّه قریش ولو شئنا لذت رقابها
وإن غضبت من ذا قریش فقل لها معاذ الإله أن أكون أهابها
وإني لقوال الجواب وإنني لمفتجر^(٣) أشياء يعي جوابها
إذا غضبت قيس عليك تقاصرت يدك وفات الرجل منك ركابها

وقيل : إن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس أحضر ابن ميادة ،
فلما دخل إليه سلم عليه بالإمرة ، فقال له : لا سلم الله عليك ياماص كذا وكذا
من أمه . فقال ابن ميادة : ما أكثر الماصين ! فضحك عبد الصمد ودعا بدقتر
فيه قصيدة ابن ميادة هذه ، ثم قال لابن ميادة : أعتق ما أملك ، إن غادرت منها
شيئاً ، إن لم أبلغ غيظك . فقال ابن ميادة : أعتق ما أملك إن أنكرت منها بيتاً قلته
أو أقررت بيت لم أقله . فقرأها عبد الصمد ثم قال له : أنت قلت هذا ؟
— يعنى قوله :

لنا الملك إلا أن شيئاً تعدّه قریش ولو شئنا لذت رقابها—

فقال : نعم . قال : أفكنت أمنت يا ابن ميادة أن ينقض عليك باز من قریش
فيضرب رأسك ! فقال : ما أكثر البازين ! أفكان ذلك البازي آمناً أن يلقاه

(١) يربوع والرباب : قبيلتان . (٢) تخندف : تهرول ، ومنه كان اسم القبيلة « خندف » .

(٣) الافتجار في الكلام : اختراجه من غير أن تسمعه من أحد فتتعلمه .

بازٍ من قيس وهو يسير فيرميه فتشول رجلاه^(١)؟ فضحك عبد الصمد وأمر له بكسوة .

وتوفي ابن ميادة في صدر خلافة المنصور ، وقد كان مدحه ثم لم يفد إليه ولا أنشده ، لما بلغه من قلة رغبته في مدائح الشعراء .

شعره الذي فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء لأبن ميادة وأفتتح به أبو الفرج أخباره هو :
يا خيلي هجّرا كي ترّوحا هجتما للرواح قلباً قريحاً
إنّ تريغاً^(٢) لتعلما سِرّ سَعْدِي تجداني بسِرّ سَعْدِي شَحِيحاً
إنّ سَعْدِي لَمُنِيّةُ الْمُتَمَنّى جَمَعَتْ عِفّةً وَوَجْهاً صَبِيحاً
كَلَمْتَنِي وَذَاكَ مَا نِلْتُ مِنْهَا إِنَّ سَعْدِي تَرَى الْكَلَامَ رَبِيحاً^(٣)

(١) تشول رجلاه : ترتفع . كناية عن الموت .

(٢) تريغاً : تبغيا وتريدا .

(٣) ربيع : ذو ربح .

أخبار حنين

نسبه وشيء عنه وهو حنين بن بلوع الحيري . وقد اختلف في نسبه ، فقيل : إنه من العباديين . وقيل : إنه من بني الحارث بن كعب ، وقيل : إنه من قوم بقوا من جد يس وطسم ، فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعُدوا فيهم . ويكنى أبا كعب . وكان شاعراً مغنياً فحلاً من فحول المغنين . وله صنعة فاضلة متقدمة . وكان يسكن الحيرة ويكرى الجمال ، وكان نصرانياً ، ومنزله بها . وهو القائل :

أنا حنينٌ ومنزلي النَجَفُ وما نديي إلا الفتى القَصِيفُ^(١)
أفرع بالكأسِ ثغرَ باطيةٍ^(٢) مُترعةٍ تارةً وأغترف
من قهوةٍ باكر التَّجارُ بها بيتَ يهودٍ قرارها الخَرْفُ
والعيشُ غَضٌّ ومنزلي خَصِبٌ لم تغذني شِقْوَةٌ ولا عُنْفُ

مع هشام في الحج وذُكر أنه حجَّ هشامُ بن عبد الملك بن مروان ، وعديله^(٣) الأبرش الكلبي ، فوقف له حنين بظهر الكوفة ومعه عُود وزامرُ له ، وعليه قلنسوة^(٤) طويلة . فلما مرَّ به هشامُ عرض له ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقيل : حنين . فأمر به هشامُ فحمل في حِمْلٍ على جمل وعديله زامرُه ، وسير به أمامه وهو يتغنى :

أمن سَأَمِي بظَهْر الكُو فِ الآياتِ والطللُ
يلوحُ كما تلوحُ على جُفون الصَّيقلِ^(٥) الخللُ

(١) القصيف : حليف اللهو والعب . (٢) الباطية : إزاء الحمر .

(٣) العديل : الذي يعادل في الحمل .

(٤) القلنسية : القلنسوة ، إن ضمنت كسرت السين وقلبت الواو ياء .

(٥) الصيقل : شحاذ السيوف وجلأؤها . والخلل : جمع خلة ، وهي بطانة يغطي بها جفن

السيف تنقش بالذهب وغيره .

فأمر له هشام بمائتي دينار ، وللزامر بمائة .

وقيل بل غنى :

صاح هل أبصرت بالخبِ تين من أسماء نارا
موهناً شبت لعينيك ولم توقد نهارا
كتلالي البرق في المز ن إذا البرق أستطارا
أذكرتني الوصل من سعة دى وأياماً قصارا

جوابه وقد سئل
عن غلوه في ثمن
غنائه

وقيل لحنين : أنت تغنى منذ خمسين سنة ، ما تركت لكريم مالا ولا داراً
ولا عقاراً إلا أتيت عليه ! قال : بأبي أنتم ! إنما هي أنفاسي أقسمها بين الناس ،
أفتكلمونني أن أغلي بها الثمن !

في حضرة بشر
مع الشعبي

وحكى الشعبي رحمه الله قال : لما ولى بشر بن مروزان الكوفة كنت
على مظالمه ، فأتيته عشيّة وحاجبه أعين — صاحب حمام أعين — جالس ،
فقلت له : أستاذن لي على الأمير . فقال : يا أبا عمرو ، هو على حال ما أظنك
تصل إليه معها . فقلت : أعلمه ، وخلاك ذم ، فقد حدث أمر لا بد من إنهائه
إليه — وكان لا يجلس بالعشي — فقال : لا ، ولكن اكتب حاجتك في رقعة .
فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبي ممن يُحتشم منه ، فأذن له .
فأذن لي . فدخلت فإذا بشر بن مروان عليه غلالة^(١) رقيقة صفراء ، وملاءة تقوم
قياماً من شدة الصّقال ، وعلى رأسه إكليل من ريحان ، وعلى يمينه عكرمة
أبن رباعي ، وعلى يساره خالد بن عتاب^(٢) بن ورقاء ، وإذا بين يديه حنين
ابن بُلّوع ومعه عودُه ، فسأمت . فردّ على السلام ورحّب وقرب ، ثم قال :
يا أبا عمرو ، لو كان غيرك لم أذن له على هذه الحال . فقلت : أصلح الله الأمير ،

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

(٢) في الأصل : « خالد بن زياد بن ورقاء » . والتصويب من الطبري .

لك عندى السترُ فى كل ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يَجمَلُ والشكرُ على ما تُولِينى . فقال : كذاك الظنُّ بك . ثم التفتُ إلى حُنين وعوده فى حجره وعليه قباء خُشكشوى^(١) ومُسْتَقَّة^(٢) حمراء ، وخُفَّان مُكَعَّبَان . فسلمَّ علىَّ . فقلت : كيف أنت أبا كعب ؟ فقال : بخير . فقلت : أَحْزَقَ الزَّيْرُ^(٣) وأَرْخَ البَمَّ^(٤) . ففعل وضرب . فأجاد . فقال بشر لأصحابه : تلوُمُوننى على أن آذن له على كُلِّ حال ! ثم أَقبل علىَّ فقال : يا أبا عمرو ، من أين وقع لك حَزَقُ الزَّيْرِ ؟ فقلت : ظننتُ أنَّ الأمرَ هناك . فقال : إنَّ الأمرَ كما ظننتَ هناك كُلُّه ، فمن أين تعرف حُنيناً ؟ فقلت : هذا بَطَّةُ أعراسنا ، فكيف لا أعرفه . فضحك وغمى حُنين فأجاد . فطرب وأمر له بمجانزة . ثم ودَّعته وقتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه . فأمر لى بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب . فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه .

وقيل : قدَّم ابنُ سُرَيْج الحيرةَ ومعه ثلثمائة دينار ، فأَتى بها منزلَ حُنين ، وذلك فى ولايةِ يَشَرَ بنِ مَروان ، وقال : أنا رجلٌ من أهلِ الحجاز من أهلِ مَكَّةَ بلغنى طيبُ الحيرةَ وجودةَ خمرها وحُسنُ غنائك فى هذا الشعر :

حَنَنْتِ حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّى خَاتِلٌ^(٥) يَدْنُو لَصَيْدٍ
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مِنْ رَأَى — وَلَسْتُ مُقَيِّدًا — أُنِّى بَقِيدٌ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأُنْفِقَها معك وعندك ، وتتعاشر حتى تَنفَدَ وأنصرف إلى منزلى . فسأله حُنين عن أسمه ونسبه . فغيَّرها وأدعى ولأى بنى مخزوم . فأخذ حُنين المالَ منه وقال : هذا موفَّرٌ عليك ، ولك عندنا كُلُّ ما يَحْتَاجُ إليه مثلك

(١) خشكشوى : فارسية ، ومعناها : قميص خشن .

(٢) المستقة : الفرو الطويل الكم . فارسى .

(٣) احزق : اشد . والزيّر : أرفع أوتار العود .

(٤) البم : أغلظ أوتار العود . (٥) فى الأصل : « حابل » مكان « خاتل » .

ما نَشِطْتَ للمُقَامِ عندنا ، فإذا دَعَتَكَ نَفْسُكَ إلى بَلَدِكَ جَهَّزْنَاكَ إِلَيْهِ ، وَرَدَدْنَا عَلَيْكَ مَالَكَ ، وَأَخْلَفْنَا مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَيْكَ إِلَى أَنْ جِئْتَنَا . وَأَسْكَنَهُ دَاراً كَانَ يَنْفَرِدُ فِيهَا . فَمَكَثَ عِنْدَ حُنَيْنَ شَهْرَيْنِ لَا يَعْلَمُ حُنَيْنٌ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ أَنَّهُ يُغْنَى . فَانصَرَفَ حُنَيْنٌ مِنْ دَارِ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ مَعَ قِيَامِ الظَّهِيرَةِ ، فَصَارَ إِلَى بَابِ الدَّارِ الَّتِي كَانَ أَنْزَلَ ابْنَ سُرَيْجٍ فِيهَا ، فَوَجَدَهُ مُغْلَقاً ، فَارْتَابَ بِذَلِكَ ، وَدَقَّ الْبَابَ فَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ وَلَمْ يُكَلِّمَهُ أَحَدٌ ، فَصَارَ إِلَى مَنَازِلِ الْحَرَمِ ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا ابْنَتَهُ وَلَا جَوَارِيَهَا ، وَرَأَى مَا بَيْنَ الدَّارِ الَّتِي فِيهَا الْحَرَمُ وَدَارِ ابْنِ سُرَيْجٍ مَفْتُوحاً ، فَأَتَتْضَى سَيْفَهُ وَدَخَلَ الدَّارَ لِيَقْتُلَ ابْنَتَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ رَأَى ابْنَتَهُ وَجَوَارِيَهَا وَقَوْفاً عَلَى بَابِ السَّرْدَابِ ، وَهَنَّ يَوْمئِذٍ إِلَيْهِ بِالسُّكُوتِ وَتَخْفِيفِ الْوُطْءِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى إِشَارَتِهِنَّ ، لَمَّا تَدَاخَلَهُ ، إِلَى أَنْ سَمِعَ تَرْتُّمَ ابْنِ سُرَيْجٍ فِي الصَّوْتِ الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ :

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ ^(١) يَنْشُنُهُ مَا بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ

فَأَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَصَاحَ بِهِ ، وَقَدْ عَرَفَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ قَدْ رَأَاهُ ، وَلَكِنْ بِالنَّعْتِ وَالْحَذَقِ : أَبَا يَحْيَى ! جُعِلَتْ فِدَاكَ ! أَتَيْتُنَا بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ لَتُنْفِقَهَا عِنْدَنَا فِي جِيرَتِنَا ، فَوَحَقَّ الْمَسِيحُ لَاخْرَجْتَ مِنْهَا إِلَّا وَمَعَكَ ثَلَاثَةُ دِينَارٍ ، وَثَلَاثَةُ دِينَارٍ ، وَثَلَاثَةُ دِينَارٍ ، سَوَى مَا جِئْتَ بِهِ مَعَكَ ! ثُمَّ دَخَلَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ وَرَحَّبَ بِهِ ، وَلَقِيَهُ بِخِلَافٍ مَا كَانَ يَلْقَاهُ بِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ هَذَا الصَّوْتِ . فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ صَاغَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . فَصَارَ مَعَهُ إِلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ . فَوَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ وَصَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمِثْلِهَا . فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ رَدَّ عَلَيْهِ حُنَيْنٌ مَا لَهُ وَجَهَّزَهُ وَوَصَلَهُ بِمِقْدَارِ نَفَقَتِهِ الَّتِي أَنْفَقَهَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْخَيْرَةِ ، وَرَجَعَ ابْنُ سُرَيْجٍ إِلَى أَهْلِهِ وَقَدْ أَخَذَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ فِي دَارِ حُنَيْنٍ مِنْهُ هَذَا الصَّوْتِ .

وَقِيلَ : كَانَ الْمَغْنُونُ فِي عَصْرِ حُنَيْنٍ أَرْبَعَةَ : هُوَ وَحَدَهُ بِالْعِرَاقِ ، وَثَلَاثَةً بِالْحِجَازِ ،

(١) يُقَالُ : تَرَكَهُ جَزَرَ السَّبَاعِ : وَذَلِكَ إِذَا قَطَعَهُ إِرْبَاءً إِرْبَاءً وَصِيرَهُ مَعْرُضاً لِسَبَاحِ الطَّيْرِ .

وَيَنْشُنُهُ : يَتَنَاوَلُنُهُ .

هم : ابن سُريج ، والعريض ، ومَعبد . وكان يَبْلُغهم أن حُنيًا قد غنى
في هذا الشعر :

هَلَّا بَكَيْتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَّاهِبِ وَكَفَفْتَ عَنْ ذَمِّ الْمَشِيبِ الْآئِبِ
هَذَا وَرُبَّ مُسَوِّفِينَ ^(١) سَقِيَهُمْ مِنْ خَمْرِ بَابِلَ لَذَّةً لِلشَّارِبِ
بَكَّرُوا عَلَى سُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ مِنْ ذَاتِ كُوبٍ مِثْلَ قَعْبِ الْحَالِبِ
بِزُجَاجَةٍ مَلَأَ الْيَدَيْنِ كَأَنَّهَا قِنْدِيلُ فِصْحٍ ^(٢) فِي كَنِيسَةِ رَاهِبِ

فاجتمعوا فنذاكروا أمر حُنين ، وقالوا : ما في الدنيا أهل صنعة شرٌّ مِنَّا !
لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز لا نَزوره ولا نَسْتزيره . فكتبوا إليه ووجهوا إليه بِنَفَقَةٍ
وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة وأنت وحدك ، فأنت أولى بزيارتنا . فشخص إليهم .
فلما كان على مَرَحَلَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ ، فخرجوا يَتَلَقَّوْهُ . فلم يَرِ يَوْمَهُ كَانَ
أَكْثَرَ حَشْدًا وَلَا جَمْعًا مِنْ يَوْمِئِذٍ . ودخلوا ، فلما صاروا في بعض الطريق قال لهم
مَعبد : صِيرُوا إِلَيَّ . فقال له ابْنُ سُريج : إن كان لك من الشَّرَفِ والمروءة مثلُ
مَا لِمَوْلَاتِي سُكَيْنَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عَطَفْنَا عَلَيْكَ . فقال : مَالِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ .
وَعَدَلُوا إِلَى مَنْزِلِ سُكَيْنَةَ ، فَأَذْنَتْ لِلنَّاسِ إِذْنًا عَامًّا . فَغَصَّتِ الدَّارُ بِهِمْ ، وَصَعِدُوا
فَوْقَ السَّطْحِ ، وَأَمَرَتْ لَهُمُ بِالْأَطْعَمَةِ . فَأَكَلُوا . ثُمَّ سَأَلُوا حُنيًا أَنْ يُغْنِيَهُمْ صَوْتَهُ
الَّذِي أَوَّلَهُ :

* هَلَّا بَكَيْتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَّاهِبِ *

فَغَنَّاهُمْ إِيَّاهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَهُمْ : أَبْدُءُوا أَنْتُمْ . فقالوا : مَا كُنَّا لِنَتَقَدَّمَ قَبْلَكَ حَتَّى
نَسْمَعَ هَذَا الصَّوْتِ . فَغَنَّاهُمْ إِيَّاهُ . وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا . فَازْدَحَمَ النَّاسُ
عَلَى السَّطْحِ وَكَثُرُوا لِيَسْمَعُوا . فَسَقَطَ الرَّوَاقُ عَلَى مَنْ تَحْتَهُ . فَسَلِمُوا جَمِيعًا
وَأُخْرِجُوا أَصْحَاءً ، وَمَاتَ حُنينٌ تَحْتَ الْهَدْمِ . فَقَالَتْ سُكَيْنَةُ : لَقَدْ كَدَّرَ عَلَيْنَا
حُنينٌ سُرُورَنَا ! انْتَظَرْنَاهُ مَدَّةً طَوِيلَةً كَأَنَّا كُنَّا نَسُوقُهُ إِلَى مَنِيِّتِهِ . وَكَانَ عُمُرُهُ
مِائَةَ سَنَةٍ وَسَبْعَ سِنِينَ .

(٢) الفصح : من أعياد النصارى .

(١) المسوف : الصبور .

أخبار الغريض

اسمه وكنيته
وولاه

واسمه عبد الملك . وكنيته أبو زيد . وقيل : أبو مروان . وهو مولى العبلات .
وكان مولداً من مولدى البربر .

ومواليته : الثريا صاحبة عمر بن أبي ربيعة ، وأخواتها الرضيا ، وقريبة ،
وأُم عثمان ، بنات علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس
ابن عبد مناف .

لقبه

وإنما لقب الغريض لأنه كان طرى الوجه غضّ الشباب حسن المنظر .
والغريض : الطرى من كل شيء . وقيل : سمي بالإغريض ، وهو الجمار . وثقل
ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه ، وقيل : الغريض .

حديث تعلمه
الغناء

وكان يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب . وكان قبل أن يغنى
خيّاطاً . وأخذ الغناء عن ابن سريج في أول الأمر . فلما رأى ابن سريج حذقه
وطبعه وظرفه وحلاوة منطقته خشي أن يأخذ غناؤه فيغلبه عليه عند الناس ، ويفوقه
بحسن وجهه ، فحسده . فأعتل عليه وشكاه إلى موليّاته ، وهنّ كنّ دفعنه إليه ليعلمه
الغناء . وجعل يتجنّى عليه ثم أطرحه . وشكا ذلك إلى موليّاته وعرفهن غرض ابن
سريج في تنحيته إياه عن نفسه ، وأنه حسده على تقدّمه . فقلن له : هل لك أن نسمعك
نوحنا على قتلانا فتأخذه وتغنى عليه ؟ قال : نعم ، فأعلن ، فأسمعنه المراثي ، فأحتذاها .
ومرّج غناؤه عليها كالمراثي . وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتضرب دونه
الحجب ، ثم ينوح فيفتن كلّ من يسمعه . ولما كثّر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا
إليه ، لما كان فيه من الشّجاء^(١) ، فكان لا يغنى ابن سريج صوتاً إلا عارضه فيه

فغَنَى فِيهِ لَحْنًا آخَرَ . فَلَمَّا رَأَى ابْنُ سُرَيْجٍ مَوْقِعَ الْغَرِيضِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ . فَغَنَى الْأَرْمَالَ
وَالْأَهْزَاجَ ، فَأَشْتَهَاهَا النَّاسُ ! فَقَالَ لَهُ الْغَرِيضُ : يَا أَبَا يَحْيَى . قَصَّرْتَ الْغَنَاءَ
وَحَدَفْتَهُ . فَقَالَ : نَعَمْ يَا مُحَنَّثٌ . حَيْثُ جَعَلْتَ تَنَوُّحَ عَلَى أَيْبِكَ وَأَمِّكَ .

وَذُكِرَ أَنَّ أَمِيرًا مِنْ أَمْراءِ مَكَّةَ أَمَرَ بِإِخْرَاجِ الْمُغَنِّينَ بِالْحَرَمِ . فَاجْتَمَعَ مَعْبِدٌ
وَابْنُ سُرَيْجٍ وَالْغَرِيضُ وَقَالُوا : هَلُمَّ نَبْكِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي
عَزَمَ بِهِمْ عَلَى النَّفْيِ فِي غَدِهَا ، اجْتَمَعُوا عَلَى أَبِي قَيْسٍ ، وَكَانَ مَعْبِدٌ قَدْ زَارَهُمْ ، فَبَدَأَ
مَعْبِدٌ فَتَغَنَّى :

خبر نفيه وغيره
من المغنين عن
مكة

أَتَرَبَّى مِنْ أَعْلَى مَعَدٍّ هُدَيْمًا أَجِدًّا الْبُكَاءُ إِنْ التَّفَرُّقَ بَاكِرُ
فَمَا مُكُنَّمَا دَامَ الْجَمِيلُ عَلَيْكُمَا بَشْهَلَانُ^(١) إِلَّا أَنْ تُزَمَّ الْأَبَاعِرُ
فَتَأُوهُ أَهْلُ مَكَّةَ وَأَنْوَا ، وَأُنْدَفِعَ الْغَرِيضُ فَغَنَى :

أَيُّهَا الرَّائِحُ الْمَجْدُّ ابْتِكَارًا قَدْ قَضَى مِنْ تِهَامَةِ الْأَوْطَارَا
مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ الْغَدَاةَ خَلِيًّا ففَوَادِي بِالْخَيْفِ أَمْسَى مُعَارَا
لَيْتَ ذَا الْحَجِّ^(٢) كَانَ حَتْمًا عَلَيْنَا كُلَّ شَهْرَيْنِ حِجَّةً وَأَعْمَارَا
فَارْتَفَعَ الْبُكَاءُ وَالنَّحِيبُ . وَأُنْدَفَعَ ابْنُ سُرَيْجٍ فَتَغَنَّى :
جَدَّدِي الْوَصْلَ يَا قُرَيْبُ وَجُودِي لِمُحِبِّ فِرَاقِهِ قَدْ أَلَمَّا
لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوْا جَمَاهُمْ فَتَزَمَّا
فَارْتَفَعَ الصُّرَاخُ مِنَ الدُّورِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ^(٣) . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى الْأَمِيرِ
وَأَسْتَعَفَوْهُ مِنْ نَفْيِهِمْ ، فَأَعْفَاهُمْ .

وَذُكِرَ أَنَّ جَارِيَةَ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرٍ غَنَّتْهُ ذَاتَ يَوْمٍ :

طرب ابن جعفر
بغناء جارية له

لَيْسَ بَيْنَ الرَّحِيلِ وَالْبَيْنِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوْا جَمَاهُمْ فَتَزَمَّا

(١) شهلان : جبل بنجد . وفي الأصل : « بنجران » .

(٢) في الأصل : « لَيْتَ ذَا الدَّهْرِ » . (٣) الحرب : ما يصيب من مكروه .

فطرب عليّ بن جعفر وصاح : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ! أَلَا يُؤْكُونُ ^(١) قَرَبَةً !
أَلَا يَشْدُونُ مَحْمِلًا ! أَلَا يُعَلِّقُونَ سُفْرَةً ^(٢) ! أَلَا يُسَلِّمُونَ عَلَى جَارٍ ! هذه
والله العجلة !

وذكر أنّ سُكَيْنَةَ بنت الحسين عليه السلام حجّت ، فدخل إليها ابنُ سُريج
والغريض ، وقد استعار ابنُ سُريج حُلَّةً لأمّرة من قُرَيْش فَلَبِسَهَا . فقال لها
ابنُ سُريج : يا سيدتي ، إنّني صنعتُ صوتاً وحسنته وتنوّقت فيه وخبأته لك
في حَرِيرَةٍ في دُرْجٍ مملوءٍ مَسْكَاً ، فنارعيه هذا الفاسقُ — يعني الغريض — فأردنا
أن نتحاكّم إليك فيه ، فأبينا قَدَمَتِهِ تقدّم . قالت : هاتِه . فغناها :

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودِجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَحْرَجِي

فقالت : هاتِه أنت يا غريض . فغناها إياه . فقالت لابن سُريج : أعده . فأعاده
وقالت : يا غريض ، أعده . فأعاده . فقالت : ما أشبهكما إلا باللؤلؤ والياقوت
في أعناق الجوّاري الحسان ، لا يُدْرَى أيهما أحسن .

وذكر أنّه حجّت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فجاءتها الثريا وأخواتها
ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهنّ ، وكان الغريض ممّن جاء . فدخل النسوة
عليها . فأمرت لهنّ بكسوة وألّطاف ^(٣) كانت قد أخذتها من جاءها . فجعلت تخرج كلّ
واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت لها به عائشة بنت طلحة ، والغريض بالباب .
حتى خرج مَوْلِيَاتُهُ مع جَوَارِيهِنَّ بِالْخَلْعِ وَالْأَلْطَافِ . فقال الغريضُ : فأين
نصّبي من عائشة ؟ فقلن له : أغفلناك وذهبت عن قلوبنا . فقال : ما أنا ببارح
عن بابها أو أخذَ بِحَظِي منها ، فإنها كريمة بنت كرام . وأندفع يُغْنِي بشعر جميل :

(١) أوكى القرية : شدّها بالوكاء ، وهو الرباط .

(٢) السفرة : طعام المسافرين . هذا أصله . والمراد به : جلد مستدير يحمل فيه الطعام .

(٣) الألفاف : ما ألطفت به .

تذكرت ليلى والفؤاد حميد وشطت نواها والمزار بعيد

فقلت : ويلكم ! هذا مولى العبلات بالباب يذكر بنفسه ، هاتوه . فدخل .
فلما رآته ضحكت وقالت : لم أعلم مكانك . ثم دعت له بأشياء أمرت له بها ،
ثم قالت له : إن غيتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا — لشيء سمته — فغناها
في شعر كثير :

ومازلت من ليلى لدن طر شاربى إلى اليوم أخفى حبها وأداجن
وأحمل فى ليلي لقوم ضغينة وتحمل فى ليلى على الضغائن
فقلت له : ما عدوت ما فى نفسى ، ووصلته وأجزلت إليه .

سبب طرب عائشة
بهذا الصوت

وكان السبب الحامل لعائشة على ذلك ما حكى الشعبي قال : دخلت المسجد
فإذا أنا بمصعب بن الزبير جالس والناس عنده ، فسأمت ثم ذهبت لأنصرف .
فقال لى : أدن . فدنوت حتى وضعت يدي على مراقفه^(١) . ثم قال : إذا قت
فأتبعنى . فجلس قليلاً ثم نهض فتوجه نحو دار موسى^(٢) بن طلحة ، فتبعته . فلما
طعن فى الدار ألقت إلى فقال : ادخل ، فدخلت معه . ومضى نحو حجرته
وتبعته . فالتفت إلى وقال : ادخل . فدخلت معه . فإذا حجلة^(٣) . وإنها لأول
حجلة رأيته للأمير ، فقمْتُ ودخل الحجلة . فسمعت حركة ، وكرهت الجلوس
ولم يأمرنى بالأنصراف . وإذا جارية قد خرجت وقالت : يا شعبي ، إن الأمير
يأمرك أن تجلس . فجلست على وسادة ، ورُفع سجف الحجلة ، وإذا أنا بمصعب
ابن الزبير . ورُفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة . فلم أزوجاً قط كان
أجمل منهما : مصعب وعائشة . فقال مصعب . يا شعبي ، هل تعرف هذه ؟ قلت :

(١) المرافق : المخدات ؛ الواحدة : مرفق ومرفقة . (٢) فى الأصل : « دار أبي موسى » .

(٣) الحجلة : مثل القبة .

نعم ، أصلح الله الأمير . قال : ومن هي ؟ قلت : سيدة نساء العالمين عائشة بنت طلحة . قال : لا ، ولكن هذه ليلى التى يقول فيها الشاعر :

* وما زلتُ من ليلٍ لدُن طرُّ شاربى *

وذكر البيتين . ثم قال : إذا شئتَ فقم . فلما كان العشيَّ رُحْتُ فإذا هو جالس على سريره فى المسجد ، فسلمت . فلمَّا رآنى قال : أدن . فدنوتُ حتى وضعتُ يدي على مرافقه . فأصغى إلى^(١) فقال : هل رأيت مثل ذلك لإنسانٍ قطُّ ؟ قلت : لا والله . قال : أفلا تدري لم أدخلك ؟ قلت : لا . قال : لتحدثَ بما رأيت . ثم التفت إلى عبد الله بن أبي فروة فقال : أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً . فما أنصرف أحدٌ يومئذ بمثل ما أنصرفتُ به : بعشرة آلاف درهم ، وبمثل كارة^(٢) القصَّار ثياباً ، وبنظرة من عائشة بنت طلحة .

وكانت عائشة هذه عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان أبا عذرتها^(٣) . ثم هلك فتزوجها مُصعب بن الزُّبير . فقتل عنها . ثم تزوجها عُمر ابن عبیدالله بن معمر التيمي ، فبنى بها بالحيرة ، فمهدت له يومَ عرسه فرُش لم يرَ مثلاً : سبع أذرع فى عرض أربع . فأنصرف تلك الليلة عن سبع مرَّات . فلقينته مولاةُ لها حين أصبح فقالت : يا أبا حفص ، كملت فى كل شيء حتى فى هذا ! فهلك عنها . ولما مات ناحت عليه وهى قائمة ولم تنح على أحد منهم قائمةً غيره . وكانت العرب إذا ناحت المرأة على زوجها قائمة علم أنها لا تريد أن تتزوج بعده . فقيل لها : يا عائشة ، ما صنعتِ هذا بأحدٍ من أزواجك ! قالت : إنه كان فيه خلال ثلاث لم تكن فى أحدٍ منهم : كان سيِّد بنى تميم ، وكان أقرب القوم بى قرابة ، وأردتُ ألا أتزَّج بعده .

(١) أصغى إلى : أمال رأسه إلى .

(٢) كارة القصَّار : ما يجمعه ويكوره من الثياب فى ثوب يحمله ، فيكون بعضها فوق بعض .

(٣) أبو عذرتها : أى أول من تزجها .

شئ عن عائشة
بنت طلحة

غناؤه يزيد
ابن عبد الملك
في مكة

وقيل :

قدم يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى مكة : فبعث إلى الغريص سرّاً
فأتاه فغناه بشعر كثير :

وإني لأرعى قومها من جلالها وإن أظهروا غشاً نصحت لهم جهدي
ولو حاربوا قومي لكنت لقومها صديقاً ولم أحمل على قومها حقدي
فأشير إلى الغريص : أن أسكت . وفطن يزيد فقال : دعوا أبا يزيد حتى
يُغنيني بما يريد . فأعاد عليه الصوت مراراً . ثم قال : زدني ممّا عندك . فغناه بشعر
عمرو بن شأس الأسدي :

فواندمي على الشباب ووا ندم ندمت وبان اليوم مني بغير ذمّ
أرادت عراراً^(١) بالهوان ومن يرد عراراً لعمري بالهوان فقد ظم
فطرب يزيد وأمر له بجائزة سنّية .

حديث بيتي كثير

ثم أتبع أبو الفرج هذه الحكاية بأن ذكر السبب الذي من أجله أثير إلى
الغريص أن يسكت حين غناه بشعر كثير ، قال : كان عبد الملك بن مروان
من أشدّ الناس حبّاً لعاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وهي امرأته .
وهي أم أبنه يزيد بن عبد الملك . وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز .
فغضبت مرة على عبد الملك ، وكان بينهما باب ، فحجبتّه وأغلقت ذلك الباب . وشق
غضبها على عبد الملك وشكاها إلى رجل من خاصّته ، يقال له : عمر بن بلال الأسدي :
فقال له : مالي عندك إن رضيت ؟ قال : حُكمك . فأتى عمر بابها وجعل يتباكى .
وأرسل إليها بالسلام . فخرجت إليه حاضتها ومواليها وجواريها وقُلن : مالك ؟
قال : فرِعتُ إلى عاتكة ورجوتها ، فقد علمت مكاني من أمير المؤمنين معاوية

(١) عرار : هو ابن عمرو بن شأس .

ومن أبيها بعده . قلن : ومالك ؟ قال : أبنان لم يكن لي غيرهما قتل أحدهما صاحبه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتل الآخر به . فقلت : أنا الولي وقد عفوت . فقال : لا أعود الناس هذه العادة . فرجوت أن يُنَجِّيَ الله أبنى هذا على يدها . فدخلن إليها فذكرن ذلك لها . فقالت : وكيف أصنع مع غصبى عليه وما أظهرت له ؟ قلن : إذا والله يُقتل . فلم يزلن حتى دعت بثيابها فأجمرت^(١) ، ثم خرجت نحو الباب . فأقبل حديج الخصى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه عاتكة قد أقبلت . قال : ويلك ! ما تقول ؟ قال : قد والله طلعت . فأقبلت وسامت . فلم يرُد عليها . فقالت : أمّا والله لولا عمر ما جئت . إن أحد أبنيه تعدى على الآخر فقتله ، فأردت قتل الآخر ، وهو الولي ، وقد عفا . قال : إني أكره أن أعود الناس هذه العادة . قالت : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ، فقد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد ، وهو يبابي . فلم تزل به حتى أخذت برجله فقبّلتها . فقال : هولك . ولم يبرحها حتى اصطلحا . ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف رأيت ؟ قال : رأينا أثرك ، فهات حاجتك . قال : مزرعة بعدتها وما فيها ، وألف دينار ، وفرائض لولدى وأهل بيتي وعيالي . قال : ذلك لك . وأن دفع عبد الملك يتمثل بشعر كثير :

* وإني لأرعى قومها من جلالها *

البيتين . فعلمت عاتكة ما أراد . فلما غنى الغريص يزيد بن عبد الملك بهذا الشعر كرهت مواليه ؛ إذ كان عبد الملك تمثّل به في أمه ، ولم يكرهه يزيد وقال : لو قيل هذا الشعر فيها ثم غنى به ما كان عيباً ، فكيف وإنما هو مثل تمثّل به أمير المؤمنين في أجمل العالمين .

(١) أجمرت : بخرتها .

حديث يتي ابن
شأس

ثم حكى أبو الفرج السبب الذي لأجله غنى الغريضُ ثانياً بشعر عمرو بن شأس
الأسدي، وحكاية عرار بن عمرو، فقال: إن ابن الأشعث لما قُتل بعث الحجاجُ
ابن يوسف برأسه إلى عبد الملك بن مروان مع عرار بن عمرو بن شأس. فلما
ورد به وأُرْصِل كتاب الحجاج، جعل عبد الملك يقرؤه، وكلما شك في شيء سأل
عراراً عنه. فأخبره. فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته، فقال متمثلاً:

وإن عراراً إن يكن غير واضحٍ فإنني أحب الجونَ ذا المنكب^(١) العَمَمُ
فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك. فقال: مما ضحكت؟ ويحك!
فقال: أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟ قال: لا.
قال: أنا والله هو. فضحك عبد الملك وقال: حظٌّ وافق كلمة. ثم أحسن
جائزته وسرَّحه.

وإنما أراد الغريضُ أن يُغني يزيدَ بتمثلات أبيه عبد الملك في الأمور
العظام، فلما تبين كراهة مواليه غنائه فيما تمثَّل به في عاتكة أراد أن يُعقِّبه بما
تمثَّل به في فتح عظيم كان لعبد الملك، فغنَّاه بشعر عمرو بن شأس في عرار.
وحكى معبد قال: خرجتُ إلى مكة في طلب لقاء الغريض، وقد بلغني حُسن
غنائه في لحن:

خروج معبد إليه
وسمعه غناءه

وما أنسَ مِ الأشياءَ لأنسَ شادناً بمكة مَكحولاً أسيراً مدامعة

وقد كان بلغني أنه أول لحن صنعه، وأن الجنَّ نهته أن يُغنيه، لأنه فتن طائفةً
منهم، فأنتقلوا عن مكة من أجل حُسْنه. فلما قدمت مكة سألت عنه فذُلتُ
على منزله. فأتيته فقرعت الباب. فما كلمني أحد. فسألت بعضَ الجيران فقلت:
هل في الدار أحد؟ فقالوا لي: نعم، فيها الغريضُ. فقلت: إني قد أكرتُ

(١) منكب عَم: طويل.

دق الباب فما أجابني أحد . قالوا : إنَّ الغريص هناك . فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يُجِبْنِي أحد . فقلت : إنَّ نَفْعِي غِنَائِي يوماً نَفْعِي اليوم . فاندفعتُ فغنيتُ لَحْنِي فِي شِعْرِ جَمِيل :
 عَلَقْتُ الهوى منها وليداً فلم يزلْ إلى اليوم يَنمى حبُّها ويزيدُ
 فوالله ما سمعتُ حركةَ الباب ، فقلتُ : بطل سِحْرِي ^(١) وضاع سفرى وجئتُ
 أطلب ما هو عسيرٌ عليّ ، وأحتقرتُ نفسي وقلتُ : لم يتوهمني ^(٢) لضعف غِنَائِي
 عنده . فما شعرتُ إلا بصائح يصيح : يا معبدُ المغنى ، أفهم وتلقَ عني شِعْر جَمِيل
 الذى تغنى فيه يا شقيّ البخت ، وغنى :

وما أنسَ م الأشياء لا أنسَ قولها وقد قرَّبت نِضْوِي ^(٣) أمصر تُريدُ
 ولا قولها لولا العيون التى ترى أتيتك فاعذرني فدتك جُدود
 خيلى ما أخفى من الوجد باطن ودَمعى بما قلتُ الغداة شهيد
 يقولون جاهِد يا جميل بغزوة وأى جهادٍ غيرهنَّ أريد
 لكل حديثٍ عندهنَّ بشاشة وكلُّ قتيل ينهنَّ شهيد
 قال : فلقد سمعتُ شيئاً لم أسمع أحسن منه ، وقصّر ^(٤) إلى نفسي ، وعلمتُ
 فضيلته علىِّ بما أحسن من نفسه ، وقلت : إنه لحرىُّ بالاستتار من الناس ، تنزيهاً
 لنفسه وتعظيماً لقدره ، وإن مثله لا يستحقُّ الابتذال ، ولا أن تتداوله الرجال .
 فأردتُ الأنصراف إلى المدينة راجعاً ، فلما كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يصيح بي :
 يا معبد ، انظر ^(٥) أكلّمك . فرجعتُ . فقال لى : إنَّ الغريص يدعوك . فأسرعتُ
 فرحاً ، فدنوتُ من الباب . فقال لى : أتحبُّ الدُخول ؟ فقلت : وهل إلى ذلك من
 سَبِيل ؟ فقرع الباب ففتح . فقال لى : أدخُل ولا تُطلِ الجلوس . فدخلتُ ، فإذا
 شمس طالعةٌ فى بيت ، فسلمتُ . فردَّ السلام . فقال : أجلس . فجلستُ ، فإذا أنبل

(١) بطل سحرى ، أى ضاعت حيلتى وخاب مكبرى . والذى فى الأصل : « بطل شعرى » .

(٢) لم يتوهمنى : لم يتبينى ولم يعرفنى . (٣) النضو : المهزول من الإبل .

(٤) قصر : صغر . (٥) انظر : انتظر .

الناس وجهاً وخلقاً وخلقاً . فقال : يا معبد ، كيف طرأت ^(١) إلى مكة ؟ قلت : جُعلت فداك ! فكيف عرفتني ؟ قال : بصوتك . قلت : وكيف وأنت لم تسمعه قط ؟ قال : لما غنيتَه عرفتكَ به وقلت : إن كان معبد في الدنيا فهذا . فقلت : جُعلت فداك ! فكيف أجبتني بقولك :

* وما أنس م الأشياء لا أنس قولها *

فقال : علمتُ أنك تريد أن أسمعك صوتي :

* وما أنس م الأشياء لا أنس شادنا *

ولم يكن إلى ذلك سبيل ، لأنه صوتٌ قد نهيت أن أغنيَه ، فغنيتُك هذا الصوت جواباً لما سألت . فقلت : والله ما عدوت ما أردت ، فهل لك حاجة ؟ فقال لي : يا أبا عباد ، لولا ملالة الحديث وثقل إطالة الجلوس لاستكثرتُ منك ، فأعذر . فخرجتُ من عنده ، وإنه لأجلُ الناس عندي ، ورجعتُ إلى المدينة فتحدثتُ بحديثه وعجبتُ من فطنته وقِيافته . فما رأيتُ إنساناً إلّا وهو أجلُّ منه في نفسى . وذكرتُ جميلاً وبُدِينة فقلت : ليتنى أصبتُ إنساناً يُحدثنى بقصةٍ جميل وخبر ^(٢) هذا الشعر ، فأكون قد أخذت بفضيلة الأمر كُلِّه في الغناء والشعر . فسألتُ عن ذلك فإذا الحديثُ مشهور . وقيل لي : إن أردت أن تُخبر بمشاهدته فأتِ بنى حنظلة ، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان ، يُخبرك الخبر بمشاهدته . فأتيتُ الشيخَ فسألتُه . فقال : نعم ، بينا أنا في إيلي في الربيع إذا أنا برجلٍ مُنطوٍ على رَحله ^(٣) كأنه جانٌّ ، فسلمَّ علىَّ ثم قال : ممن أنت يا عبد الله ؟ قلت : أحدُ بنى حنظلة . قال : فنسبني ^(٤) ، فانتسبتُ حتى بلغتُ فخذي الذي أنا منه . ثم سألتني عن بنى عذرة أين نزلوا . فقلت : هل ترى ذلك السَّفح فإنهم نزلوا من ورائه . فقال :

(١) طرأت : أقبلت إلى مكة فجأة . والذي في الأصل : « تطرقت » . (٢) في الأصل : « بقصة

جميل وقوله هذا الشعر ، وليتني كنت عرفت خبر ... الخ » .

(٤) نسبني : سألتني أن أنتسب .

(٣) في الأصل : « راحلته » .

يا أبا بني حنظلة ، هل لك في خير تصطنعه إليّ ؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحت
تسوق من هذه الإبل ما كنت بأشكر منّي لك عليه . فقلت : نعم ، ومن أنت
أولاً ؟ قال : لا تسألني من أنا ولا أخبرك ، غير أنني رجل بيني وبين هؤلاء القوم
ما يكون بين بني العم ، فإن رأيت أن تأتيهم فإنك تجد القوم في مجلسهم فتشدهم
بكرة أدماء تجر خفيها غفلاً من السمّة ، فإن ذكروا لك شيئاً فذاك ، وإلا
استأذنتهم في البيوت وقلت : إنّ المرأة والصبي قد يريان ما لا يرى الرجال ،
فتشدهم ولا تدع أحداً يصيبه عينك ولا بيتاً من بيوتهم إلا نشدتها فيه . فأتيته
القوم فإذا هم على جزور يقتسمونها ، فسأمت وأنتسبت لهم ونشدتهم ضالتي . فلم
يذكروا لي شيئاً ، فاستأذنتهم في البيوت وقلت : إنّ الصبي والمرأة يريان
ما لا يرى الرجال . فأذِنوا . فأتيته أقصاها بيتاً ثم استقريتها بيتاً أنشدتهم ،
فلا يذكرون شيئاً . حتى إذا أنتصف النهار وأذاني حرّ الشمس وعطشتُ وفرغتُ
من البيوت وذهبتُ لأنصرف ، حانت منّي التفاتة ، فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت :
ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم ، ثم قلت في نفسي : سوءة ! وثق بي رجل وزعم
أن حاجته تعدل مالي ، ثم آتية فأقول : عجزتُ عن ثلاثة أبيات ! فانصرفت عامداً
إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد أرخى مُقدّمه ومؤخره ، فسأمت فردّ عليّ السلام ،
وذكرتُ لهم ضالتي . فقالت جارية منهم : يا عبد الله ، قد أصبت ضالتك ، وما أظنك
إلا قد اشتدّ عليك الحرّ واشتهيت الشراب ؟ قلت : أجل . فقالت : أدخل .
فدخلتُ . فأتتني بصحفة فيها تمر من تمر هجر ، وقدح فيه لبن . والصحفة
مِصريّة مفضضة ، والقدح مفضض . ولم أرقطُ إناء أحسن منه . فقالت : دونك .
فتجمعتُ وشربتُ من اللبن حتى رويتُ . ثم قلت : يا أمة الله ، والله ما أتيتُ
اليوم أكرم منك ولا أحقّ بالفضل ، فهل ذكرت من ضالتي ذكراً ؟ فقالت :

هل ترى هذه الشجرة فوق الشرف؟^(١) قلت : نعم . قالت : فإن الشمس غربت
أمس وهي تطيف حولها ، ثم حال الليل بيني وبينها . فقامت وجزيتها الخير ، وقلت :
والله لقد تغديت ورويت . فخرجت حتى أتيت الشجرة ، فأطفت بها ، فوالله
ما رأيت من أثر . فأتيت صاحبي فإذا هو متشح في الإبل بكسائه ورافع عقيرته
يغني . فقلت : السلام عليك . قال : وعليك السلام ، ما وراءك ؟ قلت : ما ورأى
من شيء . قال : لا عليك ، فأخبرني بما فعلت . فاقترصت عليه القصة حتى
انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرته بالذي صنعت . فقال : قد أصبت طلبتك .
فعجبت من قوله وأنا لم أجد شيئاً . ثم سألتني عن صفة الإنايين : الصخرة والقدح .
فوصفتهما له . فتنفس الصعداء وقال : أصبت طلبتك ، ويحك ! ثم ذكرت له
الشجرة وأنها رأتها تطيف بها . فقال : حسبك ! فمكثت حتى إذا أوت إيلي
في مباركها دعوته إلى العشاء . فلم يذق منه وجلس مني بمزجر الكلب .^(٢) فلما ظن
أنى قد نمت رفقته ، فقام إلى عيية له فاستخرج منها بردين فاتزر^(٣) بأحدهما وتردى
بالآخر ، ثم انطلق حامداً نحو الشجرة . واستبطنت الوادي وجعلت أخفي نفسي ، حتى
إذا خفت أن يراني أنبطحت . فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجرات قريب من
تلك الشجرة حيث أسمع كلامهما ، فاستترت بهن ، فإذا صاحبه عند الشجرة .
فأقبل حتى إذا كان منها غير بعيد . فقالت : أجلس . فوالله لكأنه لصق بالأرض .
فسلم عليها وسألها عن حالها أكرم سؤال سمعت به وأبعده من كل ريبة . وسألته
مثل مسألته . ثم أمرت جارية معها فقرّبت إليه طعاماً . فلما أكل وفرغ منه ،
قالت : أنشدني ما قلت . فأنشدها :

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم ينمي حبها ويزيد
فلم يزالا يتحدثان ، ما يقولان فحشاً ولا هجراً ، حتى التفتت التفتاة ،

(١) الشرف : المكان العالي . (٢) بمزجر الكلب ، أي غير بعيد .

(٣) فاتزر ، مثل : فاتزر ، أدغمت الهمزة في التاء .

فَنظَرْتُ إِلَى الصُّبْحِ ، فَوَدَّعْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ أَحْسَنَ وَدَّاعٍ مَا سَمِعْتُ بِهِ قَطُّ .
ثُمَّ انصَرَفَا . فَقَمْتُ وَمَضَيْتُ إِلَى إِبِلِي وَأَضْطَجَعْتُ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَمْشِي خُطْوَةً ثُمَّ
يَلْتَفِتُ إِلَى صَاحِبِهِ . فَجَاءَ بَعْدَ مَا أَصْبَحْنَا ، فَرَفَعَ بُرْدِيهِ ثُمَّ قَالَ : يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ ،
حَتَّى مَتَى تَنَامُ ؟ فَقَمْتُ وَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ وَحَلَيْتُ إِبِلِي وَأَعَانْتِي عَلَيْهَا ، وَهُوَ أَظْهَرَ
النَّاسِ سُرُورًا ، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الْغَدَاءِ فَتَغَدَّيْ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى عَيْبَتِهِ فَفَتَحَهَا ، فَإِذَا فِيهَا
سِلَاحٌ وَبُرْدَانٌ مِمَّا كَسَتْهُ الْمُلُوكُ . فَأَعْطَانِي أَحَدَهُمَا وَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ شَيْءٌ
مَا أَذْخَرْتَهُ عَنْكَ . وَحَدَّثَنِي حَدِيثَهُ وَانْتَسَبَ لِي ، فَإِذَا هُوَ جَمِيلٌ وَالْمَرْأَةُ بُثَيْنَةُ .
وَقَالَ لِي : إِنِّي قَدْ قُلْتُ أَيْبَاتًا مِنْ بَعْدِ مُنْصَرَفِي مِنْ عِنْدِهَا ، فَهَلْ لَكَ إِنْ رَأَيْتَهَا
أَنْ تُنْشِدَهَا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . وَأَنْشَدَنِي :

فَمَا أَنْسَمِ الْأَشْيَاءَ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا وَقَدْ قَرَّبْتُ نِضْوَى أَمِصْرَ تُرِيدُ

الْأَيْبَاتُ : ثُمَّ وَدَّعْنِي وَانصَرَفَ . فَكُنْتُ حَتَّى أَخَذْتُ الْإِبِلَ مَرَاعِيهَا . ثُمَّ
عَمَدْتُ إِلَى دُهْنٍ كَانَ مَعِيَ فَدَهَنْتُ بِهِ رَأْسِي ، ثُمَّ ارْتَدَيْتُ بِالْبُرْدِ وَأَتَيْتُ الْمَرْأَةَ ،
فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، إِنِّي جِئْتُ أَمْسٍ طَالِبًا وَالْيَوْمَ زَائِرًا ، أَفَتَأْذَنُونَ ؟ قَالَتْ :
نَعَمْ . فَسَمِعْتُ جُوزِيرَةً تَقُولُ لَهَا : يَا بُثَيْنَةُ ، عَلَيْهِ وَاللَّهُ بُرْدٌ جَمِيلٌ ! فَجَعَلْتُ أَثْنِي
عَلَى ضَيْفِي وَأَذْكُرُ فَضْلَهُ ، وَقُلْتُ : إِنَّهُ قَدْ ذَكَرَكَ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ ، فَهَلْ أَنْتِ بَارِزَةٌ
لِي حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . فَلَبَسْتُ ثِيَابَهَا ثُمَّ بَرَزَتْ وَدَعَتْ لِي بِطَرَفٍ ،
ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ ، وَاللَّهُ مَا ثَوْبَاكَ هَذَا بِمُشْتَبِهَيْنِ ، وَدَعَتْ بَعِيْبَتَهَا
فَأَخْرَجَتْ لِي مِلْحَفَةً مُشْبَعَةً مِنَ الْعُصْفَرِ ، ثُمَّ قَالَتْ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتَقُومَنَّ إِلَى
كِسْرِ الْبَيْتِ وَلَتَخْلَعَنَّ مِذْرَعَتَكَ ^(١) ثُمَّ لَتَتَزَنَّ بِهَذِهِ الْمِلْحَفَةِ ، فَهِيَ أَشْبَهُ بِبُرْدِكَ .
فَفَعَلْتُ ذَلِكَ وَأَخَذْتُ مِذْرَعَتِي بِيَدِي وَجَعَلْتُهَا إِلَى جَانِبِي ، ثُمَّ أَنْشَدْتُهَا الْأَيْبَاتَ .

(١) المِذْرَعَةُ : ثَوْبٌ مِنَ الصُّوفِ .

فَدَمَعَتْ عَيْنَاهَا ، وَتَحَدَّثْنَا طَوِيلًا مِنْ النَّهَارِ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى إِبِلِي بِمَلْحَفَةٍ بُثْنَةٍ
وَبُرْدٍ جَمِيلٍ .

قال مَعْبِدُ : فَجَزَيْتُ الشَّيْخَ خَيْرًا ، وَأَنْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَنَا وَاللَّهُ أَحْسَنُ
النَّاسِ حَالًا بِنَظَرَةٍ مِنَ الْغَرِيضِ وَأَسْتِمَاعِ لُغْنَائِهِ ، وَعِلْمِ بِمَحْدِثِ جَمِيلٍ وَبُثْنَةٍ ، فِيمَا
غَنَيْتُ أَنَا بِهِ وَفِيمَا غَنَى بِهِ الْغَرِيضُ ، عَلَى حَقِّ ذَلِكَ وَصِدْقِهِ . فَمَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ
بِزَوْجَيْنِ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ جَمِيلٍ وَبُثْنَةٍ ، وَمِنْ الْغَرِيضِ وَمِنِّي .

ومن هذه القصيدة التي لجميل :

وَأَفْنَيْتُ عُمرِي فِي أَنْتِظَارِي نَوَاهَا
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثْنَةَ قَاتِلِي
وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعْشُ بِهِ
ومنها ، وهو أولها :

أَلَا لَيْتَ رِيْعَانَ الشَّبَابِ ^(١) جَدِيدُ
فَنَفَعَنِي كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَأَنْتُمْ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنُ لَيْلَةً
وَهَلْ أَلْقِيَنَّ سَعْدِي مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً
فَقَدْ تَلَقَّيْتُ الْأَهْوَاءَ بَعْدَ تَفَاوَتِ
ودهرًا تَوَلَّى يَا بُثْنُ يَعُودُ
قَرِيبٌ وَمَا قَدْ تَبْذُلِينَ زَهِيدُ
بَوَادِي الْقُرَى ^(٢) إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
وَمَا رَثْتُ مِنْ حَبْلِ الصَّفَاءِ جَدِيدُ
وَقَدْ تَطَلَّبَ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ

وحكى بعضهم ، قال : قَدَمَ نَصِيبُ الْكَوْفَةِ فَأَرْسَلَنِي أَبِي إِلَيْهِ ، وَكَانَ لَهُ
صَدِيقًا ، فَقَالَ : أَقْرَبُهُ مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُهْدِيَ لَنَا شَيْئًا مِمَّا قُلْتَ ؟
فَأَتَيْتُهُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ وَهُوَ يَصَلِّي ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْرَأَنِي السَّلَامَ وَقُلْتَ لَهُ . فَقَالَ : قَدْ عَلِمَ

نصيب يصف
نفسه وجميلا وكثيرا
وابن أبي ربيعة

(١) ريعان الشباب : أوله . (٢) وادي القرى : بين المدينة والشام .

أَبوكَ أَنِّي لَا أَشْدُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَلَكِنْ تَلْقَانِي فِي غَيْرِهِ ، فَأَبْلُغْ مَا تَحِبُّ . فَلَمَّا خَرَجْتَ وَانْتَهَيْتُ إِلَى الْبَابِ رُدِدْتُ إِلَيْهِ . فَقَالَ : أَتُرَوِي شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : أَشَدْنِي . فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَ جَمِيل :

إِنِّي لِأَحْفَظُ سِرْكَمَ وَيَسْرَنِي لَوْ تَعْلَمِينَ بِصَالِحِ أَنْ تُذَكِّرِي
وَيَكُونُ يَوْمٌ لَا أَرَى لَكَ مُرْسَلًا أَوْ نَلْتَقِي فِيهِ عَلَى كَاشِهَرِ
يَا لَيْتَنِي أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً إِنْ كَانَ يَوْمُ لِقَائِكُمْ لَمْ يُقَدَّرِ

فَقَالَ نَصِيبٌ : أَمْسِكْ ! أَمْسِكْ ! اللَّهُ دَرُّهُ ! مَا قَالَ أَحَدٌ إِلَّا دُونَ قَوْلِهِ . وَلَقَدْ حَلَبَ^(١) لِلنَّاسِ مِثَالًا يَحْتَذِرُونَ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَمَّا أَصَدَقُنَا فِي شَعْرِهِ فَجَمِيلٌ ، وَأَمَّا أَوْصَفُنَا لِرَبَّاتِ الْحِجَالِ فَكَثِيرٌ ، وَأَمَّا أَكْذَبُنَا فَعُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ مَا أَعْرِفُ .

وَقَدْ رَوَى أَبُو الْفَرَجِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الثَّلَاثَةَ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَزَادَ فِيهَا :
مَا كُنْتُ وَالْوَعْدَ الَّذِي تَعْدِينَنِي إِلَّا كَغَبْرِقِ سَحَابَةٍ لَمْ تَمُطَرْ
تُقْضَى الدِّيُونُ وَلَيْسَ يُنْجِزُ عَاجِلًا هَذَا الْغَرِيمُ لَنَا وَلَيْسَ بِمُعْسِرِ

وَذُكِرَ أَنَّ الْغَرِيصَ سَمِعَ أَصْوَاتَ رَهْبَانٍ بِاللَّيْلِ فِي دَيْرٍ لَهُمْ ، فَأَسْتَحْسَنَهَا . فَقَالَ لَهُ ^{صَنَعَ لَحْنًا عِنْدَ} سَمَاعِهِ أَصْوَاتَ رَهْبَانٍ ^{بَعِثَ مَنْ كَانَ مَعَهُ} : يَا أَبَا يَزِيدَ ، ضَعْ عَلَى مِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ لَحْنًا . فَصَاغَ مِثْلَهُ فِي لَحْنِهِ :

يَا أُمَّ بَكْرٍ حُبُّكَ الْبَادِي لَا تَصْرِمِينِي إِنْ نِي غَادِي
جَدَّ الرِّحِيلُ وَحَثَّنِي صَحْبِي وَأُرِيدُ إِمْتَاعًا مِنَ الزَّادِ

ثُمَّ اسْتَطْرَدَ أَبُو الْفَرَجِ بِذِكْرِ وَاقِعَةٍ ظَرِيفَةٍ وَهِيَ :

حَكِي عُمَرُو بْنُ عُقْبَةَ ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْمَاشِطَةِ ، قَالَ :

خَرَجْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي ، فِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْهَيْثَمِ ، إِلَى الْعَقِيقِ ، وَمَعَنَا رَجُلٌ ^{ابْنُ أَبِي الْهَيْثَمِ} نَاسِكٌ ^{وَنَاسِكٌ} كُنَّا نَحْتَشِمُ مِنْهُ ، وَكَانَ مَحْمُومًا نَائِمًا ، وَأَحْبَبْنَا أَنْ نَسْمَعَ مَنْ مَعَنَا مِنَ الْمُغَنِّينَ ،

(١) حلب : أوضح وبين .

ونحن نهابه ونَحْتَشِمُه ، فقلت له : إن فينا رجلاً يُنشد الشعرَ فيُحَسِّن . ونحن نحب أن نسمعه ، ولكننا نهابك . قال : فما على منكم ، أنا محموم نائم ، فاصنعوا ما بدالكُم . فاندفع إبراهيم بن الهيثم يُغني :

* يا أمَّ بَكْرٍ حُبِّكَ الْبَادِي *
البيتين

فأجاده وأحسنه . قال : فوثب الناسك فجعل يرقص ويصيح : أريد إمتاعاً من الزاد ! والله أريد إمتاعاً من الزاد ! ثم كشف عن أمره ، وقال : أنا أنيك أمَّ الحُمَي . قال : فقلت : أعتقت ما أملك إن كان ناك أمَّ الحُمَي أحد قبله .

هربه الى اليمن
وموته

وذكر أن سليمان بن عبد الملك بن مروان ولي نافع بن علقمة^(١) مكة ، فخافه الغريص ، لأنه كان كثيراً ما يطلبه ولا يجيئه ، فاستخفى في بعض منازل إخوانه . فذكر رجل كان يخدمه من أهل مكة أنه دفع إليه يوماً رُبْعَةً^(٢) له ، وقال : صِرْ بها إلى فلان العطار يملؤها لي طيباً . قال : فصرت بها إليه ، فلقيني نافع بن علقمة فقال : هذه رُبْعَةُ الغريص والله ! فلم أقدر أن أكتمه ، فقلت : نعم . قال : ما قصته ؟ فأخبرته الخبر . فضحك وقال صِرْ معي إلى المنزل . ففعلت . فملأها طيباً وأعطاني دنائير . وقال : أعطه وقل له : يَظْهَر ولا بأس عليه . فصرتُ إليه مسروراً فأخبرته بذلك فجزع ، وقال : الآن ينبغي لي أن أهرب ! هذه حيلة احتالها على لاقع في يده . ثم خرج من وقته إلى اليمن .

حكى بعض بني مخزوم أنه لما صار إلى اليمن وأقام بها ، أجتزنا به في بعض

(١) الذي ولي « نافع بن علقمة » هو الوليد . وسياقة الخبر في الأغاني على هذا ، وكان ابن واصل حين جرد أخل . والعبارة في الأغاني : « وكانت وفاة الغريص في أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها . والأشبه أنه مات في خلافة سليمان ، لأن الوليد كان ولي نافع بن علقمة مكة » .
(٢) الرُبْعَة : جونة العطر .

أسفارنا ، قال : فلما رآني بكى . قلت له : ما يبكيك ؟ قال : بأبي أنت ! وكيف يطيب لي أن أعيش بين قوم يرونني أحمل عُودي ، فيقولون لي : ياهناه^(١) ، أتبيع مؤخرة الرجل^(٢) ؟ فقلت له : أرجع إلى مكة فيها أهلك . قال : يابن أخي ، أنا كنت أستلذ مكة وأعيش بها مع أبيك ونحوه . وقد أوطنت هذا المكان ولست تاركه ما عشت . فقلنا له : فغننا بشيء من غنائك . فأبى . ثم أقسمنا عليه فأجاب . ثم عمدنا إلى شاة فذبناها وخرطنا من مضرانها أوتاراً ، فشدّها على عوده وأندفع يغني في شعر زهير :

جَرَى دَمْعِي فَهَيْجَ لِي شَجُونَا فَقَلْبِي يُسْتَجِنُ بِهِ جُنُونَا
فما سمعنا شيئاً أحسن منه . فقلت له : أرجع إلى مكة ، فكل من بها يشتاقل . قال : ولم نزل نرغبه في ذلك حتى أجاب إليه . ومضينا لحاجتنا . ثم عدنا فوجدناه عليلًا ، فقلنا : ما قصّتك ؟ فقال : جاءني منذ ليال قوم ، وقد كنت أغني في الليل ، فقالوا : غننا . فأنكرتهم وخفّتهم ، فجعلت أغنيهم ، فقال لي بعضهم : غني !

لقد حثوا الجمالَ لِيهِ رُبُوا مَنَّا فلم يَمْلُوا^(٣)
ففعلت . فقام إلى هنّ منهم أربّ ، فقال لي : أحسنت والله ! ودقّ رأسي حتى سقطت لا أدري أين أنا . فأفقت بعد ثلاثة وأنا عليل كما ترى ، ولا أراي إلا ساموت . فأقمنا عنده بقيّة يومنا . ومات من غده ، فدفناه وأنصرفنا .

(١) الهن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان . وقد تزداد في النداء الألف والهاء ، فيقال : ياهناه ، بالضم والكسر . فالضم على أنها آخر الاسم . والكسر لالتقاء الساكنين .

(٢) مؤخرة الرجل : ما يستند إليه الراكب ، أو هي خلاف قادمته .

(٣) لم يثلوا : لم يجدوا موثلاً وملجأً يعتصمون به .

أخبار أخرى
عن موته

وزعم المكِّيون أنَّ الغريض خرج إلى بلاد عك^(١) فعنَى ليلاً :

هُم رَكِبُ لَقَوَا رَكْباً^(٢) كما قد تجمعُ السُّبُلُ

فصاح صائحٌ : اكفف يا أبا مروان ! فقد سفَّهتُ حلماءنا وأصْبَيْتُ سُفْهَاءنا .
وأصبح ميتاً .

وذَكَرَ آخر قال :

شهدتُ مجعاً لآل الغريض ؛ إمَّا عُرْساً وإمَّا خِتَاناً . فقال له بعضهم : غنّ .
فقال : هو ابنُ زانية إن فعل . فقال له بعضُ مواليه : فأنت والله كذلك ! قال :
أو كذلك أنا ! قال : نعم . قال : أنت أعلمُ بي والله ! ثم أخذ الدَّفَّ فرمى به
وتمشَّى مشيةً لم أرَ أحسنَ منها ، ثم تغنَّى :

تَشْرَبُ لَوْنَ الرَّازِقِ^(٣) بياضه أو الزَّعْفَرَانِ خَالِطَ الْمِسْكِ رادعُه

فجعل يُغْنِيهِ مُقْبِلاً ومُدْبِراً حتى التوت عُنْقُهُ ، فخرَّ صريعاً ، وما رَفَعْنَاهُ إِلَّا ميتاً
وظننَّا أنَّ فالجاً عاجله .

وكانت وفاته في خلافة عمر بن عبد العزيز ، أو سليمان بن عبد الملك . ورجَّح
أبو الفرج هذا الثاني .

(١) عك : قبيلة . والبلاد التي تضاف إليها : مخلاف باليمن .

(٢) في الأصل : « زادا » .

(٣) الرازقي : الأبيض من ثياب الكتان . وقيل : هو ضرب من عنب الطائف أبيض اللون .

أخبار الحاكم بن عبدل

وهو الحاكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو^(١) بن ثعلبة بن عقال بن بلال
ابن سعد بن حبال بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد
ابن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر بن معد بن عدنان .

شعره ونشأته وشي
عن عصاه .
شاعر مُتَقَدِّم في طبَقته ، هجاء خبيث اللسان ، من شعراء الدولة الأموية .
ومنشؤه بالكوفة ، وكان أعرج أحْدَب ، وكان لا تُفَارقه العصا ، فترك الوقوف
بأبواب الملوك . وكان يكتب حاجته على عصاه ، فيبعث بها مع رُسُلِهِ ، ولا يُحْبِس
له رسول ، ولا تُؤَخَّر له حاجة . وفي ذلك يقول يحيى بن نوفل :

عَصَا حَكَمٍ فِي الدَّارِ أَوَّلُ دَاخِلٍ وَنَحْنُ عَلَى الْأَبْوَابِ نَقْصَى وَنُحْجَبُ
وَكُنْتُ عَصَا مُوسَى لِفِرْعَوْنَ آيَةً وَهَذِي لَعَمْرُ اللَّهِ أَذْهَى وَأَعْجَبُ
تَطَاعَ وَلَا تُعْصَى وَيُحْذَرُ سُخْطُهَا وَيُرْغَبُ فِي الْمَرْضَاةِ مِنْهَا^(٢) وَتُرْهَبُ

فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك الناس منها ، فكان ابن عبدل بعد
ذلك يقول ليحيى : يا ابن الزانية ! ما أردت من عصاى حتى تركتها ضحكة !
وأجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل ، وكاتب الناس بحوائجهم في الرقاع .

وقيل :

هو وأبو عليّة
وصاحب العسس

كان للحاكم بن عبدل صديق أعمى ، يقال له : أبو عليّة ، وكان ابن عبدل
قد أقعد ، فخرجا ليلةً من منزلها إلى منزل بعض إخوانهما ، والحكم يحمل
وأبو عليّة يُقاد . فلقيهما صاحب العسس بالكوفة فحبسهما . فلما استقرّا في الحبس

(١) في الأصل : « عمر » . (٢) في بعض أصول الأغاني : « ويرهب » .

نَظَرَ الْحَكَمَ إِلَى عَصَا أَبِي عُلَيَّةٍ مَوْضُوعَةً إِلَى جَانِبِ عَصَاهُ ، فَضَحَكَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

حَبَسِي وَحَبَسُ أَبِي عُلَيَّةَ مِنْ أَعَاجِبِ الزَّمَانِ

أَعْمَى يُقَادُ وَمُقَعَّدٌ لَا الرَّجُلَ مِنْهُ وَلَا الْيَدَانِ

هَذَا بَلَا بَصَرٍ هُنَا لَكَ وَبِي يُحِبُّ الْحَامِلَانِ

يَا مَنْ رَأَى ضَبَّ الْفَلَاةِ قَرِينَ حُوتٍ فِي مَكَانِ

طَرَفِي وَطَرَفُ أَبِي عُلَيَّةَ دَهْرَنَا مُتَوَافِقَانِ

مَنْ يَفْتَخِرُ بِجَوَادِهِ فَجِيادُنَا عُكَازَتَانِ

طَرَفَانِ لَا عَلَفَاهُمَا يُشْرَى وَلَا يَتَمَصَّوْلَانِ

هَبْنِي وَإِيَّاهُ الْحَرِيرِ قَا أَكُنْ يَسْطَعُ بِاللُّخَانِ

وقيل :

شعره في عرجان

وَلِيَ الشَّرْطَةَ بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ أَعْرَجٌ ، ثُمَّ وَلِيَ الْإِمَارَةَ آخِرُ أَعْرَجٍ ، وَخَرَجَ
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَ أَعْرَجٌ ، فَلَقِيَ سَائِلًا أَعْرَجٌ ، وَتَعَرَّضَ لِلْأَمِيرِ يَسْأَلُهُ ، فَقَالَ
أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِلْسَائِلِ :

أَلْقِ الْعَصَا وَدَعْ^(١) التَّخَامُعَ وَالتَّمَسِينَ عَمَلًا فَهَذِي دَوْلَةُ الْعُرْجَانِ

لَأَمِيرِنَا وَأَمِيرِ شُرُطَتِنَا مَعًا يَاقَوْمُنَا لَكُمَاهُمَا رَجُلَانِ

فَإِذَا يَكُونُ أَمِيرُنَا^(٢) وَوَزِيرُهُ وَأَنَا فَرَاغُنَا إِذَا^(٣) شَيْطَانُ

فَبَلَغْتَ أَيْيَاتَهُ الْأَمِيرَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَتِي دِرْهَمٍ وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُنْفَ عَنْهُ .

(١) التَّخَامُعُ : التَّظَاهُرُ بِالْخَمْعِ ، وَهُوَ الْعَرَجُ .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « وَوَزِيرُنَا » مَكَانَ « وَوَزِيرِهِ » .

(٣) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي :

* وَأَنَا فَإِنْ الرَّابِعُ الشَّيْطَانُ *

وَعَلَى الرَّوَايَتَيْنِ فَاِلْإِقْوَاءُ . وَهُوَ اخْتِلَافُ حَرَكَةِ الرَّوْيِ بِالرَّفْعِ وَالْكَسْرِ .

وقيل :

كانت لأبن عبدل حاجة إلى عبد الملك بن بشر بن مروان ، فجعل يدخل عليه ولا يتهيأ له الكلام ، حتى جاءه رجل فقال له : إني رأيت لك رؤيا . فقال : هاتها . فقصها عليه . فقال ابن عبدل : وأنا قد رأيت أيضا . فقال : هات ما رأيت . فقال :

أَغْفَيْتُ قَبْلَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسَمِّدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا
فَحَبَوْتَنِي فِيمَا أَرَى بَوْلِيدَةٍ مَغْنُوجَةٍ ^(١) حَسَنٍ عَلَى قِيَامِهَا
وَبَدْرَةٍ حَمَلَتْ إِلَى وَبَغْلَةٍ شَهْبَاءَ نَاجِيَةٍ يَصِلُ ^(٢) لِحَامُهَا
لَيْتَ الْمَنَابِرَ يَا بَنَ بَشْرٍ أَصْبَحْتُ تُرْقَى وَأَنْتَ خَطِيبُهَا وَإِمَامُهَا
فَقَالَ لَهُ أَبْنُ بَشْرٍ : إِذَا رَأَيْتَ هَذَا فِي الْيَقَظَةِ أَعْرِفْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَإِنَّمَا رَأَيْتُهُ قَبِيلَ الصُّبْحِ . قَالَ : يَا غَلَامَ ، ادْعُ فَلَانًا . فَجَاءَ بُوْكَيْلُهُ . فَقَالَ : هَاتِ فَلَانَةَ . فَجَاءَتْ . فَقَالَ : أَيْنَ هَذِهِ مِمَّا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : هِيَ هِيَ ، وَإِلَّا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ . ثُمَّ دَعَا لَهُ بَدْرَةَ ، فَقَالَ : مِثْلَ ذَلِكَ . وَبَبَغْلَةٍ فَرَكَبَهَا . وَخَرَجَ فَلَقِيَهُ قَهْرْمَانٌ ^(٣) عَبْدُ الْمَلِكِ . قَالَ : أَتَبِيعُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : بَكْمَ ؟ قَالَ : بَسْمَانَةٌ : قَالَ : هِيَ لَكَ . فَأَعْطَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَيْتَ إِلَّا أَلْفًا لَأَعْطَيْتُكَ . قَالَ : إِيَّايَ تُتَدَمُّ ! لَوْ أَيْتَ إِلَّا سِتَّةً لَأَعْطَيْتُكَ ^(٤) .

وقيل :

قدم الحكم بن عبدل واسطاً ^(٥) على ابن هبيرة ، وكان بخيلاً ، فأقبل حتى وقف بين يديه ، ثم قال :

(١) مغنوجة : حسنة الدل . والمسموع : مغناجة أو غنجة .

(٢) ناجية : سريعة . ويصل : يصوت .

(٣) القهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « تبعتك » .

(٥) واسط : بلد بين البصرة والكوفة ، يصرف ولا يصرف .

أَتَيْتُكَ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ عَشِيرَتِي وَأَعْيَا الْأُمُورِ الْمُفْطَعَاتِ ^(١) جَسِيمُهَا
فَإِنْ قُلْتُ لِي فِي حَاجَتِي أَنَا فَاعِلٌ فَقَدْ تَلَجَّتْ نَفْسِي وَوَلَّتْ هُمُومُهَا

فقال : أنا فاعل إن اقتصدت ، فما حاجتك ؟ قال : عَزَمْتُ لَزِمْنَا فِي حِمَالَةٍ ^(٢) .
قال : وكم هي ؟ قال : أربعة آلاف . قال : نحن مُنَاصِفُونَ كَمَا . قال : أصلح الله
الأمير ، أتخاف على الثُّخْمَةِ إِنْ أَثْمَمَتْهَا ؟ قال : أكره أن أعود الناس هذه العادة .
قال : أعطني جميعها سرًّا وأمنعني جميعها ظاهرًا ، حتى تعود الناس المنع ، وإلا
فالضرر عليك واقعٌ إِنْ عَوَّدْتَهُمْ نَصَفَ مَا يَطْلُبُونَ . فضحك ابنُ هُبَيْرَةَ وقال :
ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك . فجثا بين يديه وقال : امرأته طالقٌ لا أخذتُ أقلَّ
من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غضبان . فقال : أعطوه إياها فإنه ما علمتُ
حَلَّافَ مَهِينٍ ^(٣) . فأخذها وأنصرف .

هو وأبو المهاجر

وقيل :

دعا أبو المهاجر الحكم بن عبدلٍ ليشرب عنده ، وله جاريةٌ تُغْنِي ، فغنت .
فقال ابنُ عبدلٍ :

يَا أَبَا الْمُهَاجِرِ قَدْ أَرَدْتُ كَرَامَتِي فَأَهْنَيْتَنِي وَضَرَرْتَنِي لَوْ تَعَلَّمُ
عِنْدَ التِّي لَوْ مَسَّ جِلْدِي جِلْدُهَا يَوْمًا بَقِيْتُ مُخَلِّدًا لَا أَهْرَمُ
أَوْ كُنْتُ فِي أَعْلَى ^(٤) جَهَنَّمَ بُقْعَةً فَرَأَيْتُهَا بَرَدَتْ عَلَى جَهَنَّمَ

فَجَعَلَ أَبُو الْمُهَاجِرِ يَضْحَكُ وَيَقُولُ : وَيَحْكُ ! وَاللَّهِ لَوْ كَانَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ لَوْهَبْتُهَا
لَكَ ، لَكِنْ لِي مِنْهَا وَلَدٌ .

(١) في بعض أصول الأغاني : « المقتطعات » .

(٢) الحِمَالَةُ : الكِفَالَةُ ، أَيْ الضَّمَانُ .

(٣) مَهِينٌ : فَاجِرٌ .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « فِي أَحْمَى » .

هو وابن يزيد
الأسدي

وقيل :

كان عمر بن يزيد الأسدي مَبْخَلًا ، وَوَجَدَهُ أَبُوهُ مَعَ أُمَةٍ لَهُ ، فَكَانَ يُعَيِّرُ بِذَلِكَ . فَجَاءَهُ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ لٍ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ يَسْأَلُونَهُ حَاجَةً ، فَدَخَلُوا إِلَيْهِ وَهُوَ يَأْكُلُ تَمْرًا ، فَلَمْ يَدْنُ لَهُمْ إِلَيْهِ ، وَذَكَرُوا حَاجَتَهُمْ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ لٍ :

جِئْنَا وَبَيْنَ يَدَيْهِ التَّمَرُ فِي طَبَقٍ فَمَا دَعَانَا أَبُو حَفْصٍ وَلَا كَادَا
عَلَا عَلَى جِسْمِهِ ثَوْبَانِ مِنْ دَنَسٍ لَوْثٌ وَجُبْنٌ^(١) وَلَوْلَا أَيْرُهُ سَادَا

هو وامرأة سألته
قضاء دينها

وَذَكَرَ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ مُوسِرَةً بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَتْ لَهَا عَلَى النَّاسِ دِيُونٌ بِالسَّوَادِ . فَاسْتَعَانَتْ بِابْنِ عَبْدِ لٍ فِي دَيْنِهَا وَقَالَتْ : إِنِّي امْرَأَةٌ وَلَيْسَ لِي زَوْجٌ ، وَجَعَلْتُ تُعَرِّضُ بَأْنَهَا تَزْوِجُهُ نَفْسَهَا . فَقَامَ ابْنُ عَبْدِ لٍ فِي دَيْنِهَا حَتَّى اقْتَضَاهُ ، فَلَمَّا طَالَبَهَا بِالتَّوْفَاءِ كَتَبَتْ إِلَيْهِ :

سَيُخْطِئُكَ الَّذِي حَاوَلْتَ مِنِّي فَقَطَّعَ حَبْلَ وَصْلِكَ مِنْ حِبَالِي
كَمَا أَخْطَاكَ مَعْرُوفُ ابْنِ بَشَرٍ وَكَانَتْ تَعْدُ ذَلِكَ رَأْسَ مَالٍ
وَكَانَ ابْنُ عَبْدِ لٍ أَتَى ابْنَ بَشَرٍ بِالْكُوفَةِ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : خَمْسَمِائَةِ أَحَبُّ إِلَيْكَ الْآنَ
أَمْ أَلْفٌ فِي قَابِلٍ ؟ فَقَالَ : أَلْفٌ فِي الْقَابِلِ . فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ : أَلْفٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ الْآنَ
أَمْ أَلْفَانِ فِي الْقَابِلِ ؟ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَابَّهُ حَتَّى مَاتَ ابْنُ بَشَرٍ وَمَا أَعْطَاهُ شَيْئًا .

وقيل :

دَخَلَ ابْنُ عَبْدِ لٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشَرٍ فَقَالَ : مَا أَحْدَثَ بَعْدِي ؟ قَالَ :
خَطَبْتُ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِي فَردَّتْ عَلَيَّ جَوَابَ رِسَالَتِي بَيِّنِينَ شِعْرًا . قَالَ : وَمَا هُمَا ؟
قَالَ : قَالَتْ :

* سَيُخْطِئُكَ الَّذِي حَاوَلْتَ مِنِّي *

(١) في الأصل : « وكفر » .

وذكر البيتين . فضحك عبدُ الملك وقال: لجاد^(١) ما أذكركت بنفسك ! وأمر له
بألفي درهم .

وقيل :

هو وابن هبيرة
وقد طلبه للغزو

أراد عمر بن هبيرة أن يغزى الحكم بن عبدل ، فأعتل بالزمانة^(٢) ، فحمل
وألقى بين يديه . فجردده فإذا هو أعرج مفلوج ، فوضع عنه الغزو وضمه إليه ،
وشخص به معه إلى واسط ، فقال الحكم :

لعمري لقد^(٣) جردتني فوجدتني كثير العيوب سيئ^(٤) المتجرد

فأغفيتني لما رأيت زمانتي ووفقت مني للقضاء المسدد

فلما صار عمر إلى واسط شكا إليه الحكم الضبعة^(٥) . فوهب له جارية من
جواريه . فوائبها ليلة صارت إليه ، فكحها تسعة أو عشرة طلقاً^(٦) . فلما أصبحت
قالت له : جعات فداك ! من أي الناس أنت ؟ قال : امرؤ من أهل الشام .
قالت : بهذا العمل نصرتهم .

وقيل :

رثاؤه لبشر
ابن مروان

كان الحكم بن عبدل منقطعاً إلى بشر بن مروان ، وكان يأنس به ويحبه
ويستطيعه ، وأخرجه معه إلى البصرة لما وليها ، فلما مات بشر جزع عليه الحكم
وقال يرثيه :

أصبحتُ جمَّ بلابلِ الصَّدرِ متعجباً لتصرفِ الدهرِ

ما زلتُ أطلبُ في البلادِ فتى ليكونَ لي ذخراً من الذُّخرِ

ويكونُ يسعدني وأسعدهُ في كُلِّ نائبةٍ من الأمرِ

(١) في بعض أصول الأغاني : « لحاك الله ما أذكركت ... الخ » .

(٢) الزمانة : العاهة . (٣) في الأصل : « الذي » . (٤) سيئ المتجرد : سيئ الجسم .

(٥) الضبعة : شدة الشهوة . والذي في الأصل : « الضيعة » . (٦) طلقاً : شوطاً واحداً .

حتى إذا ظفرت يداي به جاء القضاء بحينه يجرى
إني لفي هم يباكرني منه وهم طارق يسرى
ولأصبرن فما رأيت دوا هم مثل عزيمة الصبر
والله ما استعظمت^(١) فرقتة حتى أحاط بفضل خبرى

وقيل :

لما ظفر عبد الله بن الزبير بن العوام بالعراق وأخرج منها عمال بني أمية ،
خرج ابن عبدل معهم إلى الشام ، وكان فيمن يدخل على عبد الملك بن مروان
ويسمر معه ، فقال لعبد الملك ليلة :

يا ليت شعري وليت ربما نفعت هل أبصرن بني العوام قد شملوا
بالذل والأسر والتشريد إنهم على الهربة حتف حينما نزلوا
أم هل أراك بأكناف العراق وقد ذلت لعزك أقوام وقد نكلوا

فقال عبد الملك بن مروان ، وقيل إنه صاحب هذا الشعر :

إن يمكن الله من قيس ومن جدس^(٢) ومن جذام ويقتل صاحب الحرم
نضرب جماجم أقوام على حنق ضرباً ينكل عنا سائر الأمم

وقيل :

مر صاحب العسس ليلة بأبن عبدل وهو سكران محمول في محفة ، فقال له :
من أنت ؟ فقال : يا بغيض ، أنت أعرف بي من أن تسألني من أنا ، أذهب
إلى شغلك فإنك تعلم أن اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفة !
فضحك الرجل وأنصرف عنه .

(١) في بعض أصول الأغاني : « ما استعظمت » . (٢) هذه رواية الأصل . وجدس :

بطن من كندة . وفي بعض أصول الأغاني : « جرش » وهي بطن من حمير . وفي بعض آخر : « جرش » .
وهو اسم لعدة قبائل .

هو وعبد الملك
بعد خروجه
إلى الشام

هو وصاحب
العسس

تقصيل الحجاج
له على الشعراء

وقيل :

أجتمع الشعراء عند الحجاج بن يوسف ، وفيهم ابن عبدل ، فقالوا : إنما
شعر ابن عبدل كله هجر وسخف . فقال له : سمعت قولهم فاستمع مني . قال :
هات . فأنشده قوله :

وإني لأستغني فما أبطر الغني وأعرض ميسوري لمن يبتغي قرضي
وأعسر أحياناً فتشتد عسرتي فأذكر ميسور الغني ومعى عرضي
حتى أتهى إلى قوله :

ولست بذى وجهين فيمن عرفته ولا البخل فأعلم من سمائي ولا أرضي

فقال له الحجاج : أحسنت ! وفضله في الجائزة عليهم بألف درهم .
والشعر الذي يُعنى فيه لابن عبدل وأفتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

لقد حثوا الجمال ليه ربوا منا فلم يثلوا
على آثارهن مة لمص السربال^(١) معتمل
وفيهم قلبك المتبو ل بالحساء مختبل

(١) مقلص : قد تشمر وارتفع . ومعتمل : قد أعمل نفسه .

أخبار قيس بن الخطيم

اسمه وكنيته
خبر أخذه بثأر
أبيه وجمه

هو قيس بن الخطيم بن عدى بن عمرو بن سود بن ظفر . ويكنى أبا يزيد .
وكان أبوه قتل وهو صغير ، قتله رجل من بني حارثة بن الحارث ، يقال له :
مالك . قتله غيلة . وكان عدى أبو الخطيم قبل ذلك قتله رجل من عبد القيس .
فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبار قومه وموضع ثأره ، لم يزل يلتمس غرة من
قاتل أبيه وجده في المواسم ، حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله ، وظفر بقاتل جده
بذي المجاز^(١) . فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه ، ولم يكن معه
إلا رهط من الأوس . فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزاري ، فأستنجده ،
فلم ينجده . فأتى خدّاش بن زهير ، فهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عدى ،
فإذا هو واقف على راحلة في السوق ، فطعنه قيس بجرّبة فقتله ، فأراد رهط
الرجل ، فحالت بنو عامر دونه . فقال في ذلك قيس بن الخطيم :

ثارت عدياً والخطيم فلم أضع	ولاية أشياخ جعلت ^(٢) إزاءها
ضربت بذي الزرين ربقة ^(٣) مالك	فأبت بنفس قد أصبت شفاءها
وسأحني ^(٤) فيها ابن عمرو بن عامر	خدّاش فادى نعمة وأفاءها
طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر	لها نفذ لولا الشعاع ^(٥) أضاءها

(١) ذو المجاز : موضع بعرفة : كانت تقام فيه في الجاهلية سوق من أسواق العرب .

(٢) أى جعلت القيم عليها .

(٣) بذي الزرين ، يعنى سيفه . والزر : حد السيف . والربقة : العروة . يريد موضعها ،

وهو العنق . (٤) سأحني : وافقتى .

(٥) النفذ : الثقب . والشعاع ، بضم الشين : حمرة الدم ، وبالفتح : انتشاره .

مَلَكْتُهَا كَفَى وَأَنْهَرْتُ^(١) فَتَقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا
وَذَكَرَ أَنَّ أُمَّ قَيْسٍ كَانَتْ خَشِيَتْ عَلَى ابْنِهَا أَنْ يُخْرِجَ فَيَطْلُبُ بَثْرَ أَبِيهِ وَجَدَهُ
فِيهِلِكَ ، فَعَمِدَتْ إِلَى كَوْمَةٍ تَرَابٍ عِنْدَ بَابِهِمْ فَوَضَعَتْ عَلَيْهَا أَحْجَاراً وَجَعَلَتْ تَقُولُ
لَقَيْسٍ : هَذَا قَبْرُ أَبِيكَ وَجَدَّكَ . فَكَانَ قَيْسٌ لَا يَشْكُ أَنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ . وَنَشَأَ
أَيْدِئاً شَدِيدَ السَّاعِدَيْنِ ، فَنَارَعَ يَوْمًا فَتًى مِنْ فِتْيَانِ بَنِي ظَفَرٍ ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْفَتَى :
وَاللَّهِ لَوْ جَعَلْتَ شِدَّةَ سَاعِدَيْكَ عَلَى قَاتِلِ أَبِيكَ وَجَدَّكَ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ مِنْ أَنْ
تُخْرِجَهَا عَلَى ! قَالَ : وَمَنْ قَاتِلُ أَبِي وَجَدِّي ؟ قَالَ : سَلْ أُمَّكَ تُخْبِرُكَ . فَأَخَذَ
السَّيْفَ فَوَضَعَ قَائِمَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَذُبَابَهُ^(٢) بَيْنَ تَدْيِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لِأُمِّهِ : أَخْبِرِيْنِي
مَنْ قَتَلَ أَبِي وَجَدِّي . قَالَتْ : مَاتَا كَمَا يَمُوتُ النَّاسُ ، وَهَذَانِ قَبْرَاهُمَا بِالْفِنَاءِ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَتُخْبِرِيْنِي مَنْ قَتَلَهُمَا أَوْ لَاتَحْمَلَنَّ عَلَى هَذَا السَّيْفِ حَتَّى يُخْرِجَ مِنْ
ظَهْرِي . فَقَالَتْ : أُمَّا جَدُّكَ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ
ابْنِ صَعْصَعَةَ ، يُقَالُ لَهُ : مَالِكٌ . وَأُمَّا أَبُوكَ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ مِمَّنْ يَسْكُنُ
هَجَرَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَنْتَهَى حَتَّى أَقْتُلَ قَاتِلَ أَبِي وَجَدِّي . فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ
مَالِكًا قَاتِلَ جَدِّكَ مِنْ قَوْمِ خِدَاشِ بْنِ زُهَيْرٍ ، وَلَا أَبِيكَ عِنْدَ خِدَاشِ نِعْمَةٌ هُوَ لَهَا
شَاكِرٌ ، فَأَتَتْهُ فَاسْتَشْرَهَ فِي أَمْرِكَ وَأُسْتَعْنَهُ يُعْنِكَ . فَخَرَجَ قَيْسٌ مِنْ سَاعَتِهِ حَتَّى
أَتَى نَاضِحَهُ^(٣) ، وَهُوَ يَسْقَى نَخْلَهُ ، فَضَرَبَ الْجَرِيرَ^(٤) بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهُ ، فَسَقَطَ
الدَّلْوُ فِي الْبُئْرِ ، فَأَخَذَ بِرَأْسِ الْجَمَلِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ مِنْ تَمَرٍ ، وَقَالَ : مَنْ
يَكْفِينِي أَمْرَ هَذِهِ الْعَجُوزِ ؟ - يَعْنِي أُمُّهُ - فَإِنْ مِتُّ أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنْ هَذَا الْحَائِطِ^(٥)

(١) مَلَكْتُ : شَدَدْتُ وَضَبَطْتُ . وَأَنْهَرْتُ : أَوْسَعْتُ .

(٢) ذُبَابُ السَّيْفِ : طَرَفُهُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ .

(٣) النَّاضِحُ : الْبَعِيرُ يَسْقَى عَلَيْهِ الْمَاءَ .

(٤) الْجَرِيرُ : الْحَبْلُ .

(٥) الْحَائِطُ : الْبَسْتَانُ .

حتى تموت ، ثم هو له . وإن عشتُ فهو عائِدٌ إلىَّ وله منه ما يشاء أن يأكل من تمره ؟ فقال له رجل من قومه : أنا له . فأعطاه الحائط ، ثم خرج يسأل عن خِدَاش بن زُهَيْر ، حتى دَلَّ عليه بِمَرِّ الظَّهْرَانِ ^(١) ، فأتى إلى خِباثه فلم يجدْهُ . فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافُه ، ثم نادى امرأةَ خِدَاش : هل من طعام ؟ فأطْلَعَتْ عليه ، فأعجبها جمالُه ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، فقالت : والله ما عندنا من بَرِّك ^(٢) ما نرضاه لك إلا تمرًا . فقال : لا أبالي ، فأخرجني ما كان عندك . فأرسلت إليه بقباع ^(٣) فيه تمر . فأخذ منه تمرًا فأكل شِقَّها وردَّ شِقَّها الباقي في القباع ، ثم أمر بالقباع فأدخل على امرأة خِدَاش بن زُهَيْر ، ثم ذهب لبعض حاجته . ورجع خِدَاشُ فأخبرته بخبر قيس ، فقال : هذا رجل مُتَحَرِّمٌ ^(٤) . وأقبل قيسُ راجعاً ، وهو مع امرأته يأكل رُطْبًا ، فلما رأى خِدَاشُ رجْلَه ، وهو على بعيره ، قال لامرأته : هذا ضيفك ؟ قالت : نعم . قال : كأنَّ قدمه قدِمُ الخطيم صديق اليتيم . فلما ذنا منه قرع طُنْبَ البيتِ بسنان رُمحه ، واستأذن . فأذن له خِدَاشُ . فدخل ، فنسبه ^(٥) فانتسب ، وأخبره بالذي جاء له ، وسأله أن يعينه ويشير عليه في أمره . فرحب به خِدَاشُ وذَكَرَ نِعْمَةَ أبيه عنده ، وقال : إنَّ هذا الأمر ما زلتُ أتوقَّعه منذُ حين ، فأما قاتلُ جدِّك فهو ابنُ عمِّ لي ، وأنا أعينك عليه ، فإذا اجتمعنا في نادينا جلستُ إلى جنبه وتحدَّثْتُ معه ، فإذا ضربتُ فخذَه فثبُّ إليه فأقتله . قال قيس : فأقبلتُ نحوه حتى قمتُ على رأسه لما جالسه خِدَاشُ ، فحين ضرب فخذَه ضربتُ عنقه . فنار إلى القومُ ليقْتُلُوني ، فحال خِدَاشُ بينهم وبينى وقال : دَعُوهُ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ ما قَتَلَ إِلَّا قاتِلَ جدِّه .

(١) الظهران : واد قرب مكة . ومر : قرية قريبة منه تصاف إليه .

(٢) في بعض أصول الأغاني : نزل نرضاه . والنزل : ما يهياً للأضياف .

(٣) القباع : المكيال الضخم . (٤) متحرم ، أى له عندنا حرمة وذمة .

(٥) نسبه : طلب إليه أن ينتسب .

ثم دعا خِداشٌ بِجَمَلٍ من إبله فَرَكَبه وأنطلق مع قَيسٍ إلى العَبْدَى الذي قَتَلَ أباه ، حتى إذا كان قَريباً من هَجَرَ ، أشار عليه خِداشٌ أن يَنْطَلِقَ حتى يسأل عن قاتل أبيه ، فإذا دُلَّ عليه قال له : إنَّ لَصاً من لُصوص قومك قد عارَضَنِي فأخذ متاعاً لي ، فسألتُ : مَنْ سَيِّدُ قومه ؟ فدَلَّتْ عليك . فأُنتَلِقُ معي حتى تأخذَ متاعِي منه . فإن اتَّبَعْتَ وحدَه فستنال منه ما تُريد ، وإن خَرَجَ مع غيره فاضحك ، فإن سألتُ : مِمَّ ضَحِكْتَ ؟ فقل له : إنَّ الشَّرِيفَ عندنا لا يَصْنَعُ كما صَنَعْتَ إذا دُعِيَ إلى اللِّصِّ من قومه ، إنما يخرج وحدَه بسَوِّطه دون سَيفه ، فإذا رآه اللِّصُّ أعطى كُلَّ شَيْءٍ أخذَ هَيبةً له . فإن أمرَ أهله بالرجوع فسيبيلُ ذاك ، وإن أبي إلا أن يَمْضُوا معه فأتى به ، فإني أرجو أن نَقْتله ونَقْتل أصحابَه . ونزل خِداشٌ تحت ظلِّ شجرة ، وخرج قَيسٌ حتى أتى العَبْدَى ، فقال له ما أمره خِداشٌ . فأحفظه وأمر أصحابَه فَرَجَعُوا ، ومَضَى مع قَيسٍ . فلما طَلَعَ على خِداشٍ ، قال له : اختر يا قَيسُ : إما أن أُعِينِكَ وإما أن أُكْفِيكَ ؟ قال : لا أريد واحدةً منهما ، ولكن إن قَتَلَنِي فلا يُفْلِتَنَّكَ . ثم نازله فطَعَنه قَيسٌ بالحربة في خَاصِرته فأنفَذَها من الجانب الآخر ، فمات مكانَه . فلما فَرَغَ منه قال له خِداشٌ : إنا إن فَرَرْنَا الآن طَلَبنا قومه ، ولكن ادخُلْ بنا مكاناً قَريباً من مَقْتله ، فإنَّ قومه لا يَظُنُّونَ أنك قَتَلْتَه وأقمتَ قَريباً منهم ، ولكنهم إذا أفتقدوه أقتصوا أثره ، فإذا وجدوه قَتيلاً خرجوا في طَلَبنا في كُلِّ وجه ، فإذا يَمْسُوا رَجَعُوا . قال : فدخَلَا في داراتٍ من رِمَالٍ ، وفقد العبدى فاقْتَصَّ قومه أثره ، فوجدوه قَتيلاً . فخرجوا يَطْلُبُونَهَا في كُلِّ وجه ، ثم رَجَعُوا . فكان من أمرهم ما قال خِداشٌ . وأقاما بمكانهما أياماً ثم خَرَجَا ، فلم يتكَلَّمَا حتى أتيا منزلَ خِداشٍ ، ففارقَه عنده قَيسُ بن الخطيم ورجع إلى أهله .

وهذه الرواية تُفارق الرواية الأولى في قاتل أبي قَيسٍ وجَدَّه .

وقال قيس^١ الأبيات المتقدم ذكرها ، من قصيدة طويلة ، منها :

تذكر لي حُسْنَهَا وصفاءها وبانت فما إن يستطيع لقاءها
ومثلك قد أُصِيتُ ليست^(١) بكِنَّةٍ ولا جارةٍ أَفْضَتْ^(٢) إلى خبائها
إذا ما اصطبحتُ أربعاً خطَّ مِزْرَى وأتبعْتُ دَلْوَى في السَّاحِ^(٣) رِشَاءها

إعجاب رسول الله
صلى الله عليه
وسلم بشعره

وروى أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلا خَزْرَجِيٌّ ، ثم أَسْتَنَشَدَهُمْ قصيدة قيس بن الخطيم :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ^(٤) الْمَذَاهِبِ لِعَمْرَةٍ وَحْشًا غَيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ
فَأَنشَدَهُ بَعْضُهُمْ إِيَّاهَا ، فلما بلغ إلى قوله :

أُجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مَخْرَاقُ^(٥) لَا عِيبَ

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل كان كما ذكر ؟ فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابع عُرْسُهُ عليه غِلَالَةٌ وَمِلْحَفَةٌ مُورَسَةٌ^(٦) فجالدنا كما ذكر .

استجد النابغة
شعره

وقيل :

قَدِمَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي الْمَدِينَةَ ، فَتَقَدَّمَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَذَلِكَ

(١) الكنة : امرأة الابن أو الأخ .

(٢) أَفْضَتْ إلى خبائها ، أى ليس بينها وبينه ستر .

(٣) خط مِزْرَى ، أى إنه اختال حتى جر ثوبه من الخيلاء . وأتبعْتُ دَلْوَى .. الخ : أى إنه بلغ في السباح منتهاه .

(٤) المذاهب : جمع مذهب ، وهو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها في إثر بعض . واطرادها : تتابعها .

(٥) الحديقة : قرية من أعراض المدينة في طريق مكة . والمخراق : خرقه مفتولة يلعب بها الصبيان ، وهى ما تسمى في مصر : « الطرة » .

(٦) مورسة : مصبوغة بالورس ، وهو نبت أصفر تصبغ به الثياب .

بعد أن أنشد النابغة قصيدة له^(١) ، وقال : ألا رجل يُنشد ؟ ثم أنشده قيس :

* أتعرف رسماً كاطراد المذاهب *

حتى فرغ منها . فقال : أنت أشعر الناس يا بن أخي . قال حسان بن ثابت :
فدخلني منه ، وإني في ذلك لأجد القوة في نفسي عليهما ، ثم تقدمت فجلست
بين يديه ، فقال : أنشد ، فوالله إنك شاعرٌ قبل أن تتكلم ، وكان يعرفني من
قبل ذلك . فأنشدته ، فقال : أنت أشعر الناس .

وقيل :

من جماله

كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، أحمر الشفتين ، براق
الأنيا ، ما رآته حليلة رجل قط إلا ذهب عقلها .

وقيل :

طلب حسان إلى
الخنساء هجاءه
فأبت

إن حسان بن ثابت قال للخنساء : أهجبي قيس بن الخطيم . فقالت : لا أهجو
أحداً حتى أراه . فجاءته يوماً فوجدته في مشربة^(٢) ملتفاً في كساء له ، فنخسته
برجلها وقالت : قم . فقام . فقالت : أدبر . فأدبر . ثم قالت : أقبل . فأقبل . قال :
والله لكانها تعترض عبداً تشتريه . ثم عاد إلى حاله ثانياً^(٣) . فقالت : والله
لا أهجو هذا أبداً .

وكانت بين الأوس والخزرج حروب لم يكن يومٌ من أيامها أعظم من يوم
بُعَاث^(٤) ، وفيه يقول قيس بن الخطيم :

شعره في يوم
الربيع

« أجالدهم يوم الحديقة . . . البيت »

(١) له ، أي للنابغة .

(٢) المشربة : الغرفة التي يشرب فيها . (٣) في بعض أصول الأغاني : « نأما »

(٤) بعث : موضع في نواحي المدينة ، وبه كانت هذه الواقعة .

وإنما كانوا في غيره من الأيام يترامون بالحجارة ، ويتضاربون بالخشب .
ومن تلك الأيام اليوم الذي يقال له يوم الربيع^(١) . وفي هذا اليوم يقول قيس
الآيات التي فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخبار قيس ، وهي :

أَجَدَّ بَعْمَرَةَ غُنْيَانُهَا	فَتَهَجَّرَ أُمَّ شَأْنُنَا ^(٢) شَأْنُهَا
فَإِنْ تُمْسُ شَطَّتْ بِهَا دَارُهَا	وَبَاحَ لَكَ الْيَوْمَ ^(٣) هِجْرَانُهَا
فَمَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْقَطَا	كَأَنَّ الْمَصَابِيحَ ^(٤) حَوَذَانُهَا
بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَلَا مُزْنَةً	دَلُوحٌ تُكْشَفُ ^(٥) إِدْجَانُهَا
وَعَمْرَةٌ مِنْ سَرَواتِ النَّسَا	تَمْفَحُ بِالْمِسْكِ ^(٦) أُرْدَانُهَا

ومنها :

وَنَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الرَّيِّعِ قَدْ عَلِمُوا كَيْفَ فُرْسَانُهَا
حِسَانُ الْوُجُوهِ حِدَادُ السَّيْوِ فَيَبْتَدِرُ الْمَجْدَ شُبَّانُهَا

وكان هذا اليوم للأوس على الخزرج ، فلذلك أفتخر به قيس . وعمرة التي
ذكرها في شعره ، هي عمرة بنت صامت بن خالد ، زوجة حسان بن ثابت .
وكان حسان ذكر ليلي بنت الخطيم في شعره ، فكافأه قيس بذلك .

حسان ويلي
أخت قيس

ذكر أن حسان بن ثابت مرّ بليلى بنت الخطيم ، وقيس أخوها بمكة حين
خرجوا يطلبون الحلف في قريش ، فقال لها حسان : اطعني فالحق بالحق فقد
ظعنوا ، وليت شعري ! ما خلّفتك ؟ وما شأنك ؟ أقلّ ناصرك أم راث^(٧) رافدك ؟
فلم تكلمه وشتّمته نساؤها . فذكرها في شعره يوم الربيع الذي يقول فيه حسان :

(١) الربيع : موضع من نواحي المدينة .

(٢) جد : استمر . وغنيانها : استغناها . وشأننا شأنها ، أي أم هي على ما نحب .

(٣) شطت : بعدت . وباح : ظهر .

(٤) الحوذان : نبات سهل حلو طيب الطعم .

(٥) دلوح : ثقيلة . وإدجانها : سوادها .

(٦) الأردان : ما يلي الذراعين جميعاً والإبطين من الكمين . (٧) راث : أبطأ .

لقد هاج نفسك أشجانها وعاودها اليوم^(١) أديانها
تذكرت ليلى وأنى بها إذا قطعت منك^(٢) أقرانها
وحجل في الدار غربانها وخف من الدار سُكَّانها
وغيَّرها مُعْصِراتُ الرِّيح وسحَّ الجنوب وتهتَّانها
مهاة من العين تمشى بها وتتبعها شم غزلانها
وقفت عليها فساءلتها وقد ظعن الحى : ما شأنها
فعيَّت وجاوبنى دونها بما راع قلبى أعوانها
وهى طويلة .

وعمرة بنت رَوَاحَة هى أمُّ النُّعْمان بن بشير .

وقد ذكر أن النُّعْمان بن بشير قدِم المدينة فى أيام يزيد بن معاوية وابن الزُّبير
فقال : والله لقد أخفقت^(٣) أذنائى من الغناء ، فأسمعونى . فقيل له : لو وجهت
إلى عزة فإنها من قد عرفت . فقال : إى وربِّ البنية ، إنها لمن تزيد النفس
طيباً ، والعقل شحذاً ، أبعثوا إليها عن رسالتى ، فإن أبت صرنا إليها . فقال له
بعضُ القوم : إن النُّقْلة تشتد عليها لثقل بدنها ، وما بالمدينة دابةً تحملها . فقال
النُّعْمان : وأين النِّجائب عليها الهوارج ! فوجه إليها بنجيب . فذكرت علة . فلما
عاد الرسولُ إلى النُّعْمان بن بشير ، قال لجليسه : أنت كنت أخبر بها ، قوموا بنا .
فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها . فأذنت وأكرمت وأعتذرت . فقبل
النُّعْمان عُذْرَها ، وقال : غننى . فغننته :

غناء عزة الميلا
للنعمان بشعره

أجد بعمره غنيانها فتهجر أم شأننا شأنها

فأشير إليها أنها أمه . فسكت . فقال : غننى ، فوالله ما ذكرت إلا كرمًا

(١) الأديان : جمع دين ، وهو الداء . يريد : حبه القديم .

(٢) الأقران ، الحبال ، الواحد : قرن . (٣) أخفقت : أوحشت ، لطول العهد .

وطيباً . لا تُغَنِّينِي سائرَ اليومِ غيرَه . فلم تزل تُغَنِّيهِ هذا اللحنَ فقط حتى أنصرف .

قضاء النعمان
بين امرأة وزوجها

وقيل : إن النُّعمان بن بَشِير لما انصرف من منزل عَزَّة ، إذا امرأةً بالباب منتظرة له . فلهما خرج شكتُ إليه غَشِيانَ زوجها إياها . فقال لها النُّعمان بن بَشِير : لَأُقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِقَضِيَّةٍ لَا تُرَدُّ عَلَيَّ : قد أحلَّ له من النساءِ مِثْنِي وثلاثَ ورُبَاع ، فله مَرَّتَانِ بالنَّهار ومَرَّتَانِ ^(١) بالليل .

شعر له وخبر
الحرب بينهم وبين
بنى جحجحي

ومن شعر قيس بن الخطيم الذي يُغَنِّي فيه قوله :

حَوْرَاءُ مَمْكُورَةٌ مَنَعَمَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا ^(٢) نَزْفُ
تَنَامُ عَنْ كِبَرِ شَأْنِهَا فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْقَصِفُ

وهذا الشعر من قصيدة يقولها قيسٌ في حربٍ كانت بينهم وبين بنى جَحْجَحِي وبنى خَطَمَةَ ^(٣) ولم يشهداها قيس ، ولا كانت في عصره ، وإنما أجاب بها شاعراً يقال له : دِرْهَمُ بْنُ يَزِيدٍ ^(٤) .

وخبر هذه الحرب أن رجلاً من غطفان من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بعث إلى يَثْرِبِ بفرسٍ وحُلَّةٍ مع رجلٍ من غطفان ، وقال : ادفعهما إلى أعزِّ أهل يَثْرِبِ — وقيل : إنَّ الباعث بهما عبدُ يَالِيلِ بن عمرو التَّقْفِي . وقيل : بل عَلَقَمَةُ ابنُ عَلَاثَةَ — فجاء الرسولُ بهما حتى وَرَدَ سوقَ بنى قَيْنُقَاعَ ، فقال ما أمر به . فوثب إليه رجلٌ من ثعلب ^(٥) كان جاراً لِمَالِكِ بنِ الْعَجْلَانِ الْخَزْرَجِيِّ ، يقال له ، كَعْبُ الثَّعْلَبِيِّ ، فقال : مالكُ أعزُّ أهل يَثْرِبِ . وقام رجل آخر فقال : بل أَحْيَحَةُ ابنُ الْجَلَّاحِ أعزُّ أهل يَثْرِبِ . وكثر الكلام . فقبِلَ الرسولُ الْغُطَفَانِيَّ قولَ الثَّعْلَبِيِّ

(١) في بعض أصول الأغاني : « امرأتان . . . وامرأتان » .

(٢) ممكورة : مدحجة الخلق . ونزف ، بالضم وسكن للشعر : خروج الدم . وقيل ، هو بياض اللون مع صفرة . . وفي بعض أصول الأغاني : « ترف » .

(٣) في بعض الأصول : « حجناء وبنى خطمة » . (٤) في الأصل : « درهم بن زيد » .

(٥) في الأصل : « تغلب » . وفي بعض أصول الأغاني : « غطفان » .

الذى كان جاراً لمالك بن العجلان ودفعهما إلى مالك . فقال كعب : ألم أقل لكم إن حليفى أعزُّكم وأفضلُكم ، فغضب رجلٌ من بنى عمرو بن عوف يقال له : سُمير ، فرصد الثعلبى حتى قتله . فأخبر مالك بذلك ، فأرسل إلى بنى عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس : إنكم قد قتلتم منا قتيلاً ، فأرسلوا إلينا بقاتله . فلما جاءهم رسولُ مالك تَرَامَوْا به . فقالت بنو زيد : إنما قتلته بنو جَحْجَبى . وقالت بنو جَحْجَبى : إنما قتلته بنو زيد . ثم أرسلوا إلى مالك : إنه قد كان فى السوق التى قُتل فيها صاحبُكم ناسٌ كثير ، ولا يُدرى أيُّهم قتله . فأمر مالكُ أهلَ تلك السوق أن يتفرقوا ، فلم يبق فيها غيرُ سُمير وكعب . فأرسل مالك إلى بنى عمرو ابن عوف بالذى بلغه من ذلك ، وقال : إنما قتله سُمير ، فأرسلوا به إلى أقتله . فأرسلوا إليه : إنه ليس لك أن تقتل سُميراً بغير بينة ، وكثرت الرُّسل بينهم فى ذلك : يسألهم مالك أن يعطوه سُميراً ، ويأبُونَ أن يعطوه إياه . ثم إن بنى عمرو بن عوف كرهوا أن يُنْشِبُوا بينهم وبين مالك حرباً ، فأرسلوا إليه يَعْرِضُونَ عليه الدِّية ، فقبلها . فأرسلوا إليه : إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصفُ الدِّية ، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلا الدية كاملة أو يقتل سُميراً . فأبَت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف ، وهى نصف الدِّية ، ثم دَعَوْهُ أن يحكِّم بينهم وبينه عمرو بن أمريء القيس ، أحد بنى الحارث بن الخزرج ، وهو جدُّ عبد الله بن رَوَاحَةَ رضى الله عنه ، ففعل . فانطلقوا حتى جاءوه فى بنى الحارث بن الخزرج ، فقضى على مالك بن العجلان أنه ليس له فى حليفه إلا دية الحليف ، وأبى مالك أن يرضى بذلك ، وأذن بنى عمرو ابن عوف بالحرب ، وأستنصر قبائل الخزرج . فأبَت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصُرَه غضباً حين ردَّ قضاء عمرو بن أمريء القيس . فقال مالك يذكر خِذْلَان بنى الحارث بن الخزرج له وحَدَّبَ بنى عمرو بن عوف على سُمير ، ويَحُضُّ بنى النُّجَاج على نصرته :

إِنَّ سُمَيْرًا لَدَى ^(١) عَشِيرَتِهِ قَدْ حَدَّبُوا دُونَهُ وَقَدْ أَنْفُوا
 إِنْ يَكُنْ الظَّنُّ صَادِقًا بَيْنِي وَاللَّهِ جَارٍ لَا يَطْعَمُوا الَّذِي ^(٢) عُلِفُوا
 لَا يُسَلِّمُونَا لِمَعْشَرٍ أَبَدًا مَا دَامَ مِنَّا بَيْطُنُهَا ^(٣) شَرَفٌ
 لَكِنْ مَوَالِيٍّ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ رَأَى سِوَى مَا لَدَى أَوْ ضَعُفُوا
 بَيْنَ بَنِي جَحْجَجٍ وَبَيْنَ بَنِي زَيْدٍ فَأَنَّى لِحَارِكِ التَّلَفُ
 يَمْشُونَ فِي الْبَيْضِ وَالْدُرُوعِ كَمَا تَمْشِي لِحَالٍ مَصَاعِبٍ ^(٤) قُطِفُ
 كَمَا تَمْشِي الْأَسُودُ ^(٥) فِي رَهَجٍ أَلَا مَوْتَ إِلَيْهِمْ ^(٦) وَكُلُّهُمْ لَهْفٌ

وَقَالَ دِرْهَمُ بْنُ يَزِيدَ ، أَخُو سُمَيْرَ ، فِي ذَلِكَ :

يَا قَوْمَ لَا تَقْتُلُوا سُمَيْرًا فَإِنَّ الْقَتْلَ فِيهِ الْبَوَارُ وَالْأَسْفُ
 إِنْ تَقْتُلُوهُ تَرِنَ ^(٧) نِسْوَتُكُمْ عَلَى كَرِيمٍ وَيَفْزَعُ السَّلَفُ
 إِنِّي لَعَمْرُو الَّذِي يَحْجُجُّ لَهُ النَّدَى أَسْ وَمِنْ دُونِ بَيْتِهِ ^(٨) سَرِفٌ
 يَمِينُ بَرٍّ بِاللَّهِ مُجْتَهِدٌ يَحْلِفُ إِنْ كَانَ يَنْفَعُ الْحَلِفُ
 لَا يَرْفَعُ الْعَبْدَ فَوْقَ سُلَّتَنَةِ مَا دَامَ مِنَّا بَيْطُنُهَا شَرَفٌ

وَقَالَ دِرْهَمُ بْنُ يَزِيدَ فِي ذَلِكَ :

يَا مَالٍ لَا تَبْغِينَ ظُلَامَتَنَا يَا مَالٍ إِنَّا مَعَاشِرُ أَنْفُ
 يَا مَالٍ وَالْحَقُّ إِنْ قَنِعْتَ بِهِ فِينَا وَفِيهِ لِأَمْرِنَا نَصَفٌ

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « أَرَى » .

(٢) عُلِفَ الضَّمُّ : أَقْرَبَهُ . (٣) الشَّرَفُ : الشَّرِيفُ .

(٤) الْبَيْضُ : جَمْعُ بَيْضَةٍ ، وَهِيَ مَا يَلْبَسُ عَلَى الرَّأْسِ كَالْخُوْذَةِ ، لِلْوَقَايَةِ فِي الْحَرْبِ . وَالْمَصَاعِبُ :

جَمْعُ مَصْعَبٍ ، وَهُوَ الْفَحْلُ الَّذِي لَمْ يَرْكَبْ وَلَمْ يَمْسَسْ حَبْلًا حَتَّى صَارَ صَعْبًا . وَالْقُطْفُ : السَّرِيعُ الْخَطْوُ .

(٥) الرَّهَجُ : الْغَبَارُ . (٦) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « إِلَيْهِ » مَكَانَ « إِلَيْهِمْ » .

(٧) تَرِنَ : تَرَفَعَ أَصْوَاتُهَا بِالْبُكَاءِ .

(٨) سَرِفٌ : عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ ، تَزُوجُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةُ بِنْتُ

الْحَارِثِ ، وَهَنَّاكَ بَنِيهَا ، وَهَنَّاكَ تَوَفَّيْتُ .

إِنَّ سَمِيرًا^(١) عَبْدٌ فَخَذَ ثَمَنًا فَالْحَقُّ يُوفَى بِهِ وَيُعْتَرَفُ
 ثُمَّ أَعْلَمَنْ إِنَّ أَرْدَتَ ضَمِيمَ بَنِي زَيْدٍ فَإِنِّي وَمَنْ لَهُ الْحَلِيفُ
 لَا أَصْبَحُنْ دَارَ كَمْ بَذَى كَلْبٍ جَوْنٍ لَهُ مِنْ أُمَامِهِ^(٢) عَزَفُ
 الْبَيْضِ حِصْنٌ لَهُمْ إِذَا فَرَعُوا وَسَابِغَاتٌ كَأَنَّهَا^(٣) النَّظَفُ
 وَالْبَيْضُ قَدْ ثَلَّتْ مَضَارِبُهَا بِهَا نَفْسُ الْكِمَاةِ تُخْتَطِفُ
 كَأَنَّهَا فِي الْأَكْفِ إِذْ لَمَعَتْ وَمِيزُ بَرْقٍ يَيْدُو وَيَنْكَشِفُ

وقال قيس بن الخطيم في ذلك ، ولم يدركه ، وإنما قاله بعد اقتضاء هذه الحرب بزمان :

رَدَّ الْخَلِيطُ الْجَمَالَ فَانْصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا
 فِيهِمْ لَعُوبُ الْعِشَاءِ آنَسَةُ الـ دَلَّ عَرُوبٌ^(٤) يَسُوءُهَا الْخُلْفُ
 حَوْرَاءَ جَيْدَاءٍ يُسْتَضَاءُ بِهَا كَأَنَّهَا خُوطٌ بَانَةٌ^(٥) قَصِفُ
 ومنها البيتان اللذان تقدّم ذكرهما . ومنها :

نَفَلَى بِحَدِّ الصَّفِيحِ هَامَهُمْ وَفَلَيْنَا هَامَهُمْ بِهَا^(٦) عُنْفُ
 إِنَّ بَنِي عَمَّنَّا طَغَوْا وَبَغَوْا وَلَجَّ مِنْهُمْ فِي قَوْمِهِمْ سَرَفُ
 فقال حسان بن ثابت ، ولم يدرك ذلك ، يرُدُّ على قيس :

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ دَمْعُهَا يَكْفُ مِنْ ذِكْرِ خَوْدِ شَطَّتْ بِهَا^(٧) قَذَفُ

(١) في بعض أصول الأغاني : « بجير » .

(٢) العزف ، بالفتح ، وحرك للشعر : الصوت .

(٣) النظف ، جمع نطفة ، وهى اللؤلؤة الصافية اللون وقطرة الماء . تشبه بها الدروع لصفائها .

(٤) لعوب العشاء : تسمر مع السمار وتلهو . والعروب : الحسناء المتحبة إلى زوجها .

(٥) حوراء : ذات حور ، وهو سعة العينين . وجيداء : طويلة العنق . والخطوط : الغصن .

(٦) فلاه بالسيف : علاه . والصفيح : السيوف العريضة ، الواحد : صفيحة . وعنْفُ ،

يريد أن قتلنا إياهم عنْفُ منا لأنهم قومنا وبنو عمنّا . (٧) قذف : بعيدة .

بانت بها غربةٌ تؤمُّ بها أرضاً سوانا والشَّكلُ مُخْتَلِفٌ
ما كنتُ أدري بوشكٍ بينهم حتى رأيتُ الحُدُوجَ تَنَقِّذُ
دَعُ ذَا وَعَدِ الْقَرِيضِ فِي نَفَرٍ يَرْجُونَ مَدْحِي وَمَدْحِي الشَّرَفُ
إِنْ تَدْعُ قَوْمِي لِلْمَجْدِ تَلْفِهِمْ أَهْلُ فَعَالٍ يَبْدُو إِذَا وَصِفُوا
إِنْ سُمِيراً عَبْدٌ طَغَى سَفَهَا سَاعِدُهُ أَعْبَدُ لَهُمْ^(١) نَطَفُ

ثم أرسل مالكُ بن العَجْلانُ إلى بني عمرو بن عَوْفٍ يُؤَذِّنُهُم بِالْحَرْبِ وَيَعْدُهُمْ
يَوْمًا يَلْتَقُونَ فِيهِ ، وَأَمَرَ قَوْمَهُ فَتَهَيَّأُوا لِلْحَرْبِ ، وَتَحَاشَدَ الْحَيَّانُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ،
وَكَانَتْ يَهُودٌ قَدْ حَالَفَتْ قَبَائِلَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، إِلَّا بَنِي قُرَيْظَةَ وَبَنِي النَّضِيرِ ،
فَإِنَّهُمْ لَمْ يُحَافِلُوا أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى كَانَ هَذَا الْجَمْعُ ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِمُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ،
كُلٌّ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَفْسِهِ ، فَأَجَابُوا الْأَوْسَ وَحَالَفُوهُمْ ، وَالتَّتَى حَالَفَتْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ
مِنَ الْأَوْسِ أَوْسُ اللَّهِ ، وَهِيَ خَطْمَةٌ وَوَاقِفٌ وَأُمِيَّةٌ وَوَائِلٌ ، فَهَذِهِ قَبَائِلُ أَوْسِ اللَّهِ .
ثُمَّ زَحَفَ مَالِكٌ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخَزْرَجِ ، وَزَحَفَتْ الْأَوْسُ بِمَنْ مَعَهَا وَبِحُلَفَائِهَا مِنْ
قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ ، فَالْتَقَوْا بِفَضَاءٍ كَانَ بَيْنَ سَالِمٍ وَقُبَاءَ ، فَكَانَ أَوَّلَ يَوْمٍ التَّقْوَا فِيهِ .
فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَهُمْ مُنْتَصِفُونَ جَمِيعًا . ثُمَّ التَّقْوَا مَرَّةً أُخْرَى
عِنْدَ أَطْمِ بْنِ قَيْنُقَاعٍ . فَاقْتَتَلُوا حَتَّى حَبَزَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ ، فَكَانَ الظَّفَرُ يَوْمَئِذٍ لِلْأَوْسِ
عَلَى الْخَزْرَجِ . فَقَالَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَتِ فِي ذَلِكَ :

لَقَدْ رَأَيْتُ بَنِي عَوْفٍ^(٢) فَمَا وَهَنُوا عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا تَهَمُّوا بِتَكْذِيبِ
أَلَا فِدَى لَهُمْ أُتَّى وَمَا وَلَدَتْ غَدَاةَ يَمْشُونَ إِرْقَالَ^(٣) الْمَصَاعِبِ
بِكُلِّ سَلْهَبَةٍ^(٤) كَالْأَيْمِ^(٥) نَامِيَةٍ وَكُلُّ أَيْبَضَ مَاضِيِ الْحَدِّ^(٦) مَخْشُوبِ

(١) النطف : القرط . (٢) في بعض أصول الأغاني : « عمرو » .

(٣) الإرقال : ضرب من العدو . والمصاعيب ، أراد « مصاعب » جمع مصعب ، وهو الفحل

الذي لم يمسسه حبل ولم يركب ، فزاد الياء .

(٤) السلهبة : الطويل من الخيل ، والأيم : الثعبان الذكران من الحيات ، وهي التي لاتنصر أحداً .

(٥) في بعض أصول الأغاني : « ماضية » مكان « نامية » . (٦) مخشوب : مصقول .

فلبث الأوس والخزرج مُتَحَارِبِينَ عِشْرِينَ سَنَةً فِي أَمْرِ سُمَيْر ، يَتَعَاوَدُونَ الْقِتَالَ فِي تِلْكَ السِّنِينَ ! وَكَانَتْ لَهُمْ فِيهَا أَيَّامٌ وَمَوَاطِنٌ لَمْ تُحْفَظْ . فَلَمَّا رَأَتْ الْأَوْسُ طُولَ الشَّرِّ ، وَأَنَّ مَالَكًا لَا يَنْزِعُ^(١) ، قَالَ لَهُمْ سُوَيْدُ بْنُ صَامَتِ الْأَوْسِيِّ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْكَامِلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - وَكَانَ الرَّجُلُ عِنْدَ الْعَرَبِ إِذَا كَانَ شَاعِرًا شَجَاعًا كَافِيًا سَابِحًا رَامِيًا سَمَوَهُ الْكَامِلُ . فَكَانَ سُوَيْدٌ أَحَدَ الْكَمَلَةِ - : يَا قَوْمِي ، أَرْضُوا الرَّجُلَ مِنْ حَلِيفِهِ . وَلَا تُقِيمُوا عَلَى حَرْبِ إِخْوَتِكُمْ فَيَقْتُلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَيَطْمَعُ هَذَا فِيكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَإِنْ حَمَلْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بَعْضَ الْحَمْلِ . فَأَرْسَلَتْ الْأَوْسُ إِلَى مَالِكِ ابْنِ الْعَجْلَانِ يَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يُحْكَمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ثَابِتُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ حَرَامٍ ، أَبُو حَسَّانِ ابْنِ ثَابِتٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا ثَابِتَ بْنَ الْمُنْذِرِ ، وَهُوَ فِي الْبُئْرِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا سُمَيْحَةٌ^(٢) . فَقَالُوا : إِنَّا قَدْ حَكَمْنَاكَ بَيْنَنَا . فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ . قَالُوا : وَلِمَ ؟ قَالَ : أَخَافُ أَنْ تَرُدُّوهُ حُكْمِي كَمَا رَدَدْتُمْ حُكْمَ عَمْرِو بْنِ أُمْرِئِ الْقَيْسِ . قَالُوا : فَإِذَنْ لَا نَرُدُّ حُكْمَكَ ، فَاحْكُمْ بَيْنَنَا . قَالَ : لَا أَحْكُمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى تُعْطُونِي مَوْتَقًا وَعَهْدًا لَتَرْضَوْنَّ بِحُكْمِي وَمَا قَضَيْتُ وَلَتَسْلُمَنَّ لَهُ . فَأَعْطَوْهُ عَلَى ذَلِكَ عُقُودَهُمْ وَمَوَائِقَهُمْ ، فَحَكَمَ أَنْ يَدُّوا حَلِيفَ مَالِكِ دِيَةَ الصَّرِيحِ^(٣) ، ثُمَّ تَكُونَ السَّنَةُ بَعْدَهُ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ : الصَّرِيحُ عَلَى دَيْتِهِ وَالْحَلِيفُ عَلَى دَيْتِهِ ، وَأَنْ تُعَدَّ الْقَتْلَى الَّذِينَ أَصَابَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي حَرْبِهِمْ ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، ثُمَّ تُعْطَى الدِّيَةُ لِمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ فِي الْقَتْلِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ . فَارْضَى مَالِكٌ بِذَلِكَ وَسَلِمَتِ الْأَوْسُ ، وَتَفَرَّقُوا عَلَى أَنْ عَلَى بَنِي النَّجَارِ نِصْفَ دِيَةِ جَارِ مَالِكٍ مَعُونَةً لَهُمْ ، وَعَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ نِصْفُهَا . فَرَأَتْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ أَنَّهُمْ لَمْ يُخْرِجُوا إِلَّا الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ . وَرَأَى مَالِكٌ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ مَا كَانَ يَطْلُبُ . وَوَدَّى جَارَهُ دِيَةَ الصَّرِيحِ . وَيُقَالُ : بَلِ الْحُكْمُ الْمُنْذَرُ أَبُو ثَابِتٍ .

(١) لَا يَنْزِعُ : لَا يَكْفُ . (٢) سُمَيْحَةٌ ، بِالتَّصْغِيرِ ، وَبِفَتْحِ السِّينِ : بُئْرٌ بِالْمَدِينَةِ .

(٣) الصَّرِيحُ : الرَّجُلُ الْخَالِصُ النَّسَبِ .

مقتل قيس بن الخطيم

قتلته الخزرج
فقتل به قومه
أبا صعصعة

لما هذأت الحربُ بين الأوس والخزرج ، التي كانت في أيام قيس ،
تذكرت الخزرجُ قيس بن الخطيم ونسكايته فيهم ، فتآمروا وتواعدوا قتله ، فخرج
عشيةً من منزله بين ملاءتين يُريد مالا له ، حتى مرَّ بأطم^(١) بنى حارثة . فرمى
من الأطم بثلاثة أسهم ، فوقع أحدها في صدره ، فصاح صيحةً أسمعها رهطه ،
فجاءوا فحملوه إلى منزله . فلم يروا له كفنًا إلا أبا صعصعة يزید بن عوف بن
مُدرك^(٢) النجاري . فاندس إليه رجلٌ حتى أعتاله في منزله ، فضرب عنقه وأشتمل
على رأسه ، فأتى به قيسًا وهو بأخر رمق ، فألقاه بين يديه وقال : يا قيس ، قد
أدركتُ بثأرك . فقال : عَضَضْتُ بِأُيْرَأْيِكَ إن كان غير أبي صعصعة ! قال : هو
أبو صعصعة ، وأراه الرأس . فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات .
وكان مقتله قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

(١) الأطم : الحصن . (٢) في الأصل : « بن مبدول » .

أخبار طويس

اسمه وكنيته ولقبه وهو عيسى بن عبد الله . وكنيته أبو عبد المنعم . وغيرها المَخْنَثُونَ فجعلوها ،
أبا عبد النعم .

وهو مولى بني مخزوم .
وطويس ، لقب غلب عليه .

وهو أول من غنى بالعربية في المدينة . وأول من ألقى الخنث بها . وكان
أحول طويلاً . وكان لا يضرب بالعود ، إنما ينقر بالدف . وكان ظريفاً عالماً بأمر
المدينة وأنساب أهلها . وكان يُتَقَى للسان .

من شؤمه وذُكر أنه وُلد يومَ توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وفُطم يومَ توفى
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وخُتن يومَ قتلِ عمر رضي الله عنه ، وزُوج يومَ
قتلِ عثمان رضي الله عنه ، ووُلد له يومَ قتلِ علي رضي الله عنه . وقيل : وُلد له يومَ
مات الحسن بن علي عليهما السلام .

وروى عنه أنه قال : كانت أمي تمشي بين نساء الأمصار بالميمية .

وقيل : أول غناء غناه :

تسميته بالذائب

كيف يأتي من بعيدٍ وهو يُخْفِيهِ القريبُ
نازحٌ بالشأم عَنَّا وهو مِكنَسال هَيُوبُ
قد براني الحبُّ حتى كِدْتُ من وَجْدِي أَذُوبُ

فسمي « الذائب » لذلك .

هيت المخنث
وبادية بنت غيلان

وذكر أن هيت المخنث قال لعبد الله بن أبي أمية المخزومي ، وهو أخو أم سامة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، والنبي صلى الله عليه وسلم يحاصر الطائف : إن فتح الله عليكم الطائف فسل النبي صلى الله عليه وسلم بادية بنت غيلان بن سامة ابن معتب ، فإنها هيفاء شموع^(١) نجلاء ، إن تكلمت تغت ، وإن قامت تثنت ، تقبل بأربع وتدبر بثمان^(٢) ، مع تغر كأنه الأقحوان ، وبين رجلين كالإناء المكفأ . كما قال قيس بن الخطيم :

تغترق الطرف وهي لاهية كأنما شف وجهها نرْف^(٣)
بين شكول النساء خلقتها قصد فلا جبلة ولا قصف^(٤)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد غلغت النظر يا عدو الله ! ثم جلاه عن المدينة إلى الجماء^(٥) . فلما فتحت الطائف تزوجها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فولدت له بريهة . ولم يزل هيت بذلك المكان حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه كلف فيه ، فأبى أن يرده . وقال : إن رأيت ضربت عنقه . فلما ولي عمر رضي الله عنه كلف فيه . فأبى أن يرده . فلما ولي عثمان رضي الله عنه كلف فيه . فأبى أن يرده . ففيل له : إنه كبر وضعف واحتاج . فأذن له أن يدخل في كل جمعة فيسأل ويرجع إلى منزله . وكان هيت مولى لعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، وكان طويس له ، فمن ثم قيل : الخنث .

(١) الشموع : اللعوب الضحوك . (٢) يريد أن عكن بطنها إذا أقبلت أربع وإذا أدبرت ثمان .
(٣) تغترق ، أي تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها بحسنها . وشفه : جعله رقيقاً بادي المحاسن . والنزف ، بالضم ، وحرك للشعر : الاسم من نزف الدم ، إذا أخرجه كثيراً حتى يضعف صاحبه ، والنزف : الضعف الحادث عن ذلك . وقيل : النزف ، ها هنا : الجرح الذي ينزف عنه دم الإنسان . يريد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمها منزوف .
(٤) الشكول : الضروب ، الواحد : شكل ، بالفتح . وجبلة : غليظة . وقصف : دقيقة قليلة اللحم .
(٥) الجماء : جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من العقيق .

من إغرائه بين
الأوس والخزرج

وقيل : كان طويس ولعاً بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم ، وكان يُريد بذلك الإغراء بينهم ، فقلّ مجلسٌ أجمع فيه هذان الحيّان فغنى فيه طويس إلا وقع فيه شيء ، فنهي عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغناء بشعر الأنصار حتى تُسدوني التراب ؛ وذلك لكثرة تولّع القوم به . وكان يُبدي السرائر ويُخرج الضمائر^(١) ، فكان القوم يتشاءمون به . وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصبر عن حديثه . فغنى يوماً بشعر قيس بن الخطيم ، حتى بلغ قوله :

أبلغ بني جحجبي وقومهم
حطمة أنا وراءهم أنف

فتكلموا وانصرفوا ، وجرت بينهم دماء ، وأنصرف طويس من عندهم سليماً لم يُسكّم ولم يُقل له شيء .

وقيل : كان عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب معه إخوان له^(٢) في عشيّة من عشايا الربيع ، فراحت عليهم السماء بمطر جودٍ فأسأل كلّ شيء . فقال عبدُ الله : هل لكم في العقيق ؟ وهو مُتنزّه أهل المدينة في أيام الربيع والمطر . فركبوا دوابهم ثم اتّهبوا إليه ، فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل مدّ الفرات . فإنهم لينظرون إليه إذ هاجت السماء . فقال عبدُ الله لأصحابه : ليس معنا جنة نستجئ بها . وهي سماء خليقة أن تبُلّ ثيابنا ، فهل لكم في منزل طويس فإنه قريبٌ منّا فنستكنّ فيه ويحدّثنا ويضحكنا ؟ قال : وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر . فقال له عبدُ الرحمن بن حسان بن ثابت : جعلت فداك ! وما تريد من طويس ؟ عليه غضبُ الله ! مخنّث شائن لمن عرفه . فقال له عبدُ الله : لا تقلّ ذاك ، فإنه مليح خفيف لنا فيه أنس . فأمّا استوفى طويس كلامهم تعجّل إلى منزله فقال لامرأته : ويحك ! قد جاء عبدُ الله بن جعفر سيّد الناس ،

حديث نزول
عبد الله بن جعفر
به في إخوان له

(١) في بعض أصول الأغاني : « الضغائن » .

(٢) في الأصل : « أحداث » مكان « إخوان له » .

فما عندك؟ قالت: نذبح هذه العناق^(١) — وكانت عندها عتيقة قد ربّتها لبن^(٢) — ونخبز رُقاقاً. فبادر فذبحها وأخبزت هي. ثم خرج فتلقاه مُقبلاً إليه. فقال له طويس: بأبي أنت وأُمي هذا المطر! فهل لك في المنزل تستكن فيه إلى أن تكفّ السماء؟ قال: إياك أريد. قال: فأمضِ على بركة الله. وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا، فتحدّثوا حتى أدرك الطعام. فقال: بأبي أنت وأُمي! تكرمني إذا دخلت منزلي بأن تعشي عندي. قال: هات ما عندك. فجاء بعناقٍ سمينة ورُقاق. فأكل القوم حتى شبعوا وأعجبه طيبُ طعامه. فلما غَسَلوا أيديهم قال: بأبي وأُمي! أتمشي لك^(٣) وأُغنيك؟ قال: افعَل يا طويس. فأخذ ملحفةً فأنزرها وأرَخى لها ذنِين، ثم خذ المربع^(٤) فتمشي وأنشأ يغني:

يا خليلي نابي سُهْدِي	لم تنم عيني ولم تكدِ
فشرابي ما أُسِيغ وما	أشتكي ما بي إلى أحد
كيف تلحون ^(٥) على رجلٍ	آنسٍ تلتذّه كبدِي
مثل ضوءِ البدرِ صورته	ليس بالزُمَيْلة ^(٦) النكد

فطرب القوم وقالوا: أحسنت والله يا طويس! ثم قال: يا سيدي، أتدرى لمن هذا الشعر؟ فقال: لا والله، لا أدري لمن هو؟ إلا أني سمعتُ شعراً حسناً. قال: هو لفارعة بنت ثابت أختِ حسان بن ثابت، وهي تتعشق عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومي، وتقول فيه هذا الشعر. فنكّس القوم رؤوسهم. وضرب عبد الرحمن بن حسان برأسه على صدره، فلو شقت الأرض لدخل فيها.

(١) العناق: الأنثى من ولد المعز. (٢) في بعض أصول الأغاني: «بالبن».

(٣) في بعض أصول الأغاني: «معك».

(٤) المربع: يريد دفاً. وسيأتي ذكر ذلك (ص ٣٢٧) من هذا الجزء.

(٥) تلحوني: تلومني وتعذّلي.

(٦) الزميلة: الرذل الجبان الضعيف، يتزمل في بيته خوفاً وجبنًا.

هو وجارية تتبعها
فزجرته

وقيل : إن طويساً تبع جارية ، فراوغته فلم ينقطع عنها . فوفقت على مجلس
لقوم ثم قالت : ياهؤلاء ، لى صديق لى زوج ومولى ينكحوننى . فسلوا هذا ما يريد
منى ؟ فقال : اضيق ما وسعوه . ثم جعل يغنى :

أَفِقْ يَا قَلْبُ عَنْ جُمْلٍ وَجُمْلٌ قَطَعَتْ حَبْلِي
وَكَيفَ يُفِيقُ مَحْزُونٌ بِجُمْلٍ هَامُّ الْعَقْلِ
بَرَاهُ الْحُبُّ فِي جُمْلٍ فَحَسْبِي الْحُبُّ مِنْ ثَقُلٍ
وَحَسْبِي فِيكَ مَا أَلْقَى مِنَ التَّفْنِيدِ وَالْعَذْلِ
وَقَدْ وَبَّخَنِي فِيهِمَا فَلَمْ أَحْفِلْ بِهِمْ أَهْلِي

وحكى بعضهم قال :

هو والرجل
المسحور

خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ وَمَعَنَا رَجُلٌ ، فَاتَمَّهَيْنَا إِلَى وَادٍ ، فَدَعَوْنَا بِالْغَدَاءِ . فَمَدَّ الرَّجُلُ يَدَهُ
إِلَى الطَّعَامِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَهُوَ قَبْلَ ذَلِكَ يَأْكُلُ مَعَنَا فِي كُلِّ مَنْزِلٍ . فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ
عَنْ حَالِهِ . فَلَقَيْنَا رَجُلًا طَوِيلًا أَحْوَلَ مُضْطَرَبَ الْخَلْقِ فِي زِيِّ الْأَعْرَابِ ، فَقَالَ لَنَا :
مَا لَكُمْ ؟ فَأَنْكَرْنَا سُؤَالَ لَنَا . فَأَخْبَرَنَا خَبَرَ الرَّجُلِ . فَقَالَ : مَا أَسْمُ صَاحِبِكُمْ ؟
فَقُلْنَا : أَسَدٌ ^(١) . فَقَالَ : هَذَا وَادٍ قَدْ أَخَذَتْ ^(٢) سِبَاعُهُ ، فَأَرْحَلُوا ، فَلَوْ قَدْ جَاوَزْتُمْ
الْوَادِي أَسْتَمَرَّ ^(٣) صَاحِبُكُمْ أَسَدٌ وَأَكَلَ . فَقُلْنَا فِي أَنْفُسِنَا : هُوَ ^(٤) مِنَ الْجِنِّ ،
وَدَخَلْتُنَا فَرَزَعَةً . فَفَهِمَ ذَلِكَ وَقَالَ : لِيُفْرِخَ رَوْعُكُمْ ^(٥) فَأَنَا طُويسٌ . فَقَالَ لَهُ
بَعْضُ مَنْ مَعَنَا مِنْ بَنِي غِفَارٍ — أَوْ مِنْ بَنِي عَبَسَ — : مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا عَبْدِ النَّعِيمِ ،
فَمَا هَذَا الزَّيِّ ؟ فَقَالَ : قَدْ دَعَانِي بَعْضُ أَوْدَائِي مِنَ الْأَعْرَابِ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ ،

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « أَسِيد » .

(٢) أَخَذَتْ : سَحَرَتْ .

(٣) اسْتَمَرَّ : قَوِيَ وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ .

(٤) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « هَذَا » .

(٥) لِيُفْرِخَ رَوْعُكُمْ : لِيَذْهَبَ رَعْبُكُمْ وَفَزَعُكُمْ .

وأُحِبَّتْ أَنْ أَتَخَطَّى الْأَحْيَاءَ فَلَا يُنْكِرُونِي . فَسَأَلْتُ الرَّجُلَ أَنْ يُغْنِيَنِيَا . فَانْدَفَعَ
وَنَقَرَ بِدُفٍّ كَانَ مَعَهُ مُرَبَّعٌ . فَلَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ الْوَادِيَّ يَنْطِقُ مَعَهُ حُسْنًا ، وَتَعْجِبُنَا
مِنْ عِلْمِهِ وَمَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِنَا .

وَكَانَ الَّذِي غَنَّى بِهِ فِي شِعْرِ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ فِي سَلَمَى أُمْرَأَتِهِ الْغِفَارِيَّةِ ، حَيْثُ
رَهْنَهَا عَلَى الشَّرَابِ ، وَهُوَ :

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْنَفُونِي	أَلَا لِلَّهِ ^(١) مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
وَقَالُوا لَسْتَ بَعْدَ فِدَاءِ سَلَمَى	بِمُغْنٍ مَا لَدَيْكَ وَلَا فَقِيرٍ
فَلَا وَاللَّهِ لَوْ مَأْكُتُ أَمْرِي	وَمَنْ لِي بِالتَّدَبُّرِ فِي الْأُمُورِ
إِذَا لَعَصِيَّتُهُمْ فِي حُبِّ سَلَمَى	عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَبِكَ ^(٢) الصُّدُورِ
فِيَا لِلنَّاسِ كَيْفَ غُلِبْتُ أَمْرِي	عَلَى شَيْءٍ وَيَكْرَهُهُ ضَمِيرِي

ثُمَّ ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ سَبَبَ هَذِهِ الْآيَاتِ ، فَقَالَ :

لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ وَأَجْلَاهُمْ عَنِ
الْمَدِينَةِ ، خَرَجُوا يُرِيدُونَ خَيْرَ يَضْرِبُونَ بِالْذُّفُوفِ وَيَزْمُرُونَ بِالْمَزَامِيرِ ، وَعَلَى النِّسَاءِ
الْمُعْصَفِرَاتُ وَحُلِيُّ الذَّهَبِ ، مُظْهِرِينَ بِذَلِكَ تَجَلُّدًا ، وَمَرَّتْ فِي الظُّعْنِ ^(٣) يَوْمَئِذٍ
سَلَمَى أُمْرَأَةُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ ، وَكَانَ عُرْوَةُ حَلِيفًا فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَكَانَتْ
سَلَمَى مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، فَسَبَّاهَا عُرْوَةُ مِنْ قَوْمِهَا ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ فَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادًا .
وَكَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لَهَا ، وَكَانَ وَلَدُهُ يُعَيَّرُونَ بِأُمِّهِمْ وَيُسَمَّوْنَ بَنِي الْأَخِيذَةِ ،
أَيَّ السَّبْيَةِ . فَقَالَتْ : أَلَا تَرَى وَلَدَكَ يُعَيَّرُونَ ! قَالَ : فَمَاذَا تَرِينَ ؟ قَالَتْ : أَرَى
أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى قَوْمِي حَتَّى يَكُونُوا هُمْ الَّذِينَ يَزُوجُونَكَ . فَأَنْعَمَ لَهَا ^(٤) . فَأَرْسَلَتْ

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « عَادَةُ اللَّهِ » مَكَانَ « أَلَا لِلَّهِ » .

(٢) الْحَسَكُ : الشُّوكُ . وَيُرِيدُ بِحَسَكِ الصُّدُورِ ، الْحَقْدَ وَالْعِدَاوَةَ .

(٣) الظُّعْنُ : جَمْعُ ظُعِينَةٍ ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ فِي هَوْدَجِهَا . (٤) أَنْعَمَ لَهَا : قَالَ لَهَا : نَعَمْ .

إلى قومها : أنِ القَوْه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكر ويشمل ، فإنه لا يسأل حينئذ شيئاً إلا أعطاه . فلقوه ، وقد نزل في بني النضير ، فسقوه الخمر . فلما سكر سألوه سلمى . فردّها عليهم . ثم أنكحوه بعد . ويقال : إنما جاء بها إلى بني النضير . وكان صعلوكاً بغير مال^(١) ، فسقوه الخمر . فلما انتشى منعوه ، ولا شيء معه إلا امرأته فرهنها عندهم . ولم يزل يشرب حتى غلقت^(٢) . فلما قال لها : أنطقي . قالوا^(٣) : لا سبيل إلى ذلك ، فقد أغلقتها^(٣) . فبهذا صارت عند بني النضير . فقال في ذلك الشعر المتقدم ذكره .

وذُكر أنه كان بالمدينة مُحَنَّت يقال له النغاشي ، فقيل لمروان بن الحكم : إنه لا يقرأ من أم الكتاب شيئاً . فبعث إليه ، وهو يومئذ وال على المدينة ، فاستقرأه أم الكتاب . فقال : والله ما معي من بناتها شيء فكيف أقرأ أمهم ! فقال : أتهزأ ! لا أم لك ! فأمر به فقتل في موضع يقال له : بطحان^(٤) . وقال : من جاءني بمحنّ فله عشرة دنانير . فأتى طويس ، وهو في بني الحارث ابن الخزرج من المدينة ، وهو يغنيّ بشعر حسان بن ثابت الأنصاري :

لقد هاج نفسك أشجانها وعاودها اليوم أديانها

فأخبر بمقالة مروان ، فقال : ما فضّلني الأميرُ عليهم بفضل حين جعل فيّ وفيهم شيئاً واحداً ! ثم خرج حتى نزل السويداء — على ليلتين من المدينة في طريق الشام — فلم يزل بها عُمره .

ومات في خلافة عبد الملك بن مروان .

موته

(١) في بعض أصول الأغاني : « يغير » من الإغارة .

(٢) غلق الرهن في يد المرتين : استحققه ، ولم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « قالت أغلقتني » .

(٤) بطحان ، بفتح أول وكسر ثانيه : واد بالمدينة .

مروان بن الحكم
والنغاشي المحنّث
وطويس

أخبار سعيد الدارمي

وهو من ولد سُويد بن زيد . وحلفه إلى بني نوفل بن عبد مناف . وكان
في أيام عمر بن عبد العزيز . وكان له أشعار ونوادر وأصوات من الغناء . وكان
من ظُرفاء أهل مكة . وهو القائل :

ولما رأيتك أوليتني القبيح وأبعدت عني الجميلاً
تركت وصالك في جانبٍ وصادفتُ في الناسِ خلاً بديلاً

وقيل : قدم تاجر من أهل الكوفة بخمر^(١) فباعها وبقيت السود منها
فلم تنفق^(٢) . وكان صديقاً للدارمي ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان نسك^(٣) وترك
الغناء وقول الشعر ، فقال له : لا تهتم بذلك فإني سأنفقها^(٤) لك حتى تبيعها
أجمع ، ثم قال :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلتِ براهبٍ مُتعبٍ
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له يباب المسجد
وغني فيه أيضاً سنن الكاتب ، وشاع في الناس وقالوا : قد فتك^(٥) الدارمي
ورجع عن نسكه . فلم تبق في المدينة ظريفة إلا أبتاعت خماراً أسود ، حتى نقد
ما كان مع العراقي منها . فلما علم بذلك الدارمي رجع إلى نسكه ولزم المسجد .

(١) الخمر : جمع خمر . وهو ما تغطي به المرأة رأسها .

(٢) تنفق : تروج ويرغب فيها .

(٣) نسك : تزهّد وتعبّد .

(٤) أنفقها : أروجها .

(٥) فتك : محن .

ويحكى أبو هفان قال : حضرت يوماً بعض مجالس قواد الأتراك ، وكانت له ستارة فنصبت ، فقال لها ^(١) : غنّ صوت الحمار الأسود المليح . فلم ندر ما أراد حتى غنّت :

* قل للمليحة في الحمار الأسود *

ثم أمسك ساعة ، ثم قال لها : غنّي :

* إني خريت وجئت أنتقله *

فضحكت ثم قالت : هذا يشبهك ! فلم ندر ما أراد حتى غنّت :

* إنّ الخليط أجدّ منقله *

وحكى بعضهم قال : كان الدارميّ المكيّ شاعراً ظريفاً ، وكانت ^(٢) متفتيات أهل مكة لا يطيب لهنّ مُتَنَزّه إلا بالدارمي ، فأجتمع جماعة منهنّ في مُتَنَزّه لهنّ ، وفيهنّ صديقة له ، وكلّ واحدة منهنّ قد واعدت هواها ^(٣) . فخرجن حتى أتين الجحفة ^(٤) وهو معهنّ . فقال بعضهنّ لبعض : كيف لنا أن نخلّو مع هؤلاء الرجال من الدارميّ ؟ فإنّا إن فعلنا قطعنا في الأرض قطعاً ^(٥) . فقالت لهنّ صاحبتّه : أنا أ كفيكنّه . قلن : إنّنا نريد ألا يلومنا . قالت : على أن ينصرف حامداً . وكان أبخل الناس ، فأتته فقالت : يا دارميّ ، إنّنا قد تفلنا ^(٦) فاجلب لنا طيباً . قال : نعم ، هو ذا ، آتى سوق الجحفة آتيكنّ منها بطيب . فأتى المسكرين فأكثرى حماراً فطار عليه إلى مكة ، وهو يقول :

من بخله وظرفه

(١) كذا فيما بين أيدينا من أصول الأغاني ، يريد الجارية التي أمرها بالغناء . ولم يتقدم لها ذكر .

(٢) تفتت الجارية : راهقت فحبست ومنعت من اللعب مع الصبيان .

(٣) هواها : من تهواه وتخبه .

(٤) الجحفة : قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة . وهي ميقات أهل مصر

والشام إن لم يمروا على المدينة . فإن مروا بالمدينة فيقاتهم ذوالخليفة .

(٥) أي إنه يمزق أعراضهن وينشر ذلك في الأرض بين الناس .

(٦) تفلنا ، أي تغيرت رائحتنا لطول العهد بترك الطيب .

أَنَا بِاللَّهِ ذِي الْعِزِّ وَبِالرُّكْنِ وَبِالصَّخْرَةِ
مَنْ اللَّائِي يُرِدْنَ الطَّيِّبَ سَبَّ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ
وَمَا أَقْوَى عَلَى هَذَا وَلَوْ كُنْتُ عَلَى الْبَصْرِ

فكث النسوة ما شئن . ثم قدم مكة فلقيته صاحبة ليلة في الطواف ، فأخرجته إلى ناحية المسجد فجعلت تعاتبه على ذهابه ويعاتبها ، إلى أن قالت : يا دارمي ، بحق هذه البنية^(١) ، أتحبني ؟ قال : نعم . فبحق هذه البنية أتحبيني ؟ قالت : نعم . قال : فيالك الخيرات ! أنت تحبيني وأنا أحبك ، فما مدخل الدراهم بيننا !

وقيل :

كان الدارمي عند عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس يحدثه ، فأغفى عبد الصمد . فعطس الدارمي عطسة هائلة ، ففرع عبد الصمد فرعاً شديداً وغضب غضباً شديداً ، ثم أستوى جالساً وقال : يا عاض كذا من أمه ، أتفرغني ، قال : لا والله ، ولكن هكذا عطاسي ! قال : والله لأنقعنك في دمك أو لتأتيني بيينة على ذلك . قال : فخرج ومعه حرس^(٢) لا يدرى أين يذهب به . فلقه أبو الزناد المكي^(٣) ، فسأله . فقال : أنا أشهد لك . فمضى حتى دخل على عبد الصمد ، فقال له : بم تشهد لهذا ؟ قال : إنني رأيته مرة عطس عطسة فسقط ضرسه . فصحك عبد الصمد وخلي سبيله .

(١) البنية : الكعبة .

(٢) الحرسى ، نسبة إلى الحرس ، جعل علماً على الجمع لهذه الحالة المخصوصة ، ولا يستعمل له واحد من لفظه ، ولهذا نسب إلى الجمع .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « ابن الريان المكي » وهو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن ابن هشام .

هو ومحمد بن
إبراهيم

وقيل :

قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارمي : لو صلحت عليك ثيابي لكسوتك .
قال : فديتك ! إن لم تصلح علي ثيابك صلحت علي دنائرك .

مع عبد الصمد
ابن علي وقد
أحضر رجل من
الشراة

وقيل :

مدح الدارمي عبد الصمد بن علي بقصيدة وأستأذنه في الإنشاد، فأذن له . فلما فرغ
أدخل إليه رجل من الشراة^(١) ، فقال لُغلامه : أعط هذا مائة دينار ، وأضرب
عُنقَ هذا . فوثب الدارمي فقال : بأبي وأُمِّي ! برُّك وعقوبتك جميعاً نقد ، فإن
رأيت أن تبدأ بقتل هذا ، فإذا فرغ منه أمرته فأعطاني ، فإني لن أريم من
حَضرتك حتى تفعل ذلك . قال : ولم ؟ ويلك ! قال : أخشى أن يغلط فيما بيننا ،
والغلط في هذا لا يستقال . فضحك وأجابه إلى ما سأل .

كلامه وقد أصابته
قرحة

وقيل :

أصابت الدارمي قرحة في صدره ، فدخل إليه بعض أصدقائه [يعودُه] فرآه
قد نفث من فيه نفثاً أخضر ، فقال له : أبشر فقد أخضرت القرحة وعوفيت .
فقال : هيهات ! والله لو نفثت كل زمرودة في الدنيا ما أفلت منها .

شعره الذي فيه
الغناء

وشعره الذي فيه الغناء وأفتتح أبو الفرج به أخباره ، هو :

أَفِقْ يا دارمي فقد بُليتَا وإِنَّكَ سوف تُوشِكُ أنْ تموتَا
أراك تزِيدُ غَشِيًّا^(٢) كُلَّ يومٍ إذا ما قلتَ إِنَّكَ قد برِيتَا

(١) الشراة : الحوارج .

(٢) غشى عليه ، بالبناء للمجهول ، غشياً ، بالفتح والضم : نابه ما غشى عقله . وفي بعض
أصول الأغاني : « عشقا » .

أَخْبَارُ هِلَالِ بْنِ الْأَسْعَرِ الْمَازِنِيِّ

هو هِلَالُ بْنُ الْأَسْعَرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْأَرْقَمِ بْنِ قَسِيمٍ بْنِ نَاشِرَةَ بْنِ سَيَّارِ بْنِ نَسْبِهِ وَشَيْءٌ عَنْهُ رِزَامُ بْنُ مَازِنٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ بْنِ أَدِّ بْنِ طَابِجَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ . شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ — قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَأُظِنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ — وَكَانَ رَجُلًا شَدِيدًا عَظِيمَ الْخَلْقِ ، أَكُولًا مَعْدُودًا مِنَ الْأَكَلَةِ ، فَارِسًا شُجَاعًا عَظِيمَ الْغَنَاءِ فِي الْحَرْبِ . وَعُمَرُ عُمَرًا طَوِيلًا ، وَمَاتَ بَعْدَ بَلَايَا عِظَامٍ مَرَّتْ عَلَى رَأْسِهِ .

وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي رِزَامٍ ، يُقَالُ لَهُ : الْمَغِيرَةُ بْنُ قَنْبَرٍ ، يَعُولُهُ وَيُفْضِلُ رِثَاؤُهُ لِابْنِ قَنْبَرٍ عَلَيْهِ وَيَحْتَمِلُ ثِقْلَهُ وَثِقْلَ عِيَالِهِ فَهَآكَ ، فَقَالَ هِلَالٌ يَرِثِيهِ :

أَلَا لَيْتَ الْمَغِيرَةَ كَانَ حَيًّا	وَأَفْنَى قَبْلَهُ النَّاسَ الْفَنَاءَ
لِيَبْكُ عَلَى الْمَغِيرَةِ كُلُّ خَيْلٍ	إِذَا أَفْنَى عَرَائِكَهَا ^(١) اللَّقَاءَ
وَيَبْكُ عَلَى الْمَغِيرَةِ كُلُّ جَيْشٍ	تَمُورٍ ^(٢) لَدَى مَعَارِكِهِ الدِّمَاءَ
لَقَدْ وَارَى جَدِيدُ الْأَرْضِ ^(٣) مِنْهُ	خِصَالًا عَقْدُ عِصْمَتِهَا الْوَفَاءَ
فَصَبْرًا لِلنَّوَابِ إِنْ أَلَمْتُ	إِذَا مَا ضَاقَ بِالْحَدَثِ الْفَضَاءُ ^(٤)
هَزَبَرٌ تَنْجَلِي الْعَرَاتِ عَنْهُ	نَقَى الْعِرْضَ هَمَّتُهُ الْعَالَاءُ
إِذَا شَهِدَ الْكُرَيْهَةَ خَاضَ مِنْهَا	بُحُورًا لَا تَكْدَرُهَا الدَّلَاءُ

(١) العرائك : جمع عريكة ، وهي القوة والشدة .

(٢) تمور : تجرى وتسيل .

(٣) جديد الأرض : ظهرها .

(٤) في الأصل : « النساء » مكان « الفضاء » .

جَسُورٌ لَا يُرَوِّعُ عِنْدَ رَوْعٍ وَلَا يَثْنَىٰ عَزِيمَتَهُ أَتَقَاءَ
حَلِيمٌ فِي مَشَاهِدِهِ إِذَا مَا حُبًّا الْحُلَمَاءَ أَطْلَقَهَا الْمِرَاءَ^(١)
فَإِنْ تَكُنِ الْمِدْيَةَ أَقْصَدْتَهُ وَحُمٌّ عَلَيْهِ بِالتَّلَفِ الْقَضَاءَ^(٢)
فَقَدْ أَوْدَىٰ بِهِ كَرَمٌ وَخَيْرٌ وَعَوْدٌ بِالْفَضَائِلِ وَابْتِدَاءُ

من قوته

وذكر أن هلال بن الأسعر كان في إبل له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد
وقع الشمس مُتَحَدِّمِ الهاجرة ، وقد عمدَ إلى عصاه فطرح عليها كِسَاءَهُ ، ثم أدخل
رأسه تحت كِسَاءِهِ من الشمس . فبينما هو كذلك إذ مرَّ به رجلان : أحدهما من
بنى نَهْشَلٍ والآخر من بنى تَمِيمٍ^(٣) ، كانا أَشَدَّ تَمِيمِيَّيْنِ في ذلك الزمان بطشاً ،
وقد أقبلَا من البحرَيْنِ معهما أَنْوَاطٌ^(٤) من تمر هَجَرَ . وأتبيا إلى الإبل
ولا يعرفان هلالاً بوجهه ولا يعرفان أن الإبل له ، ثم ناديا : ياراعى . أعندك شرابٌ
تَسْقِينَا ؟ وهما يظنانه عبداً لبعضهم . فناداهما هلالٌ ورأسه تحت كِسَاءِهِ : عليكما
الناقة التي صَفَتْهَا كَذَا في موضع كَذَا فَأُتِحِيَاهَا^(٥) ، فإنَّ عليها وَطْبَيْنِ^(٦) من لبن ،
فأشربا منها ما بدا لهما . فقال أحدهما : انهض وَيَحْكُ يا غلام ! فَأَتِنَا بِذَلِكَ
اللبن . فقال : إِنْ تَكُنْ لَكُمَا حَاجَةٌ فَسَتَأْتِيَانِيهَا فَتَحْدُرَانِ^(٧) الوطْبَيْنِ فتشربان .
فقال أحدهما : يَا بَنَ الْأَخْنَاءِ ، إِنَّكَ لَغَلِيظُ الْكَلَامِ ، قُمْ فَأُسْقِنَا . فقال : أَرَأَيْكُمْ
وَاللَّهِ سَتَلْقِيَانِ هَوَانًا وَصَغَارًا . وسمعا ذلك منه . فدنا أحدهما فَأَهْوَىٰ لَهُ ضَرْبًا بِالسَّوْطِ

(١) الحبا : جمع حبة : وهي الشوب يحتبى به . وإطلاق الحبا : كناية عن السفه والطيش .
والمرء : المحاصمة والمجادلة .

(٢) أقصدته : أصابته . وحُمٌّ : قضى وقدر .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « فقيم » .

(٤) أنواط : جمع نوط ، وهو الحلقة الصغيرة فيها التمر ونحوه .

(٥) أنتحياها : أقصدها .

(٦) الوطب : سقاء اللبن .

(٧) تحدران : تدنيان . وفي بعض أصول الأغاني : « فتجدان » .

على عَجْزِهِ . وهو مُضْطَجِع . فتناول هلالٌ يَدَهُ فَأَجْتَذَبَهُ إِلَيْهِ فَرَمَى بِهِ تَحْتَ فَخْذِهِ
ثُمَّ ضَغَطَهُ ضَغْطَةً . فنادى صاحِبَهُ : وَيْحَكَ ! أَغْنَيْتَنِي فَقَدْ قَتَلْتَنِي . فدنا صاحِبُهُ مِنْهُ .
فتناوله هلالٌ أَيْضاً فَأَجْتَذَبَهُ فَرَمَى بِهِ تَحْتَ فَخْذِهِ الأُخْرَى ، ثُمَّ أَخَذَ بَرَقَابِهِمَا فَجَعَلَ
يَصُكُّ رَأْسَيْهِمَا بَعْضًا بَبَعْضٍ ، لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَمْتَنِعَا مِنْهُ . فقال أحَدُهُمَا : كُنْ
هَلَالًا وَلَا نُبَالَى [ما صنعت] . فقال لهما : أنا والله هلالٌ ، ولا والله لا تُفْلِتَانِ مِنِّي
حَتَّى تُعْطِيَانِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَا تَخِيْسَانِ ^(١) بِهِ لَتَايَتِي المَرِيدِ ^(٢) ، إِذَا قَدِمْتُ البَصْرَةَ ،
ثُمَّ لَتُنَادِيَانِ بِأَعْلَى صَوْتِكَمَا بِمَا كَانَ مِنِّي وَمِنْكُمْ . فعاهداه وأعطياه نَوَاطًا مِنَ التَّمَرِ
الَّذِي مَعَهُمَا ، وَقَدَمَا البَصْرَةَ فَاتِيَا المَرِيدَ فَنَادِيَا بِمَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْهُمَا .

وحدَّث كُثَيْفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ المَازَنِيُّ قَالَ :

كُنْتُ يَوْمًا مَعَ هَلَالٍ وَنَحْنُ نَبْغِي إِبْلًا لَنَا ، فَدَفَعْنَا إِلَى قَوْمٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ،
وَقَدْ لَغَبْنَا ^(٣) وَعَظِشْنَا . وَإِذَا نَحْنُ بِفَتْيَةِ شَبَابٍ عِنْدَ رَكِيَّةٍ لَهُمْ ، وَقَدْ وَرَدَتْ إِبْلَهُمْ .
فَلَمَّا رَأَوْا هَلَالًا اسْتَهْوَلُوا خَلْقَهُ وَقَامَتِهِ . فقام رجلان منهم إليه ، فقال له أحدهما :
يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَلْ لَكَ فِي الصَّرَاعِ ؟ فَقَالَ لَهُ هَلَالٌ : أَنَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ أَحْوَجُ . قَالَ :
وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : إِلَى لَبَنٍ وَمَاءٍ فَإِنِّي لَغَبٌ ظَمَانٌ . قَالَ : مَا أَنْتَ بِذَائِقٍ مِنْ ذَلِكَ
شَيْئًا حَتَّى تُعْطِيَنَا عَهْدًا لَتُجَيِّدَنَنَا إِلَى الصَّرَاعِ إِذَا أَرَحْتَ ^(٤) وَرَوَيْتَ . فَقَالَ لَهَا
هَلَالٌ : إِنِّي لَكَمَا ضَيْفٌ ، وَالضَيْفُ لَا يُصَارِعُ آهْلَهُ ^(٥) ، وَرَبِّ مَنْزِلِهِ ، وَأَنْتُمْ مُكْتَفُونَ
مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ : أَعْمِدُوا إِلَى أَشَدِّ فَحْلٍ فِي إِبْلِكُمْ شِدَّةً وَهَيْبَةً وَصَوْلَةً ،
وَإِلَى أَشَدِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ ذِرَاعًا ، فَإِنْ لَمْ أَقْبِضْ عَلَى هَامَةِ البَعِيرِ وَعَلَى يَدِ صَاحِبِكُمْ ،

(١) لَا تَخِيْسَانِ : لَا تَعْدِرَانِ .

(٢) المَرِيدُ : مِنْ أَشْهُرِ مَحَالِ البَصْرَةِ .

(٣) لَغَبْنَا : تَعَبْنَا وَأَصَابْنَا الإِعْيَاءَ .

(٤) أَرَحْتُ : رَجَعْتُ إِلَيْكَ نَفْسُكَ بَعْدَ الإِعْيَاءِ .

(٥) آهْلُهُ : أَيُّ المَرْحَبِ بِهِ .

فلا يمتنع الرجل ولا البعيرُ حتى أُدخلَ يد الرجل في فم البعير ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتُموني ، وإن فعلته عرفتُم أن صِراع أحدكم أيسرُ من ذلك . فعجبوا من مقالته تلك ، وأومأوا إلى فحل من إبلهم هائجٍ صائلٍ قَطَمَ ^(١) . فأتاه هلالٌ ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم ، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره فضغطها ضَغْطَةً جَرَجَرٍ ^(٢) الفحل منها وأستخذى ورغاً . وقال : لِيُعْطِنِي من أحبيتم يده حتى أُولجها في فم هذا الفحل . فقال الشيخ : يا قوم ، تنكّبوا عن هذا الشيطان ، والله ما سمعتُ أن فلاناً ^(٣) — يعني الفحل — جَرَجَر منذ بَزَل ^(٤) قبل اليوم . لا تَرْضُوا لهذا الشيطان . وجعلوا يَتَّبِعُونَهُ وينظرون إلى خطوه ويعجبون من طول أعضائه حتى جازهم .

وحكى هلال قال : قدمتُ المدينةَ وعليها رجلٌ من آل مروان ، فلم أزل أضعُ عن إبلٍ وعليها أحمالٌ للتجّار ، حتى أخذ بيدي وقيل : أجب الأمير . فقلت لهم : وَيَحْكُم ! إبلٍ وأحمالي ! ف قيل : لا بأسَ على إبلك وأحمالها . قال : فَأُطْلِقْ بِي حتى أُدخلت على الأمير . فسأمت عليه ثم قلتُ : جُعِلْتُ فداك ! إبلٍ وأمانتي ! فقال : نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نُؤدِّيها إليك . قال : فقلت عند ذلك : فما حاجةُ الأميرِ إليّ ؟ جعلني الله فداه ! فقال لي — وإلى جانبه رجل أصفر — : لا والله ما رأيتُ أشدَّ خلقاً منه ولا أغلظَ عُنْقاً ، ما أدرى أطولُه أكثر أم عَرَضُه — إنَّ هذا العبد الذي ترى لا والله ما ترك بالمدينة عريباً يُصارِع إلا صرعه ، وبلغني عنك قوة ، فأردتُ أن يُجَرِّيَ الله صرْعَ هذا العبدِ على

(١) القطم : الهائج .

(٢) جرجر : ردد صوته في حنجرتِه .

(٣) المسموع أن « فلاناً » و « فلانة » بغير أل يكتن بهما عن الآدميين ؛ وأنهما مع « أل »

يكتن بهما عن غيرهم .

(٤) بزل : فطرنّا به ودخل في سنته التاسعة .

يَدِيكَ فَتَدْرِكَ مَا عِنْدَهُ مِنْ أَوْتَارِ الْعَرَبِ . قَالَ : فَقُلْتُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَ الْأَمِيرِ ،
إِنِّي لَغَيْبٌ نَصَبٌ جَائِعٌ ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنَّ يَدْعَنِي الْيَوْمَ حَتَّى أَضَعَ عَنْ إِبِلِي
وَأُوْدِي أَمَانَتِي وَأُرِيحَ يَوْمِي هَذَا وَأُجِئَهُ غَدًا فَلْيَفْعَلْ . فَقَالَ لِأَعْوَانِهِ : انْطَلِقُوا
مَعَهُ فَأَعِينُوهُ عَلَى الْوَضْعِ عَنْ إِبِلِهِ وَأَدَاءِ أَمَانَتِهِ ، وَانْطَلِقُوا إِلَى الْمَطْبَخِ فَأَشْبِعُوهُ . ففعلوا
جَمِيعَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ . قَالَ : فَظَلَمْتُ يَوْمَ ذَلِكَ وَبَتُّ لَيْلَتِي تِلْكَ بِأَحْسَنِ حَالٍ شَبَعًا
وَرَاحَةً وَصَلَاحٍ أَمْرٍ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدَوْتُ عَلَيْهِ وَعَلَى جُبَّةٍ لِي صَوْفٌ
[وَبَتُّ ^(١)] وَلَيْسَ عَلَى إِزَارٍ ، إِلَّا أَنِّي قَدْ شَدَدْتُ بَعَامَتِي وَسَطِي . فَسَأَمْتُ عَلَيْهِ .
فَرَدَّ عَلَيَّ ، وَقَالَ لِلْأَصْفَرِ : قُمْ إِلَيْهِ فَقَدْ أَتَاكَ اللَّهُ بِمَا يُحْزِيكَ . فَقَالَ الْعَبْدُ : اتَزَرَّ
يَا أَعْرَابِي . فَأَخَذْتُ بَتِّي فَاتَزَرَرْتُ بِهِ عَلَى جُبَّتِي . فَقَالَ : هِيَهَات ! هَذَا لَا يَثْبُتُ ،
إِذَا قَبِضْتُ عَلَيْهِ جَاءَ فِي يَدِي . قَالَ : فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَالِي مِنْ إِزَارٍ . فَدَعَا الْأَمِيرُ
بِمِدْحَفَةٍ ، مَا رَأَيْتُ قَبْلَهَا وَلَا عَلَا جِلْدِي مِثْلَهَا ، فَشَدَدْتُ بِهَا عَلَى حَقْوِي ^(٢) ، وَخَلَعْتُ
الْجُبَّةَ . وَجَعَلَ الْعَبْدُ يَدُورُ حَوْلِي وَيُرِيدُ خَتْلِي ، وَأَنَا مِنْهُ وَجِلٌّ لَا أَدْرِي كَيْفَ
أَصْنَعُ بِهِ ، ثُمَّ دَنَا مِنِّي دَنَوَةً ، فَتَقَدَّ ^(٣) جَبْهَتِي بِظُفْرِهِ نَقْدَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ شَجَّنِي ،
فَأُلْوَجَعَنِي . فغَاضَنِي ذَلِكَ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ فِي خَلْقِهِ بِمِ اقْبِضْ مِنْهُ ، فَمَا وَجَدْتُ
فِي خَلْقِهِ شَيْئًا أَصْغَرَ مِنْ رَأْسِهِ ، فَوَضَعْتُ إِبْهَامِي فِي صُدْغِيهِ وَأَصَابِعِي الْأُخْرَى
فِي أَصْلِ أُذُنِيهِ ، ثُمَّ غَمَزَتْهُ غَمَزَةً صَاحَ مِنْهَا : قَتَلَنِي ! فَقَالَ الْأَمِيرُ : اُغْسِ رَأْسَهُ
فِي التُّرَابِ . فَقُلْتُ لَهُ : ذَلِكَ لَكَ عَلَيَّ . فغَمَسْتُ وَاللَّهِ رَأْسَهُ فِي التُّرَابِ ، وَوَقَعَ شَبِيهَاً
بِالْمَغْشَى عَلَيْهِ . فَضَحِكَ الْأَمِيرُ حَتَّى اسْتَلَقَى ، وَأَمَرَ لِي بِجَائِزَةٍ وَكُسْوَةٍ ،
ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ .

(١) البت : كساء غليظ مهلهل .

(٢) الحقو : الخصر .

(٣) نقد : نقر .

خبره مع الجاني

وكان هلال بن الأسعر ضربه رجلٌ من بني جَلَّان ، يقال له : عُبيد
 ابن حَرَى ، في شيء كان بينهما ، فشجَّه وخَشَّه خُمَاشَةً . فَأَتَى هلالُ بني جَلَّان
 فقال : إِنَّ صاحبكم قد فعلَ بي ما تَرَوْنَ ، فخذُوا لي بحَقِّي . فَأَوْعَدُوهُ وَزَبَرُوهُ ^(١) .
 فخرج من عندهم وهو يقول : عسى أن يكون لهذا جزاء حتى آتيَ بلادَ قومه .
 فمضى لذلك زمنٌ طويل حتى درسَ ذِكْرُهُ . ثم إنَّ عُبيد بن حَرَى قدِمَ الوَقْبَى
 — وهو موضع من بلاد مالِك — فلَمَّا قدِمَهَا ذَكَرَ هلالاً وما كان بينه وبينه ،
 فتخوَّفَهُ ، فسأل عن أعزِّ أهل الماء ، فقليل له : مُعَاذُ بن جَعْدَةَ بن ثابت بن زُرَّارة
 ابن ربيعة بن سَيَّار بن رِزَام بن مازن . فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ غَائِباً عن الماء ، فعقد عُبيد
 ابن حَرَى طرف ثيابه إلى جنبِ طُنْبِ بيت مُعَاذ — وكانت العربُ إذا فعلت ذلك
 وَجَبَ على المَعْقُودِ بطنُ بيتِه للمُستَجِيرِ به أن يُجِيرَهُ وأن يطلب بظُلَامَتِهِ — وكان
 يوم فعل ذلك غائِباً عن الماء . فقليل : رجلٌ أُسْتَجَارَ بِأَلِ مُعَاذِ بن جَعْدَةَ . ثم خرج
 عُبيد بن حَرَى ليستقي ، فوافق قُدُومَ هلالٍ بإبله يومَ وُروده . وكان هلالُ يأكل
 ما وجد عند أهله ثم يَرِدُ مع الإبل ، ثم يَرجع إلى أهله بعد أَيَّام ولا يتزوَّد طعاماً
 ولا شرباً . فلما نظر هلالٌ إلى ابن حَرَى ذَكَرَ ما كان بينه وبينه . ولم يعلم
 بأُسْتِجَارَتِهِ بِمُعَاذِ بن جَعْدَةَ ، فطلب شيئاً يَضْرِبُهُ به فلم يجد ، فَأَنْزَعَ المِخْوَرَ
 من الساقية فعلاه به ضربةً على رأسه ، فَصَرَعَهُ وَقَيِّدًا ^(٢) . وقيل : قَتَلَ هلالُ
 ابن الأسعر جَارَ مُعَاذِ بن جَعْدَةَ ! فلما سَمِعَ ذلك هلالٌ تخوَّفَ بني عمِّه الرِّزَامِيَّينَ ،
 فَأَتَى راحِلَتَهُ ليركبها ، فتعلَّقت به خولةُ بنت يزيد بن ثابت ، وقالت : عدو الله !
 قتلْتَ جَارَنَا ! والله لا تُفارقني حتى يَأْتِيكَ رجائنا . قال هلال : والمِخْوَرُ في يدي
 لم أضعه ، فهِمَمْتُ أَنْ أَعْلُو بِهِ رَأْسَ خَوْلَةٍ ، ثم قلت في نفسي : عَجُوزٌ لَهَا سِنَّ

(١) في بعض أصول الأغاني : « وزجره » وهما بمعنى .

(٢) الوقيد : الذي أشقى على الموت .

وقرابة . فضربتُها برجلي ضربة رُميتُ بها من بعيد ، ثم أتيتُ ناقتي فأركبُها
ثم أضربها هارباً . وجاء مُعاذ بن جَعْدَة وإخوته ، وهم يومئذ تسعة ، وعبد الله
ابن مالك زوج بنت مُعاذ ، وذلك في آخر النهار ، فسمعوا الواعية^(١) على الجَلَلاني ،
وهو دَنِفٌ [لم يمت] . فسألوا عن تلك الواعية ، فأخبروا بما كان من أستجارة
الجللاني بمُعاذ بن جَعْدَة ، وضرب هلال له بعد ذلك . فركب الإخوة التسعة
وعبد الله بن مالك عاشرهم ، وكانوا أمثال الجبال في شدة خلقهم مع نجدتهم .
وركبوا معهم بعشرة غلّة لهم أشدّ خلقة منهم ، لا يقع لأحدٍ منهم سهمه في غير
موضعه الذي يُريده ، حتى تبعوا هلالاً . وقد نسل^(٢) هلالٌ من الهرب يومه ذلك
كله وليلته ، فلما أصبح أمّهم وظنّ أن قد أبعد في الأرض ونجا منهم . فلما أصبحوا
من تلك الليلة قصّوا أثره ، وكان لا يخفى أثره على أحدٍ لعظم قدمه . فلاحقوه من
بعد الغد . فلما أدركوه ، وهم عِشرون ومعهم النبل والقسيّ والسيف ، ناداهم :
يا بني جَعْدَة ، أنشدكم الله ! أن أكون قتلت رجلاً غريباً بتره تقتلونني وأنا ابنُ
عمّكم ! وظنّ أن الجَللاني قد مات ، ولم يكن مات إلى أن اتبعوه وأخذوه . فقال
مُعاذ : والله لو أيقنّا أنه مات ما ناظرنا بك القتل^(٣) من ساعتنا ، ولكنّا تركناه
ولم يمت ، ولسنا نحب قتلك إلا إن تمتنع منّا ، ولا نُقدم عليك حتى نعلم ما يصنع
جارنا . فقاتلهم وأمتنع منهم . وجعل مُعاذ يقول لأصحابه وغلّمانه : لا ترّموه بالنبل
ولا تضربوه بالسيف ، ولكن أرموه بالحجارة وأضربوه بالعصى حتى تأخذوه .
ففعّلوا ذلك ، فما قدروا على أخذه حتى كسروا من [إحدى] يديه ثلاث أصابع
ومن الأخرى إصبعين ، ودقّوا ضلعين من أضلاعه ، وأكثروا الشّجاج في رأسه ،

(١) الواعية : الصراخ على الميت .

(٢) نسل : أسرع في سيره .

(٣) ما ناظرنا بك القتل ، أي ما أخرناه .

ثم أخذوه وما كادوا يقدرّون على أخذه ، فوضعوا في رجله أدهم^(١) ، ثم جاءوا به وهو معروض على بعيرٍ حتى انتهوا به إلى الوقبي ، فدفعوه إلى الجلّاني ولم يمت . فقالوا : أنطلقوا به إلى بلادكم ولا تحدثوا في أمره شيئاً حتى تنظروا ما يصنع صاحبكم ، فإن مات فأقتلوه ، وإن حيّ فأعلمونا حتى نحمل إليكم أرش^(٢) الجناية . فقال الجلّانيون : وفّت ذمتكم يا بني جعدة ، وجزاكم الله أفضل ما يجزى خيار الجيران ، إنّا نتخوّف أن ينزعه منا قومكم إن خليتم عنا وعنهم وهو في أيدينا . فقال لهم معاذ : فإني أحمله معكم وأشيعكم حتى تردوا بلادكم . ففعلوا ذلك . فحُمِل معروضاً على جمل ، ورَكِبَتْ أخته جماء بنت الأسعر معه ، وجعل يقول : قتلتنى بنو جعدة . وتأتية أخته بالمغرة^(٣) ليشربها ، فيقال : يُمشى^(٤) بالدم ، لأنّ بنى جعدة فرثوا^(٥) كبده في جوفه . فلما بلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل ، قال الجلّانيون لمعاذ وأصحابه : أدام الله عزّكم ، فقد وفّيتُمْ فأصرفوا . وجعل هلالٌ يُريهم أنه يُمشى في الليلة عشرين مرّة . فلما ثقل الجلّاني وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو يصبح ميّتاً ، تبرّز هلالٌ كما كان يصنع وفي رجله الأدهم كأنه يقضى حاجةً ، ووضع كساءه على عِصاه في ليلة مظلمة ، ثم اعتمد على الأدهم فخطمه ، ثم طارت تحت ليلته على رجله ، وكان أدلّ الناس ، فتكّب الطريق التي تُعرف ويطلب فيها ، وجعل يسلك المسالك التي لا يُطعم فيها ، حتى انتهى إلى رجل من بنى أثاثة بن مازن فحمله على ناقه له ، فركبها ثم تجنّب بها الطريق ، فأخذ نحو بلاد قيس بن عيلان تخوّفاً من بنى مازن أن يتبعوه أيضاً فيأخذوه .

(١) الأدهم : القيد .

(٢) الأرش : دية الجراحات .

(٣) المغرة : طين أحمر يصبغ به .

(٤) أمشى الرجل : استطلق بطنه من دواء تناونه .

(٥) فرثوا : ففتوا .

فسار ثلاث ليالٍ وأيامها ثم نزل اليوم الرابع ، فنحر الناقة فأكل لحمها كله إلا فضلةً فضلت منها فأحتملها . ثم أتى بلادَ اليمنِ فوقع بها ، فلبث بها زماناً ، وذلك عند مقدم الحجاج بن يوسف العراق ، فبلغ إفلاته من بالبصرة من بكر ابن وائل ، فأطلقوا إلى الحجاج فاستعدوه وأخبروه بقتله صاحبهم . فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شعبة بن علقمة ، وهو يومئذ عريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم ، فقال له : لتأتيني بهلال ولا فعلن بك ولا فعلن . فقال له عبد الله ابن شعبة : إن أصحاب هلال وبني عمه قد صنعوا كذا وكذا ، فاقصص عليه ما صنعوا في طلبه وأخذه ودفعه إلى الجلانيين وتشيعهم إياه حتى وردوا بلاد بكر بن وائل . فقال له الحجاج : ويلك ! ما تقول ؟ فقال بعض البكريين : صدق ، أصلح الله الأمير ! فقال الحجاج : فلا يرغم الله إلا أنوفكم ! أشهدوا أنني قد آمنت كل قريب لهلال وحميم ، ومنعت من أخذ أحد به ومن طلبه حتى يظفر به البكريون أو يموت قبل ذلك . وبعث هلالاً إلى بني رزام بن مازن يُعاتبهم ويعظم عليهم حقه ويدكر قرابته ، وذلك أن سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدم . فقال معاذ : لا أرضى والله أن تحمّلوا لجاري دماً واحداً حتى يُحمل له دمّ ولجوارى دمّ آخر ، وإن أراد هلال الأماز وسطنّا حمل له دم ثالث . وقال هلال في ذلك قصيدته التي منها :

أخوكم وإن جرّت جرائرها يدي	بني مازن لا تطردوني فإنتي
بَعِيداً بَبْغَضاءِ يَروح وَيَعْتَدِي	ولا تَجْعَلُوا حِفْظِي بَظْهَرٍ وَتَحْفَظُوا
وكيف بَقَطَعَ الكَفَّ من سائر اليد	فإنَّ القَريبَ حيثُ كان قَريبُكم
وإن شَطَّ عنكم فهو أبعدُ أبعد	وإنَّ البَعيدَ إن دنا فهو جارُكم
لكم حِفْظٌ راضٍ عنكم غير مُوجد	وإني وإن أوجدتموني ^(١) لحافظٌ

(١) أوجدتموني : أغضبتموني .

وَأَنَّهُمْ ^(١) لَمَّا أَرَادُوا هَضِيمَتِي مُنُوا ^(٢) بِجَمِيعِ الْقَلْبِ عَضْبٍ مُّهَنْدٍ
حُسَامٍ مَتَى يَعْزِمُ عَلَى الْأَمْرِ يَأْتِهِ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ لِلْعَوَاقِبِ فِي غَدٍ

ولمّا طال مُقامُ هِلَالٍ باليمن نهضتُ بنو مازنٍ بأجمعهم إلى بني رِزام بن مازن،
رَهْطُ هِلَالٍ ورَهْطُ مُعَاذِ بْنِ جَعْدَةَ، فقالوا: إنكم قد أسأتم بأبن عمكم وجُزئتم
الحدّ في الطلب بدم جاركم، فنحن نحمل لكم ما أردتم. فحمل دَيْسَمُ بْنُ الْمِنْهَالِ،
الذي طلب مُعَاذُ أَنْ يُحْمَلَ لَجَارِهِ، وذلك ثلثمائة بعير. فقال هِلَالٌ يمدحه:

تَدَارَكَ دَيْسَمٌ حَسْبًا وَمَجْدًا رِزَامًا بَعْدَ مَا انشَقَّتْ عَصَاهَا
هُمْ حَمَلُوا الْمِثْنِ وَالْحَقْوَاهَا بَأَهْلِيهَا وَكَانَ لَهُمْ سَنَاهَا

وما ذُكِرَ مِنْ أَكْلِ هِلَالٍ أَنَّهُ قَالَ: جُعْتُ مَرَّةً وَمَعِيَ بَعِيرٌ فَنَحَرْتُهُ وَأَكَلْتُهُ،
إِلَّا مَا حَمَلْتُ مِنْهُ عَلَى ظَهْرِي. ثُمَّ أَرَدْتُ أُمْرَأَتِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: وَيْحَكَ!
كَيْفَ تَصِلُ إِلَيَّ وَبَيْنَنَا بَعِيرٌ.

وقيل لهلال: كم تكفيك هذه الأكلة؟ قال: أربعة أيّام.

وقيل: إنه مرّ على رجل من بني مازن بالبصرة، وقد حمل من بستانه رُطْبًا
فِي زَوَارِيقٍ ^(٣)، فجلس على زورق صغير منها، وقد كثُر الرُّطْبُ فِيهِ وَغُطِّيَ
بِالْبَوَارِي ^(٤)، فقال له: يا بن عم، آكل من رُطْبِكَ هذا؟ قال: نعم. قال:
ما يكفيني؟ قال: ما يكفيك. فجلس على صدر الزورق وجعل يأكل إلى
أَنْ أَكْتَفَى، ثُمَّ قَامَ فَأَنْصَرَفَ. فَكُشِفَ الزُّورْقُ فَإِذَا هُوَ مَلُؤُهُ نَوَى، وَقَدْ أَكَلَ
رُطْبَهُ وَأَلْقَى النَوَى فِيهِ.

(١) البيت متصل ببيت سابق، وهو:

وتعلم بكر أنكم حيث كنتم وكنت من الأرض الغريبة محتدي

(٢) منوا: ابتلوا. (٣) زواريق: جمع زورق، أشبعت كسرتة فولدت منها ياء.

(٤) البواري: الحصر من القصب.

وحكى صدقة بن عبید المازني قال :

أولم على أبي ^(١) لما تزوجت ، فعمل عشرة جفان من ثريد من جزور .
فكان أول من جاءنا هلال بن أسعر المازني ، فقدّمنا إليه جفنة فأكلها ،
ثم أخرى حتى أتى على العشرة ، ثم أستاذق بقربة من نبيذ ، فوضع طرفها
في شدقه ففرغها في جوفه ، ثم قام وخرج . واستأنفنا عمل الطعام .

خير الشعر الذي
فيه الغناء

والشعر الذي يُغنى فيه لهلال وأفتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

ياربّع سألني لقد هيّجت لي طرباً زدت الفؤاد على علاته وصبا
ربّع تبذل ممن كان يسكنه عفر الأطباء وظلما أنا به ^(٢) عصباً
وذكر أن إبراهيم الموصلي غنى الرشيدي في هذا الشعر ، فأعجب به الرشيدي
وطرب له واستعاده مراراً . فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، كيف لو سمعته من
عبدك مخارق ! فإنه أخذه عني ، وهو يفضل فيه الخلق جميعاً ويفضّلني . فأمر
بإحضار مخارق ، فأحضر . فقال له غني :

* ياربّع سألني لقد هيّجت لي طرباً *

فغناه إيّاه . فبكى وقال : سل حاجتك . قال مخارق : فقلت : تعثّني يا أمير المؤمنين
وتشرّفني بولائك ، أعتقك الله من النار . قال : أنت حرٌّ لوجه الله ! أعد الصوت .
فأعدته . فبكى وقال : سل حاجتك . فقال : يا أمير المؤمنين ، ضيعةٌ تقيمني غلتها .
فقال : قد أمرت لك بها . أعد الصوت . فأعدته ، فبكى وقال : سل حاجتك .
قلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر لي بمنزل وفرش وما يصلحه ، وخادمٍ فيه . قال :
ذلك لك ، أعد . فأعدته . فبكى وقال : سل حاجتك . فقلت : حاجتي يا أمير المؤمنين

(١) أولم على أبي : عمل لي وليمه زواجي .

(٢) الظلمان ، بالضم والكسر : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام . والعصب : الجماعات ؛ الواحدة :

أَنْ يُطِيلَ اللَّهُ بَقَاءَكَ ، وَيُدِيمَ عَزَّكَ ، وَيَجْعَلَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ فِدَاكَ . فَكَانَ مُحَارِقُ
إِذَا غَنَاهُ يَقُولُ : أَنَا مَوْلَى هَذَا الصَّوْتِ .

وَذَكَرَ مُحَارِقُ قَالَ : أَقْبَلَ الرَّشِيدُ يَوْمًا عَلَى الْمُغَنِّينَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ ، وَقَالَ : مَنْ
مِنْكُمْ يُغَنِّي :

* يَارْبُعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرَبًا *

فَقُلْتُ : أَنَا . فَقَالَ : هَاتِهِ . فَغَنَيْتُهُ ، فَطَرَبَ وَشَرَبَ ، ثُمَّ قَالَ : عَلَى بَهْرَثْمَةَ .
فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا تَرَاهُ يُرِيدُ مِنْهُ ! فَجَاءُوا بِبَهْرَثْمَةَ فَأَدْخَلَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَجْرُسُ سَيْفَهُ .
فَقَالَ : يَا بَهْرَثْمَةَ ، مُحَارِقُ الشَّارِي الَّذِي قَتَلَنَاهُ بِنَاحِيَةِ الْمَوْصِلِ مَا كُنَيْتَهُ ؟ فَقَالَ :
أَبُو الْمُهَنَّأ . فَقَالَ : انصرف . فَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى فَقَالَ : كُنَيْتُكَ أَبَا الْمُهَنَّأ
لِإِحْسَانِكَ . وَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَانصرفتُ بِهَا وَبِالْكُنْيَةِ .

أخبار عروة بن الورد

نسبه

وهو عروة بن الورد بن زيد . وقيل : ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب
ابن هرم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث
ابن غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

شاعر فارس

شاعره من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وصعلوك^(١) من صعاليكها
المعدودين المتقدمين الأجواد .

لقبه

ويُلقَّب : عروة الصعاليك ، لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ،
ولم يكن لهم معاش ولا مغزى . وقيل : إنما لُقِّب بذلك لقوله من أبيات :

ولله صعلوكٌ صفيحةٌ وجهه كضوء شهاب القابس المتنور

لعبد الملك فيه

وحكى أن عبد الملك بن مروان قال : ما يسرني أحد من العرب لم يلدني
أنه ولدني إلا عروة الصعاليك بن الورد ، لقوله :

إني امرؤ عافٍ إنائي شركة وأنت امرؤ عافٍ إنائك واحد
أتهزأ مني أن سميت وأن ترى بجسمي مس الحق والحق جاهد
أفرق جسمي في جُسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

بين عمر بن الخطاب والخطيئة في حديث يتصل به

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال :
كنّا ألف حازم . قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً ،
وكنّا لا نعصيه ، وكنّا نقدم بإقدام عنزة ، ونأتم بشعر عروة بن الورد ، وننقاد
لأمر الربيع بن زياد .

(١) الصعلوك : الفقير . وصعاليك العرب : لصوصها .

وقال عبدُ الملك : مَنْ زَعَمَ أَنَّ حَاتِمًا أَسْمَحُ النَّاسِ فَقَدْ ظَلَمَ عُرْوَةَ بْنَ الْوَرْدِ .
 وكان عبدُ الله بن جعفر يقول لمُعَلِّمٍ ولده : لَا تُرَوِّهِمْ قَصِيدَةَ عُرْوَةَ بْنَ الْوَرْدِ
 الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

لعبد الملك في
 جوده

نهى ابن جعفر
 لمعلم ولده عن
 بيت له

دَعَيْنِي لِلْغِنَى أَسْمَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهُمُ الْفَقِيرُ

ويقول : إِنَّ هَذَا يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِغْتِرَابِ عَنْ أَوْطَانِهِمْ .

ذَكَرَ أَنَّ عُرْوَةَ سَبَى أُمْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ ، وَكَانَتْ تُعَيِّرُ بِالسَّبَاءِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ
 ذَلِكَ ^(١) . وَأَنَّ قَوْمَهَا سَقَوْهُ الْخَمْرَ ، فَلَمَّا سَكِرَ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُفَادِيَ بِهَا ، وَأَغْلَوْا لَهُ
 فِي الْفِدَاءِ ، فَأَجَابَ . فَلَمَّا صَحَا نَدِمَ . فَشَهِدَ عَلَيْهِ بِالْفِدَاءِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْامْتِنَاعِ .
 وَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ تُثْنِي عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ : إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ لَصَحُوكَ مُقْبِلًا ، كَسُوبُ
 مُذْبِرًا ، تُرْضَى الْأَهْلُ وَالْجَانِبُ ^(٢) . مَا أَعْلَمُ أُمْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ أَلْقَتْ سِتْرَهَا عَلَى بَعْلِ
 خَيْرٍ مِنْكَ ، أَغَضَّ طَرَفًا ، وَأَقْلَّ فُحْشًا ، وَأَجُودَ يَدًا ، وَأَحْمَى لِحَقِيقَتِهِ ، فَاسْتَوْصَ
 بِنَبِيِّكَ خَيْرًا . ثُمَّ فَارَقَتْهُ . فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمَّهَا . فَقَالَ لَهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ :
 يَا سَأْمَى ، أَثْنَى عَلَىَّ كَمَا أَثْنَيْتِ عَلَى عُرْوَةَ — وَقَدْ كَانَ قَوْلُهَا فِيهِ شَهْرًا — فَقَالَتْ لَهُ :
 لَا تُكَلِّفْنِي ذَلِكَ ، فَإِنِّي إِن قُلْتُ الْحَقَّ غَضِبْتَ ، وَلَا وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا أَكْذِبُ .
 فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَتَأْتِيَنِي فِي مَجْلِسِ قَوْمِي فَلَتُثْنِيَنَّ عَلَيَّ بِمَا تَعْلَمِينَ . وَخَرَجَ
 فَجَلَسَ فِي نَدَى الْقَوْمِ ، وَجَاءَتْ ، فَرَمَاهَا النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَوَقَفَتْ عَلَيْهِمْ وَقَالَتْ :
 أَنْعَمُوا صَبَاحًا ، إِنَّ هَذَا عَزَمَ عَلَيَّ أَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا أَعْلَمُ . ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ :
 وَاللَّهِ إِنِّ شِمْلَتَكَ لَا لُتِحَافَ ، وَإِنْ شُرْبَكَ لَا شُتْفَافَ ^(٣) ، وَإِنَّكَ لَتَنَامُ لَيْلَةَ تَخَافُ ،
 وَتَشْبَعُ لَيْلَةَ تُضَافُ ، وَمَا تُرْضَى الْأَهْلَ وَلَا الْجَانِبَ . ثُمَّ انصرفت . فَلَامَهُ قَوْمُهُ
 وَقَالُوا : مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ مِنْهَا !

خبره مع امرأة
 سباهها

(١) انظر ص ٣٢٧ من هذا الجزء .

(٢) الجانب : الغريب .

(٣) الاشتفاف : شرب كل ما في الإناء .

كان يجمع إليه
الصعاليك

وقيل : كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف . وكان عروة يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة ثم يحفر لهم الأسراب ويكنف لهم الكنف^(١) ، ويكسوهم . ومن قوى منهم — إما مريض يبرأ من مرضه ، أو ضعيف تشوب قوته — خرج به معه فأغار ، وجعل لأصحابه الباقيين في ذلك نصيباً ، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة ، ألحق كل إنسان بأهله ، وقسم له نصيبه من غنيمة ، إن كانوا غنموها . فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد أستغنى ، فلذلك سُمي : عروة الصعاليك . فقال في ذلك في بعض السنين ، وقد ضاقت حاله :

لعلَّ أرتيادی فی البلاد وبعیتی وشدّی حیازیم المطیّة بالرحل
سیدفعنی يوماً إلى ربّ^(٢) هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

وهي طويلة ، ومنها :

أليس ورأى أن أدبَّ على العصا فيشمت أعدائي ويسأمني أهلي
رهينة قعر البيت كلَّ عشية يطيف بي الولدان أهدج^(٣) كالرأل
أقيموا بني لبني صدور ركابكم فكلّ منايا القوم خير من^(٤) الهزل
فإنكم لن تبلغوا كلَّ همتي ولا أربي حتى تروا منبت الأثل

فقيض الله له ، وهو مع قوم من هلاك^(٥) عشيرته في شتاء شديد ، ناقتين دهاوين ، فنحر لهم إحداهما وحمل متاعهم وضعفاءهم على الأخرى ، وجعل ينتقل

(١) يكنف لهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤويهم فيها .

(٢) الهجمة من الإبل : من أربعين إلى سبعين ، أو إلى مائة . فإذا بلغت المائة ، فهي هنيذة .

(٣) الرأل : ولد النعام . وهدجانه : أن يمشي في ارتعاش . شبه الشيخ به في مشيته .

(٤) الهزل : الضعف ، وهو نقيض السمن .

(٥) الهلاك : الصعاليك .

بهم من مكان إلى مكان . فنزل بموضع يقال له : ماوان^(١) . فقيّض الله له رجلاً صاحبَ مائة من الإبل قد فرّ بها من حقوق قومه ، وذلك أول ما ألبن الناس ، فقتله وأخذ إبله وأمرأته ، وكانت من أحسن الناس . فأتى بالإبل أهل الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها ، حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم ، وأخذ مثل نصيب أحدهم ، فقالوا : لا واللات والعزى ، لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً ، فمن شاء أخذها . فغضب وجعل يهّم بأن يحمل عليهم فيقتلهم ، وينتزع الإبل منهم ، ثم يذكر أنهم صنعته ، وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع . فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يرُدّ عليهم الإبل إلا راحلةً يحملُ عليها المرأة حتى يلحق بأهله . فأبوا ذلك عليه ، حتى أنتدب رجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نصيبه .

وحكى أن ثمامة بن الوليد دخل على المنصور فقال : يا ثمامة ، أتحفظ حديث ابن عمك عروة الصّعاليك بن الورد العبسيّ ؟ فقال : أى حديثه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنه . قال : حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسه . قال : ما يحضرني ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين . فقال المنصور : خرج عروة حتى دنا من منازل هذيل ، وكان منها نحواً من ميلين ، وقد جاع ، فإذا هو بأرنب فرماها ، ثم أورى ناراً فشواها وأكلها ، ودفن النار على مقدار ثلاثة أذرع ، وقد ذهب الليل و غارت النجوم . ثم أتى سرّحة^(٢) فصعدّها وتخوّف الطلّب . فلما تعيّب فيها إذا الخيل قد جاءت وتخوّفوا البيات^(٣) . فجاءت منهم جماعةٌ ومعهم رجل على فرس ، فجاء حتى ركز رُمحهُ في موضع النار وقال : لقد رأيتُ النار هاهنا . فنرى رجلٌ فحفر قدر ذراع فلم يجد شيئاً . فأكبّ القوم على الرجل يعدّلونه ويعيّنون

بين ثمامة
والمنصور في
حديثه

(١) ماوان : قرية من أرض اليمامة .

(٢) السرحة : من الشجر الكبير العظيم الطويل .

(٣) البيات : الإيقاع بالقوم ليلاً دون أن يعلموا .

أمره ويقولون : عَنَيْتُنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْقَرَّةِ وَزَعَمْتَ لَنَا شَيْئًا كَذَبْتَ فِيهِ !
فَقَالَ : مَا كَذَبْتُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّارَ فِي مَوْضِعِ رُمْحِي . فَقَالُوا : مَا رَأَيْتَ شَيْئًا ،
وَلَكِنْ تَحْذُلُكَ هُوَ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ، وَمَا نَعُجِبُ إِلَّا لِأَنفُسِنَا حَيْثُ أَطْعَمْنَا
أَمْرَكَ وَاتَّبَعْنَاكَ . وَلَمْ يَزَالُوا بِالرَّجُلِ حَتَّى رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ لَهُمْ . وَاتَّبَعَهُمْ عُرْوَةُ ، حَتَّى
إِذَا وَرَدُوا مَنَازِلَهُمْ جَاءَ عُرْوَةُ فَكَمَنَ فِي كِسْرِ^(١) بَيْتٍ ، وَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى أُمْرَأَتِهِ
وَقَدْ خَالَفَهُ إِلَيْهَا عَبْدُهُ أَسْوَدُ ، وَعُرْوَةُ يَنْظُرُ ، فَأَتَاهَا الْعَبْدُ بَعْلَبَةً فِيهَا لَبَنٌ ، فَقَالَ :
تَشْرَبِينَ ؟ فَقَالَتْ : لَا ، أَوْ تَبْدَأُ . فَبَدَأَ الْأَسْوَدُ فَشَرَبَ . فَقَالَتْ لِلرَّجُلِ حِينَ جَاءَ :
لَعَنَ اللَّهُ صَافَكَ^(٢) ! عَنَيْتَ قَوْمَكَ مِنْذُ اللَّيْلَةِ . قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ نَارًا . ثُمَّ دَعَا بِالْعَلْبَةِ
لِيَشْرَبَ ، فَقَالَ ، حِينَ ذَهَبَ لِيَكْرَعَ : رِيحُ رَجُلٍ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ! فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ :
وَهَذِهِ أُخْرَى ، أَيْ رِيحِ رَجُلٍ تَجِدُهُ فِي إِنْثَاكَ غَيْرِ رِيحِكَ ! ثُمَّ صَاحَتْ . فَجَاءَ
قَوْمُهَا ، فَأَخْبَرْتَهُمْ بِخَبْرِهِ وَقَالَتْ : يَتَّبِعُونِي وَيُظَنُّونَ بِي الظُّنُونُ . فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يُلُومُونَهُ
حَتَّى رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ . قَالَ عُرْوَةُ : هَذِهِ ثَانِيَةٌ . ثُمَّ أَوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ ، فَوَثِبَ
عُرْوَةُ إِلَى الْفَرَسِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ ، فَضَرَبَ الْفَرَسُ بِيَدِهِ وَنَحَرَ . فَرَجَعَ
عُرْوَةُ إِلَى مَوْضِعِهِ . وَوَثِبَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ لَتَكْذَبَنِي^(٣) ، فَمَا لَكَ ؟
فَأَقْبَلَتِ أُمْرَأَتُهُ عَلَيْهِ لَوْمًا وَعَذْلًا . قَالَ : فَصَنَعَ عُرْوَةُ ذَلِكَ ثَلَاثًا . ثُمَّ أَوَى
إِلَى فِرَاشِهِ وَضَجَرَ مِنْ كَثَرَةِ مَا يَقُومُ ، فَقَالَ : لَا أَقُومُ إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ . فَأَتَاهُ عُرْوَةُ
فَحَالَ^(٤) فِي مَتْنِهِ وَخَرَجَ رَكْضًا . وَرَكِبَ الرَّجُلُ فَرَسًا غَيْرَهُ أُنْثَى . قَالَ عُرْوَةُ :
فَجَعَلْتُ أَسْمِعُهُ خَلْفِي يَقُولُ : الْحَقُّ فَإِنَّكَ مِنْ نَسْلِهِ . فَلَمَّا انْقَطَعَ عَنِ الْبُيُوتِ ، قَالَ لَهُ
عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، قِفْ ، إِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَنِي لَمْ تُقَدِّمْ عَلَيَّ ، أَنَا عُرْوَةُ
ابْنُ الْوَرْدِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ مِنْكَ عَجَبًا ، فَأَخْبَرْنِي بِهِ وَأَرُدَّ عَلَيْكَ فَرَسَكَ . قَالَ :

(١) كسر البيت : جانبه .

(٢) الصلف : مجاوزة الرجل قدرًا الظرف وادعاءه العجب والتكبر .

(٣) يريد الفرس . (٤) حال في متنه : وثب وركب .

وما هو ؟ قال : جئت مع قومك حتى ركزت رُمحك في موضع نار كنت أوقدتها ، فتذنوك عن ذلك ، وقد صدقت ، ثم اتبعتك حتى دخلت منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتها منهما . ثم شممت رائحة رجل في إنائك ، وقد رأيت الرجل حين أثرته زوجتك بالإناء ، وهو عبدك الأسود ، وأظن أن بينهما مالا تحب . فقلت : ريح رجل ! فلم تزل تثنيك عن ذلك حتى أنشيت . ثم خرجت إلى فرسك فأردته ، فأضطرب وتحرك ، فخرجت إليه ، ثم خرجت وخرجت ، ثم أضربت عنه . فرأيتك في هذه الحِصَال أكل الناس ولكنتك تنثنى وترجع . فضحك وقال : ذاك لأخوال السوء ، والذي رأيت من (١) كعاعتي فمن قبل أخوالى ، وهم بطن من خزاعة . والمرأة التى رأيت عندي امرأة منهم ، وأنا نازل فيهم ، فذلك الذى يثنى عن أشياء كثيرة ، وأنا لاحق بقومى وخارج عن أخوالى هؤلاء ، ومخلّ سبيل هذه المرأة . ولولا ما رأيت من كعاعتي لم يقو على مناوأة قومى أحد من العرب .

فقال عروة : خذ فرسك راشداً . فقال : ما كنت لأخذه منك وعندي من نسله جماعة مثله . فخذ مباركاً لك فيه .

قال ثمامة : إن له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا . فقال المنصور : أفلا أحدثك له بحديث هو أظرف من هذا ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، فإن الحديث إذا جاء منك كان له فضل على غيره . قال :

خرج عروة وأصحابه حتى أتى ماوان ، فنزل أصحابه وكنف عليهم كنيفاً من الشجر ، وهم أصحاب الكنيف الذى سمعته قال فيهم :

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أمرعوا وتمولوا

(١) الكعاعة : الجبن والضعف .

وفي هذه الغزاة يقول :

أَقُولُ لِأَصْحَابِ الْكَئِيفِ تَرَوْحُوا عَشِيَّةً يَتَمَنَّاهُ حَوْلَ مَاوَانِ^(١) رُزَحَ

وفي هذه القصيدة يقول :

لَيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ غَنِيمَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَاهُمِثْلُ مُنْجِحِ

ثم مضى يبتغي لهم شيئاً وقد جهدوا ، فإذا هو بأبياتٍ شعريٍّ وأمرأةٍ قد خلا من سنّها ، وشيخٍ كبيرٍ كالْحَقَاءِ^(٢) الْمُلقَى . فكمن في كِسْرِ بَيْتٍ منها . وقد أُجْدِب الناسُ ، فإذا هو في البيتِ بِسُحُورٍ ثَلَاثَةِ مَشْوِيَّةٍ — فقال ثُمَامَةُ : وما السُّحُورُ ؟ قال : الحلقوم بما فيه — والبيتُ خالٍ . فأكلها ، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً ، فأشبعته وقوى ، وقال : لا أبالي من لَقِيتُ بعد هذا . ونظرتِ المرأةُ فظنّت أن الكلبَ أكلها ، فقالت للكلب : أفعلتها يا خبيث ! وطرده . فإنه كذلك وإذا هو عند المساء يبالي قد ملأت الأرض ، وإذا هي تلتفت فرحاً . فلم أن راعيها شديدُ الضرب لها . فلما أتت المناخَ بركت . ومكث الرّاعي قليلاً ثم أتى ناقةً منها ، فَمَرَى^(٣) أخلافها ، ثم وضع العُلْبَةَ على رُكْبتيه وحلب حتى ملأها ، ثم أتى الشيخَ فسقاه ، ثم أتى ناقةً أخرى ففعل بها ذلك . ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك ، فشرب هو ، ثم التفع بشوب واضطجع ناحيةً ، فقال الشيخُ للمرأةَ وأعجبه ذلك : كيف ترينُ ابني ؟ فقالت : ليس بابنك . قال : فأبْنُ مَنْ وَيْلُكَ ؟ قالت : ابنُ عُرْوَةَ بنِ الْوَرْدِ . قال : ومن أين ؟ قالت : أتذكرين يومَ مَرَّ بنا ونحن نريدُ سُوقَ ذِي الْمَجَازِ ، فقلت : هذا عُرْوَةُ ابنُ الْوَرْدِ ، ووصفته لي بجمْدٍ ، فإني أُسْتَطْرِفُهُ^(٤) . قال : فسكت . حتى إذا نَوَمَ

(١) رزح : جمع رازح ، وهو الهالك هزالاً . (٢) الحقاء : الإزار .

(٣) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدر .

(٤) استطرفته : عدده طريفاً .

وثَبَّ عُرْوَةً وصاح بالإبل فَأَقْتَطَعَ مِنْهَا نَحْوًا مِنَ النِّصْفِ ومضى ، ورجا ألاَّ يَتَّبِعَهُ
 الْغُلَامُ — وهو غلام حين بدا شاربه — فَاتَّبَعَهُ فَلَحِقَهُ . فعالجه فَضْرَبَ بِهِ
 الْأَرْضَ فَوَقَعَ قَائِمًا . فَتَخَوَّفَهُ عَلَى نَفْسِهِ . ثُمَّ وَاثَبَهُ فَضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَبَادَرَهُ ،
 فَقَالَ : أَنَا عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ ، وهو يريد أن يُعْجِزَهُ عَنْ نَفْسِهِ . قَالَ : فَأَرْتَدَعِ ثُمَّ
 قَالَ : مَالِكَ وَيْلَكَ ! لَسْتُ أَشْكُ أَنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ مَا كَانَ مِنْ أُمِّي . قَالَ : قُلْتَ :
 نَعَمْ . فَأَذْهَبْ مَعِيَ أَنْتَ وَأُمُّكَ وَهَذِهِ الْإِبِلُ وَدَعِ هَذَا الشَّيْخَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْهَاكَ ^(١)
 عَنْ شَيْءٍ . فَقَالَ : الَّذِي بَقِيَ مِنْ عُمُرِ هَذَا الشَّيْخِ قَلِيلٌ ، وَأَنَا مُقِيمٌ مَعَهُ مَا بَقِيَ ،
 فَإِنَّ لَهُ حَقًّا وَذِمَامًا ، فَإِذَا هَلَكَ فَمَا أَسْرَعُنِي إِلَيْكَ ، وَخُذْ مِنْ هَذِهِ الْإِبِلِ عَيْرًا .
 قُلْتَ : لَا يَكْفِينِي ، إِنَّ مَعِيَ أَصْحَابِي قَدْ خَلَقْتَهُمْ . قَالَ : فَاثْنَانِ . قُلْتَ : لَا .
 قَالَ : فَثَلَاثَةٌ ، وَاللَّهِ لَا زِدْتُكَ عَلَى ذَلِكَ . فَأَخَذَهَا وَمَضَى إِلَى أَصْحَابِهِ . ثُمَّ إِنَّ الْغُلَامَ
 لَحِقَ بِهِ بَعْدَ هَلَاكِ الشَّيْخِ .

فَقَالَ ثُمَامَةُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ زَيَّنْتَهُ عِنْدَنَا وَعَظَّمْتَهُ فِي قُلُوبِنَا . قَالَ :
 فَهَلْ أَعَقِبَ عِنْدَكُمْ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَقَدْ كُنَّا نَتَشَاءَمُ بِأَبِيهِ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْقَعَ
 الْحَرْبَ بَيْنَ عَبَسَ وَفَزَارَةَ بِمُرَاهِنَتِهِ حَذِيفَةَ ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ لَهُ ابْنٌ أَسْنُّ مِنْ
 عُرْوَةَ يُؤَثِّرُهُ عَلَى عُرْوَةَ فِيمَا يُعْطِيهِ وَيُقَرِّبُهُ . فَقِيلَ لَهُ : أَتُؤَثِّرُ الْأَكْبَرَ مَعَ غَنَائِهِ عِنْدَكَ
 عَلَى الْأَصْغَرِ مَعَ ضَعْفِهِ ! فَقَالَ : أَتُرَوْنَ هَذَا الْأَصْغَرَ ، لَنْ يَبْقَى مَعَهُ مَا أَرَى مِنْ شِدَّةِ
 نَفْسِهِ لِيَصِيرَنَّ الْأَكْبَرُ عِيَالًا عَلَيْهِ .

والشعرُ الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ عُرْوَةَ ، هو :

وَحِلِّ كُنْتُ عَيْنَ الرُّشْدِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمُسْتَمِعًا سَمِيعًا
 أَطَافَ بَغْيِهِ فَعَدَلْتُ عَنْهُ وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا فَظِيعًا

الشعر الذي
فيه الغناء

(١) أى لا غناء فيه ، فلا ينهاك عن تطلب غيره .

أخبار رذی الإصبع العدواني

نسبه وشي عنه

وهو حُرثان بن عمرو بن بن الحارث بن مُحَرَّث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة ابن هُبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يَشْكِر بن عدوان بن عمرو ابن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . أحد بني عدوان ، وهم بطن من جديلة . شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية، وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة .

شعره في فناء عدوان

وكانت عدوان كثيرة العدد ، فرمى أنهم نزلوا على ماء فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل^(١) ، سوى من كان مختوناً لكثرة عددهم ، ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا ، فقال ذو الإصبع :

عَذِرَ الحَيُّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةً^(٢) الْأَرْضِ
بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يَبْقُوا عَلَى بَعْضِ
فَقَدْ صَاوَوْا أَجَادِيثَ بَرَفَعَ الْقَوْلَ وَالْخَفْضَ
فَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَا تُ الْمُؤَفُّونَ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّا سَ بالسُّنَّةِ وَالْفَرْضِ
وَمِنْهُمْ حَكْمٌ يَقْضَى وَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضَى

شيء عن عامر ابن الظرب

والحكم الذي عناه أبو الإصبع في شعره هو عامر بن الظرب العدواني ، وهو الذي كانت العصا تُقرع له . وكان قد كبر ، فقال له الثاني من ولده : إنك ربما أخطأت في الحكم فيحمل عنك . قال : فأجعلوا لي أمانة أعرفها ، فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب . فكان يجلس قدام بيته ويقعد أبنه في البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة ، فرجع إلى الصواب . وفي ذلك يقول المتلمس :

(١) الأغرل : الذي لم يختن . (٢) يقول : هات عذراً فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل ، بعد ما كانوا حية الأرض التي يحذرها كل أحد .

لَذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرِعُ الْعَصَا وَمَا عُلِّمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا
وَرَبِيعَةٌ تَدَّعِيَهُ لَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامٍ . وَالْيَمَنُ تَدَّعِيَهُ لِرَبِيعَةٍ
ابْنِ مُحَاشِنٍ ، وَهُوَ ذُو الْأَعْوَادِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَلَسَ عَلَى مَنبَرٍ أَوْ سَرِيرٍ وَتَكَلَّمَ .
وَفِيهِ يَقُولُ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفُرٍ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عَلِمِي نَافِعِي أَنْ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ

سؤال عبد الملك
عنه

وَذَكَرَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ بَعْدَ قَتْلِهِ مُصْعَبَ بْنِ الزُّبَيْرِ
جَلَسَ يَعْتَرِضُ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ مَعْبُدٌ بْنُ خَالِدِ الْجَدَلِيِّ ، وَكَانَ قَصِيرًا
دَمِيًّا . قَالَ مَعْبُدٌ : فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِّنَّا حَسَنُ الْهَيْئَةِ . فَنَظَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الرَّجُلِ
فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَسَكَتَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا . فَقُلْتُ مِنْ خَلْفِهِ : نَحْنُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْ جَدِيلَةٍ . فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي ، وَقَالَ : مِنْ أَيِّكُمْ ذُو الْإِصْبَعِ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ :
لَا أَدْرِي . فَقُلْتُ : كَانَ عَدَوَانِيًّا . فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي وَقَالَ : لِمَ سُمِّيَ
ذَا الْإِصْبَعِ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : لَا أَدْرِي . فَقُلْتُ : نَهَشْتَهُ حَيَّةً فِي إِصْبَعِهِ فَيَبِسَتْ . فَأَقْبَلَ
عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي ، وَقَالَ : وَبِمَ كَانَ يُسَمَّى قَبْلَ ذَلِكَ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : لَا أَدْرِي .
قُلْتُ : كَانَ يُسَمَّى حُرْثَانًا . فَمَالَ إِلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي ، وَقَالَ : مِنْ أَيِّ عَدَوَانٍ كَانَ ؟
قُلْتُ مِنْ خَلْفِهِ : مِنْ بَنِي نَاجٍ الَّذِي يَقُولُ فِيهِمْ الشَّاعِرُ :

وَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَلَا تَذْكُرْهُمْ وَلَا تُتَبِعَنَّ عَيْنِكَ مَا كَانَ هَالِكًا
إِذَا قُلْتَ مَعْرُوفًا لِأَصْلَحَ بَيْنِهِمْ يَقُولُ وَهَيْبٌ لَا أَسْلِمُ ذَلِكَ

فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي ، وَقَالَ : أَنْشَدَنِي قَوْلَهُ :

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا ن كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ

فَقَالَ الرَّجُلُ : لَسْتُ أَرُويها . قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْشَدْتُكَ .
فَقَالَ : أَدْنِ مِنِّي ، فَإِنِّي أَرَاكَ بِقَوْمِكَ عَالِمًا . فَأَنْشَدْتُهُ :

وليس المرء في شيء من الإبرام والنقض
إذا أبرم أمراً خا له يقضي وما يقضى

وذكر بعده هذه الأبيات :

وَيَمْنٌ وَلَدُوا عام رُذُو الطُّولِ وذو العَرَضِ
وهم بَوَّوا^(١) ثَقِيفاً دا رَ لا ذُلَّ ولا خَفَضَ

فأقبل على الرجل وتركني ، وقال : كم عطاؤك ؟ قال : ألفان . فأقبل على ،
فقال : كم عطاؤك ؟ فقلت : خمسمائة . فأقبل على كاتبه وقال : أجعل الألفين لهذا
خمسمائة ، والخمسمائة لهذا . فأنصرفتُ بها .

وقوله « ومنهم من يُجيز الناس » فإنَّ إجازة الحج كانت لخزاعة ، فأخذتها
منهم عدوان ، فصارت إلى رجل منهم يقال له : أبو سيّارة ، وله يقول الراجز :

خلوا السبيل عن أبي سيّارة وعن مواليه بنى فزاره
حتى يُجيز سالماً حماره مُستَقْبِل الكعبة يدعو جاره

وكان أبو سيّارة يُجيز الناس في الحج بأن يتقدّمهم على حمار ، ثم يخطبهم
فيقول : اللهم أصلح بين نساءنا ، وعاد بين رعاينا ، وأجعل المال في سُمحائنا .
أوفوا بعهْدكم ، وأكرموا جاركم ، واقروا ضيفكم . ثم يقول : أشرق ثبير ،
كما نُغير^(٢) . فكانت هذه إجازته .

وذكر أنّه كان لذي الإصبع أربع بنات ، وكُنَّ يُخطَبْنَ ، فيعرض ذلك هو وبناته الأربع
عليهنَّ فيستحيين ، ولا يزوّجنَّ . وكانت أمهنَّ تقول : لو زوّجنَّهنَّ ! فلا يفعل .

(١) بوا : أنزلوا ، الأصل فيه الهمز ثم خفف .

(٢) ثبير : جبل مكة . وأشرق ، أى ادخل في الشروق . ونغير : نسرع . ومعنى المثل :
ادخل ياثبير في الشروق حتى نسرع للنحر . وكان المشركون يقولون ذلك ولا يفيضون حتى تطلع
الشمس ، فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمثل يضرب في الإسراع والعجلة .

فخرجن ليلةً إلى متحدثٍ لهنّ . فأستمعن إليهنّ ، وهنّ لا يعلمن . فقلن :
تعالين نتمنى ، ولنصدق . فقالت الكبرى :

ألا ليت زوجي من أناسٍ ذوي غنى حديثُ الشباب طيبَ الريح والعطر
طيبٌ بأدواء النساء كأنه خليفةُ جابرٍ لا ينامُ على^(١) هجر

فقلن لها : أنتِ تحبين رجلاً ليس من قومك . فقالت الثانية :

ألا هل أراها مرةً وضجيعها أشمُّ كنصل السيفِ غيرُ مُبلدٍ
لصوقٍ بأكباد النساء وأصله إذا ما أُنتمى من سرٍّ أهلي ومحتدي

فقلن لها : أنتِ تحبين رجلاً من قومك . فقالت الثالثة :

ألا ليتَه يَمَلّا الجفانَ لضيّفه له جفنةٌ يشقى بها النيبُ^(٢) والجُزُرُ
له حَكَمَاتُ الدَّهْرِ^(٣) من غيرِ كِبَرٍ تشين ولا الفاني ولا الضرع^(٤) الغمر
فقلن لها : أنتِ تحبين رجلاً شريفاً .

وقلن للصغرى : تمنى . فقالت : ما أريد شيئاً . قلن : والله لا تبرحين حتى
نعلم ما في نفسك . فقالت : زوجٌ من عودٍ خيرٌ من القعود .

فلما سمع ذلك أبوهنّ ، زوجهنّ أربعتهنّ ، فكنّ عنده . فقال للكبرى :
يا بُنيّة ، ما مألُكم ؟ قالت : الإبل . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ،
نأكل لحومها مُزَعاً^(٥) ، ونشرب ألبانها جُرْعاً ، وتحملنا وضعيفنا معا . قال :

(١) في بعض أصول الأغاني : « وتر » مكان « هجر » .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة . والجُزُر ، بضمّتين وسكن للشعر : جمع جزور ، وهي الناقة المحزورة .

(٣) الحَكَمَات : جمع حكمة ، وهي حديدة اللجام يكبح بها الفرس . والمراد بحكَمَات الدهر : تجاربه التي ترد الإنسان عن فعل ما يشين . والذي في الأصل : « به محكمات الشيب » . وما أثبتنا من الكامل للمبرد .

(٤) الضرع : الضعيف . والغمر ، مثلث الغين : غير المجرب .

(٥) مَزَعاً : قطعاً : الواحدة : مزعة .

فكيف تجدین زوجک؟ قالت: خيرُ زوج، يُکرم الحلیلة، ویُعطى الوسيلة.
قال: مالٌ عَمیم، وزوجٌ کریم.

ثم قال للثانية: یا بُنية، ما مألکم؟ قالت: البقر. قال: فكيف تجدونها؟
قالت: خير مال، تألف الفناء، وتودّك السّقاء^(١)، وتملاً الإناء، ونساء مع
نساء. قال: فكيف تجدین زوجک؟ قالت: خير زوج، يُکرم أهله، ویَنسَى
فضله. قال: حَظِيتِ وَبَطِيتِ^(٢).

ثم قال للثالثة: ما مألکم؟ قالت: المِعزى. قال: فكيف تجدونها؟ قالت:
لا بأسَ بها، نُولدها فُطماً^(٣)، ونسلخها أدماً. قال: فكيف تجدین زوجک؟
قالت: لا بأسَ به، ليس بالبخیل الحکر^(٤) ولا بالسّمح البذر. قال:
جدوى^(٥) مُعْنِية.

ثم قال للرابعة: ما مألکم؟ قالت الضّان. قال: فكيف تجدونها؟ قالت:
شرّ مال: جُوف^(٦) لا یَشْبَعن، وهیم^(٧) لا یَنْقَعن، وصُم^(٨) لا یَسْمَعن،
وأمر مغویتهنّ یَتْبَعن^(٩). قال: فكيف تجدین زوجک؟ قالت: شرّ زوج،
يُکرم نفسه، ویُهین عِرسه. قال: أشبهُ أمراً بعضُ برّه.

(١) أى تجعل فيه الودك، وهو الدسم.

(٢) الكلمة للإتباع، وليس في كلام العرب «بظى».

(٣) فطم: جمع فطيم، وهو ما يفصل عن الرضاع.

(٤) الحکر: المستبد بالشئ. والذي في الأصل: «الخثر» وهو المقيم في الحى لا يخرج مع

القوم للميرة.

(٥) الجدوى: الغناء. وفي الكامل: «جنو». وجذو: جمع جذوة، وهى الخشبة

ما كانت فيها نار.

(٦) جوف: عظام الأجواف.

(٧) هیم: عطاش. ولا ينقعن: لا يروين.

(٨) تشبه الضّان بالصم لبلادها.

(٩) في الكامل للمبرد: «قال على بن عبد الله: قلت لأبي عائشة: ما قولها: «وأمر مغویتهنّ

یتبعن»؟ فقال: أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها إليه».

وَحُكِي ، أَنَّهُ عُمِّرَ ذُو الإِصْبَعِ عُمُرًا طَوِيلًا ، حَتَّى خَرِفَ وَأَهْتَر^(١) ، فَكَانَ
شعره وقد خرف
يُفَرِّقُ مَالَهُ . فَعَدَلَهُ أَصْهَارُهُ وَلَا مُوَهُ ، وَأَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ . فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مِنْهَا :

أَهْلَكْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعَا وَالذَّهْرُ يَعْدُو مُصَمَّمًا^(٢) جَذَعَا
فَلَيْسَ فِيمَا أَصَابَنِي عَجَبٌ إِنْ كُنْتُ شَيْبًا أَنْكَرْتُ أَوْ صَلَعَا
وَكُنْتُ إِذْ رَوْنَقُ الشَّبَابِ بِهِ مَاءُ شَبَابِي تَخَالَهُ شَرَعَا
وَالْحَيُّ فِيهِ الْفَتَاةُ تَرْمُقُنِي حَتَّى مَضَى شَأُو ذَاكَ فَانْقَشَعَا
ومنها :

أَبَى فَلَا أَقْرَبُ الْخِبَاءِ إِذَا مَارَبُّهُ بَعْدَ هَدَاةٍ هَجَعَا
وَلَا أُرُومُ الْفَتَاةِ زَوْرَتَهَا إِنْ نَامَ عَنْهَا الْحَلِيلُ^(٣) أَوْ شَسَعَا

وَلَمَّا أُحْتَضِرَ دَعَا ابْنَهُ أُسَيْدًا^(٤) ، فَقَالَ : يَا بُنَى ، إِنَّ أَبَاكَ قَدْ فَنَى وَهُوَ حَيٌّ ،
وصيته لابنه في احتضاره
وَعَاشَ حَتَّى سَمَّ الْعَيْشَ ، وَإِنِّي مُوصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَّغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَّغْتُهُ :
أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ ، وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ ، وَأَبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ ،
وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ ، وَأَكْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ ، يُكْرِمُكَ
كِبَارُهُمْ ، وَيَكْبُرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُمْ ، وَأَسْمَحْ بِمَالِكَ ، وَأَحْمِ حَرِيمَكَ ، وَأَعِزَّ
جَارَكَ ، وَأَعِزَّنِي مِنْ أَسْتَعَانَ بِكَ ، وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ ، وَأَسْرِعِ النَّهْضَةَ فِي الصَّرِيخِ ،
فَإِنَّ لَكَ أَجَلًا لَا يَعْدُوكَ ، وَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا ، فَبِذَلِكَ
يَتِمُّ سُودُّكَ .

(١) أهتر : فسد عقله من الكبر وصار خرفا .

(٢) الجذع : الشاب الحدث .

(٣) شسع : بعد .

(٤) سموا : « أسيدا » ، كزبير ، و « أسيدا » ، كأمير .

ثم أنشأ يقول :

أَأَسِيدُ إِنِّ مَالاً مَلَكْتُ ت^(١) فَسِرْ بِهِ سَيراً جَمِيلاً
وَأُشْرَبُ بِكَأْسِهِمْ وَإِنِّ شَرَبُوا بِهِ السُّمَّ^(٢) التَّمِيلاً
أَهْنِ اللَّسَامَ وَلَا تَكُنْ لِإِخَانِهِمْ جَمَلاً ذُلُولا
وَدَعِ الَّذِي يَعِدُ الْعَشِيَّ رَةً أَنْ يَسِيلَ وَلَنْ يَسِيلاً
أَأَسِيدُ إِنِّ أَرْمَعَتْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ رَحِيلاً
فَاحْفَظْ وَإِنِّ شَحَطَ الْمَزَا رُ أَخَا أَخِيكَ أَوْ^(٣) النَّزِيلاً
وَأَرْكَبُ بِنَفْسِكَ إِنِّ هَمَمْتُ تَ بِهَا الْحُزُونََ وَالشُّهُولَا
وَصِلِ الْكِرَامَ وَكُنْ لِمَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَصُولَا
وَدَعِ التَّوَانِي فِي الْأُمُورِ ر وَكُنْ لَهَا سَلَساً ذُلُولا
وَأَبْسُطْ يَمِينَكَ بِاللَّيْثِ وَامْدُدْ لَهَا بَاعاً طَوِيلاً
وَأَعِزِّمْ إِذَا حَاوَلْتَ أُمَّ رَا يَفْرِجُ الْهَمَّ الدَّخِيلاً
وَابْذُلْ لَضَيْفِكَ ذَاتَ رَحٍ لِكَ مُكْرِماً حَتَّى يَزُولَا
وَاحْلُلْ عَلَى الْأَيْفَاعِ لَا عَافِينَ وَأَجْتَنِبِ الْمَسِيلاً
وَإِذَا الْقُرُومُ تَخَطَّاطَرَتْ يَوْمًا وَأَرْعَدَتْ^(٤) الْخَصِيلاً
فَاهْصِرْ كَهْصِرِ اللَّيْثِ خَصَّ بَ مِنْ فَرَيْسَتِهِ^(٥) التَّلِيلَا
وَأَنْزِلْ إِلَى الْهَيْجَا إِذَا أَبْطَاهُمَا كَرِهُوا النَّزُولَا
وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى الْمِهِمِّ فَكُنْ لِقَادِحِهِ حَمُولَا

(١) في الأصل : « إما تنعمن » مكان « إن ما لا ملكت » .

(٢) التَّمِيل : أى الناقع . لم ترد في كتب اللغة .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « الزميلا » مكان « النزيلة » .

(٤) الخصيل : جمع خصلة ، وهى كل لحمه فيها عصب .

(٥) التليل : العنق .

تمثل معاوية
بشعر له

وذكر أنه جرى بين عبد الله بن الزبير وعُتْبَةَ بن أبي سفيان لحاء^(١) بين
يدى معاوية بن أبي سفيان ، فجعل ابن الزبير يعدل عن عتبة ويعرض بمعاوية ،
حتى أطل وأكثر من ذلك . فالتفت إليه معاوية متمثلاً وقال :

ورام بعوزاء الكلام كأنها نوافرُ صُبْحٍ نفرَّتْها المراتعُ
وقديدُ حَضٍ^(٢) المرءُ الموارِبُ بالحناءِ وقد تدرك المرءَ الكريمَ المصانعُ

ثم قال لابن الزبير : من يقول هذا ؟ قال : ذو الإصبع . قال : أترويه ؟
قال : لا . قال : فمن هاهنا يروى هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قيس فقال :
أنا أرويه يا أمير المؤمنين . قال : أنشدني . فأنشده حتى أتى على قوله :

وساعِ برجليه لآخرَ قاعدٍ ومُعْطٍ كريمٌ ذو يسارٍ^(٣) وما نِعُ
وبانٍ لأحساب الكرام وهادمٌ وخافضٌ مولاه سَفَاهًا ورافعٌ
ومُعْضٍ على بعض الخطوب وقد بدت له عورةٌ من ذى القِرابَةِ ضاجعٌ
وطالب حُوبٍ باللسان وقلبه سوى الحق^(٤) لا تحفى عليه الشرائعُ

فقال له معاوية : كم عطاؤك ؟ قال : سبعمائة . قال : أجعلوها ألفاً . وقطع
الكلام بين عبد الله وعُتْبَةَ .

سبب الفرقة بين
عدوان

وكان سبب تفرُّق عدوان ، وقتال بعضهم بعضاً حتى تفانوا ، أن بنى ناج
ابن يشكر بن عدوان أغاروا على بنى عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد
ابن يشكر بن عدوان ، ونذرت^(٥) بهم بنو عوف ، فاقتتلوا . فقتل بنو ناج
ثمانية نفرٍ من بنى عوف ، منهم عمر بن مالك ، سيّد بنى عوف . وقتل بنو عوف
من بنى ناج رجلاً منهم ، يقال له : سنان^(٦) بن جابر . ثم أصلحوا على دياتٍ

(١) اللحاء : المنازعة . (٢) يدحض : يزل . (٣) فى الأصل : « مقال »

مكان « يسار » . (٤) سوى الحق : خيره ووسطه . (٥) نذرت : علمت .

(٦) فى الأصل هنا : « يسار » . وفيما سيأتى بعد قليل : « ياسر » .

يتعاطونها ، ورضوا بذلك . وأبى مَرِيرُ بن جابر أن يقبلَ لأخيه سنان بن جابر ديةً ، وأعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومالاهم^(١) . فمَشَى إليهم ذو الإصبع وسألهم قبول الدية وقال : قد قُتِلَ مِنَّا ثمانية نفر فقَبِلْنَا الدية ، وقُتِلَ مِنكُمْ رجلٌ واحد فأقبلوا ديتَه . فأبَوْا ذلك وأقاموا على الحرب . فكان ذلك مبدءاً حرب بعضهم بعضاً حتى تفانوا وتقطَّعوا . فقال ذو الإصبع فى ذلك :

فِيَابُوسُ لِلْأَيَّامِ وَالدهِرِ هَالِكَا	وَصَرَفَ اللَّيَالَى يَخْتَلِفْنَ كَذَلِكََا
أَبْعَدَ بَنَى نَاجٍ وَسَعِيكَ فِيهِمْ	وَلَا تَتَّبِعَنَّ عَيْنِيكَ مَنْ كَانَ هَالِكَا
إِذَا قُلْتَ مَعْرُوفًا لَا ضَلَحَ بَيْنَهُمْ	يَقُولُ مَرِيرٌ لَا أُحَاوِلُ ^(٢) ذَلِكَا
فَأَضَحُوا كَظْهَرِ الْعُودِ جُبَّ سَنَامِهِ	تَحُومُ عَلَيْهِ الطَّيْرُ أَحَدَبَ بَارِكَا
فَإِنْ تَكُ عَدُوَانُ بْنُ عَمْرٍو ^(٣) تَفَرَّفَتْ	فَقَدْ غَنَيْتُ دَهْرًا مُلُوكًا هُنَالِكَا

شعره فى مَرِير
وفيه الغناء

وفى مَرِير بن جابر يقول ذو الإصبع قصيدته التى منها الشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبارَ ذى الإصبع ، وهو :

أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا خَالَتْنِي دُونَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُونِي
ومنها :

فَإِنْ تُصِيبُكَ مِنَ الْأَيَّامِ جَائِحَةٌ	لَمْ أَبْكُ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينِ
لَا ^(٤) ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسْبِ	شَيْئًا وَلَا أَنْتَ ^(٥) دِيَّانِي ^(٦) فَتَخْزُونِي
وَلَا تَقُوتُ عِيَالِي يَوْمَ مَسْغَبَةٍ	وَلَا بِنَفْسِكَ فِي الْعَزَاءِ ^(٧) تَكْفِينِي

(١) فى بعض أصول الأغاني : « والاهم » .

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « لا تتناول » .

(٣) فى الأصل : « عوف » تحريف .

(٤) لاه ، أصله : لله ، حذفت منه اللام الخافضة .

(٥) الديان : القائم بالأمر .

(٦) تخزونى : تقهرنى . (٧) العزاء : الشدة .

إِنَّ الَّذِي يَقْبِضُ الدُّنْيَا وَيَبْسُطُهَا
اللَّهُ يَعْلَمُنِي وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ
مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمَةٍ
لَوْ تَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَرَوْا شَارِبَكُمْ
وَلِي ابْنُ عَمٍّ لَوْ أَنَّ النَّاسَ فِي كَيْدِي
يَا عَمْرُو إِنْ لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
كُلُّ أَمْرٍ صَائِرٌ يَوْمًا لَشَيْمَتِهِ
إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ
وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَدْنَى بِمَنْطَلَقٍ
لَا يُخْرِجُ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَغْضَبَةٍ
وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ زَيْدٍ عَلَى مَائَةٍ
وَإِنْ عَلِمْتُمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فَأَنْطَلِقُوا
مَاذَا عَلَيَّ إِذَا تَدْعَوْنَنِي ^(٢) ضَرَعًا
قَدْ كُنْتُ أُعْطِيكُمْ مَالِي وَأُمنَحُكُمْ
يَا صَاحِبَ ^(٣) لَوْ كُنْتُ لِي الْفَيْتَنَى ^(٤) يَسْرًا

إِنْ كَانَ أَغْنَاكَ عَنِّي سَوْفَ يُغْنِيَنِي
وَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ عَنِّي وَيَجْزِيَنِي
أَلَا أَحَبَّكُمْ إِذْ لَمْ تُحِبُّوَنِي
وَلَا دِمَاؤُكُمْ جَمْعًا تَرَوْنِي
لَظَلَّ مُحْتَجِزًا ^(١) بِالنَّبِيلِ يَرْمِينِي
أَضْرِبَكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي
وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ
عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونٍ
بِالْمُنْكَرَاتِ وَلَا فَتْكَ بِمَأْمُونٍ
وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي
فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ شَتَّى فَكِيدُونِي
وَإِنْ غَبَيْتُمْ طَرِيقَ الرُّشْدِ فَأَتُونِي
أَلَا أُحِبَّكُمْ إِذْ لَمْ تُحِبِّوَنِي
وُدِّي عَلَى مُثَبَّتٍ فِي الصَّدْرِ مَكْنُونٍ
سَمَحًا كَرِيمًا أَجَازِي مَنْ يُجَازِيَنِي

وَرَأَى أَبُو الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِي قَوْمَهُ بِالْقَصِيدَةِ الضَّادِيَّةِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ^(٥)، وَمِنْهَا:

قصيدته في رثاء
قومه

جَدِيدُ الْعَيْشِ مَلْبُوسٌ وَقَدْ يُوشِكُ أَنْ ^(٦) يَنْضَى
فَأَمْرُ الْيَوْمِ أَصْلَحَهُ وَلَا تَعْرِضْ لِمَا يَمْضَى
فَبَيْنَا الْمَرْءُ فِي عَيْشٍ لَهُ مِنْ عَيْشَةٍ خَفُضَ

(١) المحتجز : الذي يشد مئزره على وسطه . وهو كناية عن التهيؤ للأمر والتشمير له .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « فزعا » مكان « ضرعا » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « يا همرو » . (٤) اليسر : السهل الانقياد .

(٥) انظر (ص ٣٥٣) من هذا الجزء . (٦) في البيت إقواء .

أَتَاهُ طَبَقٌ^(١) يَوْمًا عَلَى مَزَلَّةٍ دَخَضَ
وَلَيْسَ الْمَرْءُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ
وَمِنْهَا :

وَهُمْ كَانُوا فَلَا تُكْذَبُ ذَوِي الْقُوَّةِ وَالنَّهْضِ
وَهُمْ مِنْ وَلَدِ^(٢) أَشْبَوَا بِسِرِّ الْحَسْبِ الْمَحْضِ
فَمَنْ سَاجَلَهُمْ حَزْبًا فِي الْخَيْبَةِ وَالْخَفْضِ
وَهُمْ نَالُوا عَلَى الشَّنَاءِ نِ وَالشَّحْنَاءِ وَالْبُعْضِ
مَعَالِي لَمْ يَنْكُهَا النَّاسُ سٌ فِي بَسْطٍ وَلَا قَبْضِ

وقالت أُمَامَةُ بِنْتُ ذِي الْإِصْبَعِ ، وَكَانَتْ شَاعِرَةً ، تَرِثِي قَوْمَهَا :

قَدْ لَقِيتُ فَهْمٌ وَعَدَوَانُهَا قَتَلًا وَهَلْكَآ آخَرَ الْغَابِرِ
كَانُوا مَلُوكًا سَادَةً فِي الذُّرَى دَهْرًا لَهَا الْفَخْرُ عَلَى الْفَاخِرِ
حَتَّى تَسَاقَوْا كَأَسْهَمٍ بَيْنَهُمْ بَغْيًا فَيَا لِلشَّارِبِ الْخَاسِرِ
بَادُوا فَمَنْ يَحْلُلُ بِأَوْطَانِهِمْ يَحْلُلُ بِرَسْمِ مُقْفِرٍ دَاثِرِ

لَأُمَامَةِ بِنْتِهَا تَرِثِي
قَوْمَهَا

(١) الطبق : الشدة . (٢) أشبى فلان : ولد له كيس .

أخبار غريص اليهودي

نسبه

(*) هو غريص بن السموءل بن غريص بن عادي اليهودي .

شعر له يغني فيه

ذكر له أبو الفرج شعراً يغني فيه ، وهو :

أرفعُ ضَعِيفَكَ لا يَحْرُبُكَ ضَعْفُهُ يوماً فَتُدْرِكُهُ العَوَاقِبُ قَدْ نَمَا
يَجْزِيكَ أَوْ يَثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَن أَثْنَى عَلَيْكَ بما فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

وقيل : هذا الشعرُ لأَبْنَةِ سَعْيَةَ . وقيل : إنه لزيد بن عمرو بن نفيل . وقيل :

إنه لورقة بن نوفل . وقيل : لزهير بن جناب .

لعائشة عن النبي
صلى الله عليه وسلم
في شعر لغريص

ثم روى أبو الفرج بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتمثل بهذين البيتين — تعني البيتين اللذين لغريص — فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : رُدِّي عليَّ قولَ اليهوديِّ ، قاتلهُ الله ! لقد أتاني جبريلُ برسالةٍ من ربِّي : أيُّما رجلٍ صنعَ إلى أخيه صنِيعَةً فلم يجدْ له جزاءً إلاَّ الشَّناءَ عليه والدَّعاءَ له ، فقد كافأه .

دخول اليهود
الحجاز

ثم ذكر أبو الفرج سببَ دُخُولِ اليهود إلى الحِجاز ومُقامهم بها إلى أن بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنَّ موسى بنَ عِمْرانَ عليه السلام وجَّهَ جيشاً إلى العماليق ، وكانوا قد طَغَوْا وبلغتْ غارتُهُم إلى الشَّامِ ، وأمرهم أن يظفروا بهم أن يقتلوهم أجمعين . فظفروا بهم فقتلوهم أجمعين ، سوى ابنِ مَلِكهم كان غلاماً جميلاً ، فرحموه واستبقوه . وقَدِموا الشَّامَ بعد وفاةِ موسى عليه السلام ،

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار الغريص هذا بعض كلمات عن قيل مولى العبلات ، لاتبلغ

مبلغ التراجم وليست على سياقتها ، ويظهر أن ابن واصل اطرحها لهذا .

وأخبروا بني إسرائيل بما فعلوا . فقالوا : أنتم عصاة الله ، لا تدخلون الشام علينا أبداً ! وأخرجوهم عنها . فقال بعضهم لبعض : ما من بلد غير الذي ظفّرنا به وقتلنا أهله ! فرجعوا إلى يثرب فأقاموا بها . وذلك قبل ورود الأوس والخزرج إليها عند وقوع السيل العرم^(١) باليمن . وهؤلاء اليهود هم بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع وغيرهم . وقريظة والنضير من ولد هارون عليه السلام ، وستأتي لهم أخبار وذكّر في هذه الكتاب .

قلت : هذا ما ذكره أبو الفرح . وقال الآكثرون : إنّ هؤلاء إنما وقعوا بالحجاز بعد أن أجلاهم بختنصر عن بيت المقدس ، وكانت عندهم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه ، وأنه يبعث بمكة ويهاجر إلى يثرب . فأقاموا حول يثرب يتوكفون^(٢) ظهوره ليكونوا أول مؤمن به . فلما بعثه الله تعالى وهاجر إلى المدينة ، حسدوه وبعثوا له الغوائل . فنصره الله تعالى عليهم ، فأجلى بني النضير وبنو قينقاع ، وأوقع بني قريظة ، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ونساءهم .

(١) كذا في الأصل . وفي بعض أصول الأغاني : « سيل العرم » . وعلى هذه الرواية ،

فالعرم : اسم واد . وعلى رواية الأصل ، فالعرم : السيل الذي لا يطاق . وقيل : الشديد .

(٢) يتوكفون : يتوقعون .

أخبار ورق بن نوفل

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب . وأمه هند بنت أبي كبير^(١) بن قصي بن كلاب . وهو أحد المعتزلين لعبادة الأوثان في الجاهلية . وكان قرأ الكتب وأمتنع من أكل الذبائح للأوثان .

نسبه وشيء عنه

وقد روى عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة ابن نوفل ، فقال : « لقد رأيته في المنام كأن عليه ثياباً بيضاً ، فقد أظن أن لو كان في النار لم أر عليه البياض » .

للنبي صلى الله عليه وسلم فيه

وروت عائشة رضي الله عنها أن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أنطلقت بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتت ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان تنصر في الجاهلية ، وكتب الكتاب^(٢) العبراني ، [فيكتب بالعبرانية] من الإنجيل ما يشاء أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن عمي ، أسمع ما يقول ابن أخيك . فقال ورقة : يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزله الله تعالى على موسى ، ياليتني فيها جذع^(٣) ! ياليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو أخرجيهم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا . ثم لم ينشب ورقة أن مات .

(١) في بعض أصول الأغاني : « كثير » .

(٢) الكتاب : الكتابة ، مصدر .

(٣) الجذع : الشاب الحدث . أي ياليتني أكون حدثاً حين تظهر نبوتك فأبالغ في نصرتك .

في تعذيب بلال
وشعر له

وقيل : إن بلالاً رضى الله عنه كان لجارية من بنى جُحج ، وكان المُشركون يُعذِّبونه لما أسلم برَمضاء^(١) مكة ، يُلصِقون ظَهْرَهُ بِالرَّمضاء لِيُشْرِكَ بِاللَّهِ ، فيقول : أَحَدٌ ! أَحَدٌ ! فيمرُّ عليه ورقة بن نوفل فيقول : أَحَدٌ ! أَحَدٌ وَاللَّهِ يَا بِلَالُ ! وَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا^(٢) . كأنه يقول : لَأَتَمَسِّحَنَّ بِهِ . وقال ورقة بن نوفل :

لَقَدْ نَصَحْتُ لَأَقْوَامٍ وَقُلْتُ لَهُمْ أَنَا النَّذِيرُ وَلَا يَغُرُّكُمْ أَحَدُ
لَا تَعْبُدَنَّ إِلَهًا غَيْرَ خَالِقِكُمْ فَإِنْ دَعَوْكُمْ فَقُولُوا بَيْنَنَا^(٣) حَدَدَ
سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ سُبْحَانًا^(٤) نَعُودُ لَهُ وَقَبْلُ قَدْ سَبَّحَ الْجُودَى^(٥) وَالْحَمْدُ
مُسَخَّرٌ كُلُّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنَاوِيَ مُلْكَهُ أَحَدُ
لَا شَيْءٍ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَاشَتِهِ يَبْقَى الْإِلَهِ وَيُودِي الْمَالَ وَالْوَلَدَ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هَرْمُزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْحَلْدَ قَدْ حَاوَلْتُ عَادَةً فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سُلَيْمَانَ إِذَا دَانَ الشُّعُوبُ لَهُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ تَجْرَى بَيْنَهَا^(٦) الْبُرْدُ

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخى ورقة بن نوفل ، أولابن أخيه : « شَعَرْتُ أَنِّي رَأَيْتُ لَوْرَقَةَ جَنَّةٍ أَوْ جَنَّتَيْنِ » . شك الراوى ، وهو هِشَام ابن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر .

(١) الرَّمضاء : الأرض الحامية من شدة حر الشمس .

(٢) الحديث ضعيف ، فإن ورقة مات قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم . ولم يعذب بلال إلا بعد أن أسلم .

(٣) حدد : منع .

(٤) نعود له ، نعاوده مرة بعد أخرى . وفي بعض أصول الأغاني : « نعوذ به » .

(٥) الجودى : جبل بالجزيرة ، استوت عليه سفينة نوح . والحمد : جبل بنجد .

(٦) البرد : جمع بريد ، وهو الرسول .

أخبار زيد بن عمرو

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزّي بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدّى بن كعب بن لؤي بن غالب . وأمه جیداء بنت خالد بن جابر بن أبي حبيب بن فهم . وكانت جیداء هذه عند نفيل بن عبد العزّي ، فولدت له الخطّاب ، أبا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . ثم مات عنها نفيل فتزوّجت ابنه عمراً ، فولدت له زيد بن عمرو . وكان هذا نكاحاً ينكحه أهل الجاهليّة . فكان الخطّاب عمّ زيد وأخاه لأمه .

نسبه

وكان زيد أحد من اعتزل عبادة الأوثان ، وأمتنع من أكل ذبائحهم ، وكان يقول : يا معشر قريش ، أُرسل الله قطر السماء ، ويُنبت بقل الأرض ، ويخلق السائمة فتزعى فيه وتذبحونها^(١) لغيره ! والله ما أعلم أحداً على ظهر الأرض على دين إبراهيم غيري .

شيء عنه

وكان أخوه الخطّاب قد أخرجه من مكة هو وجماعة من قريش ومنعوه أن يدخلها حين فارق عبادة الأوثان ، وكان أشدهم عليه الخطّاب . وكان زيد إذا خلص إلى البيت أستقبله ثم قال : لبيك حقاً حقاً ، تعبدّاً ورقاً ، البرّ أرجو لا الخال^(٢) ، وهل مهجّر^(٣) كمن قال . ثم يقول :

إخراج أخيه له من مكة

عُذْتُ بما عاذ به إبراهيم
مُسْتَقْبِل الكعبة وهو قائم
يقول أنفي لك عانٍ راغم
مهما تُجشّني فإني جاشم
ثم يسجد .

(١) في بعض أصول الأغاني : « وتذبحوها » .

(٢) البر : الطاعة . والخال : الخيلاء . (٣) المهجر : السائر في الهجرة .

شعره في ترك
الأوزان

وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

عزأتُ الجنَّ والجنَّاتِ عني
ولا العزَّى أدِينُ ولا أبنتيها
أرباً واحداً أم ألف ربِّ
ألم تعلم بأنَّ الله أفنى
وأبقى آخرين ببرِّ قومٍ
كذلك يفعل الجلد الصبور
ولا صنمى^(١) بنى غم^(٢) أدير
أدينُ إذا تُقسمتِ الأمور
رجلاً كان شأنهم الفجور
فيربو منهم الطفل الصغير

وقال ورقة بن نوفل يخاطب زيد بن عمرو بن نفيل :

رشدتَ وأنعمتَ ابنَ عمرو وإنما
بدينك ربّاً ليس ربُّ كمشله
أقول إذا ما زرتُ أرضاً مخوفةً
أدينُ ربِّ يستجيب ولا أرى
أقول إذا صليتُ في كلِّ بيعةٍ
تجندبتَ تنوراً من النار حامياً
وترَ كلَّ جنَّاتِ الجبال^(٣) كما هيا
حنانيك لا تُظهر على الأعاديا
أدينُ لمن لم يسمع الدهر داعياً
تباركتَ قدأ كثرَ بأسمك داعياً^(٤)

لورقة يخاطب
زيداً

اعتناقه دين
إبراهيم

وروى أن زيد بن عمرو خرج إلى الشام يسأل عن الدين ، فلقى عالماً من اليهود ، فسأله عن دينهم وقال : لعلَّ أدين بدينكم . فقال اليهودي : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . فقال زيد : ما أفرّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلني على دينٍ ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمه ، إلا أن يكون حنيفاً . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم . فخرج من عنده وتركه وأتى عالماً من علماء النصارى ، فقال له نحواً

(١) في الأصل : « بنى طسم » مكان « بنى غم » . وما أثبتنا من الأصنام لابن الكلبي .

(٢) في الأصنام : « أزور » مكان « أدير » .

(٣) جنات الجبال : الذين يأمرُونَ بالفساد من شياطين الإنس والجن .

(٤) أى خلقت خلقاً كثيراً يدعون باسمك .

مَّا قَالَ لليهودى . فقال له النصرانى : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ
بنصيبك من لعنة الله . فقال : لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع ،
فهل تدلنى على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قاله اليهودى : لا أعلمه إلا
أن يكون حنيفاً . فخرج من عندهما وقد رضى بما أخبراه واتفقا عليه من دين
إبراهيم عليه السلام . فلما برز رفع يديه وقال : اللهم إنى على دين إبراهيم .
وقيل : إنه بلغه ظهور النبىِّ صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأقبل يريد ، فقتله
أهل مَيْفَعَةَ (١) .

إقباله ليسلم
ومقتله

وروى ابنه سعيد بن زيد رضى الله عنه ، وهو أحد العشرة المبشرين
بالجنة ، قال :

للنبى صلى الله عليه
وسلم فيه

سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد ، فقال :
يأتى يوم القيامة أمةً وحده .

وإنما أجرى أبو الفرج ذكر زيد بن عمر ، وورقة بن نوفل ؛ لأن الشعر
الذى فيه « أرفع ضعيفك » (٢) البيهتين . قد روى لكل واحد منهما . ورؤى
أيضاً عن زهير بن جناب . وعامر الجرمى مدرج الرّيح ، فذكرها أيضاً .

عمر وورقة

فأما زهير بن جناب الكلبي فقال : إنه أحد المعمرين . عاش مائة وخمسين
سنة . فقال ذات يوم : إن الحى ظاعن . فقال له ابن أخيه عبد الله بن عليم
ابن جناب : إن الحى مُقيم . فقال زهير : إن الحى مُقيم . فقال عبد الله : إن
الحى ظاعن . فقال زهير : من هذا الذى يخالفنى منذ اليوم ؟ قيل . ابن أخيك
عبد الله بن عليم . فقال : أو ما ها هنا أحد ينهائى عن ذلك ! قالوا : لا . فغضب

شيء عن زهير
ابن جناب

(١) ميفعة : قرية من أرض البلقاء من الشام .

(٢) انظر الشعر فى أخبار « غريص » (ص ٢٨٧) من هذا الجزء .

وقال : لا أرانى قد خولفتُ ! ثم دعا بالخمر فشربها صرفاً بغير مزاج وعلى غير طعام حتى قتَلته . وهو الذى يقول :

الموتُ خيرٌ للفتى فلَيْهَلَكَنَّ وبه بَقِيَّةُ
أَبْنَى إِن أَهْلِكَ فَقَدْ أَوْرَثْتُكُمْ مَجْداً بَنِيَّةُ
وَتَرَكْتُكُمْ أَبْنَاءَ سَا دَاتِ زِنَادُكُمْ وَرِيَّةُ
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتَهُ (١) إِلَّا التَّحِيَّةُ

وأما عامر الجرمى مدرج الرِّيح، فإنما سُمِّي «مدرج الرِّيح» بشعر قاله فى امرأة كان يزعم أنه يهواها من الجنّ، وأنها تسكن الهواء وتترأى له، وكان محمّقا، وشعره هذا :

لأُبْنَةِ الْجَنَىِّ فِي الْجَوِّ طَلَلْ دَارِسُ الْآيَاتِ عَافٍ كَاخْلَلْ
دَرَسَتْهُ الرِّيحُ مِنْ بَيْنِ صَبَا وَجَنُوبٍ دَرَجَتْ حِيناً (٢) وَطَلْ

(١) التحية : الملك ، والبقاء . والمراد هنا الثانى ، لأن زهير بن جناب كان ملكاً .

(٢) وزاد أبو الفرج بعد هذين « سعية بن غريض » فساق عنه قليلا . ثم ترجم لابن صاحب

الوضوء المغنى ترجمة صغيرة . ولكن ابن واصل أغفل هذا وذاك .

أخبار بشار بن برد

نسبه

أَلْحَقَ أَبُو الْفَرَجِ نَسَبَهُ بِبِسْتَنْبِ بْنِ لَهْرَاسَفَ ، مَلِكِ الْفُرسِ ، وَذَكَرَ أَنَّ جَدَّهُ
يَرْجُوخَ مِنْ طَخَارُستان^(١) مِنْ سَبْيِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، وَأَنَّ زَوْجَةَ الْمُهَلَّبِ
وَهَبَتْ أُنْثَى بَرْدًا بَعْدَ أَنْ زَوَّجَتْهُ لَأَمْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ ، فَوُلِدَتْ لَهُ أُمْرَأَتُهُ ، وَهُوَ
فِي مَلِكِهَا ، بِشَّارًا ، فَأَعْتَقَتْهُ الْعُقَيْلِيَّةُ .

وَقِيلَ : بَلْ كَانَ بَرْدٌ مَوْلَى لَأَمْرَأَةٍ سَدُوسِيَّةٍ ، فَادَّعَى أَنَّهُ مَوْلَى بَنِي عُقَيْلٍ ،
لِنُزُولِهِ فِيهِمْ .

وَيُكْنَى بِشَّارَ أَبَا مُعَاذٍ . وَهُوَ مُقَدَّمُ طَبَقَةِ الشُّعْرَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَرِئِيسِهِمْ ،
بِلا خِلافٍ . وَهُوَ مُخَضَّرَمُ الدَّوْلَتَيْنِ : الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ . وَكَانَ يُلقَّبُ الْمُرَعَّثَ .
فَقِيلَ : إِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقَوْلِهِ :

كنيته ولقبه ومنزلته
بين الشعراء

قَالَ رِيْمٌ مُرَعَّثٌ سَامِرُ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ
لَسْتُ وَاللَّهِ نَائِلِي قَلْتُ أَوْ يَغْلِبُ الْقَدَرُ
أَنْتَ إِنْ رُمْتَ وَصَلْنَا فَانْجُ هَلْ تُدْرِكُ الْقَمَرَ

وَقِيلَ : إِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ لَقَمِيصَهُ جَبِيَّانَ : جَبِيبٌ عَنْ يَمِينِهِ ، وَجَبِيبٌ
عَنْ يَسَارِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ لُبْسَهُ ضَمَّهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلَ رَأْسُهُ فِيهِ ، وَإِنْ أَرَادَ
نَزْعَهُ حَلَّ أَزْرَارَهُ وَخَرَجَ مِنْهُ ، فَشَبَّهَتْ تِلْكَ الْجُبُوبَ بِالرِّعَاطِ ، لِأَسْتِرْسَالِهَا وَتَدَلِّيِّهَا .
وَسُمِّيَ مِنْ أَجْلِهَا الْمُرَعَّثَ .

وَقِيلَ : كَانَ فِي أُذُنِهِ ، وَهُوَ صَغِيرٌ ، رِعَاطٌ ، وَهِيَ الْقِرَاطَةُ .

(١) ضَبَطَهَا ابْنُ خُلِكَانَ بِضَمِّ الطَّاءِ ، وَضَبَطَهَا يَاقُوتٌ بِفَتْحِهَا .

وصفه وشعر
الباهلي في هجائه

وكان ضخماً عظيم الخلق والوجه ، مجدوراً ، طويلاً ، جاحظ الحدقتين
قد تغشاهما لحم أحمر ، وكان أقبح الناس عَمًى وأفظعهم منظراً ، وكان إذا أراد أن
يُنشد صَفَّقَ يديه وتَنَحَّحَ وبَصَقَ عن يمينه وشماله فيأتي بالعجب . ووُلد
وهو أعمى ، وهو الأكمه . وفي ذلك يقول أبو هِشام الباهلي يَهجوه :

وَعَبْدِي فَقاً^(١) عَيْنِيكَ فِي الرَّحْمِ أَيْرُهُ فَجِئْتَ وَلَمْ تَعْلَمْ لِعَيْنِكَ فَاقِيَا
أُمُّكَ يَا بَشَّارَ كَانَتْ عَفِيفَةً عَلَى إِذْنِ أُمِّشِي^(٢) إِلَى الْبَيْتِ حَافِيَا
وَلَمْ يَزَلْ بَشَّارٌ مِنْذُ قَالَ فِيهِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مُنْكَسِراً .

بدء قوله الشعر

وَذُكِرَ أَنَّهُ قَالَ بَشَّارُ الشُّعْرُ وَلَهُ عَشْرُ سَنِينَ ، ثُمَّ بَلَغَ الْحُلُمَ وَهُوَ نَحْشِيٌّ مَعَرَّةُ
اللِّسَانِ .

هجاؤه جريراً

وكان يقول : هَجَوْتُ جَرِيراً فَأَعْرَضَ عَنِّي وَأُسْتَصْغَرَنِي ، وَلَوْ أَجَابَنِي لَكُنْتُ
أَشْعَرَ النَّاسِ .

رأى الأصمعي فيه

وكان الأصمعي يقول : بَشَّارُ خَاتِمَةُ الشُّعْرَاءِ ، وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ أَيَّامَهُ تَأَخَّرَتْ
لَفَضَّلْتُهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ .

رأيه في عيون شعره

وَقَالَ بَشَّارٌ : لِي أُنْتَا عَشْرَ أَلْفِ بَيْتٍ عَيْنٍ . فَقِيلَ لَهُ : هَذَا مَا لَمْ يَدَّعِهِ أَحَدٌ قَطُّ
سِوَاكَ ! فَقَالَ : لِي أُنْتَا عَشْرَةَ أَلْفِ قَصِيدَةٍ ، لَعْنَهَا اللَّهُ وَلَعْنُ قَائِلِهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ
فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بَيْتٌ عَيْنٍ .

دينه

وَقِيلَ : كَانَ بَشَّارٌ يَدِينُ بِالرَّجْعَةِ^(٣) ، وَيَكْفُرُ جَمِيعَ الْأُمَمِ^(٤) ، وَيَصُوبُ
رَأْيَ إِبْلِيسَ فِي تَقْدِيمِهِ النَّارَ عَلَى الطِّينِ ، وَذُكِرَ ذَلِكَ فِي شَعْرِهِ فَقَالَ :

(١) يريد « فقاً » بالهمز ، فسهل .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « مشي » .

(٣) الرجعة : الإيمان بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت . وهو مذهب قوم من عرب الجاهلية .

وعليه طائفة من أهل البدع من المسلمين ، يقولون : إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « الأمة » .

الأرضُ مُظلمة والنارُ مُشرقة والنارُ مَعْبودةٌ مُذْ كانت النارُ
قلت : وقد رُوي له أيضاً :

إبليسُ أَفْضَلُ من أَيْكُم آدم فتَنَّبَها يا مَعْشَرَ الأَشْرارِ
النارُ عُنْصَرُهُ وآدمُ طِينُهُ والطِّينُ لا يَسْمُو سُمُو النارِ
كذب ، لعنه الله إن كان قالها .

و بلغ إلحاده وكفره أبا حذيفة واصل بن عطاء . شيخ المعتزلة - وكان أُلْثَغَ
بالراء ، فكان يَتَجَنَّبُها ولا يَنْطَقُ بها - فقام خطيباً وقال : أما آن لهذا
الاعمى المُلحد المَشْنَف المَكْنِيّ بأبي مُعَاذٍ مَنْ يَقْتُلُهُ ؟ أما والله لولا أن الغيلة سَجِيَّةٌ
من سَجَايا الغَالِيَةِ لَدَسَمْتُ إليه من يَبْعَج بطنه في جوف منزله أو في ^(١) حَفْلِهِ ،
ثم كان لا يَتَوَلَّى ذلك إِلَّا عُقِيلِيّ أو سَدُوسِيّ !

لواصل بن عطاء
فيه

فقال « أبا مُعَاذٍ » ولم يقل « بشارا » . وقال « الأعمى » ولم يقل « الضير » .
وقال « المُلحد » ولم يقل « الكافر » . وقال « المَشْنَف » ولم يقل « المرعث » .
وقال « الغالية » ولم يقل « الرافضة » . وقال « يبعج » ولم يقل « يبقر » . وقال
« منزله » ولم يقل « داره » .

شيء عن واصل
ابن عطاء

وحَذَفَ الراء من كلامه كلّه غاية الاقتدار على الكلام ، والتمكّن من
العبارة . وفي ذلك يقول بعض الشعراء في مدح صاحب بن عباد :
نَعَمْ تَجَنَّبَ لا يَوْمَ العَطَاءِ كما تَجَنَّبَ أبنُ عَطَاءٍ لَشَعَةِ الراء

وقيل : كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل
ابن عطاء ، وصالح بن عبد القدّوس ، وعبد الكريم بن أبي العوّاء ، وجريز
ابن حازم ، وبشار بن بُرد ، فكانوا يَجْتَمِعُونَ في منزل جريز ويَخْتَصِمُونَ عنده .
فأما عمرو وواصل فصارا إلى القول بالاعتزال ، وأما عبد الكريم وصالح فقالا بمقالة

هو أحد أصحاب
الكلام الستة

(١) الحفل : الجمع من الناس . « والعبارة في بعض أصول الأغاني : « أو في يوم حفلة » .

الثَنَوِيَّة . وَأَمَّا جَابِرُ فَقَالَ بِمَقَالَةِ السُّمْنِيَّةِ^(١) . وَأَمَّا بَشَّارٌ فَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا مُخَلِّطًا . وَكَانَ عَبْدُ الْكَرِيمِ يُفْسِدُ الْأَحْدَاثَ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ عُمَيْدٍ : قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ لَا تَزَالُ تَخْلُو بِالْحَدَثِ مِنْ أَحْدَاثِنَا فَتُفْسِدُهُ وَتُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ ، فَإِنْ خَرَجْتَ مِنْ مِصْرَنا وَإِلَّا قُمْتُ فِيكَ مَقَامًا آتَى فِيهِ عَلَى نَفْسِكَ . فَلَحِقَ بِالْكُوفَةِ . فَذُلَّ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ سُلَيْمَانَ فَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ أَبُو عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ بَعْضَ الرِّوَاةِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَمْرُو ، مَنْ رَأَى ابْنَ الْعَلَاءِ فِيهِ أَبْدَعُ النَّاسِ بَيْتًا ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

لَمْ يَطْلُ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْهَمْ وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ الْمَمِ
رَوْحِي عَنِّي قَلِيلًا وَأَعْلَمِي أَنْتِ يَا عَبْدَ مَنْ لَحْمٍ وَدَمٍ
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا جُودِي لَنَا خَرَجْتُ بِالصَّمْتِ عَنْ لَا وَنَعَمِ
إِنَّ فِي بُرْدَيَّ جَسْمًا نَاحِلًا لَوْ تَوَكَّأْتُ عَلَيْهِ لَأَنْهَدِمِ
خَتَمُ الْحُبِّ لَهَا فِي عُنُقِي مَوْضِعَ الْخَاتَمِ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ

قَالَ : فَمَنْ أَمْدَحُ النَّاسُ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَذْرَأَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الْغِنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَبَدَّدْتُ^(٢) مَا عِنْدِي

— وَذَكَرَ أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لِابْنِ الْخَيَّاطِ فِي الْمَهْدِيِّ . وَسَنَدُ كَرِهٍ^(٣) —

قَالَ : فَمَنْ أَهْجَى النَّاسُ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

رَأَيْتُ السُّهَيْلَيْنِ أُسْتَوَى الْجُودُ مِنْهُمَا عَلَى بَعْدِ ذَا مِنْ ذَاكَ فِي حُكْمِ حَاكِمِ

(١) السُّمْنِيَّةُ ، بِضَمِّ فَتْحٍ : قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْهِنْدِ دَهْرِيُونَ . وَقِيلَ : مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، يَقُولُونَ بِالتَّنَاسُخِ ، وَيَنْكُرُونَ وَقُوعَ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ . نِسْبَةٌ إِلَى « سَوْمَنَاتِ » بِلَدِّ الْهِنْدِ .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « فَأَتَلَفْتُ » . وَفِي بَعْضِ آخِرِ : « فَبَدَّرْتُ » .

(٣) هُوَ فِي الْجُزْءِ (١٨ ص ٩٤ بَلَّاق) وَلَا نَدْرِي أَيْنَ سَيَكُونُ مَكَانُهُ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا .

سُهَيْلُ بْنُ عُمَانَ يَجُودُ بِمَا لَهُ كَمَا جَادَ بِالْوَجْعَا ^(١) سُهَيْلُ بْنُ سَالِمٍ
وهذه الأبيات كلها لبشار .

وقيل لبشار وقد أنشد :

له وقد سئل عن
إحسانه في تشبيهه

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
مَا قَالَ أَحَدٌ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ ! فَمَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا وَلَمْ تَرَ الدُّنْيَا قُطًّا
وَلَا شَيْئًا فِيهَا ؟ فَقَالَ : إِنْ عَدِمَ النَّظْرُ يُقَوِّى ذِكَاءَ الْقَلْبِ وَيَقْطَعُ عَنْهُ الشَّغْلَ بِمَا
يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، فَيَتَوَفَّرُ حِسُّهُ وَتَذَكُّوْرُ قَرِيحَتِهِ . ثُمَّ أَنْشَدَهُمْ قَوْلَهُ :

عَمِيَتْ جَنِينًا وَالذِّكَاءُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ مَحْجِبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْثَلًا
وَعَاضَ صَفَاءَ الْعَيْنِ لِلْعِلْمِ فَأُقْتَدَى بِقَلْبٍ ^(٢) إِذَا مَاضَيْعَ النَّاسِ حَصَلَا
وَشِعْرِ كَنْوَرِ الرُّوضِ لَأَمْتُ بَيْنَهُ بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَسْهَلَا

وقيل : كَانَ بَشَارُ يَهُوَى أُمْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَرَأَسَهَا يَسْأَلُهَا زِيَارَتَهُ .
فَوَعَدَتْهُ بِذَلِكَ وَأَخْلَفَتْهُ . وَجَعَلَ يَنْتَظَرُهَا لَيْلَةً أَجْمَعَ حَتَّى أَصْبَحَ . فَلَمَّا لَمْ تَأْتِهِ
كَتَبَ إِلَيْهَا يُعَاتِبُهَا . فَأَعْتَذَرَتْ بِمَرَضِ أَصَابَهَا . فَكَتَبَ إِلَيْهَا :

عتابه لامرأة
واعدته فأخلفت

يَا لَيْلَتِي تَزْدَادُ نُكْرًا مِنْ حُبٍّ مِنْ أُحِبَّتْ بِكْرًا
حَوْرَاءُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيَّ لَكَ سَقَتِكَ بِالْعَيْنَيْنِ خَمْرًا
وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثَهَا قَطَعَ الرِّيَاضَ كُسَيْنَ زَهْرًا
وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَتَحَالَ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ هَ ثِيَابَهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا
وَكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَا بَ صَفَاً وَوَافَقَ مِنْكَ فِطْرًا

(١) الوجعاء ، ممدودة ، وقصرت للشعر : السافلة ، وهى الدبر .

(٢) هذه رواية الأصل . وفى بعض أصول الأغاني :

« وَغَاضَ ضِيَاءَ الْعَيْنِ لِلْعِلْمِ رَافِدًا * لِقَلْبٍ » .

قيل : وكان إسحاق الموصلي لا يعتدّ بشعر بشار ويقول : هو كثير التّخليط رأى إسحاق فيه في شعره ، وأشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً . أليس هو القائل :

إنما عظم سُليمان حَبَّتِي قَصَبُ الشُّكْرِ لا عَظْمُ الجَمَلِ
وإذا أدنيتَ منها بَصلاً غَلَبَ المِسْكُ على رِيحِ البَصَلِ

لو قال كُلُّ شَيْءٍ جَيِّدٌ ثُمَّ أَضِيفَ إِلَيْهِ هَذَا لَزَيَّفَهُ . وكان يُقدِّم عليه مروان ابن ابن حفصة ، ويقول : هو أشدُّ استواءَ شعرٍ منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها . وكان لا يعدُّ أبا نُوَاسَ البتّة ولا يرى فيه خيراً .

غير هجاء له
في المنصور وجعله
في أبي مسلم

وذكر أنه دخل بشار على إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، وأنشده قصيدة يهجو فيها أبا جعفر المنصور ، ويشير عليه برأى يستعمله في أمره . فلما قُتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن خاف بشار ، فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها في أبي مُسلم صاحب الدعوة ، فجعل مكان « أبا جعفر » « أبا مسلم » ومكان « سلامة » أم المنصور : « وشيكة » وهي أم أبي مُسلم . وحذف منها أبياتاً صرّح فيها بولد فاطمة عليها السلام ، وأولها :

أبا جعفر ما طُولُ عَيْشٍ بدائم ولا سالمٌ عَمَّا قَلِيلٍ بسالمٍ
على المَلِكِ الجَبَّارِ يَفْتَحِمُ الرَّدَى ويَصْرَعُهُ في المَازِقِ المُتَلاحِمِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِقَتْلِ مُتَوَجِّجٍ عَظِيمٍ ولم تَعْلَمْ بِقَتْلِ (١) الأَعاجِمِ
تَقَسَّمُ كِسْرَى رَهْطُهُ بِسُيُوفِهِمْ وَأَمْسَى أَبُو العَبَّاسِ (٢) أَحْلَامَ نَائِمِ
مُقِمًّا على اللِّذَاتِ حَتَّى بَدَتْ لَهُ وَجُوهُ المَنَايَا حَاسِرَاتِ العَمَامِ
وَمَرَّوَانٌ قَد دَارَتْ عَلَى رَأْسِهِ الرِّحَى وَكَانَ لَمَّا أَجْرَمْتَ نَزَرَ الجَرَائِمِ
فَأَصْبَحْتَ تَجْرَى سَادِرًا فِي طَرِيقِهِمْ وَلَا تَتَقَّى أَشْبَاهَ تِلْكَ النِّقَامِ

(١) هذه رواية الأصل . والذي في بعض أصول الأغاني : « ولم تسمع بفتك » .

(٢) أبو العباس : هو الوليد بن يزيد . (٣) مروان ، هو مروان الحمار ، آخر ملوك بني أمية .

تَجَرَّدَتْ لِلإِسْلَامِ تَعَفُّوْ (١) طَرِيقَهُ
فَمَا زِلْتُ حَتَّى أَسْتَنْصِرَ الدِّينَ أَهْلَهُ
فَرُمُوزَ رَأْيُنَجِيكَ (٢) يَابْنَ سَلَامَةٍ
لَحَى اللَّهُ قَوْمًا رَأْسُوكَ عَلَيْهِمْ
أَقُولُ لِبَسَامٍ عَلَيْهِ جَلَالَةٌ
مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ الدُّعَاةِ إِلَى الْهُدَى
سِرَاجٌ لَعِينُ الْمُسْتَضَى وَتَارَةٌ
إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعْنُ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْعُلَّ أُخْتَهَا
وَحَلَّ الْهُوَيْنَا لِلضَّعِيفِ وَلَا تَكُنْ
وَحَارِبٌ إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظُلَامَةٌ

فَتُعَرِّى مَطَاهِ (٢) لِلْيُوثِ الضَّرَاعِمِ
عَلَيْكَ فَعَاذُوا بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
فَلَسْتُ بِنَاجٍ مِنْ مَضِيمٍ وَضَائِمٍ
وَمَا زِلْتُ مَرَّءٍ وَسَا خَبِيثِ الْمَطَاعِمِ
غَدَا أَرْجِيًّا عَاشِقًا لِلْمَكَارِمِ
جِهَارًا وَمَنْ يُنْجِيكَ مِثْلُ ابْنِ فَاطِمِ (٤)
يَكُونُ ظَلَامًا لِلْعَدُوِّ الْمَزَاحِمِ
بِرَأْيٍ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ حَازِمِ
فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ
تَوَّوَمَا فَإِنَّ الْحَزْمَ لَيْسَ بِنَائِمِ
شَبَابُ الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ الْمَظَالِمِ

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ لِبَشَارٍ : يَا أَبَا مُعَاذٍ ، إِنَّ النَّاسَ يَعْجَبُونَ مِنْ أَيْبَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ
فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، إِنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ صَوَابٍ يَفُوزُ بِشِمْرَتِهِ أَوْ خَطَاٍ يُشَارِكُ
فِي مَكْرُوهِهِ . فَقُلْتُ : أَنْتَ وَاللَّهِ فِي قَوْلِكَ هَذَا أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شَعْرِكَ .

بينه وبين
الأصمعي في
المشورة

وَقِيلَ : كَانَ بَشَارٌ جَالِسًا فِي دَارِ الْمَهْدِيِّ وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الْإِذْنَ . فَقَالَ بَعْضُ
مَوَالِي الْمَهْدِيِّ لِمَنْ حَضَرَ : مَا قَوْلُكُمْ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى
النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا) ؟ فَقَالَ بَشَارٌ : النَّحْلُ الَّتِي يَعْرِفُهَا النَّاسُ .
فَقَالَ : هِيَاتِ يَا أَبَا مُعَاذٍ ! النَّحْلُ : بَنُو هَاشِمٍ . وَقَوْلُهُ (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) يَعْنِي الْعِلْمُ . فَقَالَ لَهُ بَشَارٌ : أَرَانِي اللَّهُ شَرَابَكَ

بينه وبين بعض
موالي المهدي في
تفسير بعض
الآيات

(١) في بعض أصول الأغاني : « سبيله » مكان « طريقه » . (٢) المطا : الظهر .

(٣) جعل مكانها : « بابن وشيكة » . (٤) يريد « فاطمة » فرخم .

وطعامك وشفائك فما يخرج من بطون بني هاشم ، فقد أوسعنا غثاءً . فغضب
وشتم بشاراً . وبلغ المهديّ الخبر ، فدعى بهما فسألهما عن القصّة ، فحدثه بشار بها ،
فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أجل ! فجعل الله طعامك
وشرباك ممّا يخرج من بطون بني هاشم ، فإنك باردٌ غثّ .

هو يزيد الحميري
والمهدي

وقيل : دخل يزيد بن منصور الحميريّ ، خال المهديّ ، على المهديّ وبشار بين
يديه يُنشد قصيدة يمدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور ، وكانت
به غفلة ، فقال له : يا شيخ ، ما صناعتك ؟ فقال : أثقب اللؤلؤ . فضحك المهديّ .
ثم قال لبشار : أتتندر على خالي ! فقال له : وما أصنع به ! يرى شيخاً أعشى يُنشد
الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته !

بينه وبين بعضهم
في شعره

وقال بعضهم : قلت لبشار : بينما تقول شعراً تُثير به النّقع وتخلع به القلوب ،
مثل قولك :

إذا ما غصبتنا غصبةً مُضريّةً هتكنا حجاب الشمس أو تُمطر الدّما
إذا ما أعرنا سيّداً من قبيلة ذرى منبرٍ صلى علينا وسلما
تقول :

ربابة ربّة البيت تصبُّ الخلّ في الزّيّت
لها عشر دجاجاتٍ وديكٌ حسنُ الصّوت

فقال : لكلّ شيء وجهٌ وموضعٌ ، فالقولُ الأوّلُ جدٌّ ، وهذا قلته في ربابة
جاريّتي ، وأنا لا آكل البيض من الشّوق ، وربابة هذه لها عشر دجاجاتٍ وديكٌ ،
وهي تجمع لي البيض عندها ، فهذا عندها من قولي أحسن من :

* قفا نبتك من ذكري حبيبٍ ومنزل *

عندك .

هو وقد سئل عن
حشوه شعره

وقيل : كان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له ، فقال فيه :

* غَنَى للغريص يابن قنان *

فقيل له : من ابن قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مُغَنَّى البصرة ؟ فقال : وما عليكم منه ! ألكم قبله دَيْنٌ فتطلبوه به ، أو ثأرٌ تريدون أن تدركوه ، أو كَفَلْتُ لكم به فإذا غاب^(١) طالبتُموني بإحضاره ؟ فقالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنما أردنا أن نعرفه . فقال : هو رجل يُغَنِّي لى ولا يخرج من بيتي . فقالوا له : إلى متى ؟ فقال : من يوم وُلِدَ إلى أن يموت .

قيل : وأنشدنا يوماً :

.... ووافا * نى هلالُ السماء بالبردان *

فقلنا : يا أبا معاذ ، أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه في البصرة . فقال : هو بيت في داري سميت البردان ، أفعلكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه ؟

وقال راوية بشار : كُنَّا عنده يوماً فأنشدنا قوله :

وجارية خلقت وحدها	فكل ^(٢) النساء لديها خدام
دُوار ^(٣) العذارى إذا زُرنها	أطفن بحوراء مثل الصم
ظمئت إليها فلم تسقني	بري ولم تشفني من سقم
وقالت هويت فمت راشداً	كما مات عروة غماً بغم
فلما رأيت الهوى قاتلي	ولست بجارٍ ولا بأبن عم

(١) في التجريد : « جاء » .

(٢) رواية بعض الأصول : « كان » .

(٣) دوار : صم للعرب كانوا ينصبونه ويدورون به . وهو هنا على التشبيه .

دَسْتُ إِلَيْهَا أبا مَجْلَزٍ وَأَيَّ فِتَى إِنْ أَصَابَ أَعْتَزَمُ
فَمَا زَالَ حَتَّى أَنْابَتْ لَهُ فَرَّاحٌ وَحَلَّ لَهُ مَا حَرُمُ

فقال له رجل : من أبو مجلز هذا يا أبا مُعَاذٍ ؟ قال : وما حاجتك إليه ! ألك عليه دين فتُطالبه به ! هذا رجل يتردد بيني وبين معارفي في رسالة^(١) .
قال : وكان كثيراً ما يحشو شعره بمثل هذا .

وقيل : كانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن علي ، وكانت مُحسنة بارعة الظرف ، وكان بشار صديقاً لسيدها ومداحاً له ، فحضر مجلسه يوماً والجارية تُغني ، فسُرَّ بحضوره فشرب حتى سكر ونام ، ونهض الناس ونهض بشار ، فقالت له : يا أبا مُعَاذٍ ، أُحِبُّ أَنْ تَذْكُرَ يَوْمَنَا هَذَا فِي قَصِيدَةٍ وَلَا تَذْكُرَ فِيهَا أَسْمَى وَلَا أَسْمَ سَيِّدِي وَتَكْتُبَ بِهَا إِلَيْهِ . فَأَنْصَرَفَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

وَذَاتِ دَلٍّ كَأَنَّ الْبَدْرَ صُورَتُهَا بَاتَتْ تُغْنِي عَمِيدَ الْقَلْبِ سَكَرَانَا :
(إِنْ الْعُيُونُ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا شَمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا)
(يَصْرَعُنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَتَ بِهِ وَهُنَّ أَوْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا)
فَأَسْمِعْنِي جَزَائِكَ اللَّهُ إِحْسَانَا :
(يَا حَبِذَا جَبَلُ الرِّيَّانِ^(٢) مِنْ جَبَلٍ وَحَبِذَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا)
قَالَتْ فَهَلَّا فَدَتْكَ النَّفْسُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا مَنْ كَانَ صَبَّ الْقَلْبِ حَيْرَانَا :
(يَقُومُ أُذُنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةً وَالْأُذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا)
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَفَّاحًا تُفَلِّجُهُ أَوْ كُنْتُ مِنْ قُضْبِ الرِّيحَانِ رِيحَانَا
حَتَّى إِذَا وَجَدْتُ رِيحِي فَأَعْجِبَهَا وَنَحْنُ فِي خُلُوةٍ مُثَلَّتْ إِنْسَانَا
فَرَكْتُ عُودَهَا شَمَّ أَثْنَتُ طَرَبًا تَشْدُو بِهِ شَمَّ لَا تُخْفِيهِ كِتْمَانَا :

(١) في بعض أصول الأغاني : « في رسائل » .

(٢) الريان : جبل في ديار طيء . (٣) في بعض أصول الأغاني : « مفلجة » .

(أصبحت أطوعَ خلقِ اللهَ كُلِّهمْ لاَ كثرَ الخلقِ لي في الحبِّ عَصيانا)
 فقلتُ أطرِبُنا يا زينَ مَجْلِسنا فهاتِ إنك بالاحسانِ أولانا
 لو كنتُ أعلمُ أنَّ الحبَّ يقتلني أعددتُ لي قبل أن ألقاكُ كفانا
 فغنتُ الشَّربَ صوتاً مُؤنقاً^(١) رَمَلاً يذُكي الشُّرورَ ويُبكي العينَ ألوانا:
 (لا يَقْتُلُ اللهُ من دامتْ مودَّتُهُ واللهِ يَقْتُلُ أهلَ الغدرِ أحياناً)

ووجه بالأبيات إليها . فبعث إليه سيدها بألفي درهم^(٢) وسرَّ بها سروراً شديداً .

وذكر أن هلال بن عطية قال لبشار ، وكان صديقاً له يُمازحه : إنَّ الله لم يذهب بصرَ أحدٍ إلَّا عَوَّضَهُ شيئاً ، فما عَوَّضَكَ ؟ قال : الطويل العريض . قال : وما هو ؟ قال : إلَّا أراك ولا أمثالك من الثُّقلاء . ثم قال له : يا هلال ، أطيعني في نصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم . قال : إنك كنت تَمْرُق الحميرَ زماناً ثم تَبَت وصِرتَ رافضياً ، فعد إلى سرقة الحمير ، فهو والله خيرٌ لك من الرِّفْضِ^(٣) .

بينه وبين هلال
ابن عطية

وقال بعضهم : مررت أنا ورجلٌ من عُكَلٍ بقصرِ أوس^(٤) ، وإذا نحن ببشار في ظِلِّ القصرِ وحده ، فقال لي العُكَلِي : لا بدَّ لي من أن أعْبث ببشار . فقلت : ويحك ! مَهْ ، لا تُعرِّضْ نفسَكَ وعِرْضَكَ له . فقال : إني لا أجده في وقتٍ أخلى منه في هذا الوقت . فوقف ناحيةً ودنا منه وقال : يا بشار . فقال : من هذا الذي لا يَكْنِيَنِي ويدعوني بأسمي ؟ قال : سأخبرك من أنا ، فأخبرني أنت عن أمك ، أولدتك أمي أم عَمِيَتَ بعد أن ولدتك ؟ قال : وما تريد من ذلك ؟ قال : وددتُ لو فُسِحَ لك في بَصْرِكَ ساعةً لِتَنظُرَ إلى وجهك في المرأة ، فعسى أن تُمسِكَ

بينه وبين
رجل من عكل

(١) مؤنقاً : معجباً . والرمل : ضرب من الأغاني . (٢) في بعض الأصول : « دينار »

(٣) الرِّفْضُ ، بالكسر : مذهب الرافضة . وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى فرفضوه وانفضوا عنه ، فسموا الرافضة .

(٤) قصر أوس بالبصرة ، وهو منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، ولي خراسان في عهد الأمويين .

عن هجاء الناس وتعرف قدرك . فقال : ويحكم ! من هذا ! أما أحدٌ يُخبرني من هذا ؟ فقال له : على رِسْلِكَ ، أنا رجل من عُكْلٍ وخَالِي يبيع الفَحْمَ ، فما تقدر أن تقول في ؟ قال : لا شيء ، بأبي أنت أذهب في حفظ الله .

له في مدح خالد
البرمكي

وقيل : كان المُستَرَفِدون ^(١) يُسمَّون في قديم الزَّمان السُّؤال ، إلى أيام خالد بن يرمك ، فقال خالد : هذا والله أَسْمُ أَسْتَقْبَحه ^(٢) لطالب الخير ، وأرفع قدر الكريم أن يُسمَّى به هؤلاء المؤمنون ، لأنَّ فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النِّعيم ، ومن لعله خيرٌ ممن يقصد وأفضلُ أدباً ، ولكنَّا نسميهم الزُّوار . فقال بشار يمدحه :

حذا خالدٌ في فعله حَذُوَ بَرْمَكٍ فمجدُّ له مُستطرف ^(٣) وأثيلٌ
وكان ذَوُو الآمالِ يُدْعون قبله بلفظ على الإعدام فيه دليل
يُسمَّون بالسُّؤال في كلِّ مَوطن وإن كان فيهم نابهٌ وجليل
فسمَّاهم الزُّوارَ سَتَرًا عليهم فأستاره في المجتدين سُدُول

وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم فيها خالد بهذا الكلام في أمر الزُّوار ، فأعطاه لكل بيت ألف درهم .

هجاؤه جاراً له

وقيل : نهق حمار ليلةً بقرب بشار ، فخطر بباله بيتٌ ، فقال :

ما قام أيرُ حمارٍ فأمتلا شَبَقاً إلا تحرك عرقٌ في أُسْت « تَسْنِمِ »

ولم يرد تَسْنِماً بالهجاء ، لكنه لما بلغ إلى قوله « إلا تحرك عرق » قال : في أَسْت من ؟ في أَسْت من ؟ ومرَّ تسنيم بن الحواري ، وكان صديقه فسلم . فضحك ثم قال : في أَسْت تسنيم عَلم الله . فقال له : أيش ^(٤) ويحك ! فأنشده البيت .

(١) في بعض أصول الأغاني : « الزوار » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « أستثقله » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « وأصيل » مكان « وأثيل » .

(٤) أيش ، بمعنى : أي شيء . سمع عن العرب . وقيل : إنه مولد .

فقال له : عليك لعنة الله ! فما عندك فرق بين صديقك وعدوك ! أي شيء حملك على هذا ؟ ألا قلت : في أمت حماد الذي هجأك وفضحك وأعيأك ، وليست قافيتك على الميم فأعذررك ! فقال : صدقت والله في هذا كله ، ولكن ما زلت أقول : في أمت من ؟ ولا يخطر ببال أحد حتى مررت فسممت فرزقته . فقال له تسنيم : إذا كان هذا جواب السلام ، فلا سلم الله عليك ولا على حين سممت عليك . وجعل بشار يضحك ويصفق بيديه ، وتسنيم يشتمه .

وقيل : قالت امرأة بشار : ما أدري لم يهابك الناس مع قببح وجهك ! فقال لها بشار : ليس من حسنه يهاب الأسد .

بينه وبين زوجه
في هيبة الناس له

وقيل : دخل بشار على عتبة بن سلم وعنده عتبة بن روبة بن العجاج ، فأنشده عتبة بن روبة رجزاً يمدحه به . فسمعه بشار وجعل يستحسن ما قال إلى أن فرغ . ثم أقبل على بشار فقال : هذا طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ . فقال بشار : إلى يقال هذا ! أنا والله أرجز منك ومن أيك ومن جدك . فقال له عتبة بن روبة : أنا والله وأبي فتحنا باب الغريب والرجز ، وإني خلقي أن أسدده عليهم . فقال له بشار : أرحمهم يرحمك الله . قال عتبة : أتستخف بي يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ! فقال بشار : فأنت إذن من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ! ثم خرج من عند عتبة بن سلم مغضباً . فلما كان من الغد غداً على عتبة بن سلم وعنده عتبة بن روبة ، فأنشده أرجوزته التي أولها :

بينه وبين عتبة
ابن روبة في الرجز

يَا طَلَلِ الْحَيِّ بَذَاتِ^(١) الصَّمَدِ بالله خبر كيف كنت بعدى

يقول فيها :

فأمت تراءى إذ رأيتني وحدي كالشمس بين الزبرج^(٢) المنقذ

(١) الصمد : موضع في ديار بني يربوع . وقيل : هو ماء للضباب .

(٢) الزبرج : السحاب . والمنقذ : المتقطع .

صَدَّتْ بِحَدٍّ وَجَلَّتْ عَنْ حَدٍّ ثُمَّ أَتْنَتْ كَالنَّفْسِ الْمُرْتَدِّ
عَهْدِي بِهَا سَقِيًّا لَهُ مِنْ عَهْد تُخْلَفُ وَعِدًّا وَتَقِي بُوْعْد
فَنَحْنُ مِنْ جَهْدِ الْهَوَى فِي جَهْد وَزَاهِرٍ مِنْ سَبِطٍ وَجَعْد
ومنها :

وَافِقَ حَظًّا مِنْ سَعَى بِحَدٍّ مَاضِرًا أَهْلَ النَّوْكِ ضَعْفُ^(١) الْكَدِّ
الْحَرْثُ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحَفِ مِثْلُ الرَّدِّ
وَالنَّصْفُ يَكْفِيكَ مِنَ التَّعَدَّى وَصَاحِبِ كَالْدُمَلِّ^(٢) الْمِدِّ
حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي أَرْقُبُ مِنْهُ مِثْلُ يَوْمِ^(٣) الْوَرْدِ
حَتَّى مَضَى غَيْرَ فَقِيدِ الْفَقْدِ وَمَا دَرَى مَا رَغَبْتِي مِنْ زُهْدِي
يقول في مديحها :

مُشْتَرَكَ النَّيْلِ وَرِيَّ الزَّيْتِ أَغْرَّ لِبَاسَ ثِيَابِ الْحَمْدِ
مَا كَانَ مِنِّي لَكَ غَيْرُ الْوُدِّ ثُمَّ ثَنَاءٌ مِثْلُ رِيحِ الْوَرْدِ
فَطَرَبَ عُقْبَةَ بَنِ سَلَمٍ وَأَجْزَلَ صِلَتِهِ ، وَقَامَ عُقْبَةُ بْنُ رُوْبَةَ فَخَرَجَ عَنِ الْمَجْلِسِ
بِخَزْيٍ ، وَهَرَبَ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِ فَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ .

وقال بعضهم :

حَجَّ الْمَنْصُورُ فَأُسْتَقْبِلْنَاهُ بِالرَّضْمِ^(٤) الَّذِي بَيْنَ زُبَالَةَ^(٥) وَالشُّقُوقِ^(٦) . فَلَمَّا
رَحَلَ مِنَ الشُّقُوقِ رَحَلَ فِي وَقْتِ الْهَاجِرَةِ ، وَلَمْ يَرْكَبِ الْقُبَّةَ^(٧) وَرَكِبَ نَجْمِيًّا ، فَسَارَ

(١) في بعض أصول الأغاني : « الجلد » .

(٢) النصف : الإنصاف . والممد : الذي حدثت فيه المدة . (٣) الورد : من أسماء الحمى .

(٤) الرضم : الحجارة البيض المتراكبة . وهو يريد مكاناً بعينه .

(٥) زباله : منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة .

(٦) الشقوق : منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة . (٧) القبة : الهودج .

بيننا ، فجعلت الشمسُ تصُكُّ^(١) بين عينيه . فقال : إني قائلٌ بيتاً فمن أجازه
وهبتُ له جُبَّتِي هذه . فقلنا : يقول أمير المؤمنين . فقال :

وهاجرةٌ نصبتُ لها جَبِينِي يُقَطِّعُ حرُّها ظهرَ^(٢) العِظَايَةِ
فبدرنا بشار الأعمى فقال :

وقفتُ بها القُلُوصَ فغَاضَ دَمْعِي على خَدِّي وأقصر واعظايهِ
فنزع الجُبَّة وهو راكبٌ فدفعها إليه . قال : فقلت لبشار بعد ذلك : ما فعلتَ
بالجُبَّة ؟ فقال : بعثها والله بأربعمائة دينار .

وقيل : لما مدح بشار عُقْبَةَ بن سَلَم بأرجوزته التي تقدّم ذكرها أمر له
بخمسين ألف درهم . فأخبرها عنه وكيله ثلاثة أيّام . فأمر بشار غلامه أن يكتب
على باب عُقْبَةَ عن يمين الباب :

ما زالَ ما مَنَّيْنِي مِنْ هَمِّي والوعدُ غَمٌّ فأسترح^(٣) مِنْ غَمِّي
* إن لم تُرد مدحِي^(٤) فراقِبْ ذَمِّي *

فلما خرج عُقْبَةُ رأى ذلك ، فقال : هذه من فَعَلاتِ بشار ! ثم دعا
بالتَهْرَمَانِ^(٥) ، فقال له : هل حملتَ إلى بشار ما أمرتُ له به ؟ فقال : أيها الأمير ،
نحن مُضَيِّقُونَ ، وغداً أحمله إليه . فقال : زد فيه عشرة ألف درهم أخرى وأحملها
الساعة . فحملها من وقته .

وذُكِرَ أَنَّ الْمَهْدِيَّ نَهَى بِشَاراً أَنْ يَذْكُرَ النِّسَاءَ فِي شِعْرِهِ لِأُفْتِنَانِهِ بِهِ^(٦) ،

(١) في بعض أصول الأغاني : « تضحك » بمعنى تتألأأ .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « ظهرها » مكان « حرها » . والعظاية : دويبة تشبه سام أبرص .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « فأزح » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « حمدى » مكان « مدحى » .

(٥) التهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج . (٦) به ، أى بشعره .

هو والمهدى
وقد نهاه عن
ذكر النساء في
شعره

وكان المهدى أشد الناس غيرةً . فقيل للمهدى : ما أحسبُ هذا يكون أبلغ من شعر جميل ، وكثير ، وعروة بن حزام ، وقيس بن ذريح ، وتلك الطبقة . فقال المهدى : ليس كل من يسمع تلك الأشعار يفهم المراد منها ، وبشار يُقارب النساء حتى لا يخفى عليهن ما يقول وما يريد ، وأى حرة حصان تسمع قول بشار ولا يؤثر في قلبها ، فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التي لا هم لها إلا الرجال ! ثم أنشد المهدى قوله :

قَدْ لَامَنِي فِي خَلِيلَتِي عُمَرُ وَاللَّوْمُ فِي غَيْرِ كُنْهٍ ضَجَرُ
قَالَ أَفِقْ قُلْتُ لَا فَقَالَ بَلَى قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ مِنْكُمْ ^(١) الْخَبَرُ
قُلْتُ وَإِنْ شَاعَ مَا أَعْتَذَرِي ^(٢) مِمَّا لَيْسَ لِي فِيهِ عِنْدَهُمْ عُذْرُ
مَاذَا عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ خَرِسُوا لَوْ أَنَّهُمْ فِي عُيُوبِهِمْ نَظَرُوا
أَعَشَقَ وَخَدَى وَيُؤْخَذُونَ بِهِ كَالْتَّرْكِ تَغْزُو فَيَقْتُلُ الْخَزَرُ
حَسْبِي وَحَسْبُ الَّتِي كَلِفْتُ ^(٣) بِهَا مَنِّي وَمِنْهَا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ
أَوْ قُبْلَةً فِي خِلَالِ ذَاكَ وَمَا بَأْسٌ إِذَا لَمْ تُحَلَّلِ ^(٤) الْأُزْرُ
أَوْ عَصَّةً فِي ذِرَاعِهَا وَلَهَا فَوْقَ ذِرَاعِي مِنْ عَصِّهَا أَثَرُ
أَوْ لَمَسَةً دُونَ مِرْطِهَا ^(٥) بِيَدِي وَالْبَابُ قَدْ حَالَ دُونَهُ الشُّتْرُ
وَالسَّاقُ بَرَّاقَةٌ ^(٦) خَلَاخِلُهَا أَوْ مَصُّ رِيْقٍ وَقَدْ عَلَا ^(٧) الْبُهِرُ
وَاسْتَرَحْتَ الْكَفَّ لِلْعِرَاكِ وَقَا لَتْ إِيَّاهِ عَنِّي وَالِدَمْعُ مُنْحَدِرُ

(١) في بعض أصول الأغاني : « منكما » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « وإذ شاع ما اعتذارك » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « الذي كلفت به » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « لم تحل لي » .

(٥) المرط : كساء من خز أو كتان يؤتزر به .

(٦) في بعض أصول الأغاني : « مخلصها » مكان « خلاخلها » .

(٧) البهر ، بالضم ، وحرك للشعر : تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء .

أنهض فما أنت كالذي زعموا أنت وربّي مغازلٌ أشرُّ
 قد غابت اليومَ عنك حاضيتي والله لي فيك منك ينتصر
 ياربُّ خذ لي فقد ترى ضرعي من فاسق جاء مابه سكر
 أهوى إلى معضدي^(١) فرضضه ذو قوة ما يطاق مقتدر
 ألصق بي حيلة له خشنت ذات سوادٍ كأنها الإبر
 حتى علاني وأسرّتي^(٢) غيبٌ ويلى عليهم لو أنهم حضروا
 أقسم بالله لا نجوت بها فأذهب فانت المساور الظفر
 كيف بأمي إذا رأت شفتي أم كيف إن شاع منك ذا^(٣) الأثر
 قلت لها عند ذاك يا سكني لا بأس إني مجربٌ خير
 قولي لها بقة لها ظفر إن كان في البق ماله ظفر

ثم قال المهدى : مثل هذا الشعر يُميل القلوب ويُلين الصَّعب .

وقيل : وردَ بشار على خالد بن برمك ، وهو بفارس ، فأمتدحه ، فوعده ومطله ،
 فوقف على طريقه وهو يريد المسجد ، فأخذ بلجام بغلته وأنشده :

هو وخالد بن
 برمك وقد وعده
 فطله

أظلت علينا منك يوماً سحابة أضأت لنا برقاً وأبطأ رشاشها
 فلا غيمها يُجلى فيأْسَ طامعٍ ولا غيشها يأتي فيروى عطاشها
 فحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : لن تنصرف السحابة حتى
 تبُلِّك إن شاء الله تعالى .

وقيل :

هو وابن القعقاع

كان رجلٌ يُقال له سعد بن القعقاع يتقدّم بشاراً في الخلعة^(٤) . فقال

(١) المعضد : الدمليج . وهو حلى يلبس في المعصم . (٢) غيب : جمع غائب .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « الخبر » مكان « الأثر » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « في المجانة » .

لبشار، وكان يُنادمه : ويحك يا أبا مُعَاذ ! وقد نَسَبنا الناسُ إلى الزَّندقة ، فهل لك أن تَحْج بنا حِجَّةً تَنْفَى ذلك عَنَّا . قال : نِعَمْ ما رأيتَ ! فاشترىا بَعيراً وَمَحْمِلاً ، وركبا ، فلما مَرَّا بِزُرارة قال له : ويحك يا أبا مُعَاذ ! ثلثائه فرسخ متى نَقْطعها ! ملُّ بنا إلى زُرارة نَتَنَعَّم فيها ، فإذا قَلَّ الحاجُّ عارضناهم بالقادسية وجَزَزنا رُءوسنا ، فلم يَشْكُ أَحَدٌ من الناس أَنَّا جِئنا من الحجِّ . فقال له بشار : نِعَمْ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك ، فإنِّي أخاف أن تَفْضَحنا . قال : لا تخف . فلما إلى زُرارة ، فما زالا يَشْرَبان الخمر ويَفْسُقان ، فلما نَزَلَ الحاجُّ بالقادسية راجعين ، أخذَا بَعيراً وَمَحْمِلاً وَجَزَا^(١) شعورهما وأَقْبلا ، وتلقَّاهما الناسُ يَهْنِئُونهما . فقال سعدُ بن القَعْقاع :

ألم تَرَنِي وَبَشَّاراً حَجَجْنَا وكان الحجُّ من خير التَّجارَةِ
خرجنا طالبي سَفَرٍ بَعِيدٍ فمال بنا الطريقُ إلى زُرارِهِ
فأب الناسُ قد حَجَّوْا^(٢) جَمِيعاً وأبنا مُوقِرِينَ من الخَسارِهِ

وحكى داود بن رَزِين قال :

أتينا بَشَّاراً فَأَذَنَ لَنَا والمائدة بين يديه ، فلم يَدْعُنا إلى طَعامِهِ ، فلما أَكَل دَعَا بَطَسَتْ فَكَشَفَ عن سَوَّءَتِهِ فبال . ثم حَضَرَتِ الظُّهُرُ والعَصْرُ والمغرب^(٣) فلم يُصَلِّ . فدَنَونا منه فَقُلْنَا له : أنت أستاذنا وقد رأينا منك أَشياء^(٤) نَكْرَهها . قال : وما هي ؟ قلنا : دَخَلنا والطعامُ بين يديك فلم تَدْعُنا إليه . فقال : إنما أَذِنْتُ لَكُمْ لَتَأْكُلُوا ، ولو لم أَرُدْ أَن تَأْكُلُوا ما أَذِنْتُ لَكُمْ ؟ قلنا : ودعوتَ بِالطَّسْتِ فبُلَّتْ فيه ونحن حُضُور نَرَاكَ . فقال : أنا مكفوف وأنتم بُصراء ، وأنتم المأمورون

(١) في الأصل : « واستأصلا » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « وبروا » مكان « جميعاً » .

(٣) هذه الكلمة « والمغرب » ساقطة من أكثر أصول الأغاني .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « أنكرناها » مكان « نكرهها » .

بَغَضَ الْأَبْصَارَ دُونِي ، ثُمَّ مَهْ (١) ؟ قُلْنَا : حَضَرَتِ الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ وَالْمَغْرِبُ فَلَمْ تُصَلِّ .
قال : إِنَّ الَّذِي يَقْبَلُهَا تَفَارِيقَ يَقْبَلُهَا جُمْلَةً .

وقيل :

هو وثقيل جلس إليه

قَعَدَ رَجُلٌ إِلَى جَنْبِ بَشَّارٍ ، فَأُسْتَقْبِلَهُ بِشَّارٌ . فَضَرَطَ عَلَيْهِ بِشَارُضَرَّةً ، فَظَنَّ
الرَّجُلُ أَنَّهَا أَفْلَتَتْ مِنْهُ . ثُمَّ ضَرَطَ أُخْرَى . فَقَالَ : أَفْلَتَتْ . ثُمَّ ضَرَطَ ثَالِثَةً (٢) .
فَقَالَ : يَا أَبَا مُعَاذٍ ، مَا هَذَا ؟ قَالَ : مَهْ ! أَرَأَيْتَ أُمُ سَمِعْتَ ؟ قَالَ : بَلِ سَمِعْتُ
صَوْتًا قَبِيحًا . قَالَ : فَلَا تُصَدِّقْ حَتَّى تَرَى .

وَأَنشَدَ بَشَّارٌ فِي ثَقِيلٍ يَقَالُ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ :

شعر له في ثقيل

رَبِّمَا يَثْقُلُ الْجَلِيسُ وَإِنْ كَانَ خَفِيفًا فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ
كَيْفَ لَا تَحْمِلُ الْأَمَانَةَ أَرْضٌ حَمَلَتْ فَوْقَهَا أَبَا سُفْيَانَ

وقيل : أَنشَدَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ قَوْلَ بَشَّارِ الْأَعْمَى :

طرب الوليد بشعر له

أَيُّهَا السَّاقِيانِ صُبًّا شَرَابِي وَأُسْقِيَانِي مِنْ رِيْقِ بَيْضَاءِ (٣) رُودٍ
إِنَّ دَائِيَ الظَّمَاءُ وَإِنْ شِفَائِي شَرْبُهُ مِنْ رُضَابِ ثَغْرِ بَرُودٍ
وَلَهَا مَضْحَكٌ كَغُرِّ الْأَقَاحِي وَحَدِيثٌ كَالْوَشِيِّ وَشِيِّ الْبَرُودِ
نَزَلْتُ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ الْقَدِّ وَنَالْتُ زِيَادَةَ الْمُسْتَزِيدِ
ثُمَّ قَالَتْ نَلْقَاكَ بَعْدَ لَيْالٍ وَاللَّيَالِي يُبْلِنُ كُلَّ جَدِيدٍ
عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَائِي وَعِنْدِي زَافِرَاتٌ يَا كَلْنَ قَلْبَ الْجَلِيدِ

فَطَرَبَ الْوَلِيدُ وَقَالَ : مَنْ لِي بِمَزَاجِ كَأْسِي هَذِهِ مِنْ رِيْقِ سَلْمَى فَيَرْوَى ظَمْئِي
وَتَطْفَأُ غُلَّتِي ! ثُمَّ بَكَى حَتَّى مَزَجَ الْكَأْسَ بَدَمْعِهِ وَقَالَ : إِنَّ فَاتِنًا ذَاكَ فَهَذَا .

(١) مه ، أصلها «ما» فأبدلت الألف هاء للسكت . (٢) في بعض أصول الأغاني : «أخرى» .

(٣) الرود ، بالهمز وسهل : الشبهة الحسنة الشباب . (٤) في بعض أصول الأغاني : «وإني» .

هو وصديق طلب
منه ثيابا

وقيل : كان لبشار صديقٌ بَرَّاز ، فبعث إليه ذات يومٍ يطلبُ منه شيئاً من
الثياب بنسيئة ، فلم يُصادفها عنده . فقال يهجوهُ :

ألا إنَّ أبا^(١) بَدْر زَنَى في ليلةِ القَدْرِ
ولم يَرْعَ تعالى الله حُرمة ذلك^(٢) الشَّهر

وكتب بها في رُقعة وبعث بها إليه . وكان أبو بدر ممن يقول الشعر . فقلَّبها
وكتب في ظهرها :

ألا إنَّ أبا بَدْر له في ذلِّكم عُدْرُ
أنته أُمُّ بَشَّار وقد ضاق بها الأمرُ
فواثبها فجامعها وما ساعده الصَّبر

فلما قرئت على بشار غضب وندم على تعرُّضه لرجل لا نبأه له ، فجعل ينطح
برأسه غيظاً ، ثم قال : لا تعرَّضتُ لهجاء سَفَلَةٍ مثل هذا أبداً !

شعر له في جارية
للمهدى

وذُكر أن بشاراً دخل على المهديّ ، وقد عُرِضت عليه جاريةٌ مُغَنِّيَّة ، فسمع
غناءها فأطرب به ، وقال لبشار : قل في صِفَتها شعراً . فقال :

ورائحةٍ للعَيْن فيها^(٣) نَحِيْلَةٌ
إذا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعِيدٍ
خَفَا^(٤) بَرَقُهَا في عُصْفَرٍ^(٥) وعُقود
أَعِين بصَوْتٍ للقلوبِ صَيُود
مَراراً وتُحْيِيهِن بعدُهُود
تَمِيتُ به ألبابنا وقلوبنا

أنشد عقبة فوصله

وقيل :

(١) في بعض أصول الأغاني : « زيد » مكان « بدر » هنا وفيما سيأتي .

(٢) في بعض أصول الأغاني :

ولم يرع تعالى الله ربي حرمة الشهر

(٣) الرائحة : السحابة تجيء رواحا . والنحيلة : الظن . (٤) خفا البرق : لمع وظهر .

(٥) في عصفر ، يريد ثيابها المعصفرة . وفي بعض أصول الأغاني : « في عبقر » .

دخل بشار يوماً على عُقبة بن سَلَمٍ فأنشده قوله فيه :

إِنَّمَا الذَّةُ الْجَوَادُ أَبُو سَلَمٍ فِي عَطَاءٍ وَمَرَّ كَبِّ لِلْقَاءِ
لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوِ وَلَكِنْ يِلْذُ طَعْمِ الْعَطَاءِ
يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الْحَبُّ وَتَغْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ
فَعَلَى عُقْبَةِ السَّلَامِ مُقِيماً وَإِذَا سَارَتْ تَحْتَ ظِلِّ اللَّوَاءِ
فَوَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

وقيل :

مدح خالد بن
برمك فوصله

مدح بشارُ خالد بن برمك ، فقال فيه :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْدَى عَلَى ابْنِ بَرْمَكٍ وَمَا كُفِّلُ مِنْ كَانَ الْغِنَى عِنْدَهُ يُجْدِي
إِذَا جِئْتَهُ لِلْحَمْدِ أَشْرَقَ وَجْهُهُ إِلَيْكَ وَأَعْطَاكَ الْكَرِيمَةَ ^(١) بِالْحَمْدِ
لَهُ نِعَمٌ فِي الْحَمْدِ ^(٢) لَا يَسْتَتِيهَا جَزَاءً وَكَيْلَ التَّاجِرِ الْمُدَّ بِالْمُدِّ
مُفِيدٌ وَمِتْلَافٌ سَبِيلُ تَرَاتِيهِ إِذَا مَا غَدَا أَوْ رَاحَ كَالْجَزْرِ وَالْمُدِّ
أَخَالِدُ إِنْ الْحَمْدُ ^(٣) يَبْقَى لِأَهْلِهِ بَحَالاً وَلَا تَبْقَى الْكُنُوزُ عَلَى الْكَدِّ
فَأَطْعِمُ وَكُلُّ مَنْ عَارَةٍ مُسْتَرْدَّةٍ وَلَا تُبْقِهَا إِنْ الْعَوَارِي لِلرَّدِّ

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يُعْطِيهِ فِي كُلِّ وَفَادَةٍ خَمْسَةَ
آلَافِ دِرْهَمٍ . وَأَمْرُ خَالِدٍ أَنْ يُكْتَبَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي صَدْرِ مَجْلِسِهِ الَّذِي كَانَ
يَجْلِسُ فِيهِ ، وَقَالَ ابْنُهُ يُحْيَى بْنُ خَالِدٍ : آخِرُ مَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي الْعَمَلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ^(٤) .

وقيل : إِنَّ بَشَّارَ كَانَ يُعْطَى أَبَا الشَّعْمَقِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَائَتِي دِرْهَمٍ ، فَأَتَاهُ
أَبُو الشَّعْمَقِ فِي بَعْضِ تِلْكَ السَّنِينَ . فَقَالَ : هَلُمَّ الْجَزِيَّةَ يَا أَبَا مُعَاذٍ . فَقَالَ : وَيْحَكَ !

هو وأبو الشعثق

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « الْكَرَامَةُ » .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « فِي الْقَوْمِ » مَكَانَ « فِي الْحَمْدِ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : الْمَدْحُ « مَكَانَ » الْحَمْدُ . (٤) يَرِيدُ الْبَيْتَيْنِ الْآخِرَيْنِ .

أَوْ جَزِيَّةٍ مِنِّي أَيْضًا ! قَالَ : هُوَ مَا تَسْمَعُ . فَقَالَ لَهُ بَشَّارٌ يُمَازَحُهُ : أَنْتَ أَفْصَحُ مِنِّي ؟
 قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَعْلِمْ مِنِّي بِمِثَالِ النَّاسِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَشْعِرْ مِنِّي ؟ قَالَ :
 لَا . قَالَ : فَلِمَ أُعْطِيكَ ؟ قَالَ : لئَلَّا أَهْجُوكَ . فَقَالَ : إِنْ هَجَوْتَنِي هَجَوْتُكَ . فَقَالَ لَهُ
 أَبُو الشَّعْمَقِ : وَهَكَذَا هُوَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْ مَا بَدَا لَكَ . فَقَالَ أَبُو الشَّعْمَقِ :

إِنِّي إِذَا مَا شَاعِرٌ هَجَانِيَهُ وَلَجَّ فِي الْقَوْلِ لَهُ لِسَانِيَهُ
 أَدَخَلْتُهُ فِي أُسْتِ أُمِّهِ عَلَانِيَهُ بَشَّارُ يَا بَشَّارُ

وَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ « يَا بَنَ الزَّانِيَةِ » . فَوَثَبَ بَشَّارٌ وَأَمْسَكَ فَاهُ وَقَالَ : أَرَادَ
 وَاللَّهِ أَنْ يَشْتَمَنِي . ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ مَائَتِي دِرْهَمٍ وَقَالَ : لَا يَسْمَعَنَّ هَذَا مِنْكَ الصَّبِيَّانِ .
 وَقِيلَ :

أَمْرُ عُقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ لِبَشَّارٍ بَعْشَرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَأَخْبَرَ أَبُو الشَّعْمَقِ بِذَلِكَ ، فَوَافَى
 بَشَّارًا فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا مُعَاذٍ ، إِنِّي مَرَرْتُ بِصَبِيَّانِ يَلْعَبُونَ فَسَمِعْتُهُمْ يُذْشِدُونَ :

هَلِّلَيْنَاهُ هَلِّلَيْنَاهُ طَعْنَ قِثَاةً لَتَيْنَاهُ
 إِنْ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ تَيْسٌ أَعْمَى فِي سَفِينَةٍ

فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ بَشَّارٌ مَائَتِي دِرْهَمٍ وَقَالَ : خُذْ هَذِهِ وَلَا تَكُونَنَّ رَاوِيَةً لِلصَّبِيَّانِ .

هَجَاؤُهُ لِلْعَبَّاسِ
 ابْنِ مُحَمَّدٍ

وَقِيلَ :

اسْتَمْنَحَ بَشَّارٌ الْعَبَّاسَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَلَمْ يَمْنَحْهُ ،

فَقَالَ يَهْجُوهُ :

ظِلُّ الْيَسَارِ عَلَى الْعَبَّاسِ مَمْدُودُ وَقَلْبُهُ أَبَدًا بِالْبُخْلِ (١) مَعْقُودُ
 إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ جَعُودُ
 وَلِلْبُخْلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَالٌ زُرُقُ الْعُيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُودُ

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « فِي الْبُخْلِ » مَكَانَ « بِالْبُخْلِ » .

إذا تَكَرَّهْتَ أَنْ تُعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ
أُورِقْ بِخَيْرِ تَرْجَى لِلنَّوَالِ فَمَا
تَقْدِرُ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَنْفَعِ ^(١) الْجُودُ
بُثَّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ
تُرْجَى الثَّمَارَ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ
فَكُلُّ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ

وقال بعضهم :

بين إسحاق
الموصلى وبعضهم
في شعر بشار

كان إسحاق الموصلى يضع من شعر بشار ويقول : إن كلامه مختلف لا يشبه
بعضه بعضاً . فقلت : أتقول هذا القول لمن يقول :

إذا كنت في كُلِّ الأُمُورِ مُعَاتِبًا
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْصِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى
مُقَارِفُ ^(٢) ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
ظُمْتُ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبَهُ

شعر له نسب
للمتلهمس

وهذه الأبيات من قصيدة يمدح بها بشارُ ابن هُبيرة ، منها :

أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَـأَيَا بَنَاتِهَا
وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لَسْخَطْنَا
بَأْسِيافِنَا إِنَّا رَدَى مَن نُّحَارِبُهُ
رَكْبُنَا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مَثَقَفٍ
وَرَاقِبُنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نُرَاقِبُهُ
وَأَيُّضَ تَسْتَسْقِي الدَّمَاءَ مَضَارِبُهُ

وذكر أنه أدعى شبيل بن عَزْرَةَ ^(٣) أن هذه الأبيات الثلاثة المذكورة
للمتلهمس . وذكر ذلك لأبي عُبيدة . فأخبر أبو عُبيدة بذلك بشاراً . فقال : كذب
والله شبيل ! لقد مدحت ابن هُبيرة بهذه القصيدة فأعطاني أربعين ألفاً .

وذكر أنه لما خلع محمد الأمين أخاه عبد الله المأمون عن ولاية عهده ، ونَدَبَ
لِقَتَالِهِ عَلَى بَنِ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ ، نَدَبَ المأمون للقاء على بن عيسى طاهر بن الحسين

سؤال طاهر عن
عقب بشار ليبرهم

(١) في بعض أصول الأغاني : « لم يظهر » مكان « لم ينفع » .

(٢) مقارف : مرتكب .

(٣) في الأصل : « عروة » . والتصويب من شرح القاموس والطبري .

ابن مُصعب، وجلس لِعَرْضِهِ وَعَرَضَ أَصْحَابُهُ . فَمَرَّ ذُو الْيَمِينِ ^(١) مُعْتَرِضًا وَهُوَ يُنْشِدُ :
 رُوَيْدَ ^(٢) تَصَاهَلُ بِالْعِرَاقِ ^(٣) خِيُولُنَا كَأَنَّكَ بِالضَّحَّاكِ قَدْ قَامَ نَادِبُهُ
 فَتَفَاعَلَ الْمَأْمُونُ بِذَلِكَ ، وَأُسْتَدْنَاهُ فَدَنَا مِنْهُ ، وَأُسْتَعَادَهُ الْبَيْتَ ، فَأَعَادَهُ عَلَيْهِ .
 فَقَالَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ حَجَرُ الْعِرَاقِ ^(٤) . قَالَ : أَجَلٌ . فَلَمَّا
 صَارَ ذُو الْيَمِينِ طَاهِرًا إِلَى الْعِرَاقِ سَأَلَهُ : أَلَا هَلْ بَقِيَ مِنْ وَلَدِ بَشَّارٍ أَحَدٌ ؟ فَقَالُوا :
 لَا . قَالَ الرَّاوِي : فَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ هَمَّ لَهُمْ بِخَيْرٍ .

وقيل :

رضاءوه عن سلم
بعد غضب

غضب بشار على سلم الخاسر ، وكان من تلامذته ورؤاته ، فاستشفع عنده
 بجماعة من إخوانه . فجاءوه في أمره . فقال : كُلُّ حَاجَةٍ لَكُمْ مَقْضِيَّةٌ إِلَّا سَلَامًا .
 قَالُوا : مَا جِئْنَاكَ إِلَّا فِي سَلَمٍ ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَرْضَى عَنْهُ لَنَا . قَالَ : فَأَيْنَ هُوَ الْخَبِيثُ ؟
 قَالُوا : هَا هُوَ ذَا . فَقَامَ إِلَيْهِ سَلَمٌ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا مُعَاذٍ ،
 خَرَّيْجُكَ وَأَدْيُيْكَ . قَالَ : يَا سَلَمُ ، مَنْ الَّذِي يَقُولُ :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهِجُ

قال : أَنْتَ يَا أَبَا مُعَاذٍ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ : فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَةِ الْجَسُورُ

قال : خَرَّيْجُكَ يَقُولُ ذَلِكَ — يَعْنِي نَفْسُهُ — قَالَ : أَفَتَأْخُذُ مَعَانِيَ الَّتِي قَدْ
 عُتِيتَ بِهَا وَتَعَبْتَ فِي أُسْتِنْبَاطِهَا ، فَتَكْسُوهَا أَلْفَاظًا أَخْفَ مِنْ أَلْفَاظِي ، حَتَّى يُرَوَى

(١) قيل : لقب ذا اليمينين ، لأنه ضرب شخصا في وقعته مع علي بن ماهان ففقدته نصفين ،
 وكانت الضربة بيساره . فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتنا يديك يمين حين تضربه *

(٢) رويد ، إذا أردت بها الوعيد نصبتها بلا تنوين .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « جياندا » مكان « خيولنا » . (٤) يريد أن عليه المعول .

ما تقولُ ويذهبَ شعري ! لا أرضى عنك أبدا . قال : فما زال يتضرّع إليه
ويشفع له القومُ حتى رَضِيَ عنه .

وهذا البيتُ الذي ذكره بشار من قصيدة له ، منها :

لو كنتِ تلْقينِ ما نلتِ قسَمَ لَنَا يوماً نعيش به منكم ونَبْهَجُ
لا خير في العيش إن كُنَّا ^(١) كذا أبداً لا نلتقي وسبيلُ الملتقى ^(٢) نَهَجُ
قالوا حرامٌ تلاقينا فقلت لهم ما في التقاء ^(٣) ولا في قبلة حَرَجُ
وحكى بشار قال :

هو وحامدوا الأعشى
مع عقبة في مثل
أراده

دعاني عُقبة بن سلم ودعى بحماد عَجْرَد وأعشى باهلة ، فلما اجتمعنا عنده قال
لنا : إنه خطر ببالى البارحة مثل يتمثله الناسُ : « ذهب الحمار يطلبُ قرنين
فرجع بلا أذنين » فأخرجوه لى من الشعر ، ومن أخرجه فله خمسة آلاف درهم ،
فإن لم تفعلوا جلدتكم خمسمائة . فقال حماد : أجلنا أعزَّ الله الأمير شهراً . وقال
الأعشى : أجلنا أعزَّ الله الأمير أسبوعين . وبشار ساكت لا يتكلم . فقال له
عُقبة : مالك يا أعمى لا تتكلم ! أعمى الله قلبك ! قال : قد حَضَرَنِي — أصلح
الله الأمير — شىء ، فإن أمرتني قتلته . قال : قل . فقال :

شَطَّ بِسَلْمَى عاجِلُ البَيْنِ وجاورتُ أُسْدَ بَنَى القَيْنِ
ورنَّتِ النفسُ لها رَنَةً كادتُ بها تَنشِقُ نِصْفَيْنِ
يابِنتُ مَنْ لا أَشْتَهِي ذكره أخشى عليه عُلُقَ الشَّيْنِ
والله لو ألقاك لا أَتَقَى عينا لَقَبَلْتُكَ أَلْفَيْنِ
طالبُها دَينِي فراغتُ به وعَلَّقْتُ قَلْبِي مع الدَّيْنِ

(١) في معاهد التنصيص : « إن دمننا » .

(٢) نهج : بين واضح .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « ما في التلاقي » .

فصرت كالغير غدا^(١) يبتغي
قرناً فلم يرجع بأذنين
فانصرف بشار بالجائزة .

هو وإخوته

وقيل :

كان لبشار أخوان يُقال لأحدهما : بشر ، والآخر : بشير ، وكانا قصّابين ،
وكان أبوهما طيّاناً ، وكان بشار برّاً بأخويه ، على أنه ن ضيق الناس صدرأ متبرماً
بكل أحد ، فكان يقول : اللهم إني قد تبرّمت بنفسي وبالناس جميعاً ، اللهم
فأرحني منهم . وكان إخوته يستعيرون ثيابه فيوسّخونها ويُنْتِنون ريحها ، فأخذ
قيصاً له جيبان وحلف ألا يعيرهم ثوباً من ثيابه ، فكانوا يأخذونها بغير علمه ،
فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحته يقول ، إذا وجد رائحة كريهة من ثوبه :
« أينما أتوجه ألق سعداً »^(٢) . فإذا أعياه الأمر خرج على الناس في تلك الثياب
على نَدْنِها ووسّخها ، فيقال : ما هذا يا أبا معاذ ؟ فيقول : هذه ثمرة صلة الرّحم .

وقيل : إن بشاراً كان يقول الشعر وهو صَغير ، وكان أبوه يقول : ما رأيت
مولوداً أعظم بركةً منه ، لقد وُلِد لي وما عندي درهم واحد ، فما حال الحول حتى
جمعت مائتي درهم .

وكان بشار في صغره إذا هجا قوماً جاءوا إلى أبيه فشكّوه ، فيضربه ضرباً
شديداً ، وكانت أمه تقول له : لم تضرب هذا الصغير ؟ أما ترجمه ! فيقول : بلى
والله ، إني لأرحمه ولكنه يتعرّض للناس فيشكّونه إلى . فسمعه بشار فطمع فيه
وقال له : يا أبت ، إن هذا الذي يشكّونه إليك مني قولي الشعر ، وإنتي إن ألمت
عليه أغنيئك وسائر أهلي . فإذا شكّوني إليك فقل لهم : أليس الله جلّ وعزّ

(١) في بعض أصول الأغاني : « طالبا » مكان « يبتغي » .

(٢) هذا مثل يضرب لمن يلقى سوء المعاشرة في كل مكان . أصله أن الأصبط بن قريع كان سيد
قومه ، فرأى منهم جفوة فرحل عنهم إلى آخرين . فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك ، فقال هذا القول .

يقول : (ليسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ) . فَلَمَّا عَاوَدُوا شَكَّوْاهُ قَالَ لَهُمْ بُرْدٌ مَا قَالَهُ لَهُ
بِشَارٌ ، فَأَنْصَرَفُوا وَهُمْ يَقُولُونَ : فَقِهِ بُرْدٌ أَغِيظُ لَنَا مِنْ شِعْرِ بِشَارٍ .

وحكى بعضُ الشعراء قال :

بينه وبين بعض
الشعراء وقد أباحه
مألا له

أَتَيْتُ بِشَارًا الْأَعْمَى وَبَيْنَ يَدَيْهِ مَائَتَا دِينَارٍ . فَقَالَ : خُذْ مِنْهَا مَا شِئْتَ ،
أَوْ تَدْرِي مَا سَبَبُهَا ؟ قُلْتَ : لَا . قَالَ : جَاءَنِي فَتًى فَقَالَ لِي : أَنْتَ بِشَارٌ ؟ فَقُلْتَ :
نَعَمْ . قَالَ : إِنِّي آلَيْتُ أَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ مَائَتِي دِينَارٍ ، وَذَلِكَ أَنِّي عَشَقْتُ أُمْرَأَةً
وَجِئْتُ إِلَيْهَا وَكَلَّمْتُهَا ، فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيَّ ، فَهَمَمْتُ بِأَنْ أَتْرَكَهَا . ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَكَ :

لَا يُؤَيِّسُنَّكَ مِنْ مُخْبَأَةٍ قَوْلُهُ تَغْلِظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

فَعَدْتُ إِلَيْهَا وَلَا زِمْتُ فَنَاءَهَا ، فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى بَلَغْتُ مِنْهَا حَاجَتِي .

وقيل :

هجاؤه يزيده
ابن مزيد وسبب
ذلك

وَرَدَ بِشَارٌ بَغْدَادَ ، فَقَصَّدَ يَزِيدَ بْنَ مَزِيدٍ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَذْكُرَهُ لِلْمَهْدِيِّ ، فَسَوَّفَهُ
أَشْهَرًا . ثُمَّ وَرَدَ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ ، فَبَلَغَهُ خَبْرُ بِشَارٍ ، فَذَكَرَهُ لِلْمَهْدِيِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْقَاهُ .
فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . فَدَخَلَ إِلَى الْمَهْدِيِّ فَأَنْشَدَهُ شِعْرًا مَدَحَهُ بِهِ ، فَوَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ
دِرْهَمٍ ، وَوَهَبَ لَهُ عَبْدًا وَقَيْنَةً وَكِسَاءً كَثِيرَةً . فَقَالَ بِشَارٌ يَهْجُو يَزِيدَ
ابن مزيد :

وَلَمَّا التَّقَيْنَا بِالْجَنَيْنَةِ غَرَّنِي بِمَعْرُوفِهِ حَتَّى خَرَجْتُ^(١) أَفُوقُ
حَبَانِي بَعْدَ قَعَسَرِيَّ^(٢) وَقَيْنَةٍ وَوَشْنِي وَآلَافٍ لَهْنٍ بَرِيقُ
فَقُلْ لِيَزِيدٌ يَلْعَقُ الشَّهْدَ خَالِيًا لَنَا دُونَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ سُوقُ
رَقَدَتْ فَمَ يَا بَنَ الْخَبِيثَةِ إِنَّهَا مَكَارِمُ لَا يَسْتَطِيعُهُنَّ لَصِيقُ

(١) أفوق : قد أصابني الفواق . يشير إلى ما أثقله به من العطاء . (٢) القعسرى : الصلب الشديد .

مدح المهدي ثم
هجاه

ثم مدح المهدي بعد ذلك بقصيدة يقول فيها :

إلى ملكٍ من هاشمٍ في نبوة
ومن حميرٍ في الملك والعدد^(١) الدثر
من المشتريين الحمد تندي من التدي
يداه ويندي عارضاه من العطر
بنى لك عبد الله بيت خلافة
نزلت بها بين الفراقد والنسر
وعندك عهد من وصاة محمد
فرعت^(٢) به الأملاك من ولد النضر
فلم يحظ منه بشيء ، فقال يهجوّه :

خليفة يزني بعماته
يلعب بالدبوق^(٣) والصولجان
أبدلنا الله به غيره
ودس موسى في حر^(٤) الخيزران

هجاؤه المهدي
ويعقوب بن داود

وكان بشار قد قصد المهدي وزيره يعقوب بن داود بن طهمان ، فمدح يعقوب فلم يعطه شيئاً ، ومرّ يعقوب ببشار يريد منزله ، فصاح به بشار :

بنى أمية هبوا طال نومكم
إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتيسوا
خليفة الله بين الزق والعود

هجاؤه صالح
ابن داود

وكان المهدي ولي صالح بن داود ، أخا يعقوب ، البصرة . فقال بشار يهجوّه :

هم حملوا فوق المنابر صالحاً
أخاك فضجت من أخيك المنابر

سبب هجائه
المهدي

ولازم بشار باب يعقوب مدة ، فلم يعطه شيئاً . فانصرف إلى البصرة مغضباً . فلما قدم المهدي البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء . وكان ذلك كله على يد يعقوب . فلم يعط بشاراً شيئاً من ذلك . فجاء بشار إلى حلقة يونس النحوي . فقال : هل هاهنا أحد يحترسهم ؟ فقالوا : لا . فقال : « خليفة يزني بعماته » . البيتين .

(١) الدثر : الكثير من كل شيء .

(٢) الوصاة : الوصية . وفرعت : علوت بالشرف .

(٣) الدبوق : من لعب صبيان العرب .

(٤) الخيزران : من جوارى المهدي ، وهى أم ولديه : موسى ، وهارون .

فبلغ ذلك يعقوب . فدخل على المهدي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أبلغ من قدر هذا الأعمى
المشرك أن يهجو أمير المؤمنين ! قال : ويحك ، وما قال : قال : يُعفيني أمير المؤمنين
من إنشاده . فقال : لا بحياتي أنشدني . فقال : والله لو خيرتني بين إنشادي إياه
وضرب عنقي لاخترتُ ضرب عنقي . فحلف عليه المهديُّ بالآيمان التي لا فُسحة
فيها أن يخبره . فقال : أمّا لفظاً فلا ، ولكنّي أكتبُ بذلك . فكتب ودفعه
إليه . فكاد ينشقّ غيظاً .

وقد قيل إنّ ذلك كان قبل أن ينحدر المهديُّ إلى البصرة . فعزم على الانحدار
إليها والنظر في أمرها . وما وكّده^(١) غير بشار . فلما بلغ إلى البطيحة سمع ذائناً
في وقت ضحى النهار ، فقال : انظروا ما هذا الأذان ! فإذا بشار يؤذّن سكران .
فقال له : يا زنديق ! يا عاضّ بظر أمه ! عجبتُ أن يكون هذا لغيرك . أتلهو بالأذان
في غير وقت الصلاة وأنت سكران . ثم دعا بأبن نهيك فأمره بضربه بالسوط .
فضرب بين يديه على صدر الحراقة^(٢) سبعين سوطاً أتلفه فيها . وكان إذا أصابه
يقول : حسّ — وهي كلمة تقولها العربُ للشيء إذا أوجع — فقال له بعضهم :
انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين ، يقول : حسّ ، ولا يقول : باسم الله . فقال :
ويلك ! أطعامٌ هو فأسمي الله عليه . فقال له آخر : أفلا قلت : الحمد لله . فقال :
أونعمة هي حتى أحمد الله عليها ! فلما ضربه سبعين سوطاً بان الموتُ فيه ، فألقى
في سفينة حتى مات ثم رُمي في البطيحة . فجاء أهله فحملوه إلى البصرة فدُفن بها .
وقيل : لما ضرب بالسياط وطُرح في السفينة قال : ليت عين أبي الشمقمق
رأتني حيث يقول :

إِنَّ بَشَّارَ بْنَ بُرْدٍ تَيْسٌ أَعْمَى فِي سَفِينَةٍ^(٣)

(١) وكده : قصده . (٢) الحراقة : سفينة فيها مراعى نيران يرمى بها العدو .

(٣) قال الجاحظ في الحيوان : كان العرب إذا هجوا إنساناً بالغباوة أو بالنتن قالوا : إنما هو
تيس . فإذا أرادوا الغاية في الغباوة : قالوا : ما هو إلا تيس في سفينة .

وقيل : إنه لما ضرب ما بقي بالبصرة شريفاً إلا بعث إليه بالقرش والكسوة والهدايا .

وفاته

وكانت وفاته وقد ناهز التسعين سنة .

وقيل : مات سنة ثمان وستين ومائة ، وقد بلغ نيفاً وتسعين سنة .

وحكى سالم بن عليّ قال : كنّا عند يونس ، فنعى بشاراً لنا ناع . فأنكر يونس ذلك وقال : لم يمّت . فقال الرجل : أنا رأيت قبره . فقال : أنت رأيته ؟ قال : نعم ، وإلا فعلى وعلى . وحلف له حتى رضى . فقال يونس : لليدين واللفم^(١) .

وحكى بعضهم قال : لما مات بشار ألقيت جثته في البطيحة . فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة البصرة . فأخذ وأتى به منزله ، فدفنه أهله . وكان كثيراً ما ينشدني :

سترى حول سريري حُسرًا يَلَطِمنَ لَطْمًا
يا قتيلاً قتلته عبدة الحوراء ظمًا

فخرجت جنازته فما تبعها أحدٌ إلا أمة له سندية عجماء ، رأيته خلف جنازته تصيح : وا سيّدها ! وا سيّدها ! ما تفصح .

وحكى سالم بن عليّ قال :

لما مات بشار ونعى إلى أهل البصرة تباشر عامّتهم وهنّاً بعضهم بعضاً وحمدوا الله وتصدّقوا ، لما كانوا منوّاً به من لسانه .

قال أبو هاشم الباهليّ في قتله :

يا بُؤسَ ميّتٍ لم يَبْكِه أحدٌ
لا أمّ أولاده بكّته ولم
أجل ولم يَفْتَقِده مُفْتَقِدٌ
يَبْكُ عليه لفرقةٍ ولد
ولا ابنٌ أخت بكي ولا ابنٌ أخ
ولا حميمٌ رقت له كبد

شعر الباهليّ في
الشجاعة بموته

(١) مثل يقال عند الشجاعة بسقوط إنسان . والمراد : أسقطه الله على يديه ورجليه .

بل زعموا أن أهله فرحاً
وقال أيضاً في ذلك :

قد تبع الأعمى قفا عَجْرَدٍ
فأصبحا جارين في دارِ
قالت بقاع الأرض لا مرحباً
برُوح حماد وبشّار
تجاوزاً بعد تنائيهما
ما أبغض الجار إلى الجار
صاراً جميعاً في يدَي مالكٍ
في النار والكافر في النار

وقيل :

ندم المهدي على
قتله

لما قتل المهديّ بشاراً بعث إلى منزله من يفتّشه ، وكان يهتم بالزندقة ، فوجد
في منزله طومار^(١) فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . إنّي أردتُ هجاء آل سليمان
ابن عليّ فذكرتُ قرباتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكتُ عنهم
إجلالاً له صلى الله عليه وسلم . على أنّي كنتُ قد قلتُ فيهم :

دينارُ آل سليمانٍ ودرهمهم
كالبلبلين خفاً بالعفاريت^(٢)
لا يبصران ولا يرجي لقاءهما
كما سمعتُ بهاروت وماروت^(٣)

فلما قرأه المهديّ بكى وندم على قتله ، وقال : لا جزى الله يعقوب بن داود
خيراً ! فإنه لما هجاه لفق عندي شهوداً على أنه زنديق فقتلته ، ثم ندمتُ حين
لا يغني الندم .

شعره الذي فيه
الغناء

وقد ذكر أبو الفرج أخباراً لبشار مع عبدة ، ومع حماد عجرد ، ومع أبي هاشم
الباهلي ، في مواضع من كتابه تذكرة إن شاء الله في مواضعها .

والشعر الذي فيه الغناء لبشار ، وأفتتح به أبو الفرج أخباره هو :

* حوراء إن نظرت *

وقد تقدّم ذكر هذه الأبيات .

(١) الطومار : الصحيفة .

(٢) نسبة إلى بابل ، وهي ناحية فيها الكوفة والحلة ، تعرف بالسحر والخمر .

(٣) هاروت وماروت : ملكان . وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى (وما أنزل

على الملكين ببابل هاروت وماروت) .

أخبار يزيد حوزاء

هو رجل من أهل المدينة . ثم من موالى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة
ابن كِنانة . ويكنى أبا خالد . مُغْنٍ محسن كثير الصَّنعة . من طبقة ابن جامع
وإبراهيم الموصلي . وكان ممن قَدِمَ على المهدي في خلافته وغناه . وكان حسن
الصَّوت حلَّو الشَّمال .

وذُكر أنه كان صديقاً لأبي العتاهية . فقال أبو العتاهية أبيتاً في أمر عتبة
يتنجز بها المهدي ما كان وعده إياه من تزويجه بها ، فإذا وجد من المهدي طيب
نفس غناه بها ، وهي :

ولقد تَنَسَّمتُ الرِّيحَ لحاجتي فإذا لها من راحتِكَ نَسِيمُ
أعلقتُ^(١) نفسي من رَجَائِكَ ماله عَنقٌ إِلَيْكَ يَحُبُّ بِي^(٢) ورَسِيمُ
ورَميتُ نَحْوَ سَمَاءِ جُودِكَ^(٣) ناظِري أرغى مخايلَ بَرَقَها^(٤) وأَشِيمُ
ولربما أَسْتِيأَسْتُ ثم أقول لا إنَّ الذي وَعَدَ^(٥) النَّجَّاحَ كَرِيمُ

فَصنع فيه لحناً وتوخى لها وقتاً وجد المهدي فيه طيبَ النفس ، فغناه به .
فدعا بأبي العتاهية وقال له : أمّا عتبة فلا سبيلَ إليها ، لأن مولاتها قد منعت
منها^(٦) ، ولكن هذه خمسون ألف درهم فاشتر بيعضها خيراً من عتبة . فحملت
إليه وأنصرف .

(١) في بعض أصول الأغاني : « أشربت » .

(٢) العنق والوسيم : ضربان من ضروب السير .

(٣) الجود ، بالفتح : المطر الغزير . ويصح أن يكون بضم الجيم . والذي في زهر الآداب :

« صوبك » . (٤) في بعض أصول الأغاني : « برقه » .

(٥) في بعض أصول الأغاني : « ضمن » مكان « وعد » .

(٦) في بعض أصول الأغاني : « من ذلك » مكان « منها » .

وكان أبو العتاهية قبل ذلك قد سأل يزيدَ حوراء أن يكلم المهدى في أمر عتبة . فقال : إن الكلام لا يمكنني ، ولكن قل شعراً أغنيته به . فقال :

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مُعَلَّقَةٌ اللَّهُ وَالْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ يَكْفِيهَا
إِنِّي لِأَيَّاسٍ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمَعُنِي فِيهَا أُحْتَقَارُكَ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

قال : فعملتُ فيه لحناً وغنيتُهُ به . فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبرَ أبي العتاهية . فقال : ننظر فيما سأل . فأخبرتُ بذلك أبا العتاهية . ثم مضى شهرٌ فجاءني فقال : هل حدث خبر ؟ فقلتُ : لا . قال : فاذكرني للمهدى . فقلت : إن أحببتَ ذلك فقل شعراً تحركه به وتذكره وعده حتى أغنيته به . فقال :

لَيْتَ شِعْرِي مَا عِنْدَكُمْ لَيْتَ شِعْرِي فَلَقَدْ أَخَّرَ الْجَوَابُ لَأَمْرِ
مَا جَوَابٌ أُولَى بِكُلِّ جَمِيلٍ مِنْ جَوَابٍ يُرَدُّ مِنْ بَعْدِ شَهْرٍ

قال يزيدُ : فغنيتُ به المهدى . فقال : علىَّ بعتبة . فأحضرت . فقال : إن أبا العتاهية كَلَّمَنِي فَيْكَ ، فَمَا تَقُولِينَ ، وَعِنْدِي لَكَ وَلَهُ كُلُّ مَا تُحِبَّانِ مَا لَا تَبْلُغُهُ أَمَانِيكَا ؟ فقالت له : قد علم أميرُ المؤمنين ما أوجب الله علىَّ من حقِّ مولاتي ، وأريد أن أذكرَ هذا لها . قال : فأفعلِي . وأعلمتُ أبا العتاهية . ومضتْ أيام . فسألني معاودة المهدى . فقلتُ : قد عرفتَ الطريقَ فقل ما شئتَ حتى أغنيته به . فقال الأبيات الميمية المتقدمة ^(١) . قال يزيد : فغنيتُهُ الشعر . فقال : علىَّ بعتبة . فجاءت . فقال : ما صنعتِ ؟ فقالت : ذكرتُ ذلك لمولاتي فكرهته وأبته ، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يريد . فقال : ما كنتُ لأفعل شيئاً تكرهه ، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك . فقال :

قَطَعْتُ مِنْكَ جَبَائِلَ الْأَمَالِ وَأَرَحْتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرَحَالٍ

(١) انظر (ص ٤٠٧) من هذا الجزء .

ما كان أشأم إذ رجاؤك^(١) قاتل
و بناتٌ وعدك يعتلجن^(٢) ببالي
ولئن طمعتُ لرُبَّ بركةٍ خلَّب
مالتُ بذى طمعٍ ولمعةِ آل

وحكى يزيد حوراء قال : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قریش ، فكانت تمرُّ بى جاريةٌ تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها الغناء ، فقلت لها يوماً : أفهمى وردى جوابى وكونى عند ظنى . فقالت : هات ما عندك ؟ فقلت : بالله ما أسمعك ؟ فقالت : مُنَّعة . فأطرقت طيرةً^(٣) من أسماها ، مع طمعى فيها . ثم قلت : بل باذلة أومبذولة^(٤) إن شاء الله ، فاسمعى منى . فقالت : وهى تبتسم ، إن كان عندك شىء فقل . فقلت :

ليهنك^(٥) منى أننى لست مُفشيًا هواك إلى غيرى ولو مُتُّ من كرب
ولا مانحاً خلقاً سواك مودتى ولا قائلاً ما عشتُ من حُبكم حسبى
قال : فنظرت إلى طويلاً ثم قالت : أنشدك الله ، أعن فرط محبة أم أحتاج غُمة تكلمت ؟ فقلت : لا والله ، ولكن عن فرط محبة . فقالت :

فوالله رب الناس لا خُنْتُك الهوى ولا زلتَ مخصوصَ المحبة من قلبى
فثق بى فإننى قد وثقتُ ولا تكن على غير ما أظهرت لى يا أبا الحب
قال : فوالله لكأما أضمرت قلبى ناراً . فكانت تلقانى فى الطريق التى كانت تسلكه فتحدثنى وأتفرج^(٦) بها . ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء . فكانت تكاتبنى وتلاطفنى دهرًا طويلاً .

(١) فى زهر الآداب : « قاذى » مكان « قاتل » .

(٢) يعتلجن : يخطرن . (٣) طيرة : شؤما .

(٤) فى بعض أصول الأغاني : « ومبذولة » .

(٥) المسموع : ليهنك « و » ليهنيك « وعدوا » ليهنك « من كلام العامة . وقال الزبيدى :

إنها وردت فى صحيح البخارى .

(٦) أتفرج بها ، أى أصير بها ذا فرج .

وحكى عبدُ الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال :

كان يزيدُ حوراءَ نظيفاً ظريفاً حسنَ الوجه شكلاً^(١) ، لم يقدّم علينا من الحجا
أنظفُ منه ولا أشكل ، وما كنت تشاء أن ترى خصلةً جميلة لا تراها في أحد
إلا رأيتها فيه ، وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي على ابن جامع ، فكان إبراهيم
يرفع منه وينبّه على مواضع تقدّمه وإحسانه ويبعثُ ابنه إسحاق فيأخذُ عنه .
وكان صديقاً لأبي مالك التميمي الأعرج لا يكاد يفارقه ، فمرض مرضاً
شديداً واحتضر ، فأغتم عليه الرشيدُ وبعث بمسروورٍ مراتٍ يسأل عنه . ثم
مات . فقال أبو مالك يرثيه :

من صفته

موته ورثاء أبي
مالك له

لم يمتّع من الشباب يزيدُ
خانهُ دهرُهُ وقابلهُ منهُ
حين زُفت دُنياهُ من كُلِّ وجهُ
فكان لم يكن يزيدُ ولم يشُ
صار في الثرب وهو غَضٌّ جديدُ
ه بنحسٍ ودابرتهُ^(٢) السُّعود
وتداني منها إليه البعيد
جُ نديماً يهزُهُ التفرّيد

(١) شكل : ذو دل وغزل .

(٢) دابرتهُ : ولته دبرها ولم تقبل عليه .

أخبار عكاشة العُمي

هو عكاشة بن عبد الصمد . من أهل البصرة من بني العم . وأصل بني العم أصله وأصل قومه كلدفوع ، يقال : إنهم نزلوا في بني تميم بالبصرة في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأسلموا وغزوا مع المسلمين ومحمد ^(١) بلاؤهم . فقال الناس لهم : أتم وإن لم تكونوا من العرب ، إخواننا وأهلنا ، فأنتم الأنصار والإخوان وبنو العم . فلقبوا بذلك . فصاروا في جملة العرب .

وعكاشة شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ، ليس ممن شهر وشاع شعره مكانته في الشعر عند الناس ، ولا ممن خدم الخلفاء ومدحهم .

وكان يهوى امرأة يقال لها : نعيم . وله فيها :

شعر في امرأة
هويها

علام حبلى الوفاء ^(٢) منصرف	وفيم عني الصدود والصمم
يارب خذلى من الوشاة إذا	قاموا وقمنا لديك ^(٣) نختصم
من حل ^(٤) حبلى الوفاء سيدي	منك ومن سامنى له العدم
قد عيل صبرى وأنت لاهية	عنى وقلبي عليك يضطرم
دبوا إليها يوسوسون لها	كى يستزلوا حبيبتي زعموا
هيات من ذاك ضل سعيهم	ما قلبها المستعار يقتسم
يا حاسدين موتوا بغيظكم	حبلى متين بقولها نعم
بالله لا تشمتى العداة بنا	كونى كقلبي فلست أتهم

(١) في بعض أصول الأغاني : « وحسن » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « الصفاء » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « إليك » مكان « لديك » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « جد » مكان « حل » .

وله فيها من أبيات يصف مجلساً كان له معها :

إذا نحن نسقاها شمولاً قرّفاً تدع الصّحيح بعقّلة مُرتاباً
حمرء مثل دم الغزال وتارةً بعد المزاج تخالها زرياباً
من كفّ جارية كأنّ بنانها من فضّة قد قُمّعت عناباً
والعود مُتّبع غناء خريدةً غرداً يقول كما تقول صواباً
وكان يَمْنَاها إذا نطقت به تَمْلِي^(١) على يدها الشّمال حساباً

وذُكر أن عكاشة أنشد المهديّ قوله في الخمر :

هو والمهديّ وقد
أراد حده

حمرء مثل دم الغزال وتارةً عند^(٢) المزاج تخالها زرياباً

فقال له المهديّ : لقد أحسنت في وصفها إحسان من قد شربها ، ولقد
استحققت الحدّ . فقال : أيؤمّني أمير المؤمنين حتى أتكلّم بجُجتي ؟ فقال :
قد أمنتك . قال : وما يدريك يا أمير المؤمنين أننى أحسنت وأجدتُ صِفَتها إن
كنت لا تعرفها ؟ فقال المهديّ : أغرب قبحك الله .

ومن جيّد شعره قوله :

من شعره

وجاءوا إليه بالتّعاويد والرّقى وصَبّوا عليه الماء من شدّة^(٣) النّكسِ
وقالوا به من أعين الجنّ نظرةً ولو صدّقوا قالوا به أعين الإنسِ
وقال أيضاً :

طَرَفِي يذوب وماء طَرَفِكَ جامدٌ وعلى من سِما هوائك شواهدٌ
هذا هوائك قَسَمَتِهِ بين الورى ومنحتني أرقاً وطَرَفُكَ راقدٌ
فعلى منهُ اليوم تسعةُ أسْهُمٍ وعلى جميع الناسِ سَهْمٌ واحدٌ

(١) في بعض أصول الأغاني : « تلتقى » مكان « تملّي » .

(٢) فيما مر : « بعد » .

(٣) النكس ، بضم النون : العود في المرض .

ذِكْرُ الْحَادِرَةِ (*)

وهو قُطْبَةُ بن أوس بن مُحْصَن بن جَرْوَل بن حَبِيب الغطفاني ، ثم المازني . نسبه ولقبه والحادرة ، والحويدرة : لقبان له .

وهو شاعر جاهليٌّ مُقِلٌّ . ذكر أبو الفرج شيئاً من أخباره وأشعاره . ولم بعض شعره أرتض شيئاً منها . والشعر الذي يُعْنَى به وأُفتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

بكرتُ سُمَيَّةَ غُدُوَّةً فَتَمَتَّعِي وَغَدْتُ غُدُوَّ مُفَارِقٍ ^(١) لَمْ يَرَبَعِ
وَتَعَرَّضْتُ لَكَ فَأُسْتَبْتِكَ بِوَاضِحٍ ^(٢) صَلَّاتٍ كَمُنْتَصِصٍ الْغَزَالِ الْأَتْلَعِ

وهذا من قصيدة ، منها :

أَسْمَى مَا يُدْرِيكَ كَمَ مِنْ فَتْيَةٍ بَاكَرْتُ ^(٣) لَذَّتْهُمْ بِأَدَكْنٍ مُتَرَعٍ
بَكَّرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحَتْهُمْ مِنْ عَاتِقِ كَدَمِ الذَّبِيحِ ^(٤) مُشَعَّشِعٍ
وذكر بعض أهل المدينة أنه كان حسان بن ثابت الأنصاري رحمه الله ، إذا تنوشدت الأشعار في موضع كذا وكذا ، يقول : فهل أنشدت كلمة الحويدرة :

* بَكَرْتُ سُمَيَّةَ غُدُوَّةً فَتَمَتَّعِي *

قيل : هذه القصيدة من مُخْتَارِ الشُّعْرِ ، أَصْمَعِيَّةٌ مُفَضِّلِيَّةٌ ^(٥) .

(*) أسقط ابن واصل قبل أخبار الحادرة « أخبار عبد الرحيم الدفاف » . وهو مغن كان في أيام الرشيد . ولم يورد له أبو الفرج غير كلمات قليلة .

(١) فتمتعي ، يخاطب نفسه . أي تمتعي منها قبل فراقها . ولم يربع : لم يقيم .

(٢) استبتك : غلبتك . والواضح الصلت ، أي عنقها الطويل . والمنصب : المنتصب .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « بادر » مكان « باكرت » . والأدكن المترع ، يعني الزرق .

(٤) المشعشع : المرقق .

(٥) أي ذكرها الأصمعي في أصمعياته . والمفضل في مفضلياته .

أخبار ابن مسجح

هو سعيد بن مسجح ، أبو عثمان ، مولى بني جحج . وقيل : مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب . مكّي أسود ، مُعَنَّ متقدّم من فحول المغنّين وأكابرهم ، ومن أول من صنع الغناء منهم . ونقل غناء الفُرس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشام فأخذ ألحان الرُّوم وتعلّم منهم الضرب ، ثم قدّم الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم . وأخذ عنه عبيد بن سريج ، وأخذ الغريض عن ابن سريج .

نسبه ومنزلته في الغناء

وقيل : لما حُصر ابن الزبير بمكة ، وهو الحصار الأول في زمن يزيد بن معاوية ، سمع ابن الزبير أصواتاً من الليل فوق الجبل ، خاف أن يكون أهل الشام قد وصلوا إليه ، وكانت ليلة ظمأ ذات ريح صعبة ورعد وبرق ، فرفع ناراً على رأس رُمح لينظر إلى الناس . فأطارتها الرّيح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها ، وأستطالت فيها ، وجهد الناس في إطفائها فلم يقدرُوا . فأصبحت الكعبة تنهافت^(١) . وماتت امرأة من قُرَيْش ، فخرج الناس كلهم في جنازتها خوفاً من أن ينزل العذاب عليهم . وأصبح عبدُ الله بن الزبير ساجداً يدعو ويقول : اللهم إني لم أعتمد ما جرى ، فلا تهلك عبادك بذنبي ، وهذه ناصيتي بين يديك . فلما تعالى النهار أمن وتراجع الناس ، فقال لهم : الله الله أن ينهدم في بيت أحدكم حجرٌ أو ينزل عن موضعه فينييه ويصلحه وأترك الكعبة خراباً . ثم هدم الكعبة مُبتدئاً بيده ، ثم تبعه القَعْلَةُ حتى بلغوا قواعد إبراهيم عليه السلام . ودعا بينائين من الفُرس والرُّوم فبناها . وكانوا يبنون الكعبة ويتغنّون بالفارسيّة ، فسمع ابن مسجح ذلك ، فتعلّم الغناء منهم .

سبب تعلمه الغناء

(١) تنهافت : تتساقط حجرا حجرا .

للمؤلف في هدم
ابن الزبير الكعبة

قلت : لما هدم ابن الزبير الكعبة أدخل فيها الحجر ، وجعل لها بابين متقابلين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ، وذلك لحديث بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أنه قال عليه السلام لعائشة رضي الله عنها : لولا أن قومك حديثو عهد بالكفر لأدخلت الحجر فيها ، وجعلت لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر . وبقي الأمر على ذلك إلى آخر أيام ابن الزبير ، فلما قُتل وُصف الأمر لعبد الملك بن مروان ، وولى الحجاز الحجاج بن يوسف ، هدم الحجاج الكعبة ثانياً وأخرج منها الحجر وأبقى لها باباً واحداً ، على الأمر الذي كانت عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يعرض للكعبة شرفها الله بعد ذلك شيء إلى سنة سبع عشرة وثلثمائة ، في خلافة المقتدر ، فقصدتها أبو طاهر القرمطي الجنابي^(١) ، لعنه الله ، صاحب هجر ، في الموسم ، فقتل الناس في الطواف وألقى جثث القتلى بزمرم ، واقتلع الحجر الأسود وحمله إلى هجر ، وبقي عنده إلى أن هلك وولى أولاده . ثم اشترى منهم بمبلغ كبير ورد إلى موضعه^(٢) .

اتصاله بعبد الملك

وذكر أن عبد الملك بن مروان بلغه أن عبداً أسود يقال له : سعيد بن مسجح ، قد أفسد فتيان قریش وأنفقوا عليه أموالهم ، فكتب إلى عامله بمكة : أن أقبض ما له وسيّره . ففعل . فتوجه ابن مسجح إلى الشام . فلما دخل مسجدَهَا سأل : من أخص الناس بأمير المؤمنين ؟ ف قيل : هؤلاء النفر من قریش و بنى عمّه . فوقف عليهم وسلم . ثم قال : يا فتيان ، هل فيكم من يُضيف رجلاً غريباً من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعض ، وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قينة يقال لها : « بَرَق الأفق » فتشاقلوا به إلا فتى منهم تذمّم^(٣) . فقال له : أنا أضيفك ، وقال

(١) هو أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي ، زعيم القرامطة . ينسب إلى جنابة ، بلد في

فارس . مات سنة ٣٣٢ هـ . (٢) كان ذلك سنة (٣٣٩ هـ) أيام المطيع لله .

(٣) تذمّم : خشي الذم واللوم .

لأصحابه : أنطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضيفي . قالوا : بل تجيء معنا أنت وضيفك . فذهبوا جميعاً إلى بيت القينة . فلما أتوا بالغداء ، قال لهم سعيد : إني رجلٌ أسودٌ . ولعلَّ فيكم من يَقْدَرُنِي ، فأنا أجلس وآكل ناحيةً ، وقام . فأستَحْيُوا منه وبعثوا إليه بما يأكل . فلما صاروا إلى الشَّراب قال لهم مثلَ ذلك في أمر الشراب . ففعلوا به كذلك . وأخرجوا جاريَتَيْن فجلستا على سريرٍ قد وُضع لهما . فغَنَّتَا إلى العشاء ، ثم دخلتا . وخرجتْ جاريةٌ حسنةُ الوجه والهيئة ، وهي معهما ، فجلستا أسفل السرير عن يمينه وشماله ، وجلستْ هي على السرير . قال ابنُ مسجح : فتمثلت هذا البيت :

فقلتُ أشمسُ أم مصاييحُ بيعةٍ بدتْ لك خلفَ السَّجفِ أم أنت حالمُ
فغضبتُ الجاريةُ وقالت : أيضرب مثلُ هذا الأسودِ بي الأمثال ! فنظروا
إلىَّ نظراً مُنكراً . ولم يزلوا يسكنونها . ثم غنَّت صوتاً . فقال ابنُ مسجح :
أحسنَتِ والله ! فغَضِبَ مولاهُ وقال : أمثل هذا الأسود يُقَدِّم على جاريَتِي !
وقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قم فأنصرف إلى منزلي ، فقد ثقلتُ
على القوم . فذهبتُ أقوم ، فتدبَّمتُ القومُ وقالوا : بل أقم وأحسن أدبك . فأقمْتُ ،
وغنَّت . فقلتُ : أخطأتِ والله يا زانية وأسأتِ ! ثم أندفعتُ فغنَّيتُ الصوت .
فوثبت الجاريةُ وقالت لمولاهُ : هذا أبو عثمان سعيد بن مسجح ! فقلتُ : إي
والله أنا هو ، والله لا أُقيم عندكم . فوثب القرشيون ، فقال هذا : يكون عندي ،
وقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : بل عندي . فقلتُ : والله لا أُقيم إلا عند
سيِّدكم — يعني الرجل الذي أنزله منهم — وسألوهُ عما أقدمه ، فأخبرهم . فقال له
صاحبه : إني أَسْمُرُ الليلةَ مع أمير المؤمنين ، فهل تُحسن أن تحدو؟ قلتُ : لا والله ،
ولكنِّي أَسْتَعْمِلُ^(١) حُداءً . قال له : فإنَّ منزلي بِحذاء منزل أمير المؤمنين ، فإذا

(١) في الأصل : « أصنع » .

وافقتُ منه طيبُ نفسُ أرسلتُ إليك . ومضى إلى عبد الملك بن مروان ، فلما
 رآه طيبُ النفسُ أرسل إلى ابنِ مسجح ، فأخرج رأسه من وراء شرف القصر
 وحداً . فقال عبد الملك للقرشي : من هذا ؟ قال : رجلٌ حجازيٌّ قدم على .
 قال : أحضره . فأحضره . فقال له : أحدُ . فحداً : ثم قال له : هل تغني غناء
 الرُّكبان ؟ قال : نعم . قال : غنّه . فغنّى . فقال له : هل تغني الغناء المتقن ؟ قال :
 نعم . قال : غنّه . فغنّى . فاهتزَّ عبد الملك طرباً ثم قال له : أقسم إن لك في القوم
 اسماً كبيراً^(١) ، من أنت ؟ ويلك ! قال : أنا المظلوم ، المقبوض ماله المُسيّر عن وطنه ،
 سعيد بن مسجح ، قبض مالى عاملُ الحجاز ، ونفانى . فتبسّم عبد الملك وقال :
 قد وضح عذرُ فتيان قریش في أن يُنفقوا عليك أموالهم . وأمنّه ووصله ، وكتب
 إلى عامله بردّ ماله عليه ولا يعرض له بسوء .

(١) في بعض أصول الأغاني : « لأسماء كثيرة » مكان « اسماً كبيراً » .

أخبار ابن المولى

ولاؤه وصفته
ومنزله في الشعر

هو محمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى ، مولى الأنصار ، ثم من بني عمرو
ابن عوف . شاعر متقدم مجيد بن مخضرمي الدولتين ومداحي أهلها . قدم على
المهدي فمدحه بعدة قصائد ووصله بصلات سنّية ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيفاً
الثياب حسن الهيئة ، وكان مسكنه بقباء .

سئل عن ليلاه
فأجاب

وذَكَرَ عبدُ الملك بن عبد العزيز قال : خرجتُ أنا وأبو السائب المخزومي ،
وعبيدُ الله بن مسلم بن جندب ، وأصبع بن عبد العزيز بن مروان إلى قباء ، وابن المولى
متكّب قوساً^(١) عربيّة ، فأنشدنا ابنُ المولى لنفسه :

وأبكي فلا ليلى بكت من صبايةٍ إلى ولا ليلى لذي الود تبذلُ
وأخضع بالعتبي إذا كنت مُذنباً وإن أذنبت كنت الذي يتنصلُ

فقال له أبو السائب وعبيدُ الله بن مسلم بن جندب : من ليلى هذه حتى تقودها
لك ؟ فقال ابنُ المولى : والله ما هي إلا قوسى هذه سميتها ليلى .

مدح يزيد بن حاتم
فأجازه

وقيل : وفد ابنُ المولى على يزيد بن حاتم ، فمدحه بقصيدته التي يقول فيها :

يا واحد العرب الذي أضحى وليس له نظيرُ
لو كان مثلك آخره ما كان في الدنيا فقيرُ

فدعا بخازنه وقال : كم في بيت مالي ؟ فقال : فيه من العين والورق^(٢) قيمةُ
عشرين^(٣) ألف دينار . فقال : أدفعها إليه . ثم قال له : يا أخى ، المَعْدرة إلى الله
وإليك ، والله لو أن في ملكي أكثر ما أحتجبتُه^(٤) عنك .

(١) تنكب القوس : ألقاها على منكبه . (٢) العين : الذهب . والورق : الفضة .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « بقية عشرون » . (٤) لم يرد هذا الفعل في كتب اللغة متعدداً .

هو ويزيد بن حاتم
في مصر

وقيل : كان ابن المولى مداحاً لجعفر بن سليمان ، وقثم بن العباس ، الهاشميين ،
وزيد بن حاتم ، وأستفرغ مدحه في يزيد ، فقال فيه قصيدته التي يقول فيها :

يا واحد العرب الذي دانت له قحطان قاطبة وساد نزارا
إني لأرجو إن لقيتك سالماً ألا أعالج بعدك الأسفارا
رشت الندى^(١) ولقد تكسّر ريشه فعلا الندى فوق البلاد وطارا

ثم قصده بها إلى مصر وأنشده إياها ، فأعطاه حتى رضى . ثم مرض ابن المولى
عنده مرضاً طويلاً وثقل حتى أشفى^(٢) ، فلما أفاق من علته ونهض ، دخل عليه
يزيد بن حاتم متعرفاً خبره ، فقال له : لوددت والله يا أبا عبد الله ألا تعالج
بعدي الأسفار حقاً ، ثم أضعف له صليته .

أعطاه يزيد
ضيعة

وحكى ابن المولى قال : كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه
ولا ألقاه ، فلما ولّاه المنصور مصر ، أخذ على طريق المدينة . فلقيته فأنشدته ،
وقد خرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن صار إلى مسجد
الشجرة . فأعطاني رزمته^(٣) ثياب وعشرة آلاف دينار ، فاشتريت بها ضياعاً
تغل ألف دينار ، أقوم في أدناها وأصيح بقيمي ، فلا يسمعي^(٤) وهو في أقصاها .

وقيل : قدم ابن المولى العراق في بعض السنين ، فأخفق وطال مقامه حنينه إلى المدينة
وغير^(٥) به وتشوّق إلى المدينة ، فقال في ذلك :

ذهب الرجال ولا أحسن رجالاً وأرى الإقامة بالعراق ضلّالاً
وأرى المرجى للعراق وأهله ظمان هاجرة يؤمل آلا

(١) راش : جعل له ريشا . (٢) أشق : أشرف على الموت .

(٣) الرزمة من الثياب : ما شد في ثوب واحد .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « يسمعي » .

(٥) غرض : ضجر وقلق .

وطرَبْتُ إذْ ذَكَرَ الْمَدِينَةَ ذَا كَرْهٍ
فَظَلَّتْ أَنْظُرُ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّيْ
أُبْغَى بِنَاحِيَةِ السَّمَاءِ هِلَالًا
طَرَبًا إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ وَتَارَةً
وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدَّمَ ابْنَ الْمُؤَلَّى عَلَى الْمَهْدِيِّ وَقَدْ مَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

مدح المهدي فأجازه

وَمَا قَارَعَ الْأَعْدَاءُ مِثْلُ مُحَمَّدٍ
فَتَى مَا جَدُّ الْأَعْرَاقِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
أَشْمُ مِنَ الرَّهْطِ الَّذِينَ كَانَهُمْ
إِذَا ذُكِرَتْ يَوْمًا مَنَاقِبُ هَاشِمٍ
وَمَنْ عَيْبَ فِي أَخْلَاقِهِ (٣) وَصِفَاتِهِ
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَهْطَهُ
أَوَّلُكَ أَوْتَادَ الْبِلَادِ وَوَارَثُوا النَّبِيَّ بِأَمْرِ الْحَقِّ غَيْرَ التَّكَادُبِ
ثُمَّ ذَكَرَ أَوْلَادَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ :

وَمَا نَقَمُوا إِلَّا الْمُدَّةَ مِنْهُمْ
وَأَنْهُمْ نَالُوا لَهُمْ بِدَمَائِهِمْ
وَقَامُوا لَهُمْ دُونَ الْعِدَا وَكَفَوْهُمْ
وَحَامُوا عَلَى (٤) أَحْسَابِهِمْ وَكَرَائِمِهِمْ
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِعَائِدٌ
إِذَا مَا دَنَوْا أَدْنَاهُمْ وَإِذَا هَفَوْا
شَفِيقٌ عَلَى الْأَقْصَيْنِ أَنْ يَرِدُوا (٥) الرَّدَى
وَأَنْ غَادَرُوا فِيهِمْ جَزِيلَ الْمَوَاهِبِ
شَفَاءَ النَّفُوسِ مِنْ قَتِيلٍ وَهَارِبٍ
بُسْمُ الْقَنَآ وَالْمَرْهَفَاتِ الْقَوَاضِبِ
حَسَانِ الْوُجُوهِ وَاضْحَاتِ التَّرَائِبِ
بِإِنْعَامِهِ فِيهِمْ عَلَى كُلِّ تَائِبٍ
تَجَاوَزَ عَنْهُمْ نَظْرًا فِي الْعَوَاقِبِ
فَكَيْفَ بِهِ فِي وَاشْجَاتِ (٦) الْأَقَارِبِ

(١) البلبال : شدة الهم . (٢) تبجيج : تمكّن .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « ونصابه » مكان « وصفاته » . والنصاب : الأصل .

(٤) يريد « حاموا عن » فضمن . (٥) في بعض أصول الأغاني : « يركبوا » مكان « يردوا » .

(٦) الواشجات : الصلات المتصلة .

فوصله المهدى صلة سنية . وقدم المدينة فأنفق وبنى داره ولبس ثياباً فاخرة .
ولم يزل كذلك مدة حتى ذهب ما جاء به .

ثم دخل على الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكانت له هو والحسن بن زيد
عليهم وظيفة في كل سنة ، فأنشده قوله فيه يمدحه :

هاج شوقي تفرق الجيران وأعترتني طوارق الأحزان
يقول فيها :

ولو أن أمراً ينالُ خلوداً بمحلٍّ ومنسب^(١) ومكان
أو يبيت ذراه تلتصق بالنجـمـ م قراناً في غير بُرجِ قران
أو بمجد الحياة أو بسماح أو بحلم أوفى على^(٢) شهان
أو بفضل لناله حسنُ الخيـرـ بر بفضل الرسول ذى البرهان
فضله واضح بفضل أبي القا سم رهط اليقين والإيمان
هم ذوو النور والهدى ومدى الأمـر وأهل البرهان^(٣) والفرقان
معدن الحق والنبوة والعد ل إذا ما تنازع الخصمان
وأبن زيد إذا الرجال تجاروا يوم حفل وغاية ورهان
سابق مغلق مجيز رهان ورث السبق عن أبيه^(٤) الهجان

فلما أنشده إيّاها دعى به خالياً ثم قال له : يا عاض كذا من أمه ! إذا ماجئت

إلى الحجاز تقول لى هذا ، وإذا ما مضيت إلى العراق تقول :

وإن أمير المؤمنين ورهطه لأهل المعالي من لؤى بن غالب
أولئك أوتاد البلاد ووارثوا الذـي جيّ بأمر الحق غير التكاذب

(١) في بعض أصول الأغاني : « ومنصب » . (٢) شهان : جبل بالعالية .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « والعرفان » مكان « والفرقان » .

(٤) مغلق : أى يوجب الخطر لنفسه . والهجان : الكريم الحسيب .

فقال : أئنصفني يا بن رسول الله أم لا ؟ قال : بلى . قال : ألم أقل :

* وإن أمير المؤمنين ورهطه *

ألستم رهطه ؟ قال : فدع هذا ، ألم تقدّر أن ينفق شعرك ومديحك إلا بتهجين أهلي ، والطعن عليهم حيث تقول :

وما نَقَمُوا إِلَّا المودّة منهم وإن غادروا فيهم جزيل المواهب
وأنهم نالوا لهم بدمائهم شفاء النفوس من قتيل وهارب

فوجم ابن المولى وأطرق ، ثم قال . يا بن رسول الله ، إن الشاعر يقول ويتقرب بجُهدِه . ثم قام فخرج من عنده مُنكسراً . فأمر الحسنُ وكيله أن يحمل إليه وظيفته ويزيده مثلها . ففعل ذلك . فقال : والله لا أقبلها وهو على ساخط ، فأما إن قرنها بالرضى قبلتها ، وأما إن أقام على أمره فأردّها عليه . فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره . فقال : قل له : رضيتُ ، فاقبلها . فقبلها .

وقيل : لما انصرف يزيد بن حاتم المهلبى من حرب الأزارقة^(١) ، وقد ظفر ، خلع عليه وعقد له لواءً على كور الأهواز وسائر ما افتتحه . فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه . فاستأذن في الإنشاد ، فأذن له . فأنشده قصيدته التي أولها :

قدومه على يزيد
ابن حاتم الأهواز
ومدحه له

ألا يالقومى هل لما فات مطلبُ وهل يُعذرن ذو صَبوة وهو أشيبُ
ومنها :

يَحْنُ إلى لَيْلى وقد شَطَّت النوى بليلى كما حَنَّ اليراع^(٢) المُثَقَّب
تَقَرَّبْتُ منها^(٣) كي تُثيب فزادنى بَعاداً على بُعْدٍ إليها التقرُّب
فداويتُ وَجْدِي باجتِنابٍ فلم يَكُن شفاءً لما أرجوه^(٤) منها التجنُّب

(١) الأزارقة : من الخوارج ، أصحاب نافع بن الأزرق .

(٢) اليراع : المزمار .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « تقربت ليلي » والفعل غير معلى بنفسه .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « ألقاه » مكان « أرجوه » .

يقول فيها في مدحه :

وليل خداري^(١) الرّواق جِشْمَتُهُ
لأظفر يوماً من يزيد بن حاتم
وصعدني همّي وصوب مرة
لأعرف ما آتى فلم أر مثله
أكرّ على جيش وأعظم هيبة
ومنها :

كواكب دجن كلّما انقضّ كوكب
وما زال إلحاح الزّمان عليهم
فلو أبقت الأيام حيّا نفاسة
وكنت ليومى نعمة ونكاية
ألا حبّذا الأحياء منكم وحبّذا
فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم ، وفرس بسرجه ولجامه ، وخلعة ،
وأقسم على من بحضرته من أهله أن يُحيزه كلّ واحد منهم بما أمكن . فأصرف
بملء يديه .

وقيل : كان عمرو بن أبي عمرو يستحسن قول ابن أبي المولى :

حَيّ الْمَنَازِلَ قَدْ بَلَيْنَا
وَسَلَّ الدِّيَارَ لَعَلَّهَا
بانت وكل قرينة
وأخو الحياة من الحيا
أَقْوَيْنَ عَنْ مَرِّ السَّنِينَا
تُخْبِرُكَ عَنْ أُمِّ الْبَنِينَا
يوماً مفارقة قرينا
مُعَالِجٌ غِلَظًا وَلِينَا

(١) خداري : مظلّم . (٢) في بعض أصول الأغاني : « فيما » مكان « فيمن » .

وترى الموكل بالغوا نى راكباً أبداً فنونا
ومن البليّة أن تُدا ن بما كرهت وأن تدنا^(١)
والمرء يُحرم نفسه ما لا يزال به حزينا
وتراه يجمع ماله جمع الحريص لوارثينا
يسعى بأفضل سعيه فيصيرُ ذاك لقاعدينا
لم يعط للنسب^(٢) القرى ب ولم يجد للأبعدينا
قد حلّ منزله الذمى سم وفارق المتنصّحينا

وقيل : لما ولى المهديّ الخلافة بعد أبيه المنصور حجّ وفرّق في قریش والأَنْصار
وسائر الناس أموالاً عظيمة ، فحسنت أحوال الناس بعد جهْد أصحابهم من أيّام
أبيه ، فكانت سنة ولايته سنة خصب ورخص ، فأحبّه الناس وتبرّكوا به ،
وقالوا : هذا هو المهديّ ! وهذا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسميّه ! فلما
دخل المدينة تلقّوه ودعّوا له وأثنوا عليه ومدّحه الشعراء . فمدّ عينه في الناس فرأى
أبن المولى ، فأمر بتقريبه ، فقرّب منه . فقال : هات يا مولى الأنصار ما عندك .
فأنشده قوله فيه :

مدحه للمهدي بعد
ما ولى

يا ليل لا تبخلى يا ليل بالزاد وأشفي بذلك داء الحائم الصّادى
وأنجزى عِدّة كانت لنا أملاً قد جاء ميعادها من بعد ميعاد
ما ضرّه غير أن أبدى مودّته إنَّ المحبّ هو اه ظاهرٌ بادی
يقول فيها :

تطوى البلاد إلى جمّ منافعها فعّال خيرٍ لفعل الخير عوّاد

(١) في بعض أصول الأغاني : « ولن » مكان « وأن » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « ذا النسب » .

للمُجْتَدِينَ^(١) إِلَيْهِ مِنْ مَنَافِعِهِ خَيْرٌ يَرُوحُ وَخَيْرٌ بَاكِرٌ غَادَى
أَغْنَى قُرَيْشًا وَأَنْصَارَ النَّبِيِّ وَمَنْ بِالْمَسْجِدِينَ يَأْسَعُافُ^(٢) وَإِحْفَادُ
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا . فَأَمْرٌ لَهُ بَعْشَرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَكُسُوتُهُ ، وَأَمْرٌ لَهُ بِأَنْ يُجْرَى
لَهُ وَلِغِيَالِهِ مَا يَكْفِيهِمْ ، وَأَلْحَقَهُمْ فِي شَرَفِ الْعَطَاءِ .

شعره الذى فيه
الغناء

وَالشَّعْرَ الَّذِى فِيهِ الْغِنَاءُ وَأَفْتَتَحَ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ أَخْبَارَهُ ، هُوَ :
سَلَا دَارَ لَيْلَى هَلْ تُبِينُ فَتَنْطِقُ وَأَنْتِ تَرُدُّ الْقَوْلَ بِيَدَاءِ سَمَلَقُ
وَأَنْتِ تَرُدُّ الْقَوْلَ دَارُ كَأَنَّهَا لَطُولُ بِلَاهَا وَالتَّقَادِمُ مُهْرَقُ
وَهَذَا الْبَيْتَانِ مِنْ أَوَّلِ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا ابْنُ الْمَوْلَى الْمَهْدَى ، يَقُولُ فِيهَا :
وَإِنْسَانٌ عَيْنِي فِي دَوَائِرِ جُلَّةٍ مِنَ الدَّمْعِ يَبْدُو تَارَةً ثُمَّ يَغْرَقُ
وَمِنْهَا :

فَلَا تَجْزَعُنِ لِلْبَيْنِ كُلِّ جَمَاعَةٍ وَجَدَّكَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا التَّفَرُّقُ
وَحُذْ بِالْتَعَزَّى كُلُّ مَا أَنْتِ لَابِسٌ جَدِيدًا عَلَى الْأَيَّامِ بَالٍ وَمُخْلَقُ
فَصَبْرُ الْفَتَى عَمَّا تَوَلَّى فَإِنَّهُ مِنْ الْأَمْرِ أَوْلَى بِالسَّدَادِ وَأَوْفَقُ
وَمِنْهَا :

وَقَالَ خَلِيلِي وَالْبُكَالَى غَالِبٌ أَقَاضٍ عَلَيْكَ ذَا الْأَسَى وَالتَّشَوُّقُ
وَقَدْ طَالَ تَوَقَّافِي أَكْفَكَفَ عِبْرَةً عَلَى دِمْنَةٍ كَادَتْ لَهَا النَّفْسُ تَزْهَقُ

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « لِلْمَهْتَدِينَ » مَكَانَ « لِلْمَجْتَدِينَ » .

(٢) إِحْفَادُ : إِسْرَاعُ فِي مَرْضَاتِهِمْ وَقَضَاءُ حَاجَاتِهِمْ .



أخبار عطر

ولاؤه وشيء عنه هو مولى الأنصار . ثم مولى بنى عمرو بن عوف . وكان ينزل قباء . وكان جميل الوجه ، حسن الغناء ، طيب الصوت ، جيد الصنعة ، حسن الزى والمروءة . وكان فقيهاً قارئاً للقرآن ، يغنى مرتجلاً . أدرك دولة بنى أمية . وبقي إلى أيام الرشيد . وكان معدّل الشهادة بالمدينة .

وخكى أن سلمة بن عباد ولي القضاء بالبصرة ، فقصد أبنته عباد بن سلمة منزل عطر ، وكان قد قدم البصرة قاصداً آل سليمان بن علي وأقام معهم . فأتى عباد بابَه ليلاً فدق عليه ومعه جماعة من أصحاب القلانيس . فخرج عطر إليه ، فلما رآه ومن معه فزع . فقال : لا ترع :

إني قصدت إليك من أهلي في حاجة يأتي لها مثلي

قال : وما هي ؟ أصلحك الله ! فقال :

لا طالباً شيئاً إليك سوى «حَيِّ الحُمُولِ بجانب (١) العزلِ»

فقال : أنزلوا على بركة الله . فلم يزل يُغنيهم هذا وغيره حتى أصبحوا .

والذي طلبوا أن يُغنيهم فيه شعرُ امرئ القيس الكندي ، وهو :

حَيِّ الحُمُولِ بجانب العزلِ إذ لا يُوافق شَكْلُهَا شَكْلِي

الله أنجح ما طلبت به والبرُّ خيرُ حَقِيقَةِ الرَّحْلِ

إني بحملك واصل حبلي وبريش نَبْلِكَ رأسُ نَبْلِي

وشمائي ما قد علمت وما نَبَحْتُ كلابُكَ طارقاً مثلي

(١) العزل : موضع في ديار قيس .

هو الوليد بن
يزيد حين استقدمه

وذُكر أنه لما ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بإشخاص عطرَ الدُّمْنى إليه . قال عطرُ الدُّمْنى : فأقراني العاملُ الكتابَ وزودني بنفقة وأشخصني إليه . فأدخلت عليه وهو جالسٌ في قصره على شفير بركة مُرصَّصة مملوءة خمرًا ، ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجلُ فيها سباحةً ، فوالله ما تركني أسلم حتى قال : عطرُ الدُّمْنى ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : لقد كنتُ إليك مُشتاقًا يا أبا هارون ، غنني :

* حَيَّ الْحُمُولَ بِجَانِبِ الْعَزْلِ * الأبيات

قال : فغنيتُه إِيَّاه ، فوالله ما أتممتُه حتى شقَّ حُلَّةَ وشي كانت عليه لا أدرى كم قيمتها ، فتجرَّد منها كما ولدته أمه ، وألقاها نصفين ورَمَى بنفسه في البركة ، فنهَلَ فيها حتى تبيَّنتُ — علم الله — نقصانها ، وأخرج منها كالميت سُكرًا ، فأضجع وغطَّى ، وأخذتُ الحُلَّةَ وقتُ . فوالله ما قال لي أحدٌ : دَعْمَا ولا خُذْهَا . فانصرفتُ إلى منزلي متعجبًا مما رأيتُ من ظُروفه وفِعله . فلما كان من الغد جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني . فلما دخلتُ عليه قال : يا عطرُ الدُّمْنى . قلت : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : غنني :

أَيَذْهَبُ عُمَرَى هَكَذَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ بَجَالِسٍ تَشْفِي قَرْحَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ
وَقَالُوا تَدَاوِ إِنِّي فِي الطَّبِّ رَاحَةً فَعَلَلْتُ نَفْسِي بِالْدَوَاءِ فَلَمْ يُجْدِي

فغنيتُه إِيَّاه . فشَقَّ حُلَّةَ وشي كانت عليه ، كانت تلتصع عليه بالذهب التماعًا ، احتقرتُ والله الأولى عندها . ثم ألقى نفسه في البركة ، فنهَلَ فيها حتى تبيَّنتُ — علم الله — نقصانها ، وأخرج كالميت سُكرًا . فألقى وغطَّى ونام . وأخذتُ الحُلَّةَ ، فوالله ما قال لي أحدٌ : دَعْمَا ولا خُذْهَا ، وانصرفتُ . فلما كان اليوم الثالث جاءني رسوله . فدخلتُ إليه وهو في بهو قد أقيت سُتوره ، فكلَّمَنِي من

وراء السُّتور وقال : يا عَطَرْد . قلتُ : لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين . قال : كَأَنِّي بك قد
أتيت المدينة فقمّت في مجالسها ومحافلها وقعدت وقلت : دعاني أمير المؤمنين
فدخلتُ إليه ، فأقترح عليّ ، فغنيته فأطربته ، فشقّ ثيابه وأخذتُ سَلْبَه ، وفعل وفعل ،
والله يا بن الزّانية ، لئن تحرّكت شفتاك بشيء مما جرى فبلغني لأضربنّ ما فيه
عيناك . يا غلام ، أعطه ألف دينار . خذها وأنصرف إلى المدينة . فقلت : إن رأى
أمير المؤمنين أن يأذن لي في تقبيل يده ويُرودني نظرةً منه وأُغنيّه صوتاً ! فقال :
لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك ، فأنصرف . قال عَطَرْد : فخرجتُ من عنده وما أعلم
أني ذكرتُ شيئاً مما جرى حتى مضت من دولة بني العبّاس ^(١) مُدة .

(١) في بعض أصول الأغاني : « بني هاشم » .

أخبار الحارث بن خالد المخزومي

نسبه

هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب . وأمه فاطمة بنت أبي سعيد ابن الحارث بن هشام . وأُمها بنت أبي جهل بن هشام .

حديث مقامة
أبي لهب للعاص
ابن هشام

وكان العاص بن هشام قامرً أباهب بن عبد المطلب في عشر من الإبل فقمره ، ثم في عشر فقمره ، ثم في عشر فقمره ، إلى أن خلعه من ماله فلم يبق له شيء . فقال : إني أرى القِداح قد حالفتك يا بن عبد المطلب ، فهلم أقامرك . فأينأقر كان عبداً لصاحبه . قال : أفعل . ففعل . فقمره أبو لهب ، فكره أن يسترقه فتغضب بنو مخزوم ، فمشى إليهم وقال : أفتدوه مني بعشر من الإبل . فقالوا : لا والله ولا بوبرة . فأسترقه . فكان يرعى له إبلاً إلى أن خرج المشركون إلى بدر — وقيل : أسترقه وأجلسه قيناً يعمل الحديد — فلما خرج المشركون إلى بدر كان من لم يخرج أخرج بدلاً ، وكان أبو لهب عليلاً فأخرجه وقعد ، على أنه إن عاد اعتقه . فحضر بدرًا وقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ .

مذهبه في الغناء
وشىء عنه

وكان الحارث بن خالد أحد شعراء قريش المعدودين الغزليين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء . وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وينسب بها . وولاه عبد الملك بن مروان مكة . وكان ذا قدر وخطر في قريش .

وأخوه عكرمة بن خالد محدث جليل القدر من وجود الناس ، وقد روى عن أخواه وشىء عنهما جماعة من الصحابة . وله أخ يقال له : عبد الرحمن بن خالد ، شاعر ، وهو الذي يقول :

رَحَلَ الشَّبَابُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَرْحَلِ وَغَدَا لَطِيفَةً ذَاهِبٌ ^(١) مُتَحَمِّلِ
وَلِيَّ بِلَاذِمٍ وَغَادَرَ بَعْدَهُ شَيْبًا أَقَامَ مَكَانَهُ فِي الْمَنْزَلِ
لَيْتَ الشَّبَابَ ثَوِيَّ لَدَيْنَا حِقْبَةً قَبْلَ الْمَشِيبِ وَلَيْتَهُ لَمْ يَعْجَلِ
فَنُصِيبَ مِنْ لَذَاتِهِ وَنَعِيمِهِ كَالْعَهْدِ إِذْ هُوَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

من شعراء قریش
الخمسة

وقيل : كانت العرب تفضل قريشاً في كل شيء إلا الشعر ، فلما نجم فيهم
عُمر بن أبي ربيعة ، والحارث بن خالد المخزوميان ، والعرجي ، وأبو دهبيل ،
وعبد الله ^(٢) بن قيس ، أقرت لها العرب بالشعر أيضاً .

هو وابن عمر وقد
أنشده

وذُكِرَ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ أَنْشَدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ
عنه قوله :

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَارِ تَوَوُّدَهَا ^(٣) الْعَقْلُ
لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَعْلُو
فِيكَادَ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا وَيُرَدُّهُ الْإِقْوَاءُ ^(٤) وَالْمَحِلُّ

فقال له ابنُ عمر : قل : إن شاء الله . قال : إِنْ يَفْسُدَ الشَّعْرُ يَأْخُذُ . فقال له :
يَا بْنَ أَخِي ، إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ يُفْسِدُهُ « إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

تمثل أشعب بشعره
في تفضيل
الزبيريين على
العلويين

وقيل : دَخَلَ أَشْعَبُ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَطُوفُ ^(٥) الْحِلَقَ .
ف قيل له : مَا تُرِيدُ ؟ قَالَ : أَسْتَفْتِي فِي مَسْأَلَةٍ . فبينما هو كذلك إِذْ مَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ
وَلَدِ الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى سَارِيَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ عَلَوِيٌّ ، فَخَرَجَ أَشْعَبُ مُبَادِرًا ،
فَقَالَ لَهُ الَّذِي سَأَلَهُ عَنْ دُخُولِهِ وَتَطَوُّافِهِ : أَوَجَدْتَ مِنْ أَفْئَاكِ فِي مَسْأَلَتِكَ ؟ قَالَ :

(١) الطية : المنتأى ، والقصد ، والنية . والمتحمل : الراحل . (٢) في بعض الأصول :
« عبید الله » . وذكر البغدادی أن لقيس ابنين : عبید الله ، وعبد الله ، واختلفوا في الشاعر منهما .
(٣) تَوَوُّدَهَا : تَثَقَّلَهَا . والعقل : جمع عقال . (٤) الإقواء : المحل .
(٥) الحلق : جمع حلقة ، وهي دائرة القوم وحلقهم ، جمع نادر .

لا ، ولكن علمت ما هو خير لي منها . قال : وما ذاك ؟ قال : وجدت المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد :

قد بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَغْلُو

رأيت رجلاً من ولد الزبير جالساً في الصدر ، ورجلاً من ولد علي بن أبي طالب رضى الله عنه جالساً بين يديه ، فكفاني هذا عجباً وانصرفت .

كان مرواني

الهوى ووفوده على
عبد الملك وقوليه
مكة وحديثه مع
بنت طلحة

وقيل : إن بني مخزوم كلهم كان هواهم مع ابن الزبير إلا الحارث بن خالد ، فإن هواه كان مع بني مروان . فلما قُتل عبد الله بن الزبير وصفا الأمر لعبد الملك ابن مروان ، وفد إليه الحارث في دين كان عليه ، وذلك في سنة خمس وسبعين . فلما أنصرف عبد الملك رحل معه الحارث إلى دمشق ، فظهرت له منه جفوة ، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه . فأنصرف عنه وقال فيه :

صَحْبَتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا أُنْجِلْتُ قَطَعْتَ نَفْسِي أَلُومَهَا
وَمَا بِي وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي مِنْ ضَرَاعَةٍ وَلَا أَفْتَقَرْتُ نَفْسِي إِلَى مَنْ يَضِيْمُهَا
عَظَفْتُ عَلَيْكَ النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّمَا بِكَفَيْتُكَ بُؤْسِي أَوْ إِلَيْكَ نَعِيمُهَا

وبلغ عبد الملك خبره ، وأنشد الشعر ، فأرسل إليه من رده من طريقه . فلما دخل عليه قال له : يا حارث^(١) ، أخبرني عنك : هل رأيت عليك في المقام ببابي غضاضة أو في قصدي دناءة ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : فما حملك على ما قلمت وفعلت ؟ قال : جفوة ظهرت لي وكنت حقيقاً بغيرها . قال : فأختر : إن شئت أعطيتك مائة ألف درهم ، أو قضيت عنك دينك ، أو وليتكم مكة سنة ؟ قال : بل توليني مكة . فولاه إياها . فحج بالناس وحج عائشة بنت طلحة ، وكان يهواها ، فأرسلت إليه : أخر الصلاة حتى أفرغ من طوافي . فأمر

(١) أى : يا حارث ، فرخم .

المُؤذِّنِينَ فَأَخْرَوْا إِقَامَةَ الصَّلَاةِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ طَوَافِهَا . وَجَعَلَ النَّاسُ يُصَيِّحُونَ وَيُضْجُونَ . ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَصَلَّى بِالنَّاسِ . وَأَنْكَرَ أَهْلُ الْمَوْسِمِ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ وَأَعْظَمُوهُ . وَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَعَزَّاهُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يُؤَنِّبُهُ فِيمَا فَعَلَهُ . فَقَالَ : مَا أَهْوَنَ وَاللَّهِ غَضَبَهُ عَلَيَّ إِذَا رَضِيتُ . وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَفْرُغْ مِنْ طَوَافِهَا إِلَى اللَّيْلِ لَأَخَّرْتُ الصَّلَاةَ إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا قَضَتْ حُجَّهَا أَرْسَلَ إِلَيْهَا : يَا بِنْتَ عَمِّ ، أَلَمْ يَبْنَا أَوْ عِدِينَا مَجْلِسًا نَتَحَدَّثُ فِيهِ . فَقَالَتْ : فِي غَدٍ أَفْعَلُ ذَلِكَ . ثُمَّ رَحَلَتْ مِنْ لَيْلَتِهَا . فَقَالَ الْحَارِثُ فِيهَا :

مَا ضَرَّكُمْ لَوْ قُلْتُمْ سَدَدًا إِنَّ الْمَطَايَا عَاجِلٌ غَدُهَا
وَلَهَا عَلَيْنَا نِعْمَةٌ سَلَفَتْ لَسْنَا عَلَى الْأَيَّامِ نَجَحِدُهَا
لَوْ تَمَّتْ أَسْبَابُ نِعْمَتِهَا تَمَّتْ بِذَلِكَ عِنْدَنَا يَدُهَا

وَقِيلَ : لَمَّا قَالَ الْحَارِثُ هَذِهِ الْأَيَّامُ بَعَثَ بِهَا مَعَ الْغَرِيضِ ، فَلَحَقَهَا ^(١) بُعْسْفَانُ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ ، وَمَعَهُ كِتَابُ الْحَارِثِ وَفِيهِ هَذِهِ الْأَيَّامُ . فَلَمَّا قَرَأَتْهَا قَالَتْ : مَا يَدْعُ الْحَارِثُ بَاطِلَهُ ! ثُمَّ قَالَتْ لِلْغَرِيضِ : هَلْ أَحْدَثْتَ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَاسْمَعِي . ثُمَّ أُنْذِفَ يُغْنِي فِي هَذَا الشَّعْرِ :

الغريض بينه وبين بنت طلحة

زَعَمُوا بَأَنَّ الْبَيْنَ بَعْدَ غَدٍ وَالْقَلْبُ مِمَّا أَحْدَثُوا يَحِيفُ
وَالْعَيْنُ مِنْذُ أَجَدَّ بَيْنَهُمْ مِثْلُ الْجُمَانِ دُمُوعُهَا تَكْفِ
تَشْكُو وَنَشْكُوا مَا أَلَمٌ ^(٢) بَنَا كُلُّ بَوْشَكِ الْبَيْنِ مُعْتَرِفُ

فَأَمَرَتْ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : غَنَّنِي فِي غَيْرِ شَعْرِهِ . فَغَنَّاها بِشَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

أَجْمَعْتُ خُلَّتِي مَعَ الْفَجْرِ ^(٣) يَنِينًا جَلَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَجْهَ زَيْنًا

(١) بعسفان : منهلة بين الجحفة ومكة . وقيل : هي قرية على مرحلتين من مكة .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « ما أشت » أي ما فرق .

(٣) أجمعت : اعتزمت . والخلة : الصديقة . والبين : الفراق .

أَجْمَعْتُ بَيْنَهَا وَلَمْ نَكُ مِنْهَا لَذَّةَ الْعَيْشِ وَالشَّبَابِ قَضَيْنَا
فَتَوَلَّتْ حُمُولَهَا وَأَسْتَقَلَّتْ لَمْ نَنْلِ طَائِلًا وَلَمْ نُقْضَ دَيْنَا
وَلَقَدْ قَلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ لَمَّا أُرْسِلْتُ تَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَيْنَا
أَنْعَمَ اللَّهُ بِالرَّسُولِ الَّذِي أَرَزَ سَلْتُ وَالْمُرْسِلِ الرِّسَالَةَ عَيْنَا
فَضَحِكْتُ ثُمَّ قَالَتْ : وَأَنْتِ يَا غَرِيضُ ! فَأَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا ! وَأَنْعَمَ بَابُنِ
أَبِي رَبِيعَةَ عَيْنًا ! لَقَدْ تَلَطَّفْتَ حَتَّى أَدَيْتَ إِلَيْنَا رِسَالَتَهُ ، وَإِنْ وَفَاءُكَ لَهُ لَمَّا يَزِيدُنَا
رَغْبَةً فِيكَ وَثِقَةً بِكَ .

نَتْمَةُ حَدِيثِ
الْغَرِيضِ مَعَ عَاتِكَةَ
بَنْتِ يَزِيدَ

وَقَدْ كَانَ عُمَرُ سَأَلَ الْغَرِيضَ أَنْ يُغْنِيَهَا هَذَا الصَّوْتُ ، لِأَنَّهُ قَدْ تَرَكَ ذِكْرَهَا
لَمَّا غَضِبَتْ بَنُو تَمِيمٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُحِبَّ التَّصْرِيحَ بِهَا وَكَرِهَ إِغْفَالَ ذِكْرَهَا ، وَقَالَ
لَهُ عُمَرُ : إِنْ أَبْلَغْتَهَا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي غِنَاءِ فَلَكَ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَوَفَّى لَهُ بِهَا ،
وَأَمَرَتْ لَهُ عَائِشَةُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ أُخْرَى . فَأَنْصَرَفَ الْغَرِيضُ مِنْ عِنْدِهَا ،
فَلَقِيَ عَاتِكَةَ بَنْتِ يَزِيدَ بِنَ مُعَاوِيَةَ بِنِ أَبِي سُفْيَانَ ، زَوْجَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ،
وَقَدْ كَانَتْ حَبَّتْ فِي تِلْكَ السَّنَةِ ، فَقَالَتْ لَهَا جَوَارِيهَا : هَذَا الْغَرِيضُ . فَقَالَتْ
لَهُنَّ : عَلَىَّ بِهِ . فَخِئْنَ بِهِ إِلَيْهَا . قَالَ الْغَرِيضُ : فَلَمَّا دَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ رُدَّتْ وَسَأَلَتْنِي
عَنِ الْخَبَرِ . فَأَقْتَصَصْتُهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ : غَنَّنِي بِمَا غَنَّيْتَهَا بِهِ . فَفَعَلْتُ . فَلَمْ أَرَهَا تَهَشُّ
لِذَلِكَ . فَغَنَّيْتُهَا مُعَرِّضًا بِهَا وَمَذْكِرًا بِنَفْسِي فِي شَعْرِ مُرَّةَ بْنِ مُحَاكِنِ السَّعْدِيِّ
يُخَاطَبُ أُمْرَأَتَهُ ، وَقَدْ نَزَلَ بِهِ أَضْيَافُ :

أَقُولُ وَالضَّيْفُ مَخْشَى^(١) ذِمَامَتِهِ عَلَى الْكَرِيمِ وَحَقُّ الضَّيْفِ قَدْ وَجَبَا
يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّيْ إِلَيْكَ رِحَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرَبَا
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةِ لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ فِي ظُلُمَائِهَا الطُّنْبَا
لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَلْفَ عَلَى خَيْشُومِهِ الذَّنْبَا

(١) الذمامة ، بالكسر والفتح : العهد والذمة .

فقلت ، وهى مُتَبَسِّمَةٌ : نعم قد وَجَبَ حُقُّكَ يا غَرِيضَ ، فَعَنِّي . فَعَنِّيْتُهَا :

يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرَ فَجَعَتْنَا بِسَرَاتِنَا وَوَقَرْتَ^(١) فِي الْعَظَمِ

وَسَلَبَتْنَا مَا كُنْتَ^(٢) مُخْلِفَهُ يَا دَهْرُ مَا أَنْصَفْتَ فِي الْحُكْمِ

لَوْ كَانَ لِي قِرْنٌ أَنْاضَ—هُ مَا طَاشَ عِنْدَ حَفِيزَةٍ سَهْمِي

أَوْ كَانَ يُعْطَى النِّصْفُ^(٣) قُلْتُ لَهُ أَحْرَزْتَ قِسْمَكَ^(٤) فَالَهُ عَنْ قِسْمِي

فقلت له : نُعْطِيكَ النِّصْفَ وَلَا يَطِيشُ^(٥) سَهْمُكَ عِنْدَنَا ، وَيَحِقُّ^(٦) لَكَ

قِسْمِكَ . وَأَمَرْتُ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَثِيَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَطَافِ . فَأَتَيْتُ

الْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ مَا أَمَرْتَا بِهِ جَمِيعًا . وَأَتَيْتُ

أَبْنَ أَبِي رُبَيْعَةَ فَأَعْلَمْتُهُ بِمَا جَرَى ، فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . فَمَا أَنْصَرَفَ أَحَدٌ مِنَ الْمَوْسِمِ

بِمِثْلِ الَّذِي أَنْصَرَفْتُ بِهِ ، وَبِنَظَرَةٍ مِنْ عَائِشَةَ وَنَظَرَةٍ مِنْ عَاتِكَةَ ، وَهِيَ أَجَلُ

نِسَاءِ عَالَمَهُمَا .

وقيل : قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَادِمٌ مِنْ مَكَّةَ فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، فَقَالَتْ لَهُ :

مَنْ أَيْنَ أَقْبَلَ الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ : مِنْ مَكَّةَ . فَقَالَتْ لَهُ : فَمَا فَعَلَ الْأَعْرَابِيُّ ؟ فَلَمْ يَفْهَمْ

مَا أَرَادَتْ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى مَكَّةَ دَخَلَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ فَقَالَ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟

قَالَ : مِنَ الْمَدِينَةِ . قَالَ : فَهَلْ دَخَلْتَ عَلَى عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :

فَعَمَّاذَا سَأَلْتُكَ ؟ قَالَ : قَالَتْ لِي : مَا فَعَلَ الْأَعْرَابِيُّ ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ : فَعُدَّ إِلَيْهَا

هو ومكى حمله
رسالة إلى بنت
طلحة

(١) وقر : صدع . (٢) في بعض أصول الأغاني : « مالست » مكان « ما كنت » .

(٣) النصف ، مثلثة : الانتصاف .

(٤) القسم . بالكسر : النصيب والخطبة . والذي في بعض أصول الأغاني : « سهمك ...

سهمي » .

(٥) في بعض أصول الأغاني : « ولا يضيع » .

(٦) في بعض أصول الأغاني : « ونجزل » .

ولك هذه الحلة والراحلة ونفقتك لطريقك ، وأدفع إليها هذه الرقعة . وكتب إليها فيها :

مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا فَلَا أَقْحَوَانَةَ مَنَا مَنْزِلٌ ^(١) قَمَنْ
إِذْ نَلْبَسُ الْعَيْشَ صَفْوًا مَا يَكْدِّرُهُ طَعْنُ الْوُشَاةِ وَلَا يَنْبُو بِنَا الزَّمَنُ
(*) لَيْتَ الْهَوَى لَمْ يَقِرَّ بِنِي إِلَيْكَ وَلَمْ أَعْرِفْكَ إِذْ كَانَ حِطَّى مِنْكُمْ الْحَزَنُ

(١) الأقحوانة : موضع قرب مكة . وقمن : خليق .

(*) تبدو أخبار الحارث كأنها مقطوعة : فهي كما أوردها أبو الفرج تزيد كثيراً . ولم يختم ابن واصل الترجمة بما عودنا عنه من ذكر الشعر الذي فيه الغناء .

أخبار الأبحر

هو عُبَيْدُ اللَّهِ بن القاسم . مولى بنى كِنانة ، ثم بنى بكر . ويكنى أبا طالب .
وكان مَدِينِيًّا منشؤه مكة . وقيل : مكِّيًّا منشؤه المدينة . وكان حسن الهيئة والبرّة .
وكانت حلته بمائة دينار ، وفرسه بمائة دينار ، ومركبه بمائة دينار . وكان حسن
الصوت ، جيّد الغناء ، يقف بين المأزَمِينَ^(١) فيرفع صوته فيقف الناس له ، يركب
بعضهم بعضاً .

اسمه ولقبه وولاه
وحسن غنائه

وحكى أشعبُ قال : دُعِيَ ذاتَ يومٍ بالمُغَنِّينَ للوليد بن يزيد ، وكنت نازلاً
معهم ، فقلتُ للرسول : خُذْنِي فِيهِمْ . فقال : لم أؤمر بذلك ، إنما أُمِرْتُ بِأَخْذِ
المُغَنِّينَ ، وأنتَ بَطَّالٌ لا تدخل في جُمْلَتِهِمْ . فقلتُ : أنا والله أحسن غناءً منهم .
فأندفعتُ فغَنَيْتُ . فقال : لقد سمعتُ حسناً ولكني أخاف . فقلتُ له : لا خوفَ
عليك ، ولك مع هذا شرط . قال : وما هو ؟ قال : كل ما أصبته فلك شطره .
فقال للجماعة : أشهدوا عليه . فشهدوا . ومَضِينَا فدخلنا على الوليد ، وهو ضيقُ
الصدر . فغنّاه المغنون في كل فنٍّ من ثَقِيلٍ وخَفِيفٍ ، فلم يتحرك ولا نشِط . فقام
الأبحر ، وكان خبيثاً داهياً ، فسأل الخادمَ عن خبره وبأى سبب هو خائر . فقال :
بينه وبين امرأته شرٌّ ، لأنه عَشِقَ أُخْتَهَا فغَضِبَتْ عليه ، وهو إلى أُخْتِهَا آمِلٌ ، وقد
عَزَمَ على طلاقها وألا يذكرها أبداً بمُرَاسلة ولا مُحَاطبة ، وخرج على هذه الحال
من عندها . فعاد الأبحر إلينا وجلس . فما اسْتَقَرَّ به المجلسُ حتى أُنْدَفَعْتُ فغَنَيْتُ :

نُشِطَ الوليد لغنائه

فبيني فإني لا أبالي وأيقني أصعدُ باقي حُبِّكم أم تصوباً

ألم تعلمي أنني عزوفٌ عن الهوى إذا صاحبي من غير شيء تغضبا

فطرب الوليدُ وأرتاح، وقال: أصبتَ والله يا عبيد مافى نفسى، وأمر له بعشرة آلاف درهم، وشرب حتى سكر. ولم يحظ أحدٌ بشيء إلا الأبحر. فلما أيقنتُ بأنقضاء المجلس وثبتُ فقلت: يا أمير المؤمنين، إن رأيتَ أن تأمرَ من يضربنى الساعةَ بحضرتك مائة سوط! فضحك وقال: قبحك الله! وما السبب فى ذلك؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول، وقلت له: إنه بدأنى بالمكروه فى أول يومه بما اتصل علىَّ إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة سوط ويضرب بعدى مثلها. فقال: لقد لَطَفْتَ! أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوضاً من الخمسين التى أراد أن يأخذها من أشعب. فقبضتها. وقام. وما حظى أحدٌ بشيء غيرى وغير الأبحر.

(١) مائة سوط.

(٢) مائة سوط.

أخبار موسى شهوات

هو موسى بن يسار، موسى قریش . وقيل : إنه موسى بن سَهْم . وقيل : موسى بن تيم . وقيل : موسى بن عدي . وكُنية أبو محمد، وشَهوات لقب غلب عليه ، لأنه كان سَتُولًا مُلِحًا مُلِحِفًا ، فكان كلما رأى مع أحد ما يُعجبه من مالٍ أو مَتاع أو ثوب أو فرس يَتَبَاكِي ، فإذا قيل له : مالك ؟ قال : أشتي هذا . فسمي : شهوات . وهو من شعراء الدولة الأموية .

ولاؤه وكنيته
وسبب تلقيبه

وذكر أن موسى شهوات هوى جارية بالمدينة ، فاستهيم بها وسام مولاها فيها ، فأستام بها عشرة آلاف درهم . فجمع كل ما يملكه وأستاح إخوانه . فبلغ ذلك أربعة آلاف درهم . فأتي سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأخبره بحاله وأستعان به ، وكان صديقه وأوثق الناس عنده ، فدافعه^(١) ، وأعتل عليه . فخرج من عنده ، فلما ولى تمثّل سعيد بقول الشاعر :

استعان ابن أسيد
في ثمن جارية
فأعانه فدحه

كُتِبَ إِلَى تَسْتَهْدِي الْجَوَارِي لَقَدْ أَنْعَظْتُ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ

فأتى موسى شهوات سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد ، فأخبره بقصته . فقال : تعود إلى . ثم أتاه . فسهرل من إذه . فلما أَسْتَقَرَّ به المجلس قال : يا غلام ، قُلْ لَقِيْمَتِي : هَاتِي وَدِيْعَتِي . ففُتِحَ باب بين بَيْتَيْنِ ، فإذا بجارية . فقال له : أهذه بُعَيْتُكَ ؟ قال : نعم ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! ثم قال : يا غلام ، قُلْ لَقِيْمَتِي هَاتِي ظَبْيَةً^(٢) نَفَقَتِي . فأتي بظبية ، فنُثِرَتْ بين يديه فإذا فيها مائة دينار ليس فيها غيرها .

(١) دافعه : ماطله .

(٢) الظبية : جراب صغير من جلد ظي .

فَرَدَّتْ إِلَى الظَّيْبَةِ . ثُمَّ قَالَ : عَتِيدَةٌ ^(١) طَيْبِي . فَأَتَى بِهَا . فَقَالَ : مِلْحَفَةٌ فِرَاشِي .
فَأَتَى بِهَا ، فَصَرَّ مَا فِي الظَّيْبَةِ وَمَا فِي الْعَتِيدَةِ فِي حَوَاشِي الْمِلْحَفَةِ . ثُمَّ قَالَ : شَأْنُكَ
بِهَوَاكَ . وَأَسْتَعِينَ بِهَذَا عَلَيْهِ . فَقَالَ يَمْدَحُهُ وَيُعَرِّضُ بِالْعُثْمَانِي :

أَبَا خَالِدٍ أَغْنِي سَعِيدَ بْنَ خَالِدٍ أَخَا الْعُرْفِ لَا أَغْنِي أَبْنُ بِنْتُ سَعِيدٍ
وَلَكِنِّي أَغْنِي أَبْنَ عَائِشَةَ الَّذِي أَبُو أَبَوَيْهِ خَالِدُ بْنُ أَسِيدٍ
عَقِيدُ النَّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى فَإِنْ مَاتَ لَمْ يَرْضَ النَّدَى بِعَقِيدٍ
دَعَا دَعَاؤَهُ إِنْكُمْ قَدْ رَقَدْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْ أَحْسَابِكُمْ بَرَقُودٍ
قَتَلْتُ أَنْسَاءً هَكَذَا فِي جُلُودِهِمْ مِنْ الْغَيْظِ لَمْ تَقْتُلَهُمْ بِحَدِيدٍ

هو والسعيدان
مع عبد الملك

فَأَتَى سَعِيدُ بْنُ خَالِدِ الْعُثْمَانِيُّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مَرَّوَانِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَتَيْتُكَ مُسْتَعْدِيًا . فَقَالَ : وَمَنْ يَكُ ؟ فَقَالَ : مُوسَى شَهَوَات . قَالَ : وَمَالُهُ ؟ قَالَ :
سَمِعْتُ بِي وَأُسْتَطَالَ فِي عِرْضِي . فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، عَلَيَّ بِمُوسَى . فَأَتَى بِهِ . فَقَالَ :
يَا عَاضُّ كَذَا مِنْ أُمِّهِ ، أَتَهْجُو سَعِيدَ بْنَ خَالِدٍ ! فَقَالَ : مَا فَعَلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَلَكِنِّي مَدَحْتُ أَبْنَ عَمِّهِ ، فَغَضِبَ هُوَ . فَقَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : عَلَّقْتُ
جَارِيَةً لَمْ يَبْلُغْ ثَمَنَهَا جِدَّتِي ^(٢) ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ صَدِيقِي ، فَشَكَّوْتُ إِلَيْهِ ذَلِكَ فَلَمْ أُصِبْ
عِنْدَهُ فِيهِ شَيْئًا ، فَأَتَيْتُ أَبْنَ عَمِّهِ سَعِيدَ بْنَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ،
فَشَكَّوْتُ إِلَيْهِ مَا شَكَّوْتُهُ إِلَى هَذَا ، فَقَالَ : تَعُودُ إِلَيَّ . وَحَكَى لَهُ الْقِصَّةَ الَّتِي جَرَتْ
لَهُ مَعَهُ وَأَنْشَدَهُ الشَّعْرَ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ : يَا غَلَامُ ، عَلَيَّ بِسَعِيدِ بْنِ خَالِدٍ . فَأَتَى بِهِ .
فَقَالَ : أَحَقُّ مَا وَصَفَكَ بِهِ مُوسَى ؟ قَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ .
قَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا طَوَّقَتْكَ عَوَاقِبُ هَذِهِ الْأُمُورِ ؟

(١) العتيدة : الحقة يكون فيها طيب الرجل أو العروس .

(٢) الجدة : اليسار والسعة .

فقال : دَيْنَ ثلاثين ألفَ دينار . فقال له : قد أمرتُ لك بها وبمثلها وبمثلها وثُلث مثلها . فحُمِلَ إليه مائةُ ألفَ دينار .

وقال بعضهم : فلقيتُ سعيدَ بن خالد بعد ذلك فقلتُ له : ما فعل المال الذي وصلك به سليمان ؟ فقال ما أصبحتُ والله أملك منه إلا خمسين ديناراً . قلت : فما أغتاله ؟ قال خَلَّةٌ ^(١) من صديق ، أو فاقَةٌ من ذى رَحِم .

سعيد بن خالد
وقد سئل عن مال
أفاده من سليمان
ابن عبد الملك

وكان سليمان بن عبد الملك إذا نظر إليه بعد ذلك يقول : لعمرى والله ، ما أنت عن أحسابنا برقود !

لسليمان في ابن
أسيد

وقول موسى « ابن بنت سعيد » يعنى أم سعيد العُماني ، وهي آمنة بنت سعيد بن العاص . و « أم عقيد الندي » : عائشة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية ، أخت طلحة الطلحات ، وأمها صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ، من بني عبد الدار بن قصي . ولما أشبه الممدوح والمهجور ، في الأسم وأسم الأب ، فرق بينهما بذكر أمهاتهما ليرتفع اللبس .

تعقيب على شعر
موسى

وقيل : لما أنشد موسى شهوات سليمان بن عبد الملك شعره في سعيد بن خالد قال له : أتفتت أسماؤهما وأسماء آبائهما ، فتخوفت أن يذهب شعري باطلاً ، ففرقتُ بينهما بأمهاتهما ، فأغضبه أن مدحتُ ابنَ عمه . فقال له سليمان : بلى والله لقد هجوته ، وما خفي ذلك عليّ ، ولكني لا أجد إليك سبيلاً ، وأطلقه .

بينه وبين سليمان
في شعره في خالد
ابن سعيد

وقيل : قال موسى شهوات لمعبد : قد قلتُ في حمزة بن عبد الله بن الزبير فغنّ فيه ، حتى يكون أجزلَ لصلتينا : ففعل ذلك معبد .

شعره في حمزة وغناء
معبد فيه

والأبياتُ التي قالها موسى في حمزة هي التي فيها الغناء ، وأفتتح بها أبو الفرج أخبار موسى ، وهي :

حَمْزَةُ الْمُبْتَاعُ بِالْمَالِ (١) النَّدَى
فَهُوَ إِنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَاضِلًا
وَإِذَا مَا سَنَةً مُجْجِفَةً
حَسَرَتْ عَنْهُ نَقِيًّا عَرِضُهُ
نُورَ صِدْقٍ بَيِّنٍ فِي وَجْهِهِ
كُنْتَ لِلنَّاسِ رَبِيعًا مُغْدِقًا
وَيَرَى فِي بَيْعِهِ أَنْ قَدْ غَبَنَ
ذَا إِخَاءٍ لَمْ يُكْدِرْهُ بَمَنْ
بَرَّتِ النَّاسَ كِبَرِي (٢) بِالسَّفَنِ
ذَا بِلَاءٍ عِنْدَ مُخْنَاهَا (٣) حَسَنَ
لَمْ يَدْنَسْ ثَوْبَهُ لَوْنُ الدَّرَنِ
سَاقِطَ الْأَكْنَافِ إِنْ رَاحَ أَرْجَحَنَ

ثم ذكر أبو الفرج بعض أخبار حمزة هذا فقال :

كان فتى جواداً كريماً على هَوَجٍ وَتَخْلِيْطٍ كان فيه . وكان مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ
وَالِىَ الْعِرَاقِ مِنْ قَبْلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَتَزَوَّجَ سُكَيْنَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ
ابْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَاشَتْ بِنْتُ طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَكَانَتَا
أَجْمَلَ أَهْلِ عَصْرِهِمَا ، وَأَمَّهَرُ كُلِّ وَاحِدَةٍ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَبَلَغَ إِخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ
الزُّبَيْرِ ذَلِكَ ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّا بَعَثْنَا مُصْعَبًا إِلَى الْعِرَاقِ فَأَغْمَدَ سَيْفُهُ وَسَلَّ أَيْرَاهُ .
وَدَعَا بِأَبْنِهِ حَمْزَةَ فَوَلَّاهُ الْبَصْرَةَ وَعَزَلَ مُصْعَبًا . وَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ قَوْلُ
عَبْدِ اللَّهِ فِي مُصْعَبٍ . فَقَالَ : وَلَكِنْ أَبَا خُبَيْبٍ أَغْمَدَ سَيْفُهُ وَأَيْرَاهُ وَخَيْرُهُ . فَلَمَّا قَدِمَ
حَمْزَةُ الْبَصْرَةَ أَسَاءَ السَّيْرَةَ وَخَلَطَ تَخْلِيْطًا شَدِيدًا . فَوَفَدَتْ إِلَى أَبِيهِ الْوُفُودُ فِي أَمْرِهِ .
وَكُتِبَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : إِنْ كَانَتْ لَكَ بِالْبَصْرَةِ حَاجَةٌ فَأُصْرَفَ ابْنُكَ عَنْهَا
وَأَعِدَّ إِلَيْهَا مُصْعَبًا . فَفَعَلَ ذَلِكَ . وَكَانَتْ أُمُّ حَمْزَةَ بِنْتُ مَنْظُورِ بْنِ زَبَّانٍ ، وَكَانَ
أَبْنُ الزُّبَيْرِ يُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا . وَسَيَّاتِي ذِكْرُهَا فِي أَخْبَارِ الْفَرَزْدَقِ الشَّاعِرِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « الثَّنَا » مَكَانَ « النَّدَى » .

(٢) السَّفَنِ : الْفَأْسُ الْعَظِيمَةُ .

(٣) مُخْنَاهَا ، مِنْ أَخْنَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ ، إِذَا أَهْلَكَهُ .

تعقيب لابن واصل
عن قتل مصعب

قلت :

ولم يزل مُصعب بعد ذلك على العراق إلى أن قدمها عبدُ الملك بن مروان
فملكها وقتل مصعب ووضع رأسه بين يديه ، ثم سَيرَ الجنود مع الحجاج
ابن يوسف إلى مكة ، فحصر ابن الزُّبير بها إلى أن ظفر به وقتله وصلبه مُنكسًا ،
وصفت الدنيا لعبد الملك بن مروان .

انتهى الجزء الأول من القسم الأول
من كتاب تجريد الأغاني لابن واصل الحموي

يتلوه ان شاء الله

الجزء الثاني من القسم الأول

وأوله أخبار أبي العتاهية

(١) الفرج أحماد بن يوسف - وهو مصعب بن عمير - قتله عبد الملك بن مروان سنة (٦٠) هـ .

(٢) قيل مات مصعب سنة (٦٠) هـ .

(٣) الملك عبد الملك بن مروان - وهو من بني أمية - قتله سنة (٦٠) هـ .

فهرست أول

لتراجم الجزء الأول

من القسم الأول من تجريد الأغاني

صفحة	
٤٣٧-٤٣٦	الأبجر
٢٥٥-٢٤٧	ابن أرطاة عبد الرحمن
١٠٧-٩٤	ابن سريج عبيد
٢٤٦-٢٣٨	ابن عائشة محمد
١٣٢-١٣١	ابن محرز
٤١٧-٤١٤	ابن مسجح سعيد
٤٢٥-٤١٧	ابن المولى محمد بن عبد الله
٢٧٥-٢٥٦	ابن ميادة الرماح
٢٤-٨	أبو قطيفة عمرو بن الوليد
٤٠٦-٣٧٢	بشار بن برد
٤١٣	الحادرة قطبة بن أوس
٤٣٥-٤٢٩	الحارث بن خالد المخزومي
٢٣٧-٢٢٢	الخطيئة
٣٠٦-٢٩٩	الحكم بن عبدل
٢٨٠-٢٧٦	حنين بن بلوع
٣٦٣-٣٥٣	ذو الاصبع العدواني حرثان بن عمرو
٣٧١-٣٦٨	زيد بن عمرو
٣٣٢-٣٢٩	سعيد الدارمي
٣٢٨-٣٢٢	طويس عيسى بن عبد الله
٢١٧-١٩١	عدي بن زيد
١٥١-١٣٣	العرجي عبد الله
٣٥٢-٣٤٥	عروة بن الورد
٤٢٨-٤٢٦	عطرده
٤١٢-٤١١	عكاشة بن عبد الصمد العمي
٩٤-٣٥	عمر بن أبي ربيعة
٣٦٥-٣٦٤	غريض بن السمومل اليهودي

	.	.	.	.	.	.	.	. الفريض عبد الملك
٢٩٨-٢٨١	.	.	.	.	.	.	.	قيس بن الخطيم
٣٢١-٣٠٧	.	.	.	.	.	.	.	المجنون .
١٩٥-١٥٢	.	.	.	.	.	.	.	معبد بن وهب
٣٤-٢٥	.	.	.	.	.	.	.	موسى شهوات
٤٤٢-٤٣٨	.	.	.	.	.	.	.	نصيب بن رباح
١٣٢-١٠٨	.	.	.	.	.	.	.	هلال بن الأسعر المازني
٣٤٤-٣٣٣	.	.	.	.	.	.	.	ورقة بن نوفل
٣٦٧-٣٦٦	.	.	.	.	.	.	.	يزيد حوراء
٤١٥-٤٠٧	.	.	.	.	.	.	.	

فهرست ثان

لتراجم الجزء الأول

من القسم الأول من تجريد الأغاني

مقدمة الكتاب ٣ - ٧

أخبار أبي قطيفة - نسبه ٨ : ٢ - ٨ ؛ شيء عن أبي عمرو بن أمية ٨ : ٩ - ٩ : ٦ ؛ خندف ٩ : ٧ : ٩ ؛ الأعياص والعنابس ٩ : ١٠ - ١٥ ؛ وفود ابن فضالة على ابن الزبير ٩ : ١٦ - ١١ ؛ مقتل ابن أبي معيط ١١ : ٧ - ١٣ : ٧ ؛ من خبر الوليد بن عقبة ١٣ : ٨ - ١٥ ؛ اسم أبي قطيفة وكنية ولقبه ١٣ : ١٦ - ١٤ : ٣ ؛ خبر قصر سعيد بن العاص ١٤ : ٤ - ١٨ ؛ عمرو بن سعيد وقرشي كان يدين أباه ١٤ : ١٩ - ١٥ : ٩ ؛ من جود سعيد ١٥ : ١٠ - ٢١ ؛ ذكر نفى بنى أمية عن المدينة ١٦ : ١ - ١٩ : ٩ ؛ وقعة الحرة ١٩ : ١٠ - ٢٢ : ٥ ؛ شعر أبي قطيفة فى حنينه الى وطنه ٢٢ : ٦ - ٢٣ : ٥ ؛ عفو ابن الزبير عن أبي قطيفة ٢٣ : ٦ - ٨ ؛ خبر زهرية سمعت من شعره ٢٣ : ٩ - ١٩ ؛ شعره فى طلاق امرأته ٢٤ : ١ - ٥ ؛ مقتل سعيد بن عثمان ٢٤ : ٦ - ١٢ .

بعض أخبار معبد - نسبه ٢٥ : ٢ - ٤ ؛ نشأته ووفاته ٢٥ : ٥ - ٢٦ : ٩ ؛ منزلته فى الغناء ٢٦ : ١٠ - ١١ ؛ أخذه جائزة لابن صفوان ٢٦ : ١٢ - ١٦ ؛ مبدأ غنائه ٢٦ : ١٧ - ٢٠ ؛ حديث رجوع ابن سريج والغريض عن المدينة ٢٧ : ١ - ١٠ ؛ نادرة له فى طريقه الى الحجاز ٢٧ : ١١ - ٢٨ : ٧ ؛ هو وابن سريج فى بطن مر ٢٨ : ٨ - ١٦ ؛ هو والجوارى المغنيات فى طريقه الى الأهواز ٢٨ : ١٧ - ٣١ : ١٢ ؛ هو فى حضرة الوليد بن يزيد ٣١ : ١٣ - ٣٣ : ٦ ؛ خبره مع شامى ٣٣ : ٧ - ٣٤ : ٣

أخبار عمر بن أبي ربيعة - نسبه ٣٥ : ٢ - ٣٦ : ٩ ؛ شيء عن عبد الله ابن أبي ربيعة ٣٩ : ١٠ - ٣٧ : ١٣ ؛ أمه ٣٧ : ١٤ - ٣٨ : ٧ ؛ ابنه جوان ٣٨ : ٨ : ١٢ ؛ مولده ٣٨ : ١٣ - ١٤ ؛ قدومه على ابن عباس المسجد ٣٨ : ١٥ - ٤٠ : ٢ ؛ مكانته فى الشعر ٤٠ : ٣ - ١٣ ؛ من خلقه ٤٠ : ١٤ - ٤١ : ٨ ؛ هو وامرأة فى الطواف ٤١ : ٩ - ١٨ ؛ هو وابن عباس ٤١ : ١٩ - ٤٢ : ١٢ ؛ يزيد ورجل من أهل الشام معه ترس ٤٢ : ١٣ - ١٦ ؛ لابن

المسيب فى بيت له ٤٢ : ١٧ - ٤٣ : ٢ ؛ هو وفاطمة الكندية ٤٣ : ٣ - ٤٥ : ٤ ؛ هو وزينب بنت موسى ٤٥ : ٥ - ٥٠ : ٢ ؛ هو ونسوة تشوقن اليه ٥٠ : ٣ - ١٢ ؛ رأى جرير فى شعره ٥٠ : ١٣ - ٥١ : ٢ ؛ رأى مصعب فى شعره ٣ : ١٢ ؛ رأى ابن أبى عتيق فى شعره وشعر الحارث ٥١ : ١٣ - ٥٢ : ١٣ ؛ تلقى الحارث بالقبتاع ٥٢ : ١٤ - ١٦ ؛ عمر وقد نهاه الحارث عن قول الشعر ٥٢ : ١٧ - ٥٣ : ١١ ؛ الوليد بن يزيد وأصحابه فى أغزل بيت ٥٣ : ١٢ - ٥٤ : ١ ؛ هو وجميل وقد تناشدا ٥٤ : ٢ - ٥٥ : ٦ ؛ هو وابن أبى عتيق فى شعر له ٥٥ : ٧ - ١٢ ؛ من شعره ٥٥ : ١٣ - ٥٩ : ١٤ ؛ هو وأسماء ٥٩ : ١٥ - ٦٠ : ٩ ؛ الوليد وحماد فى شعر عمر ٦٠ : ١٠ - ٦١ : ٦ ؛ هو ورجل يكلم امرأة فى الطواف ٦١ : ٧ - ١٣ ؛ هو وجارية له بعد ما أسن وحلف لا يقول شعرا ٦١ : ١٤ - ٦٢ : ٨ ؛ هو وعروة فى ابنه محمد ٦٢ : ٩ - ١٥ ؛ هو ومالك بن أسماء فى الحج ٦٣ : ١٦ - ٦٣ : ٦ ؛ هو وأبو الأسود وقد عرض لامرأته فى الطواف ٦٣ : ٢ - ١٥ ؛ هو والفرزدق ٦٣ : ١٦ - ٦٤ : ١١ ؛ هو والحارث ابن عبد الله ٦٤ : ١٢ - ٦٥ : ٢٠ ؛ شعره فى قينتى ابن هلال ٦٥ : ١ - ٥ ؛ هو وبعض الشعراء فى وصف برق ٦٥ : ٦ - ١٧ ؛ هو وليلى البكرية ٦٥ : ١٨ - ٦٦ : ١٠ ؛ هو وبنت مروان بن الحكم ٦٦ : ١١ - ٦٧ : ٣ ؛ هو وحميدة ٦٧ : ٤ - ١١ ؛ هو وعراقية رآها فى الطواف ٦٧ : ١٢ - ٦٨ : ١٠ ؛ بينه وبين الخاطبي وصاحب له وحديثه عن هند ٦٨ : ١١ - ٧٢ : ٢ ؛ هو وفاطمة بنت عبد الله بن مروان ٧٢ : ٣ - ٧٦ : ٥ ؛ هو وعائشة بنت طلحة ٧٦ : ٦ - ٧٨ : ١٧ ؛ هو وكلثم المخزومية ٧٨ : ١٨ - ٨٠ : ١٩ ؛ هو ولبابة امرأة الوليد بن عتبة فى الطواف ٨١ : ١ - ١٢ ؛ أبياته التى فيها الغناء ٨١ : ١٣ - ٨٨ ؛ شئ عن العبلات ٨٧ : ١ - ١٣ ؛ عمر والثريا ٨٢ : ١٤ - ٨٣ : ١٣ ؛ هو وجارية من بنى جمح ٨٣ : ١٤ - ٨٥ : ٢ ؛ هو ورملة الخزاعية ٨٥ : ٣ - ١٧ ؛ أم نوفل والثريا فى شعر له ٨٥ : ١٨ - ٨٦ : ٤ ؛ الثريا وقد بلغها شعر له فى رملة ٨٦ : ٥ - ٧ ؛ ابن أبى عتيق بين الثريا وعمر ٨٦ : ٨ - ٨٨ : ٢١ ؛ غناء ابن عائشة فى مجلس الحسن بشعر عمر ٨٩ : ١ - ١٤ ؛ زواج الثريا وشعر عمر ٨٩ : ١٥ - ٩٠ : ١٣ ؛ عبد الملك والثريا بعد موت السهيل ٩٠ : ١٤ - ٩١ : ١٠ ؛ هو والثريا بعد زواجها ٩١ : ١١ - ٩٢ : ١٢ ؛ هو وامرأة شريفة رآها فى الطواف ٩٢ : ١٣ - ٩٣ : ٥٥ .

أخبار ابن سريج - نسبه ٩٤ : ٢ - ٤ ؛ شئ من وصفه ٩٤ : ٥ - ١٠ ؛ موته ٩٤ : ١١ - ١٢ ؛ أول من ضرب بالعود ٩٤ : ١٥ - ٩٥ : ٢ ؛

انقطاعه الى الحكم ٩٥ : ٣ - ٥ ؛ من النفر الذين هم أصل الغناء ٩٥ : ٦ -
٧ ؛ شهادة ابراهيم الموصلي له ٥٩ : ٨ - ١١ ؛ اشتغاله بالنياحه ثم عدوله
عنها ٩٥ : ١٢ - ٩٦ : ٤ ؛ هو وعطاء بن أبي رباح ٩٦ : ٥ - ٢١ ؛
هو وابن أبي ربيعة ويزيد بن عبد الملك في الحج ٩٧ : ١ - ٩٨ : ٣ ؛ غناؤه
والغريض عند ابن أبي رباح ٩٨ : ٤ - ١٠٠ : ١٣ ؛ رحلة جرير اليه يسمع
صوتا ١٠٠ : ١٤ - ١٠٢ : ١٣ ؛ هو في حضرة الوليد بن عبد الملك ١٠٢ :
١٤ - ١٠٦ : ٢١ ؛ في موته ١٠٦ : ٢٢ - ١٠٧ : ١٨ .

أخبار نصيب - نسبه وولائوه ١٠٨ : ٢ - ٦ ؛ منزلته في الشعر
١٠٨ : ٧ - ٨ ؛ نشأته في الشعر وقدمه على عبد العزيز بن مروان ١٠٨ :
٩ - ١١٢ : ٦ ؛ هو والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك ١١٢ : ٧ -
١١٣ : ٨ ؛ هو وقد حمله عبد العزيز بالمقطم ١١٣ : ٩ - ١٢ ؛ قدومه على
هشام بن عبد الملك ١١٣ : ١٣ - ١١٤ : ٤ ؛ اعتاقه أمه وامراته وابن
خالته سحيفا ١١٤ : ٥ - ١٨ ؛ استعجاله جائزة عبد العزيز ١١٥ : ١ - ٩ ؛
هو وعبد الملك بن مروان ١١٥ : ١٠ - ١٤ ؛ عمر وابن مزيد في سبب
تسميته ١١٥ : ١٥ - ٢٠ ؛ هو ورجل لقيه هو وأم بكر ١١٦ : ١ - ٨ ؛
جواب عبد الله بن جعفر وقد سئل عن عطاياه له ١١٦ : ٩ - ١٣ ؛ منقذ
الهلالى مع بعضهم في شعر له ١١٦ : ١٤ - ١١٧ : ٢ ؛ هو ومسلمة في
عفة شعره ١١٧ : ٣ - ٦ ؛ طلب اليه عمر بن عبد العزيز أن ينشده
« قفا أخوى » ١١٧ : ٧ - ١٧ ؛ هو وعجوز كان يختلف اليها مع ابنتها
١١٧ : ١٨ - ١١٨ : ٧ ؛ هو وامرأة من ملل ينزل عندها الناس ١١٨ : ٨ -
١٦ ؛ سؤاله عمر بن عبد العزيز نفقة لبناته ١١٨ : ١٧ - ١١٩ : ٥ ؛ من
رقيق شعره ١١٩ : ٦ - ١١ ؛ شعره في عبد العزيز بن مروان ١١٩ :
١٢ - ١٧ ؛ هو وشاعر هجاء بالسواد ١١٩ : ١٨ - ١٢٠ : ٩ ؛ بينه وبين
رجل سبه بالرق ١٢٠ : ١٠ - ١٤ ؛ هو وجارية سألته أن يشيب بها
١٢٠ : ١٥ - ٢٢ ؛ هو وجارية مطلقة أبت ثم تزوجته ١٢١ : ١ - ١٢ ؛
شعر له كان يستجيده الأصمعي ١٢١ : ١٣ - ١٨ ؛ هو والأحوص وكثير
في حضرة امرأة من بنى أمية ١٢١ : ١٩ - ١٢٤ : ١٨ ؛ رثاؤه عبد العزيز
وقد مات بسكر ١٢٤ : ١٩ - ١٢٥ : ٩ ؛ لابن واصل في ولاية مروان
العهد ١٢٥ : ١٠ - ١٥ ؛ هو وعبد الملك وقد طلب اليه رثاءه في أخيه
١٢٥ : ١٦ - ١٢٦ : ٤ ؛ له في عطاء الحكم بن المطلب له ١٢٦ : ٥ - ١٢ ؛
يزيد يملأ فمه جوهرًا ١٢٦ : ١٣ - ١٦ ؛ جائزة ابراهيم بن هشام له
١٢٦ : ١٧ - ١٢٧ : ٤ ؛ قدومه على هشام بعد مرضه حين ولى الخلافة
١٢٧ : ٥ - ١٢٨ : ٤ ؛ سؤال عبد العزيز له عن عشقه ١٢٨ : ٥ -

١٣ : هو والنسوة الثلاث اللاتي كن يتناشدن في المسجد الحرام ١٢٨ :
١٤ - ١٢٩ : ١٦ ؛ شعره الذي فيه الغناء ١٣٠ : ١ - ٣ .

أخبار ابن محرز - اسمه ونسبه ١٣١ : ٢ - ٥ ؛ نشأته ١٣١ : ٦ -
١١ ؛ هو وحنين في العراق ١٣١ : ١٢ ١٣٢ : ٤ .

أخبار العرجي - اسمه ونسبه ١٣٣ : ٢ - ١٣٥ : ٢ ؛ لقبه وسببه
١٣٥ : ٣ - ٤ ؛ منزلته في الشعر ١٣٥ : ٥ - ٧ ؛ تشبيهه بجيداء ١٣٥ :
٨ - ١١ ؛ بلاؤة مع مسلمة ١٣٥ : ١٢ - ١٣ ؛ من كرمه ١٣٥ : ١٤ - ١٧ ؛
شهادة حبشية له بأنه خلف لابن أبي ربيعة ١٣٥ : ١٨ - ١٣٦ : ٤ ؛ هو
وكلابة مولاة العبلي ١٣٦ : ٥ - ١٣٩ : ٢ ؛ مسلمة وأيوب وأشعب في شعر
للعرجي ١٣٩ : ٣ - ١٨ ؛ هو وعاتكة زوجة طريح ١٤٠ : ٨ ؛ قصة له مع
جارية ١٤٠ : ٩ - ١٢ ؛ يوما ١٤٠ : ١٣ - ١٥ ؛ من كرمه أيضا ١٤٠ :
١٦ - ١٩ ؛ هو وأم الأوقص ١٤١ : ١ - ١٤٢ : ٣ ؛ توله أبي السائب
بشعره ١٤٢ : ٤ - ١٤٣ : ٣ ؛ تزوجه لأم عثمان ١٤٣ : ٤ - ١٠ ؛ ابن
عمر مع امرأة في الحج نسب بها العرجي ١٤٣ : ١١ - ١٤٤ : ٢ ؛ هو
ومحمد بن هشام ١٤٤ : ٣ - ١٤٥ : ٣ ؛ بين ابن سريج وعطاء وقد غناه
بشعر للعرجي ١٤٥ : ٣ - ١٠ ؛ من تشبيهه أيضا بجبرة زوجة ابن هشام
١٤٥ : ١١ - ١٤ ؛ ابن هشام وأمه ١٤٥ : ١٥ - ١٧ ؛ مودة ابن هشام
على العرجي ١٤٥ : ١٨ - ١٤٨ : ٤ ؛ للعرجي في حبسه ١٤٨ : ٥ - ٩ ؛
أبو حنيفة وجار له كان يتغنى في سكره بشعر للعرجي ١٤٨ : ١٠ - ١٤٩ :
٣ ؛ المنصور وعمه عبد الله حين تمثل بشعر العرجي في حبسه ١٤٩ : ٤ -
٨ ؛ للمؤلف في مقتل عبد الله عم المنصور ١٤٩ : ٩ - ١٤ ؛ الأصمعي
وكناس يغنى ببيت للعرجي ١٤٩ : ١٥ - ١٥٠ : ٢ ؛ تنكيل الوليد بمحمد
ابن هشام وأخيه وخالد القسري ١٥٠ : ٣ - ١٨ ؛ شعر الوليد بن يزيد في
ذلك ١٥٠ : ١٩ - ١٥١ : ٦ ؛ بين اسحاق الموصلي والرشيد في بيت
للعرجي ١٥١ : ٧ - ١٤ ؛ شعر العرجي الذي فيه الغناء ١٥١ : ١٥ - ١٧

أخبار المجنون - اسمه ١٥٢ : ٢ - ١١ ؛ قول من أنكره ١٥٢ : ١٣ -
١٥٣ : ٩ ؛ قول المثبتين له ١٥٣ : ١٠ - ١٤ ؛ ليلي صاحبتة ١٥٣ : ١٥ -
١٥٤ : ٢ ؛ الأصمعي وأعرابي من بنى عامر عمن رموا فيهم بالمجنون ١٥٤ :
٣ - ١٥٥ : ٢ ؛ مزاحم والمجنون في هوى ليلي ١٥٥ : ٣ - ٨ ؛ ابن موسى
والعدوي في بيتين لجميل ١٥٥ : ٩ - ١٧ ؛ سبب عشقه ليلي ١٥٥ : ١٨ -
١٥٦ : ٤ ؛ اختلاط ابن مليكة في آذانه عند سماعه من يتغنى بشعر
للمجنون ١٥٦ : ٥ - ٧ ؛ عود الى تعلق المجنون بليلى ١٥٦ : ٨ - ١٥٧ : ١٥ ؛

خطبته ليلي واختيارها غيره ١٥٧ : ١٦ - ١٥٨ : ٤ ؛ سبب اختلاط عقله
 ١٥٨ : ٥ - ١٢ ؛ سؤال عمر بن عبد الرحمن أن يخرج معه ١٥٨ : ١٣ -
 ١٥٩ : ٣ ؛ قصته مع نوفل بن مساحق ١٥٩ : ٤ - ١٦٠ : ١٨ ؛ من شعره
 ١٦١ : ١ - ٦ ؛ حجه بعد زواج ليلي ١٦١ : ٧ - ١٦٤ : ٢ ؛ سؤال زوج
 ليلي عن حالهما ١٦٤ : ٣ - ٩ ؛ مروره بجبلى نعمان ١٦٤ : ١٠ - ١٦٥ : ٢ ؛
 وقوفه على آثار بيت ليلي ١٦٥ : ٣ - ١٤ ؛ ليلي وقد أخلفته ١٦٥ : ١٥ -
 ١٦٦ : ١١ ؛ حديثه مع ليلي وقد أتى أهلها يسألهن أدما ١٦٦ : ١٢ - ١٩ ؛
 هو ويلي وقد أتى أهلها يطلب نارا ١٦٧ : ١ - ٥ ؛ شعر له يدعى لنصيب
 ١٦٧ : ٦ - ٩ ؛ هو ويلي بعد أن سألتها أمه لقاء ١٦٧ : ١٠ - ١٦٨ : ٢ ؛
 سبب تسميته بالمجنون ١٦٨ : ٣ - ١٨ ؛ من شعره ١٦٨ : ١٩ - ١٦٩ :
 ١٨ ؛ شعره وقد زوجت ليلي فى ثقيف ١٧٠ : ١ - ١٧١ : ١١ ؛ تردده على
 التوباذ حيث كان يلقي ليلي ١٧١ : ١٢ - ١٧٢ : ٩ ؛ سبب مرضه ١٧٢ :
 ١٠ - ١٣ ؛ عود الى شعره ١٧٢ : ١٤ - ١٨ ؛ البغاء وصديق له أحب
 قرشية ١٧٣ : ١ - ١٧٥ : ٤ ؛ رجعة الى شعر المجنون ١٧٥ : ٥ - ٨ ؛ شعره
 فيما كان بين ليلي وجارة لها من عقيل ١٧٥ : ٩ - ١٧ ؛ شعره وقد وعظه
 عامرى غب مطر ١٧٥ : ١٨ - ١٧٦ : ١٩ ؛ لقاءه ليلي فجأة ١٧٧ : ١ - ١٩ ؛
 نوفل بن مساحق والمجنون ١٧٨ : ١ - ١٧٩ : ٩ ؛ سبب توحش المجنون
 ١٧٩ : ١١ - ١٨٠ : ١٧ ؛ من شعر المجنون ١٨١ : ١ - ٣ ؛ المجنون ورجل
 به ١٨١ : ٤ - ١١ ؛ للمجنون وقد مر بواد يتجاوب حمامه ١٨١ : ١٢ -
 ١٦ ؛ له فى زوج ليلي ١٨١ : ١٦ - ٢٠ ؛ له وقد أبت رفقة أن تعدل معه الى
 طريق ليلي ١٨٢ : ١ - ٨ ؛ له وقد هتفت حمامة ١٨٢ : ٩ - ١٥ ؛ له وقد
 مر به نفر من اليمن ١٨٢ : ١٦ - ١٨٣ : ٩ ؛ هو مع رجلين صاددا ظبية
 وسألها حلها ١٨٣ : ١٠ - ٢٠ ؛ هو مع نسوة عزلنه فى حب ليلي ١٨٤ :
 ١ - ١٥ ؛ رسول بينه وبين ليلي ١٨٤ : ١٦ - ١٨٥ : ١٢ ؛ هو ورجل دسه
 اليه أبوه يذم ليلي ١٨٥ : ١٣ - ١٨٦ : ٥ ؛ ليلي ورجل من بنى مرة ١٨٦ :
 ٦ - ١٨٧ : ٧ ؛ المجنون وقد مر بليلى ١٨٧ : ٨ - ١٢ ؛ حديث رجل عامرى
 عن المجنون ١٨٧ : ١٤ - ١٩٠ : ١٨ ؛ فجيعه أهله به ١٩٠ : ١ - ٩ ؛ من
 شعره الذى وجدوه معه ١٩٠ : ١٠ - ١٤ ؛ مما يروى له ١٩٠ : ١٥ - ١٨ .

أخبار عدى بن زيد - نسبه ١٩١ : ٢ - ٥ ؛ منزلته فى الشعر ٢٩١ :
 ٦ - ١١ ؛ سبب نزول آله الحيرة ٢١١ : ١٢ - ١٩٥ : ١٧ ؛ زيد أبو عدى
 على الحيرة وبقاء اسم الملك للمندر ١٩٥ : ١٨ - ١٩٦ : ١٣ ؛ مقدم عدى
 ولقاء المنذر له ١٩٦ : ١٤٠ - ١٩٧ : ١١ ؛ زواج عدى بهند ١٩٧ : ١٢ -
 ١٩٩ : ٢١ ؛ خطبة ابن شعبة لهند بعد ترهبها ١٩٩ : ٢٢ - ٢٠٠ : ٨ ؛
 م - ٢٩ تجريد الأغاني

حديث ميلها الى زرقاء اليمامة وبناء الديار ٢٠٠ : ٩ - ٢٠ : شعر عدى فى
مصاهرته للنعمان ٢٠١ : ٥ : النعمان فى حجر عدى ٢٠١ : ٦ - ١٣ : شعر
عدى فى تولية النعمان والخلاف بينه وبين ابن مرينا ٢٠١ : ٤ - ٢٠٤ :
٣ : تدبير ابن مرينا للايقاع بعدى بن زيد ٢٠٤ : ٤ - ٢٠٥ : ٤ : عدى
وتنصر النعمان ٢٠٥ : ٥ - ٢٠٦ : ١١ : حديث خالد عن تنصر النعمان
٢٠٦ : ١٢ - ٢٠٩ : ١٣ : خبر الحضر ٢٠٩ : ١٤ - ٢١١ : ٥ : خبر
الخورنق ٢١١ : ٦ - ٢١٢ : ٨ : حبسه وشعره الى النعمان ٢١٢ : ٩ -
٢١٣ : ١٧ : شعره الى أخيه وسعى أخيه لاطلاقه وحديث ذلك ٢١٣ : ١٨ -
٢١١ : ٢ : استجارة النعمان بسادات العرب ثم تسليمه نفسه ٢١٩ : ٣ -
٢٢٠ : ١٤ : للأعشى فى موت النعمان ٢٢٠ : ١٥ - ٢٢١ : ٢ : ما تمثل
به النابغة حين بلغه موته ٢٢١ : ٣ - ٨ : أبيات عدى التى فيها الغناء
٢٢١ : ٩ - ١٤

أخبار الحطيئة - نسبه ٢٢٢ : ٢ - ٤ : منزلته فى الشعر ٢٢٢ :
٥ - ٦ : شئ عنه ٢٢٢ : ٧ - ٨ : اسلامه وارتداده وشعره فى ذلك
٢٢٢ : ٩ - ١١ : سبب تقليبه بالحطيئة ٢٢٢ : ١٢ : ١٤ : تردده فى
نسبه ٢٢٢ : ١٥ - ١٦ : رأى ابن الكلبي ٢٢٣ : ١ - ٢ : شعره فى هجاء
أمه ٢٢٣ : ٣ - ١٠ : بعض طباعه ٢٢٣ : ١١ - ١٢ : من ولعه بالهجاء ٢٢٣ :
١٣ - ١٧ : فى حفل لسعيد بن العاصي ٢٢٣ : ١٨ - ٢٢٤ : ١٥ : هو
وعتيبة بن النحاس ٢٢٤ : ١٩ - ٢٢٥ : ١٢ : للأحوزى فى شعره ٢٢٥ :
١٣ - ١٤ : فضله اسحاق على الشعراء بعد زهير ٢٢٥ : ١٥ - ٢٢٦ : ٢ :
من بخله ٢٢٦ : ٣ - ١١ : شعر له فى ناقة فقدتها ٢٢٦ : ١٢ - ١٥ :
لكعب الحبر فى بيت للحطيئة ٢٢٦ : ١٦ - ٢٢٧ : ٢ : وصى ابن شداد ابنه
بشعره ٢٢٧ : ٣ - ١٠ : كذبه عمر فى بيت قاله ٢٥٧ : ١١ - ١٥ :
استعطاف امرأته وقد أراد سفرا ٢٢٧ : ١٦ - ٢٢٨ : ١ : استحسان ابن
شبرمة لشعره ٢٢٨ : ٢ - ٦ : مدحه لبنى مقلد وقد أكرموا جواره ٢٢٨ :
٧ - ١٨ : خبره مع الزيرقان بن بدر ١٢٨ : ١ - ٢٣٥ : ١٣ : شراء
عمر الأعراض منه ٢٣٥ : ١٤ - ١٧ : وصيته عند موته ٢٣٥ : ١٨ -
٢٣٧ : ١٤ : تكذيب عمر له فى بيت سمعه ٢٣٧ : ١٥ - ١٦

أخبار ابن عائشة - اسمه وولأؤه ٢٣٨ : ٢ - ٤ : منزلته فى الغناء
٢٣٨ : ١١ - ٢٣٩ : ١٢ : غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير ٢٣٩ :
١٣ - ٢٤٠ : ٢ : فى حضرة الوليد بن يزيد ٢٤٠ : ٣ - ١٦ : هو ورجل

من أهل وادی القرى يشتهى الغناء ٢٤٠ : ١٧ - ٢٤١ : ٢٠ ؛ غناؤه لختية
من بنى هاشم ٢٤١ : ٢١ - ٢٤٣ : ١٤ ؛ هو وجماعة من قریش جروه الى
الغناء ٢٤٣ : ١٥ - ٢٤٥ : ٤ ؛ عند ابن هشام وقصة موته ٢٤٥ : ٥ -
٢٤٦ : ٦ .

أخبار ابن أرتاة - نسبه ٢٤٧ : ٢ - ٨ ؛ منزلته فى الشعر وحلفه فى
أمية ٢٤٧ : ٩ - ١٤ ؛ مدحه للوليد بن عثمان ٢٤٧ : ١٥ - ٢٤٨ : ١٥ ؛
حده الوليد بن عثمان فى الخمر وأبطله عنه معاوية ٢٤٨ : ١٦ - ٢٥١ : ١٣ ؛
مقتل سعيد بن عثمان ورثاؤه له ٢٥١ : ١٤ - ٢٥٢ : ١٥ ؛ هو وابن أبى
معيط فى رثاء سعيد بن عثمان ٢٥٢ : ١٦ - ٢٥٣ : ٥ ؛ أراد ابن عم له على
شرب الخمر ٢٥٣ : ٦ - ١٧ ؛ منادىته الوليد بن عقبة ٢٥٣ : ١٨ - ٢٥٤ :
٥ ؛ حماية الوليد له وشعره فيه ٢٥٤ : ٦ - ١٣ ؛ هو وسعيد بن العاص فى
وصفه للخمر وما كان من معاوية ٢٥٤ : ١٤ - ٢٥٥ : ١٢

أخبار ابن ميادة - نسبه ٢٥٦ : ٢ - ١٠ ؛ من خبر أمه ٢٥٦ : ١١ -
٢٥٧ : ٥ ؛ لابن جهيم يهجوهم وردة عليه وفخره بوالديه ٢٥٧ : ٦ - ٢٥٨ :
٢ ؛ وصفه ٢٥٨ : ٣ - ٧ ؛ نسبه بأمر جحدر وشعره فيها ٢٥٨ : ٨ - ١٧ ؛
حديث عشقه لها ٢٥٩ : ١ - ٢٦١ : ١٠ ؛ من شعره فى أم جحدر ٢٦١ :
١١ - ١٣ ؛ ذكر بعض ما وقع من التهاجى بين ابن ميادة والحكم الخضرى -
تلاحيا فى بيتين ٢٦١ : ١٦ - ٢٦٣ : ٤ ؛ قصيدة ابن ميادة فى هجاء الحكم
٢٦١ : ٥ - ٢٦٤ : ٦ ؛ من تهاجيهما ٢٦٤ : ٧ - ١٢ ؛ من هجاء ابن ميادة
٢٦٤ : ١٣ - ٢٠ ؛ تمثل بعض ولده يشعر له ٢٦٤ : ٢١ - ٢٦٥ : ٥ ؛
آخر ما كان بينهما وموت الحكم ٢٦٥ : ٦ - ١٧ ؛ هو وشقران بين يدي الوليد
ابن يزيد ٢٦٥ : ١٨ - ٢٦٧ : ١٢ ؛ شعره فى الحنين الى وطنه وحديث
الوليد عنه ٢٦٧ : ١٣ - ٢٦٩ : ٢ ؛ أراد بنو كلب ابدال ما أجازوه الوليد فقال شعرا
٢٦٩ : ٣ - ٨ ؛ رثاؤه للوليد بن يزيد ٢٦٩ : ٩ - ١٣ ؛ للمؤلف فى مقتل
الوليد ٢٦٩ : ١٤ - ١٨ ؛ هو وزينب بنت مالك ٢٧٠ : ١ - ١٧١ : ٦ ؛
شعر له فى جارية أعطاه اياه الوليد ٢٧١ : ٧ - ١١ ؛ جوابه للوليد حين
سأله عمن نزل عند نسائه ٢٧١ : ١٢ - ١٣ ؛ عدوله عن الخروج ٢٧١ :
١٤ - ٢٧٢ : ١٢ ؛ شعر له فى مطر أصاب الحاج وصواعق ٢٧٢ : ١٣ -
١٧٣ : ٢ ؛ وفوده على عبد الواحد ومدحه اياه ٢٧٣ : ٣ - ٩ ؛ مدحه جعفر
ابن سليمان معرضا بالعفو عن بنى أمية ٢٧٣ : ١٠ - ٢٧٤ : ١٠ ؛ هو
وعبد الصمد بن على ٢٧٤ : ١١ - ٢٧٥ : ٢ ؛ وفاته ٢٧٥ : ٣ - ٤٠ ؛
شعره الذى فيه الغناء ٢٧٥ : ٥ - ٩ .

أخبار حنين - نسبه وشيء عنه ٢٧٦ : ٢ - ٩ : مع هشام في الحج
 ٢٧٦ : ١٠ - ٢٧٧ : ٦ ؛ جوابه وقد سئل عن غلوه في ثمن غنائه ٢٧٧ :
 ٧ - ٩ : في حضرة بشر مع الشعبي ٢٧٧ : ١٠ - ٢٧٨ : ١٠ : نزوله
 بحنين متنكرا ٢٧٨ : ١١ - ٢٧٩ : ٢٠ ؛ قدومه على مغنى الحجاز وموته
 ٢٧٩ : ٢١ - ٢٨٠ : ٢٣ .

أخبار الغريص - اسمه وكنيته وولأؤه ٢٨١ : ٢ - ٦ : لقبه ٢٨١ :
 ٧ - ٩ ؛ حديث تعلمه الغناء ٢٨١ : ١٠ - ٢٨٢ : ٣ ؛ خبر نفيه وغيره من
 المغنين من مكة ٢٨٢ : ٤ - ١٨ ؛ طرب ابن جعفر بغناء جارية له ٢٨٢ : ١٩ -
 ٢٨٣ : ٣ ؛ تحاكم هو وابن سريج الى سكيكة في الحج ٢٨٣ : ٤ - ١٢ ؛
 صلة عائشة بنت طلحة له في الحج لصوت غناه اياها ٢٨٣ : ١٣ - ٢٨٤ :
 ٨ ؛ سبب طرب عائشة بهذا الصوت ٢٨٤ : ٩ - ٢٨٥ : ١٠ ؛ شيء عن
 عائشة بنت طلحة ٢٨٥ : ١١ - ٢٠ ؛ غناؤه يزيد بن عبد الملك في مكة
 ٢٨٦ : ١ - ١١ ؛ حديث بيتي كثير ٢٨٦ : ١٢ - ٢٨٧ : ٢٠ ؛ حديث بيتي
 ابن شئس ٢٨٨ : ١٠ - ١٣ ؛ خروج معبد اليه وسماعه غناؤه ٢٨٨ : ١٤ -
 ٢٩٤ : ١٧ ؛ نصيب يصف نفسه وجميلا وكثيرا وابن أبي ربيعة ٢٩٤ : ١٨ -
 ٢٩٥ : ١٢ ؛ صنع لحناعند سماعة أصوات رهبان ٢٩٥ : ١٣ - ١٨ ؛ ابن
 أبي الهيثم وناسك ٢٩٥ : ١٩ - ٢٩٦ : ٢٧ ؛ هربه الى اليمن وموته
 ٢٩٦ : ٨ - ٢٩٧ : ١٧ ؛ أخبار أخرى عن موته ٢٩٨ : ١ - ١٤ .

أخبار الحكم بن عبدل - نسبه ٢٩٩ : ٢ - ٤ ؛ شعره ونشأته وشيء عن
 عصاه ٢٩٩ : ٥ - ١٤ ؛ هو وأبو عليه وصاحب العسس ٢٩٩ : ١٥ -
 ٣٠٠ : ٩ ؛ شعره في عرجان ٣٠٠ : ١٠ - ١٧ ؛ هو وعبد الملك بن بشر في
 رؤيا ٣٠١ : ١ - ١٦ ؛ هو وابن هبيرة ٣٠١ : ١٧ - ٣٠٢ : ١٠ ؛ هو
 وأبو المهاجر ٣٠٢ : ١١ - ١٨ ؛ هو وابن يزيد الأسدي ٣٠٣ : ١ - ٧ ؛ هو
 وامرأة سألته قضاء ديونها ٣٠٣ : ٨ - ٣٠٤ : ٢ ؛ هو وابن هبيرة وقد طلبه
 للغزو ٣٠٤ : ٣ - ١٢ ؛ رثاؤه لبشر بن مروان ٣٠٤ : ١٣ - ٣٠٥ : ٤ ؛
 هو وعبد الملك بعد خروجه الى الشام ٣٠٥ : ٥ - ١٤ ؛ هو وصاحب
 العسس ٣٠٥ : ١٥ - ١٩ ؛ تفضيل الحجاج له على الشعراء ٣٠٦ : ١ - ٩ ؛
 شعره الذي فيه الغناء ٣٠٦ : ١٠ - ١٣ .

أخبار قيس بن الخطيم - اسمه وكنيته ٣٠٧ : ٢ ؛ خبر أخذه بثأر أبيه
 وجده ٣٠٨ : ٣ - ٣١١ : ٤ ؛ اعجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بشعره ٣١١ : ٥ - ١٢ ؛ استجد النابغة شعره ٣١١ : ١ - ٣١٢ : ٦ ؛
 عن جماله ٣١٢ : ٧٠ - ٩ ؛ طلب حسان الى الخنساء هجاء فأبت ٣١٢ :

١٠ - ١٥ ؛ شعره فى يوم الربيع ٣١٢ : ١٦ - ٣١٣ : ١٤ ؛ حسان وليلى
أخت قيس ٣١٣ : ١٥ - ٣١٤ : ٩ ؛ غناء عزة الليلاء للنعمان بشعره
٣١٤ : ١٠ - ٣١٥ : ١ ؛ قضاء النعمان بين امرأة وزوجها ٣١٥ : ٢ - ٥ ؛
شعر له وخبر الحرب بينهم وبين بنى حجة ٣١٥ : ٦ - ٣٢٠ : ٢١ ؛
قتلته الخوارج فقتل به قومه أبا صعصعة ٣٢١ : ١١

أخبار طويس - اسمه وكنيته ولقبه ٣٢٢ : ٢ - ٥ ؛ شىء عن غنائه
وخلقه وعلمه ٣٢٢ : ٦ - ٨ ؛ من شؤمه ٣٢٢ : ٩ - ١٢ ؛ عن أمه ٣٢٢ : ١٣ ؛
تسميته بالذائب ٣٢٢ : ١٤ - ١٨ ؛ هيت المخنث وبادية بنت غيلان ٣٢٣ :
١ - ١٧ ؛ من اغرائه بين الأوس والخزرج ٣٢٤ : ١ - ٩ ؛ حديث نزول
عبد الله بن جعفر به فى اخوان له ٣٢٤ : ١٠ - ١٨ ؛ هو وجارية تبعها
فزجرته ٣٢٦ : ١ - ٨ ؛ هو والرجل المسحور ٣٢٦ : ٩ - ٣٢٧ : ١٠ ؛
حديث عروة وامراته سلمى ٣٢٧ : ١١ - ٣٢٨ : ٧ ؛ مروان بن الحكم
والنغاشى المخنث وطويس ٣٢٨ : ٨ - ١٧ ؛ موته ٣٢٨ : ١٨

أخبار سعيد الدارمى - نسبه وخلقه وشىء عنه ٣٢٩ : ٢ - ٦ ؛ حديث
تنفيقه خمرا سوداء ٣٢٩ : ٧ - ٣٣٠ : ٨ ؛ من بخله وطره ٣٣٠ : ٩ -
٣٣١ : ٨ ؛ هو وعبد الصمد بن على ٣٣١ : ٩ - ١٧ ؛ هو ومحمد بن ابراهيم
٣٣٢ : ١ - ٣ ؛ مع عبد الصمد بن على وقد أحضر رجل من الشراة ٣٣٢ :
٤ - ١٠ ؛ كلامه وقد أصابته قرحة ٣٣٢ : ١١ - ١٤ ؛ شعره الذى فيه
الغناء ٣٣٢ : ١٥ - ١٧ .

أخبار هلال بن الأسعر المازنى - نسبه وشىء عنه ٣٣٣ : ٢ - ٧ ؛ رثاؤه لابن
قنبر ٣٣٣ : ٨ - ٣٣٤ : ٤ ؛ من قوته ٣٣٤ : ٥ - ٣٣٧ : ١٩ ؛ خبره مع
الجلانى ٣٣٨ : ١ - ٣٤٢ : ٨ ؛ ما يحكى عن أكله ٣٤٢ : ٩ - ٣٤٣ : ٥ ؛
خبر الشعر الذى فيه الغناء ٣٤٣ : ٦ - ٣٤٤ : ١٠

أخبار عروة بن الورد - نسبه ٣٤٥ : ٢ - ٤ ؛ شاعر فارس ٣٤٥ : ٥ -
٦ ؛ لقبه ٣٤٥ : ٧ - ٩ ؛ لعبد الملك فيه ٣٤٥ : ١٠ - ١٤ ؛ بين عمر بن
الخطاب والحطيئة فى حديث يتصل به ٣٤٥ : ١٥ - ١٨ ؛ لعبد الملك فى
جوده ٣٤٦ : ١ ؛ نهى ابن جعفر لمعلم ولده عن بيت له ٣٤٦ : ٢ - ٥ ؛ خبره
مع امرأة سباه ٣٤٦ : ٦ - ٢٠ ؛ كان يجمع اليه الصعاليك ٣٧٤ : ١ -
٣٤٨ : ١٠ ؛ بين ثمامة والمنصور فى حديثه ٣٤٨ : ١١ - ٣٥٢ : ١٧ ؛
الشعر الذى فيه الغناء ٣٥٢ : ١٨ - ٢٠

أخبار ذى الأصبع - نسبه وشىء عنه ٣٥٣ : ٢ - ٦ ؛ شعره فى فناء
عدوان ٣٥٣ : ٧ - ١٥ ؛ شىء عن عامر بن الظرب ٣٥٣ : ١٦ - ٣٥٤ : ٥ ؛

سؤال عبد الملك عنه ٣٥٤ : ٦ - ٣٥٥ : ١٦ ؛ هو وبناته الأربع ٣٥٥ : ١٧ - ٣٥٧ : ١٤ ؛ شعره وقد خرف ٣٥٨ : ١ - ٩ ؛ وصيته لابنه في احتضاره ٣٥٨ : ١٠ - ٣٥٩ : ١٨ ؛ تمثل معاوية بشعره له ٣٦٠ : ١ - ١٤ ؛ سبب الفرقة بين عدوان ٣٦٠ : ١٥ - ٣٦١ : ١٠ ؛ شعره في مرير وفيه النساء ٣٦١ : ١١ - ٣٦٢ : ١٥ ؛ قصيدته في رثاء قومه ٣٦٢ : ١٦ - ٣٦٣ : ٨ ؛ لأمامة بنته ترثي قومها ٢٦٣ : ٩ - ١٣

أخبار غريص اليهودي - نسبه ٣٦٤ : ٢ ؛ شعر له يغني فيه ٣٦٤ : ٣ - ٧ ؛ لعائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم في شعر لغريص ٣٦٤ : ٨ - ١٢ ؛ دخول اليهود الحجاز ٣٤٦ : ١٣ - ٣٦٥ : ٦ ؛ تعقيب للمؤلف ٣٦٥ : ٧ - ١٢

أخبار ورقة بن نوفل - نسبه وشيء عنه ٣٦٦ : ٢ - ٤ ؛ للنبي صلى الله عليه وسلم فيه ٣٦٦ : ٥ - ١٧ ؛ في تعذيب بلال وشعر له ٣٦٧ : ١ - ١٤

أخبار زيد بن عمرو - نسبه ٣٦٨ : ٢ - ٧ ؛ شيء عنه ٣٦٨ : ٨ - ١١ ؛ اخراج أخيه له من مكة ٣٦٨ : ١٢ - ١٨ ؛ شعره في ترك الأوثان ٣٦٩ : ١ - ٦ ؛ لورقة يخاطب زيدا ٣٦٩ : ٧ - ١٢ ؛ اعتناقه دين ابراهيم ٣٦٩ : ١٣ - ٣٧٠ : ٥ ؛ اقباله ليسلم ومقتله ٣٧٠ : ٦ - ٧ ؛ للنبي صلى الله عليه وسلم فيه ٣٧٠ : ٨ - ١١ ؛ عمرو وورقة ٣٧٠ : ١٢ - ١٤ ؛ شيء عن زهير ابن جناب ٣٧٠ : ١٥ - ٣٧١ : ٦ ؛ شيء عن مدرج السريج ٣٧١ : ٧ - ١١

أخبار بشار بن برد - نسبه ٣٧٢ : ٢ - ٧ ؛ كنيته ولقبه ومنزلته بين الشعراء ٣٧٢ : ٨ - ١٧ ؛ وصفه وشعر الباهلي في هجائه ٣٧٣ : ١ - ٧ ؛ بدء قوله الشعر ٣٧٣ : ٨ - ٩ ؛ هجاؤه جريرا ٣٧٣ : ١٠ - ١١ ؛ رأى الأصمعي فيه ٣٧٣ : ١٢ - ١٣ ؛ رأيه في عيون شعره ٣٧٣ : ١٤ - ١٦ ؛ دينه ٣٧٣ : ١٧ - ٣٧٤ : ٥ ؛ لواصل بن عطاء فيه ٣٧٤ : ٦ - ١٠ ؛ شيء عن واصل بن عطاء ٣٧٤ : ١١ - ١٧ ؛ هو أحد أصحاب الكلام الستة ٣٧٤ : ١٨ - ٣٧٥ : ٥ ؛ رأى ابن العلاء فيه ٣٧٥ : ٦ - ٣٧٦ : ٢ ؛ له وقد سئل عن احسانه في تشبيهه ٣٧٦ : ٣ - ١٠ ؛ عتابه لامرأة واعدته فأخلفت ٣٧٦ : ١١ - ١٩ ؛ رأى اسحاق فيه ٣٧٧ : ١ - ٧ ؛ غير هجاء له في المنصور وجعله في أبي سلم ٣٧٧ : ٨ - ١٢ ؛ بينه وبين الأصمعي في المشورة ٣٧٨ : ١٣ - ١٥ ؛ بينه وبين بعض موالى المهدي في تفسير بعض الآيات ٧٧٨ : ١٦ - ٣٧٩ : ٤ ؛ هو ويزيد الحميري والمهدي ٣٧٩ : ٥ - ٩ ؛ بينه وبين بعضهم في شعره ٣٧٩ : ١٠ - ٢٠ ؛ هو وقد سئل عن حشوه شعره ٣٨٠ : ١ - ٣٨١ : ٥ ؛ شعره في قينة ٣٨١ : ٦ - ٣٨٢ : ٥ ؛

بينه وبين هلال بن عطية ٣٨٢ : ٦ - ١٠ ؛ بينه وبين رجل من عكل ٣٨٢ :
 ١١ - ٣٨٣ : ٣ ؛ له في مدح خالد البرمكى ٣٨٣ : ٤ - ١٣ ؛ هجاؤه جاراً له
 ٣٨٣ : ١٤ - ٣٨٤ : ٦ ؛ بينه وبين زوجه فى هيبة الناس له ٣٨٤ : ٧ -
 ٨ ؛ بينه وبين عقبة بن روبة فى الرجز ٣٨٤ : ٩ - ٣٨٥ : ١٤ ؛ هو
 والمنصور فى الحج ٣٨٥ : ١٥ - ٣٨٦ : ٧ ؛ حديث تأخر جائزة عقبة لبشار
 عن أرجوزته ٣٨٦ : ٨ - ١٧ ؛ هو والمهدى وقد نهاه عن ذكر النساء فى
 سفره ٣٨٧ : ١ - ٣٨٨ : ١١ ؛ هو وخالد بن برمك وقد وعده فمطله ٣٨٨ :
 ١٢ - ٣٨٩ : ١١ ؛ هو وقوم حضروه فعابوا عليه أشياء ٣٨٩ : ١٢ - ٣٩٠ :
 ٢ ؛ هو وثقيل جلس اليه ٣٩٠ : ٣ - ٧ ؛ شعر له فى ثقيل ٣٩٠ : ٨ - ١٠ ؛
 طرب الوليد بشعر له ٣٩٠ : ١١ - ١٩ ؛ هو وصديق طلب منه ثياباً
 ٣٩١ : ١ - ١١ ؛ شعر له فى جارية للمهدى ٣٩١ : ١٢ - ١٧ ؛ أنشد
 عقبة فوصله ٣٩١ : ١٨ - ٣٥٢ : ٦ ؛ مدح خالد بن برمك فوصله ٣٩٢ :
 ٧ - ١٧ ؛ هو وأبو الشمقمق ٣٩٢ : ١٨ - ٣٩٣ : ١٤ ؛ هجاؤه للعباس بن
 محمد ٣٩٣ : ١٥ - ٣٩٤ : ٣ ؛ بين اسحاق الموصلى وبعضهم فى شعر
 بشار ٣٩٤ : ٤ - ٩ ؛ شعر له نسب للمتملمس ٣٩٤ : ١٠ - ١٦ ؛ سؤال
 طاهر عن عقب بشار ليبرهم ٣٩٤ : ١٧ - ٣٩٥ : ٦ ؛ رضائه عن سلم بعد
 غضب ٣٩٥ : ٧ - ٣٩٦ : ٦ ؛ هو وحماة والأعشى مع عقبة فى مثل أرادته
 ٣٩٦ : ٧ - ٣٩٧ : ٢ ؛ هو واخوته ٣٩٧ : ٣ - ١١ ؛ لابيّه فى تيمنه به
 ٣٩٧ : ١٢ - ١٤ ؛ فى صباه ٣٩٧ : ١٥ - ٣٩٨ : ٢ ؛ بينه وبين بعض
 الشعراء وقد أباحه مالا له ٣٩٨ : ٣ - ١٠ ؛ هجاؤه يزيد بن مزيد وسبب
 ذلك ٣٩٨ : ١١ - ٣٩٩ : ١ ؛ هو وبعض الكوفيين فى بيت له ٣٩٩ : ٢ -
 ٩ ؛ هو والمهدى وقد طلب اليه أن يجيز شعراً له ٣٩٩ : ١٠ - ٤٠٠ : ٥ ؛
 هو وامرأة هويها فكادت له ٤٠٠ : ٦ - ٤٠١ : ١ ؛ شعره فى حبه ٤٠١ :
 ٢ - ١٤ ؛ أنشد المهدى فى غير الغزل فلم يجزه ٤٠١ : ١٥ - ٤٠٢ : ١٩ ؛
 مدح المهدى ثم هجاه ٤٠٣ : ١ - ٨ ؛ هجاؤه المهدى ويعقوب بن داود ٤٠٣ :
 ٩ - ١٢ ؛ هجاؤه صالح بن داود ٤٠٣ : ١٣ - ١٤ ؛ سبب هجائه المهدى
 ٤٠٣ : ١٥ - ٤٠٥ : ٢ ؛ وفاته ٤٠٥ : ٣ - ١٦ ؛ شعر الباهلى فى الشماتة
 بموته ٤٠٥ : ١٧ - ٤٠٦ : ٦ ؛ ندم المهدى على قتله ٤٠٦ : ٧ - ١٦ ؛ شعره
 الذى فيه الغناء ٤٠٦ : ١٧ - ٢١

أخبار يزيد حوراء - ولأوه وطبقته فى الغناء ٤٠٧ : ٢ - ٥ ؛ غنى المهدى
 فى شعر أبى العتاهية فى عتبة ٤٠٧ : ٦ - ٤٠٩ : ٢ ؛ هو وجارية أحبها
 ٤٠٩ : ٣ - ٤١٠ : ١ ؛ من صفته ٤١٠ : ٢ - ٥ ؛ موته وراثه أبى مالك له
 ٤١٠ : ٦ - ١٢

أخبار عكاشة العمى - أصله وأصل قومه ٤١١ : ٢ - ٦ ؛ مكانته في الشعر ٤١١ : ٧ - ٨ ؛ شعره في امرأة هويها ٤١١ : ٩ - ٤١٢ : ٦ ؛ هو والمهدي وقد أراد حده ٤١٢ : ٧ - ١٢ ؛ من شعره ٤١٢ : ١٣ - ١٩ .

ذكر الحادرة - نسبه ولقبه ٤١٣ : ٢ - ٣ ؛ بعض شعره ٤١٣ : ٤ - ١٤

أخبار ابن مسجح - نسبه ومنزلته في الغناء ٤١٤ : ٢ - ٦ ؛ سبب تعلمه الغناء ٤١٤ : ٧ - ١٩ ؛ للمؤلف في هدم ابن الزبير الكعبة ٤١٥ : ١٢ - ١ ؛ اتصاله بعبد الملك ٤١٥ : ١٣ - ٤١٧ : ١٠

أخبار ابن المولى - ولأوه وصفته ومنزلته في الشعر ٤١٨ : ٢ - ٥ ؛ سئل عن ليلاه فأجاب ٤١٨ : ٦ - ١٢ ؛ مدح يزيد بن هاشم فأجازه ٤١٨ : ١٣ - ١٩ ؛ هو ويزيد بن هاشم في مصر ٤١٩ : ١ - ٩ ؛ أعطاه يزيد ضيعتين ٤١٩ : ١٠ - ١٤ ؛ حنينه الى المدينة ٤١٩ : ١٥ - ٤٢١ : ٢ ؛ هو والحسن بن يزيد ٤٢١ : ٣ - ٤٢٢ : ١١ ؛ قدومه على يزيد بن هاتم الأهواز ومدحه له ٤٢٢ : ١٢ - ٤٢٣ : ١٥ ؛ استحسان عمرو بن أبي عمرو لشعره ٤٢٣ : ١٦ - ٤٢٤ : ٧ ؛ مدحه للمهدي بعد ماوى ٤٢٤ : ٨ - ٤٢٥ : ٤ ؛ شعره الذي فيه الغناء ٤٢٥ : ٥ - ١٦

أخبار عطر - ولأوه وشيء عنه ٤٢٦ : ٢ - ٥ ؛ غناؤه لعباد بن سلمة ٤٢٦ : ٦ - ١٨ ؛ هو والوليد بن يزيد حين استقدمه ٤٢٧ : ٤٢٨ : ٨

أخبار الحارث بن خالد المخزومي - نسبه ٤٢٨ : ٢ - ٤ ؛ حديث مقامرة أبي لهب للعاص بن هشام ٤٢٩ : ٥ - ١٣ ؛ مذهبه في الغناء وشيء عنه ٤٢٩ : ١٤ - ١٧ ؛ أخواه وشيء عنهما ٤٢٩ : ١٨ - ٤٣ : ٤ ؛ من شعراء قریش الخمسة ٤٣٠ : ٥ - ٧ ؛ هو وابن عمرو وقد أنشده ٤٣٠ : ٨ - ١٤ ؛ تمثل أشعب بشعره في تفضيل الزبريين على العلويين ٤٣ : ١٥ - ٤٣١ : ٥ ؛ كان مرواني الهوى ووفوده على عبد الملك وتوليه مكة وحديثه مع بنت طلحة ٤٣١ : ٦ - ٤٣٢ : ٩ ؛ الغريض بينه وبين بنت طلحة ٤٣٢ : ١٠ - ٤٣٣ : ٧ ؛ تنمة حديث الغريض مع عاتكة بنت يزيد ٤٣٣ : ٨ - ٤٣٤ : ١١ ؛ هو ومكي حمله رسالة الى بنت طلحة ٤٣٤ : ١٢ - ٤٣٥ : ٥ .

أخبار الأبرج - اسمه ولقبه ولأوه وحسن غنائه ٤٣٦ : ٢ - ٦ ؛ نشط الوليد لغنائه ٤٣٦ : ٧ - ٤٣٧ : ٩

أخبار موسى شهوات - ولاؤه وكنيته وسبب تلقيبه ٤٣٨ : ٢ - ٦ ؛
استعان ابن أسيد في ثمن جارية فأعانه فمدحه ٤٣٨ : ٧ - ٤٣٩ : ٨ ؛ هو
والسعيدان مع عبد الملك ٤٣٩ : ٩ - ٤٤٠ : ٢ ؛ سعيد بن خالد وقد سئل
عن مال افاده من سليمان بن عبد الملك ٤٤٠ : ٣ - ٥ ؛ لسليمان في ابن أسيد
٤٤٠ : ٦ - ٧ ؛ تعقيب على شعر موسى ٤٤٠ : ٨ - ١٢ ؛ بينه وبين سليمان
في شعره في خالد بن سعيد ٤٤٠ : ١٣ - ١٦ ؛ شعره في حمزة وغناء
معبد فيه ٤٤٠ : ١٧ - ٤٤٠ : ٦ ؛ شيء عن حمزة بن عبد الله ٤٤١ : ٧ -
٤٤٢ : ٤

A.U.B. LIBRARY

الابيارى، ابراهيم
[الاغانى. مختارات ١٩٥٥-١٩٥٦] تج

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01042321

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



g
A